جامعة منتوري قسنطينة-الجزائر

عدد 38 ديسمبر 2012

ISSN 111- 505 X

مجلة العلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

منشــورات جــامعة قسنطينـــة 1

مجلة علمية محكمة نصف سنـوية

مجلة العلوم الإنســانية

عدد 38 ديسمبر 2012

مجلة العلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة سداسية

عدد 38، ديسمبر 2012

مدير المجلة
أ/د. **عبد الحميد جكون**
رئيس جامعة قسنطينة

منسق النشر والتنشيط العلمي
أ/د. **نذير بلال**

رئيس التحرير
أ/د. **الهاشمي لوكيا**

هيئة التحرير
أ. د. ابراهيم هاروني
أ. د. عزيز لعكايشي
د. حورية بن بركات
أ. د. رياض بوريش
أ. د. عبد الفتاح بوخمخم
أ. د. عبد الحق بوعتروس
أ. د. سعيد كسكاس
أ. د. حسان حمادة
د. زين الدين بن موسى

الهيئة العلمية
أ/د. **يسمينة شراد**، *جامعة قسنطينة 1*
أ/د. **زهية موسى**، *جامعة قسنطينة 1*
أ/د. **عبدالله بوخلخال**، *جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة*
أ/د. **عبدالرزاق قسوم**، *جامعة الجزائر*
أ/د. **مصطفى بوتفنوشت**، *جامعة الجزائر*
أ/د. **بلقاسم سلاطنية**، *جامعة بسكرة، الجزائر*
أ/د. **عبد الوهاب شمام**، *جامعة قسنطينة 2*
أ/د. **عزوز كردون**، *جامعة قسنطينة 1*
أ/د. **محمد الصغير غانم**، *جامعة قسنطينة 2*
أ/د. **الهاشمي لوكيا**، *جامعة قسنطينة2*
/د. **عبدالعزيز شرابي**، *جامعة قسنطينة 2*
أ/د. **محمود بوسنة**، *جامعة الجزائر 2*
أ/د. **ابراهيم بحاز**، *جامعة غرداية*
أ/د. **علي سعد وطفة**، *جامعة الكويت*
أ/د. **جان فرنسواغارسيا**، *جامعة نيس، فرنسا*
أ/د. **عبد الكريم بلحاج**، *جامعة أكدال، الرباط، المغرب*
أ/د. **طارق بلعج**، *جامعة تونس، تونس*
أ/د. **حسان سعدي**، *جامعة قسنطينة 1*
أ/د. **عبدالعزيز خزاعلة**، *جامعة اليرموك، الأردن*
د. **أمزيان فرقان**، *جامعة غرونبل II*، فرنسا
د. **محمود خليل أبودف**، *جامعة غزة، فلسطين*

المراسلة والاشتراك

مديرية النشر و التنشيط العلمي، جامعة منتوري، 25000 قسنطينة، الجزائر.
الهاتف/الفاكس: 02 .31.81.87 (0) 213 // بريد الكتروني: **revue__sh@yahoo. fr**

الجزائر: 400 د.ج. لعدد واحد - 700 د.ج. للاشتراك السنوي.
الخارج: 12 دولار أمريكي لعدد واحد - 20 دولار أمريكي للاشتراك السنوي.
توجه طلبات الاشتراك إلى: **عون محاسب جامعة قسنطينة.**
حساب الخزينة: **125.140**
حساب مركز الصكوك البريدية : **300008/59**
العنوان: طريق عين الباي، جامعة قسنطينة 1، 25000 الجزائر.

قواعد النشر بالمجلة

قواعد عامة

تنشر مجلة العلوم الإنسانية الأبحاث والدراسات العلمية، الفكرية والأدبية في تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية مكتوبة باللغة العربية، الفرنسية أو الإنجليزية. وتكون المقالات مصحوبة بملخصين، إحداهما بلغة المقال والآخر بإحدى اللغتين المتبقيتين، وعدد الكلمات **150** (أو ستة اسطر أقصى تقدير)، مع ذكر الكلمات الأساسية أو المفتاحية.

كيفية تقديم المقالات

يجب ألا يزيد عدد صفحات البحث عن 20 صفحة مطبوعة على آلة الكمبيوتر، على ورق 21 × 29.7 سم (A 4) وبمسافة واضحة بين السطر والسطر، وأن يترك هامش بثلاث سم على يسار الورقة.

يكتب المقال بطريقة منظمة: مقدمة، النتائج، المناقشة والخاتمة.

بعد قبول المقال يطلب من الباحثين كتابته على آلة الكمبيوتر على قرص مضغوط (CD ROM) ليسهل عملية الطباعة بواسطة الكمبيوتر.

المراجع

يجب أن تذكر المراجع داخل النص بالإشارة إلى رقمها في الفهرس بين قوسين. مثال(5) يشير إلى المصدر في قائمة المراجع و المصادر المستخدمة في البحث.

عندما يشتمل المرجع على أكثر من مؤلفين يذكر اسم المؤلف الأول متبوعا بعبارة " آخرون".

إذا كان المرجع مقالا تذكر أسماء المؤلفين، اسم المجلة ورقمها، سنة النشر وعدد الصفحات المستغلة من البحث.

بالنسبة للكتب يذكر في الإحالة إلى المرجع اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم الناشر، مكان النشر، سنة الطبع، ورقم الصفحات المستخدمة من الكتاب.

عندما يكون المرجع أشغال الملتقيات العلمية فإن الإحالة تتضمن اسم المؤلف أو أسماء الباحثين، السنة للتعريف بالملتقى، تحديد مكان وفترة الملتقى، اسم الناشر والصفحة الأولى الخاصة بمناقشة النتائج.

وسائل الإيضاح

يجب أن تقدم الجداول الإحصائية والرسوم البيانية والخرائط والصور الأصلية مستقلة عن النص في ورق A4 بشكل فردي أو جماعي مع ذكر رقم الجدول أو الشكل.

للحصول على أشكال وجداول وصور واضحة فإن استعمال الطابعة ليزر أو الحبر أمر ضروري.

يجب أن تتسم وسائل الإيضاح بالوضوح والنقاء لتسهيل عملية إعادة تصويرها.

مجلة العلوم الإنسانية

عدد 38– ديسمبر2012

الفهـرس

□ التراث بين العقلانية المجردة والفكرانية المسيسة عند طه عبد الرحمان
- حدود الاستعمال ومحاذير النتائج-
د. محمد بومعيزة.. **7**

□ ألبيركامو... بين الضّفّتين وبين المواطنة والولاء
د. نواف أبوساري.. **15**

□ في الشعرية البصرية - مفاهيم وتجليات
أ. وسيلة بوسيس.. **39**

□ معوقات التنمية بالمجتمعات النامية
د. السعيد فكرون.. **53**

□ واقع البحث العلمي في الوطن العربي في ظل الفجوة المعرفية العالمية
أ. شريفة معدن.. **65**

□ القيادة الإدارية ومهارات القائد للحكم الراشد في المؤسسات
أ. لطفي دمبري **87**

□ انتقاء الأخبار في وسائل الإعلام: خدمة هادفة للجمهور أم إستراتيجية للتلاعب بالعقول ؟
أ. ليلى بولكعيبات **103**

□ المناخ التنظيمي وعلاقته بالإبداع الإداري لدى الهيئة الوسطى
أ. عز الدين لرقم **119**

□ أثر صدمة مشهد قتل الأب على ظهور الجنوح عند المراهق
أ. **نورة أوشيخ** **137**

□ الذكاء الانفعالي وعلاقته بإدارة الضغوط المهنية لدى مديري المؤسسات التعليمية
أ. رشيد سعاده **155**

□ فعالية برنامج إرشاد جماعي في تحسين مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين
أ. فاطمة مقدم 177

□ دراسة الهيمنة المخية لدى التلميذ المصاب بعسر القراءة (الدسلكسيا) بمنطقة تمنراست " تناول نفس-عصبي"
د. سامية شويعل & أ. أم الخير حمدي 195

□ المعوقات السياسية للتنمية في الجزائر
أ. مليكة فريمش...215

□ الدراسات الأمنية بين الاتجاهين التقليدي والحديث
أ. صليحة كبابي...229

□ وظيفة متابعة ومراقبة عملية الخوصصة - واقع التجربة الجزائرية -
أ. محفوظ بولقصيبات...249

□ أثر تطبيق نموذج إدارة علاقة الزبون "CRM" في تحقيق الميزة التنافسية
أ.الياس بوضياف & د. عزالدين بن تركي 275

□ قراءة في حق رئيس الجمهورية في الاعتراض على القوانين في النظام الدستوري الجزائري (دراسة مقارنة)
أ. باديس سعودي...299

□ دراسة تقويمية مرحلية لتطبيق إصلاح التعليم العالي في الجزائر
د. أحمد بوسكرة 329

□ خصائص تصميم الوظيفة والاستجابات الانفعالية والسلوكية
د. نور الدين بوعلي 341

■ إن المقالات المنشورة بهذه المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها.

Revue
SCIENCES
HumaineS

SOMMAIRE

n°38, Décembre 2012

□ La réalité des violences scolaires dans le constantinois

Imène BENHARKAT……………………………………………………………………………7

□ Violence intra-familiale : quel rôle joue la mère dans la réalisation de l'inceste? (Étude de deux cas d'inceste à Constantine, Algérie)

Samira TOUAFEK ………………………………………………………………………………17

□ Situation de l'éducation physique et sportive (EPS) au niveau de l'enseignement primaire en Algérie (entre mythe et réalité)

Redouane BOUKHERRAZ & Kamel BENAKILA ……………… ……………………….29

□ Comprehension Monitoring Strategies for Fostering Reading Comprehension

Samir LARABA …………………………………………………………………………………37

■ Les opinions exprimées dans les articles n'engagent que leurs auteurs.

Publication de l'Université CONSTANTINE 1

Revue scientifique semestrielle à comité de lecture

Revue SCIENCES HumaineS

N°38, Décembre 2012

Revue
SCIENCES HumaineS

Semestrielle
n°38, Décembre 2012

Comité de Rédaction

Pr. Brahim HAROUNI
Pr. Azziz LAKAICHI
Dr. Houria BENBARKAT
Pr. Riadh BOURICHE
Pr. Abdelfettah BOUKHEMKHEM
Pr. Abdelhak BOUATROUS
Pr. Said KESKES
Pr. HAMADA Hacène
Dr. Zine Eddine BENMOUSSA

Directeur de la Revue
Pr. Abdelhamid DJEKOUN
Recteur
de l'Université Mentouri
Constantine

Coordonnateur de la Publication
et des Activités Scientifiques
Pr. Nadir BELLAL

Rédacteur en Chef
Pr. Hachemi LOUKIA

Comité Scientifique

Pr. Yasmina CHERAD, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Zahia MOUSSA, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Abdellah BOUKHELKHAL, *Université Emir Abdel-Kader, Constantine (Algérie)*
Pr. Abderazak GUESSOUM, *Université d'Alger (Algérie)*
Pr. Mostefa BOUTEFNOUCHET, *Université d'Alger (Algérie)*
Pr. Belkacem SELATNIA, *Université de Biskra (Algérie)*
Pr. Abdelouahab CHEMMAM, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Azzouz KERDOUN, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Hachemi LOUKIA, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Abdelhadi LAROUK, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Abdelaziz CHARABI, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Mohamed Seghir GHANEM, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Mahmoud BOUSSENA, *Université d'Alger (Algérie)*
Pr. Ali Saad OUATFA, *Université du Koweit (Koweit)*
Pr. Jean-François GARCIA, *Université de Nice (France)*
Pr. Abdelkarim BELHAJ , *Université Agdal, Rabat (Maroc)*
Pr. Tarek BELLAJ, *Université de Tunis (Tunisie)*
Pr. Hacene SAADI, *Université Mentouri, Constantine (Algérie)*
Pr. Abdelaziz KHAZALI, *Université de Yarmouk (Jordanie)*
Dr. Ameziane FERGUENE, *Université de Grenoble II (France)*
Dr. Mahmoud Khalil ABOUDAF, *Université de Gaza (Palestine)*

Correspondance et Abonnement

Direction des Publications et de l'Animation Scientifique, Université Mentouri, Constantine, ALGERIE
e-mail: **revue_sh@yahoo.fr** // Tél./Fax.: 213 (0) 31.81.87.02

ALGERIE: 400 DA le numéro, 700 DA l'abonnement annuel.
ETRANGER: 12$ le numéro, 20$ l'abonnement annuel.
Chèque à l'ordre de: Monsieur l'Agent Comptable de l'Université de Constantine.
Compte Trésor: **125.140**
Compte C.C.P.: **300008/59**
Adresse: Route Aïn El Bey, Université Mentouri, 25000 Constantine, Algérie.

INSTRUCTIONS AUX AUTEURS

I- Généralités

La revue **Sciences Humaines** publie dans trois langues: arabe, français et anglais. Deux résumés doivent être fournis, l'un dans la langue de l'article, l'autre en arabe si l'article est rédigé dans une autre langue, ou en français (ou anglais) si l'article est rédigé en arabe. **Les résumés ne doivent pas dépasser 150 mots**. Les articles non publiés ne sont pas renvoyés à leurs auteurs.

II- Manuscrits

Les articles soumis à la publication (trois exemplaires) ne doivent pas dépasser 20 pages dactylographiées (tableaux, figures, graphiques, bibliographie,... compris) avec une large marge à gauche (3 cm), imprimé sur papier de format 21 x 29,7 cm (A4) avec interligne de bonne lisibilité. Une certaine flexibilité est permise aux auteurs, mais ils doivent organiser le texte clairement en sections telles que: Introduction, Détails expérimentaux, Résultats, Discussion et Conclusion. Les articles plus longs seront publiés par partie dans des numéros successifs, chaque partie étant déterminée par les auteurs. Il est demandé eu outre aux auteurs de bien vouloir accompagner le résumé de leurs articles de mots clés les plus complets possibles.

Dans le souci de gain de temps et de respect des échéances de publication, il est recommandé aux auteurs de prendre en charge la saisie complète de leur article sur micro-ordinateur, et de le transmettre à la revue, après qu'ils aient été avisés de l'acceptation pour publication, sous forme de fichiers sur CD.ROM, lesquels seront recopiées par les soins du service.

Toutefois, étant donné que la mise en forme finale de l'article est réalisée par P.A.O. (Publication Assistée par Ordinateur), il est demandé aux auteurs d'éviter tout formatage de leur texte. Aussi faudra-t-il éviter de le styliser.

III- Bibliographie

Les références bibliographiques citées dans le texte doivent ne comporter que le N° de la référence entre crochets (ex.: [5]). Si le nom de l'auteur apparaît dans le texte, il doit être suivi par le N° de la référence. Lorsque la référence comporte plus de deux auteurs, seul le premier est cité, suivi de "et al".

Pour les articles, la référence complète comporte les noms des auteurs suivis des initiales de leurs prénoms, le titre de l'article, le titre du périodique (en se conformant aux abréviations admises), le volume, le N° du périodique, l'année de publication et les pages concernées.

Pour les ouvrages, la référence doit comporter les noms des auteurs suivis des initiales de leurs prénoms, le titre complet de l'ouvrage, le volume, le tome, la première et la dernière page se rapportant aux résultats discutés, le numéro de l'édition s'il y en a plusieurs, le nom de l'éditeur, le lieu et l'année d'édition.

Pour les rencontres scientifiques (congrès, proceedings,...), la référence comporte les noms des auteurs suivis des initiales de leurs prénoms, le titre de la communication, l'identification de la rencontre, le lieu, la période et les pages concernées.

IV- Iconographie

Les tableaux, planches, graphiques, cartes, photographies, etc. doivent être fournis à part, en hors-texte. Ils doivent être présentés sur feuilles blanches de format A4, individuellement ou en groupe, et comporter en dessous, la mention "tableau" ou "figure" affectée d'un numéro.

Les illustrations et les figures doivent être claires, faites professionnellement et adéquates pour la reproduction: une réduction éventuelle de 50% doit conduire à une taille et une épaisseur des caractères convenables pour une bonne lisibilité. Par ailleurs, pour les figures réalisées sur ordinateur, afin que le contraste soit maximal, l'usage d'une imprimante laser ou à jet d'encre est indispensable.

Les légendes affectées de leurs numéros doivent être regroupées dans une page à part.

La présentation finale de l'article sera laissée à l'appréciation du comité de rédaction.

Université Mentouri Constantine - Algérie

N° 38 - décembre 2012
ISSN 111- 505 X

Revue SCIENCES HumaineS

Revue scientifique semestrielle à comité de lecture

Revue SCIENCES HumaineS n°38, Décembre 2012– pp 7 - 16

La réalité des violences scolaires dans le constantinois

Résumé

La violence est un phénomène très ancien, mais qui suscite depuis quelques années l'intérêt des chercheurs dans diverses disciplines. Elle touche l'homme et la femme, à tout âge, que ce soit dans la rue, au sein de la famille ou bien au niveau des institutions comme dans le secteur de l'éducation nationale où nous avons réalisé une enquête en 2010 auprès d'élèves de l'enseignement moyen du constantinois. Il sera question dans cet article des auteurs ainsi que des victimes de violences, des différentes formes de violences, de leurs causes et de leurs conséquences, telles qu'elles sont vécues par les élèves interrogés.

Imène BENHARKAT
Faculté de Psychologie etdes Sciences de l'Education
Université Constantine 2, (Algérie)

ملخص

يعتبر العنف من أقدم الظواهر التي عرفتها المجتمعات عبر العصور والتي استرعت اهتمام الباحثين على اختلاف تخصصاتهم نظرا لكونه يمس كافة فئات المجتمع على اختلاف سنهم وجنسهم وصار يعرف انتشارا واسعا في شتى مجالات و قطاعات تفاعل الأفراد على مستوى الشارع، الأسرة وحتى المؤسسات ومنها المؤسسات التربوية التي استهدفنا منها في هذه الدراسة بعضا من مؤسسات التعليم المتوسط بمدينة قسنطينة. المقال الحالي يقدم ضحايا العنف المدرسي ومرتكبيه، مختلف أشكاله، أسبابه وعواقبه من خلال ما عايشه التلاميذ.

Introduction

La violence en général et la violence dans les milieux scolaires en particulier, existe depuis fort longtemps et dans toutes les sociétés humaines même si elle a changé de forme et de modalité. A ce sujet, Janeczeck écrit que la violence était cachée, ignorée et dans la plupart du temps elle était considérée comme un phénomène normal et même essentiel pour l'éducation des enfants. (1)

Dans l'antiquité, Les témoignages des historiens ont montré que depuis l'antiquité les châtiments corporels étaient une pratique courante dans l'éducation des enfants, dans les milieux familial et scolaire. L'exemple des Spartiates, en Grèce, en était la preuve puisqu'ils considéraient la maltraitance infligée aux enfants comme étant un passage indispensable, pour qu'ils deviennent des ''Hommes''.

© Université Constantine 1, Algérie, 2012.

D'après Debarbieux « on avait la certitude que l'enfance était un état de sauvagerie et que l'éducation consistait principalement en un redressement » (2). Cette idée a longtemps existé dans les sociétés traditionnelles et ce n'est qu'au 20ème siècle que les comportements et les idées des adultes avaient changé pour comprendre enfin que « l'enfant n'est plus perçu comme un sauvage qu'il faut dresser mais plutôt comme une âme innocente que l'on mène peu à peu sur le chemin de la raison et du savoir » (3). Partant de ce fait, Chesnais (4) souligna que le recours à la violence aurait été plus accru dans les sociétés anciennes. Ce qui n'est pas l'avis de tous les auteurs qui ont constaté au contraire sa recrudescence dans les sociétés modernes depuis ces dernières décennies.

Ces divergences d'opinions tiennent au fait qu'il n'existe pas de définition précise et univoque de ce concept et c'est ce qui rend difficile son approche.

1. Problématique

Si nous nous référons à la définition la plus générale et la plus répandue, le mot violence renvoie à l'usage de la force et à la qualité de ce qui agit avec force. Ainsi, dans *Le petit Larousse,* le mot violence signifie le caractère de ce qui se manifeste, se produit ou produit ses effets avec une *force* intense, extrême, brutale**,** telle une *tempête d'une rare violence* ».(5) Cependant, il ne s'agit pas n'importe quelle force. Celle-ci doit comporter certaines caractéristiques, telles que la brutalité et l'intensité de l'acte ou de l'événement et peut être engendrée par un être humain, ou bien encore par des phénomènes naturels, comme le vent, la pluie.

L'Organisation Mondiale de la Santé définit aussi la violence par l'usage de la force. Pour elle, la violence est « l'usage délibéré ou la menace d'usage délibéré de la force physique ou de la puissance contre soi même, contre une autre personne ou contre un groupe ou une communauté, qui entraîne ou risque fort d'entraîner un traumatisme, un décès, un dommage moral, un mal développement ou une carence » (6).

Afin d'éviter toute ambiguïté, certains auteurs, comme J-C. Chesnais, préfèrent se référer au code pénal qui stipule que la violence doit être visible et mesurable matériellement et doit revêtir un triple caractère : brutal, extérieur et douloureux. Elle doit recourir à l'usage *matériel de la force* et à la rudesse volontairement commise aux dépens de quelqu'un. (7)

C. Piron (8) n'approuve pas totalement ce type de définition qui s'appuie sur la notion de force, et ce, en raison de l'existence de situations caractérisées par l'usage de force, mais dépourvues de violence, au sens strict du terme, puisqu'il n'y a pas une intention de nuire: ainsi en est-il de la naissance et de la poussée dentaire chez le bébé, qui sont des phénomènes douloureux et pénibles pour ceux qui les subissent, mais vitaux et nécessaires.

De surcroît, se limiter aux textes et aux lois du code pénal ne permet pas toujours de rendre compte de toutes les violences que subissent réellement les individus car elles sont également d'ordre subjectif, telles les violences psychologiques.

Pour Michaud, la violence est multidimensionnelle : « il y a violence quand, dans une situation d'interaction, un ou plusieurs acteurs agissent de manière directe ou

indirecte, massés ou distribués, en portant atteinte à une ou plusieurs personnes à des degrés variables, soit dans leur intégrité physique, soit dans leur intégrité morale, leurs possessions, soit dans leurs participations symboliques et culturelles.» (9)

En outre, elle n'est significative que par rapport à un ordre de valeurs, donc un ensemble de critères qui ne sont pas objectivement observables : « une force devient violence lorsqu'elle dépasse la mesure ou perturbe un ordre…elle prend sa qualification de violence en fonction de normes définies. Ces normes, ou en tout cas, certaines d'entre elles, varient historiquement et culturellement » (10).

Ce qui est considéré comme violent par une personne peut ne pas l'être pour une autre, de même que ce qui était perçu comme un comportement violent à une époque ou dans une société donnée peut ne pas l'être aujourd'hui.

Pour Cellier, Casanova et Robbes « il n'y a de violence qu'en situation, que dans un contexte réel et repéré et ceux-ci, par nature, sont des systèmes évolutifs. On pourrait même penser que ceux qui donnent une définition définitive et universelle de la violence commettent une erreur tant le concept et ses manifestations ont évolué et continuent d'évoluer. » (11).

Ce sont donc les normes sociales qui définissent l'acte violent. Cependant, comment pouvons-nous connaitre le seuil tolérable ou non de la violence ? Et quand pouvons nous considérer qu'une force a réellement transgressé les normes établies par une société donnée ?

Les problèmes de définition se répercutent sur les tentatives de classification de ce phénomène.

Mais bien qu'il s'avère aléatoire de dresser une typologie précise et universelle de ce phénomène, les efforts fournis dans ce sens méritent que l'on s'y attarde, s'agissant notamment de la violence en milieu scolaire.

Les unes proposent de distinguer l'acte et l'acteur.

Pour Fischer, il y a, d'une part, les violences relatives aux situations et aux caractéristiques de ceux qui commettent l'acte violent, exemple de la violence interpersonnelle et de la violence collective, et, d'autre part, les violences relatives à la nature de ces actes et qui englobent trois aspects : les agressions physiques, psychologiques et sexuelles. (12)

Une échelle, d'origine américaine, propose, quant aux actes, la classification suivante :

– les violences physiques, puis verbales, directes, à l'exemple des coups, des attouchements, des injures, voire des plaisanteries sexuelles...

– les violences non physiques, puis non verbales, indirectes comme les attitudes de mépris, le refus de parole, l'évitement, le décrochage de l'élève ou de l'enseignant, le favoritisme...etc. (13)

Quant à la classification du point de vue de l'acteur, elle distingue :

– la violence des élèves dirigée soit contre un autre élève, soit contre un enseignant, ou bien envers soi-même, ou un membre du personnel administratif, ou bien encore à l'encontre du matériel de l'établissement ;
– la violence exercée par les enseignants sur leurs élèves ;
– la violence du groupe qui renvoie aux différents types de perturbations tels que les chahuts, les bavardages, le phénomène de « bouc émissaire »…etc.
– Enfin, la violence imputable à la famille et qui concerne les attentes des parents, leurs exigences et leur intrusion dans la classe de cours, etc. (14)

D'autres études, insistent, quant à elles, sur la variable environnementale. Ainsi, les recherches menées en France par Debarbieux sur le "climat scolaire" dans les établissements d'enseignement ont objectif de vérifier l'évolution de la violence du cycle primaire au cycle secondaire. L'étude conduite par Walter Funk en 1998, auprès d'élèves allemands, a pour objet d'identifier le poids, dans le comportement violent des élèves, des attitudes parentales (15). L'étude de Ton Mooij aux Pays-bas s'intéresse au "comportement antisocial" des élèves en 1998.

Mais, qu'en est-il de la violence scolaire en Algérie?

2. La violence scolaire en Algérie

Il n'existe pas de chiffres officiels que ce soit sur les violences en général ou sur les violences scolaires en particulier. Cependant, une évaluation réalisée par l'UNICEF en 2006 sur la violence scolaire en Algérie, indique que 22,5% des enfants âgés de 2 à 14 ans ont reçu des punitions sévères (coups sur le visage ou la tête, utilisation d'un objet dur, etc.), tandis que 71,6% d'entre eux reconnaissent avoir reçu des punitions physiques mineures. Quant aux menaces verbales, le rapport mentionne que 82,3% de ces enfants en sont souvent victimes, que ce soit à la maison ou à l'école (16).

Une étude de dossiers réalisée par nos soins au niveau du Service de Médecine Légale du CHU de Constantine, pour l'année 2006 et le premier semestre 2007, a permis de relever 276 cas d'élèves ayant subi des maltraitances physiques. Sur un nombre total de 15783 consultants tous âges confondu, 15 enfants ont subi des maltraitances intrafamiliales et 21 au sein de leur établissement scolaire. Ces violences scolaires sont plus fréquentes chez les élèves âgés de 11 à 15 ans et sont exercées soit par des enseignants (14 cas), soit par un pair (4 cas) ou bien par des surveillants (3 cas).

Nous avons chercher à vérifier ces conclusions statistiques par une enquête de terrain dans des Collèges d'Enseignement Moyen (C.E.M.) de la région de Constantine.

Cette enquête a été réalisée, en 2010, par questionnaire, dans six CEM de la daïra de Constantine, choisis d'une manière aléatoire (tableau de Fischer). Dans une seconde phase, nous avons procédé à un échantillonnage par grappes qui consiste à prendre une classe de chaque pallier scolaire de la 1^{ière} à la 4ème année élémentaires. Cette méthode nous a permis de rassembler un échantillon composé de 743 élèves (45% de sexe masculin, 55% de sexe féminin); que nous jugeons représentatifs de la population totale.

Le questionnaire comporte deux volets : l'élève en tant que victime et en tant qu'auteur de violences.

2.1. L'élève en tant que victime de violences :

Les questions portent sur l'existence des violences scolaires, leurs auteurs, leurs lieux de manifestation, leurs conséquences ainsi que les réactions des victimes à ces violences.

Un premier constat: la majorité des élèves déclarent avoir été victimes d'agressions.

Figure n° 1 : Répartition des enquêtés selon qu'ils ont subi ou non la violence

Plus de 81% des enquêtés ont subi au moins une fois des actes violents durant leur cursus scolaire.

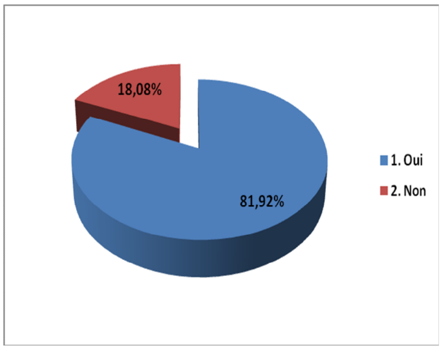

Tableau N°1- Répartition de la population d'enquêtés selon la nature de la violence subie.

Modalité	**Effectif**	**%**
Coup	286	38,60
Insulte	304	41,03
Intimidation	99	13,36
Menace	187	25,24
Violence sexuelle	43	5,80

Les types de violences les plus répandues dans les établissements ciblés, sont par ordre décroissant: les insultes dans 41,03% des cas, les coups 38,60%, les menaces 25,24%. Au vu de ces résultats, nous n'avons pas manqué de nous pencher sur le phénomène de la violence sexuelle même s'il ne représente que 5,80% des cas.

Tableau 2. Répartition des enquêtés selon l'auteur de la violence

Modalité	**Effectif**	**%**
un élève	172	28,34
un groupe d'élèves	149	24,55
un enseignant	191	31,47
un membre du personnel administratif	30	4,94
un surveillant	92	15,16
une personne inconnue	151	24,88
un membre de la famille	12	1,98

Tableau 3. Répartition selon le lieu de la violence

Modalité	**Effectif**	**%**
Dans la classe	244	40,26
Dans la cour	203	33,50
Près de l'école	191	31,52
Hors l'école	67	11,06

Les résultats nous montrent que la violence scolaire est plus répandue dans la salle de cours selon 40,26% des élèves victimes, puis dans la cour de recréation pour 33,50% des cas. Pour 31,52% d'entre eux, ces violences ont lieu prés de l'établissement.

Tableau 4. Répartition selon les conséquences de cette violence

Modalité	**Effectif**	**%**
Blessures	110	18,18
Peur	137	22,64
Aucune séquelle	361	59,67
Arrêt travail	60	9,92

Nous remarquons que parmi les 59,67% des élèves qui ont subi de violences, aucun n'a eu de séquelles. Tandis que 18,18% d'entre eux disent avoir été blessés et 22,64% ont ressenti de la peur.

Tableau 5. Répartition selon les réactions de la victime

Modalité	Effectif	%
Comportements agressifs	171	28,36
Plaintes	181	30,02
Comportement d'évitement	300	49,75
Utilisation du même moyen pour se défendre	10	1,66

Les résultats de l'enquête nous montrent que 49,75% des victimes ont évité l'agresseur et que 30,02% ont déposé plainte auprès de l'administration. Par contre, 28,36% des élèves ont répondu par des actes agressifs.

2.2. L'élève en tant qu'auteur de violences

Les questions posées portent sur les types, les causes et les conséquences des violences exercées par ces élèves.

Le constat, apparent paradoxal, est qu'une majorité d'élèves, déclarent avoir été, *aussi*, auteurs d'agressions.

Figure n° 2 - Répartition des enquêtés selon qu'ils sont ou pas auteurs de violence

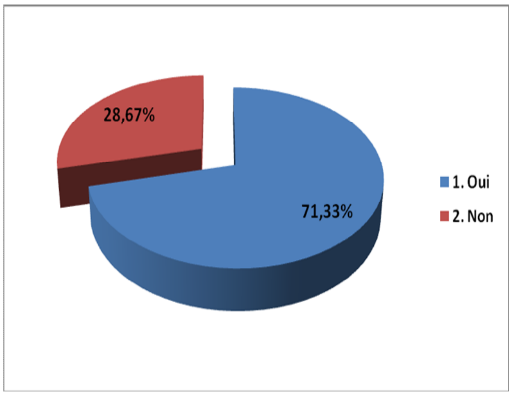

Tableau 6. Répartition de la population d'enquête selon le type de la violence

Modalité	**Effectif**	**%**
Coups	310	59,62
Insulte	194	37,31
Intimidation	128	24,62
Menaces	152	29,23
Destruction des biens matériels	38	7,31

Les types de violences exercés par les élèves sont les coups et les insultes pour 59,62% des cas et 37,31% des enquêtés auteurs de violence. Par contre 92,69% d'entre eux disent n'avoir jamais eu recours aux destructions des biens matériels de l'établissement, ni à l'intimidation dans 75,38% des cas, ni aux menaces dans 70,77% des cas.

Tableau 7. Répartition de la population d'enquêtés selon les sujets victimes de la violence

Modalité	**Effectif**	**%**
Envers un élève	388	75,78
Envers un enseignant	68	13,28
Envers un surveillant	32	6,25
Envers un parent d'élève	5	0,98

Concernant les élèves victimes de violence, le tableau nous montre que les agressions perpétrées contre un autre élève concernent 75,78% des cas. En même temps, 99,02% et 93,75% des élèves auteurs de violence, n'ont jamais été violents envers un parent d'élève ou un surveillant, alors que 13,28% de ces élèves disent avoir été violents au moins une fois envers un enseignant.

Tableau 8. Répartition de la population d'enquêtés selon les causes de la violence

Modalité	Effectif	%
Légitime défense	409	78,20
Attirer l'attention	22	4,21
Problèmes familiaux	51	9,75
A subi une humiliation	88	16,83
Se venger	149	28,49

La majorité des élèves (78,20%), auteurs de violence scolaire, déclarent que la cause principale de leur passage à l'acte est la légitime défense, c'est-à-dire que leurs comportements violents ne sont que des réponses à des stimuli violents.

3. Discussion et conclusion

Notre étude nous a permis de confirmer l'existence de la violence dans les établissements scolaires algériens, mais qui n'est pas comparable à ce qui se passe aujourd'hui dans les écoles des sociétés occidentales où certains jeunes écoliers vont jusqu'à l'utilisation d'armes à feu, pour régler leurs conflits avec des camarades ou des enseignants. En effet, la majorité des élèves (plus de 81%) reconnaissent avoir subi au moins une fois un acte violent. Ce sont les agressions verbales qui prédominent : 41,03% des élèves disent avoir été insultés. **Ceci étant, il convient, sans doute, de ne pas perdre de vue que parmi ces actes de violence, figurent des** comportements, qui sont confondus, malgré leur brutalité, aux jeux, **et qui relèvent de ce que d'aucuns désignent par l'expression** "banalisation de la violence".

Notre enquête a fait ressortir aussi que l'auteur principal de la violence est l'enseignant dans 31,47% des cas, suivi par l'élève dans 28,34% puis d'un groupe d'élèves dans 24,55% des cas. Apparemment, certains maitres d'école ne semblent pas tenir compte de l'interdiction de l'usage du châtiment corporel promulgué par la loi 08-04 du 23 janvier 2008 relative à l'orientation sur l'éducation et qui stipule dans son article 21 que « les châtiments corporels, les sévices moraux et toutes formes de brimades sont interdits dans les établissements scolaires et les contrevenants s'exposent à des sanctions administratives, sans préjudice des poursuites judiciaires ». **Dès lors**, les punitions sont considérées comme des comportements violents et sont interdites dans toutes les institutions scolaires. Or, dans l'enquête menée par le CREAD, la plupart des enseignants disent ne pas trouver d'autres moyens plus efficaces pour maitriser la classe et de ce fait, ils sont allés jusqu'à demander l'abrogation de cette loi (17). Cette dernière semble avoir limité leur liberté à faire régner l'ordre et la discipline dans des classes surchargées d'une population juvénile débordante d'énergie.

L'école qui, jadis, jouait un rôle prédominant dans la socialisation et la production du savoir, n'arrive plus aujourd'hui à répondre à cette demande du fait de plusieurs facteurs qui s'accumulent et s'entrecroisent, tels l'insuffisance des infrastructures de base de l'enseignement primaire et secondaire, qui est pour beaucoup dans la forte surcharge des classes, certaines accueillant jusqu'à 50 élèves, et la "démission" de certains parents de leur responsabilité envers l'éducation de leur progénitures.

Ce n'est sans doute par hasard si, dans notre enquête, la salle de cours vient en première position en tant que lieu de manifestation de la violence (dans 40,26% des cas), avant la cour de récréation (33,50%) et les environs immédiats de l'école (31,50%). Mais, étant donné que les élèves passent au moins six heures dans la classe en compagnie de leur enseignant, il est logique que celui-ci apparaisse comme étant le premier instigateur de la violence scolaire.

En ce qui concerne les réactions des victimes, nous avons relevé que près de la moitié de l'effectif (49,75%) ont préféré éviter l'agresseur probablement par peur des représailles. En revanche, 30% des élèves interrogées déclarent avoir réagi en dénonçant leur agresseur auprès de l'administration, et presque autant (28,36%) disent avoir répondu violemment à leur agresseur.

Ce constat rejoint les conclusions des travaux de Carra et Faggianelli, selon lesquelles les rôles ne sont plus figés, puisque beaucoup de victimes se déclarent également comme auteurs de violences et que, parmi les élèves victimes qu'ils ont interrogés, 48% se déclarent aussi auteurs (18). Dès lors, il n'y a plus d'un côté les victimes de violences et de l'autre les auteurs, ils sont les deux à la fois.

Quant aux causes des comportements agressifs des élèves, les résultats de l'enquête révèlent que, dans la majorité des cas (78,20% des élèves), elles relèveraient de la simple légitime défense.

Ces comportements agressifs s'expriment de façon verbale (insultes : 37,31%, menaces : près de 29%, soit 66,31%) et physique (coups : plus de 59%). Il semble que les victimes préfèrent de plus en plus répondre à la violence par un comportement similaire surtout si l'agresseur est un élève. Les facteurs explicatifs sont multiples : Le désir de l'élève agressé de ne pas perdre la face et paraître faible devant ses camarades, et, ainsi, éviter ainsi d'être encore une fois victime, d'autant qu'il ne se sent pas toujours protégé dans l'établissement. Selon Carra et Faggianelli « à défaut de la connaissance d'autres moyens de régulation au sein de l'école ou d'une reconnaissance de leur efficacité, les coups sont utilisés pour se protéger en se défendant. » (19)

Enfin, il nous parait important de soulever les problèmes liés à l'adolescence, car ils peuvent expliquer en partie les comportements violents de cette population : **le besoin** d'autonomie, le rejet de l'autorité et la recherche de l'approbation de ses pairs.

Cependant, quelles qu'en soient les causes immédiates et les formes, l'existence de la violence dans les établissements scolaires demeure paradoxale, car ces institutions ont, en principe, pour mission la socialisation et l'éducation des futurs citoyens.

NOTES

1. Janeczek L., *Les violences scolaires : enjeux et perspectives*, Mémoire de D.E.A Université de Lille II, 1999-2000, 1999-2000, p. 1

2. Debarbieux E., *La violence en milieu scolaire ''Etat des lieux''*. <www.chez.com/b105/lectures/debarbieux1.htm.>

3. *Idem*.

4. Chesnais J.-C., *Histoire de la violence*, Paris, Robert Laffont, 1981.

5. "Violence", *Dictionnaire Le petit Larousse*, Editions Larousse, 2003.

6. O. M. S. *Rapport Mondial sur la violence et la santé : résumé*. Genève, 2002.<www.who.int/violence_injury_prevention/violence/world_report/en/full_fr.pdf> consulté le 23/04/2007.

7 Chesnais J-C., *op. cit.*, p. 10

8 Piron C. « Dans violence il y a vie », *in Culture et pensée jungienne* : *Violences,* 2003, Paris, Vol. 13.

9. Michaud Y., *La violence*. Que sais-je ?, Paris, P.U.F., 1996. p. 8

10. Michaud Y., « La violence comme forme particulière de déviance », La Documentation française, n°923, 2006.

11. Casanova R., Cellier H. & Robbes B., *Situations violentes à l'école : comprendre et agir*, Paris, Editions Hachette, 2005, p. 201

12. Fischer G-N. & *al.*, *Psychologie des violences sociales*. Paris, Dunod, 2003, p. 11

13. Pain J., *L'école et ses violences*, Paris, Anthropos, 2006, p. 31.

14. Casanova R., *Prévenir et agir contre la violence dans la classe,* Paris, Hatier, 2000, p. 81

15. Direction de la recherche et de l'évaluation, *La violence à l'école : quelques compréhensions s'appliquant à des pays membres de l'OCDE*. Québec, 2002. <http://www.mels.gouv.qc.ca/ministere/veille/index.asp?page=fiche&id=127.>

16. *Le Soir d'Algérie*, 31 octobre 2007, "Évaluation par l'UNICEF de la situation des enfants algériens".

17. Mekideche, T. (2005). « *La violence en milieu scolaire*. Synthèse de l'étude CREAD/UNICEF/MEN », Colloque international, Tunis, 14-16 avril 2005. www.unicef.org.tn/medias/violence/algerie.pdf

18. Carra C. & Faggianelli D., *Les violences scolaires,* Paris, P.U.F. (Coll. "Que sais-je ?"), 2011. p. 43

19. *idem*.

Revue SCIENCES HumaineS ——— n°38, Décembre 2012– pp 17 - 28 ———

Violence intra-familiale : quel rôle joue la mère dans la réalisation de l'inceste?

(Étude de deux cas d'inceste à Constantine, Algérie)

Résumé

L'objectif est d'identifier et de décrire le rôle et les traits caractéristiques de la personnalité de la mère qui participent à la création d'un climat favorable au passage à l'acte incestueux. L'analyse qualitative de contenu des entretiens et l'anamnèse de deux cas d'inceste révèlent que les absences maternelles, les relations inadaptées entretenues avec la victime et/ou le conjoint, la dépendance, et l'instabilité psychoaffectives de la mère sont des éléments qui facilitent le passage à l'acte incestueux.

.

Samira TOUAFEK
Département des Sciences Sociales et Humaines
Université Oum El Bouaghi, (Algérie)

ملخص

يهدف المقال إلى هو تحديد و وصف الدور والسمات المميزة لشخصية الأم التي تشارك في خلق الجو المناسب لتحقيق فعل زنا المحارم.

التحليل النوعي لمحتوى المقابلات وتاريخ حالتي زنا المحارم محل الدراسة، تكشف أن غياب الأم، وعلاقاتها غير المتكيفة مع الضحية و/ أو الزوج، الاعتمادية، وعدم الاستقرار النفسي العاطفي لها هي العناصر التي تسهل فعل زنا المحارم.

Problématique

Le concept de "famille" renvoie communément à une entité sociale dont la fonction est la socialisation de l'individu et cela en lui offrant un milieu protecteur et sécurisant. La famille est sensée, de ce fait, être le lieu par excellence du développement biologique, psychologique et social de l'individu. Or, la réalité peut être différente. Pour diverses raisons, la famille peut devenir un lieu menaçant et dangereux pour l'individu. Cette dangerosité se manifeste à travers notamment l'adoption, de la part d'un ou des membres de la famille, de différents comportements allant de l'indifférence et la négligence à l'agression et la violence, et qui peuvent non seulement nuire au développement de l'individu, mais encore plus, menacer son existence même, ainsi que le souligne Pourtois pour qui « la famille, creuset de l'épanouissement de l'enfant,

© Université Constantine1, Algérie, 2012.

peut paradoxalement devenir un puissant vecteur de violence ». (1)

Ces actes d'agression et de violence, produits par un ou plusieurs membres de la famille sur un autre membre de celle-ci, sont dénommées habituellement « violence familiale ». Elle se spécifie par « le caractère intime du rapport existant entre l'agresseur et la victime et par la nature privée de leurs relations » (2)

Cette violence, produite au sein de la famille prend diverses formes, entre autres sexuelles, et nous ferons référence ici plus précisément à un type de violence : la violence sexuelle intrafamiliale ou en d'autres termes « l'inceste », qui est un abus sexuel dirigé principalement, pour ne pas dire exclusivement, vers les enfants. Il se définit comme « une relation sexuelle entre proches parents consanguins auxquels la religion et la loi interdisent leur mariage » (3). Ce lien de parenté rend ce type de violence plus dévastateur parce qu'il regroupe non seulement les actes violents et le tabou de la sexualité, mais aussi l'atteinte au lien sacré de parenté.

Toutefois, l'inceste ne peut être un acte fortuit ou isolé et il n'existerait sans doute pas, s'il n'y avait pas de circonstances et de facteurs qui favoriseraient cette réalisation, Plusieurs auteurs ont souligné l'importance de ces facteurs et étudié ces circonstances spécifiques à l'inceste.

Pour Pence & Fruman (4) par exemple, la problématique de l'inceste se situe au niveau de la dynamique familiale qui entraîne un tel acte. La dissolution familiale (résultant du divorce, de la séparation, veuvage, etc.), les pressions socio-économiques (pauvreté et précarité des conditions d'habitation), l'isolement, constituent autant de facteurs favorables à l'installation d'une dynamique incestueuse dans la famille.

En effet, « l'inceste ne se réduit pas au lien abuseur-victime, mais à toute une psychopathologie familiale dont les enjeux se tissent pour chacun des membres de la famille » (5)., ce qui facilite le passage à l'acte incestueux chez l'abuseur. Sans ce troisième élément, la réalisation de l'inceste n'est pas possible. Autrement dit, , l'inceste est avant tout « une affaire de famille » (6).

Ces familles où les fonctions parentales, surtout celles de la mère dans la socialisation et l'éducation des enfants, sont déficientes et donc favorables à l'installation d'une dynamique familiale incestueuse sont décrites étant des « familles closes où les rôles, les gestes et les énoncés ne sont pas codés […]. Aucun rituel d'interaction n'est organisé […]. Quand le père va travailler, il est anormalement normal, soumis aux règles sociales (…). La mère, active et transparente, ne prescrit pas de règles familiales […]. Dans ces familles, l'acte sexuel n'est ni socialisé ni sacralisé, parce que la représentation familiale en a fait un sentiment trivial » (7).

Pour Laupies, également, l'inceste ne peut se réaliser sans l'existence d'un contexte familial particulier : « L'inceste, se produit à l'intérieur d'un système dont fait partie la victime. Ce système est marqué par des particularités structurales et communicationnelles qui ont rendu l'inceste possible » (8). Ces particularités consistent en la perturbation des relations intrafamiliales, la domination d'une structure familiale spécifique qualifiée généralement de chaotique, et l'absence d'individuation signe de la « non reconnaissance de l'autre, dans sa fonction et dans sa différence » (9). Elles sont

aussi liées à "l'organisation perverse" de la personnalité de l'abuseur, car « dans le problème de l'inceste il y a le "pervers" et les "autres" » (10).

Dans la violence sexuelle incestueuse, la question d'établir un profil psycho-dynamique bien déterminé des protagonistes de l'acte incestueux semble difficile. Toutefois, si pour le protagoniste principal de l'acte sexuel incestueux, "l'abuseur", sa dynamique personnelle a pris un intérêt important pour un nombre considérable d'auteurs qui le considèrent comme une personne perverse qui a subi durant son développement psychologique des perturbations et a souffert, dans son enfance, de carences affectives et de troubles dans la relation avec son père et sa mère, le cas pour les "autres" protagonistes n'est pas le même.

Sont désigné généralement par "autres", comme le soulignent la plupart des auteurs, deux personnages indispensables dans la réalisation de l'inceste : la victime d'une part, et le parent non abuseur d'autre part.

En ce qui concerne la victime, le fait d'être choisie parmi d'autres personnes constitue une question qui mérite d'être posée et étudiée, d'après les spécialistes de la victimologie. Dans cette perspective, certains d'entre eux parlent de l'existence de quelques caractéristiques qu'on peut considérer comme des facteurs de risques qui rendent possible le choix de telle personne comme victime. Pour Razon par exemple, ces victimes sont généralement fragilisées par le fonctionnement défaillant du système familial. Elles sont toujours en quête d'affectivité et surtout confiantes envers les autres. La relation de la victime avec sa mère joue un rôle important ; elle est qualifiée de fragile et violente parce que le rejet primaire de l'enfant non désiré par la mère engendre une carence affective qui la pousse à la recherche interminable d'amour maternel introuvable, et la victime se détourne vers le père pour compenser ce manque, ce qui maintient la loi du silence. «Toutes les filles abusées ont été des enfants rejetées » (11). Une victime d'inceste naît souvent "par accident" et, surtout dans l'absence d'un projet parental. L'enfant symbolise la faute originelle et ne peut être traité que comme mauvais objet » (12).

Bigras, selon Razon (13) développe une problématique de manque chez la victime d'inceste dont l'origine est l'absence maternelle. Cela fait de la victime un être très vulnérable et le pousse à une recherche interminable pour combler ce manque et ce vide en s'engageant dans une quête compensatrice même auprès de son abuseur, généralement son père, ce qui renforce le maintien du silence à l'égard des pratiques incestueuses. Eiguer, selon Laupies, affirme aussi que « toute victime (d'inceste) souffre d'une problématique narcissique qui explique sa vulnérabilité à l'emprise de l'abuseur » (14).

Mais l'inceste est une "tragédie à 3 personnages", où le parent non abuseur, la mère en l'occurrence, joue un rôle important (15). En effet, « dans les familles incestueuses, la mère a été souvent perçue en tant que membre de la famille qui "a installé" le rapport d'inceste entre le père et la fille » (16). La mère est fréquemment accusée d'avoir participé, passivement ou activement, consciemment ou inconsciemment, à l'installation de l'inceste à l'intérieur de sa famille. « Lors des abus sexuels intrafamiliaux, très couramment, on soupçonne d'abord la victime; puis on blâme la

mère, on suppose qu'elle est complice de son mari et on lui reproche sa passivité. Les personnes étrangères au drame ont beaucoup de mal à accepter que la mère d'une victime d'inceste n'ait pas compris ce qui se passait, qu'elle n'ait pas vu, ni entendu, ni protégé son enfant ». (17)

Ceci étant, bien que l'apport de la mère et du rôle maternel dans la transaction abusive incestueuse ne soit pas toujours déterminé et décisif par l'ensemble des auteurs qui se sont penchés sur cette problématique, l'importance de son rôle dans la dynamique abusive incestueuse préoccupe de plus en plus de cliniciens et de chercheurs : «complicité de la mère"(18), "inceste en creux" (19) font partie du vocabulaire des diagnostics sur l'ambivalence de la posture de la mère.

Selon Alexander & Schaeffer (20), plusieurs études comparatives entre des familles non abusives et des familles incestueuses, montrent que ces dernières se caractérisent par l'existence d'une relation conflictuelle entre la mère et la victime ainsi que par une importante distante maternelle.

Les mères des familles incestueuses sont dépeintes comme « incompétentes et elles-mêmes des victimes. En soumettant à leur propre abus et ne maintenant pas un équilibre solide et égal du pouvoir parental, les mères non abusives sont vues comme incapables de protéger leurs filles » (21). La personnalité de ce genre de femme « se caractérise par le choix prioritaire, et parfois rigide, de son appartenance au sous système conjugal. Elle est d'abord "femme", mais aussi "la mère de son mari", ensuite la fille de ses parents. Son rôle de mère des enfants vient en dernier » (22). Elle est « immature, dépendante et passive [...], elle ne peut s'assumer comme épouse et comme mère, elle n'a pas été protégée et demeure incapable de protéger ses enfants. Elle est démissionnaire devant les tâches familiales, [...], elle se place dans une situation de dépendance à l'égard de ses filles, l'inceste confirme l'inversion des rôles » (23). En d'autres termes, elle est « affectivement ambivalente à l'égard de son enfant, passive et soumise à l'image masculine, sexuellement perturbée ou inhibée, parfois attirée "masochiquement" par un partenaire violent ou immature, désaffectisée par l'existence, psychologiquement ou physiquement absente, passivement ou activement complice, en situation d'échec conjugal, toujours ailleurs au moment des faits, plus ou moins protectrice dans un certains cas, banalisant les faits graves ou dramatisant des gestes ambiguës dans d'autres cas » (24).

Méthodologie

Notre contribution à la connaissance du phénomène de l'inceste dans la société algérienne se base sur une enquête de terrain, en partant du postulat que la réalisation de l'inceste dépend de la personnalité de la mère et du type de lien qu'elle entretient avec la victime.

Compte tenu des difficultés d'accès à la population des victimes d'inceste nous n'avons retenu que les cas pour lesquels l'inceste est avéré et dont l'affaire est passée en justice. Il s'agit, en l'occurrence, de deux cas à Constantine.

Les techniques de recueil de données utilisées sont l'exploration de l'anamnèse des mères des victimes d'inceste, l'entretien semi directif. L'investigation a porté sur les axes suivants : d'une part, les faits incestueux et les circonstances de leur réalisation,

d'autre part, l'histoire personnelle et familiale de la mère. Elle a été réalisée, dans le premier cas, avec la victime et sa sœur, et cela à cause de l'impossibilité de travailler avec le substitut maternel de la victime, la belle mère, qui a refusé d'établir tout contact avec nous, dans le deuxième cas, avec la victime et sa mère.

Résultats

I / Premier cas

C. H, une adolescente âgée de 16 ans à l'époque de cette étude est victime d'un inceste de la part de son père qui a débuté lorsqu'elle avait 12 ans. C. H. est l'aînée d'une fratrie composée de 4 enfants dont une sœur, un demi-frère et une demi-sœur. Elle décrit son enfance comme une enfance sans problèmes, plutôt heureuse jusqu'à l'âge de 12 ans. Elle a vécu sa petite enfance (les six premières années de sa vie) avec sa mère et sa sœur à C. E. A. Le divorce de ses parents, suivi par la mort de sa mère d'un cancer l'obligea à aller vivre avec sa soeur chez leur père qui s'est, entre temps, remarié. La belle mère de C.H, ancienne prostituée, est une trentenaire, son niveau d'instruction est bas, divorcée une fois avant de se marier avec le père de C.H. Elle était obligée d'accepter que la victime et sa sœur vivent avec elle.

Au début, C.H. ne se plaignait pas du comportement de son père et ce, jusqu'à l'âge de 12 ans. A partir de ce moment, la situation familiale a commencé à se dégrader et la relation avec le père est devenue de plus en plus mauvaise. Elle se plaignait de maltraitance et de violence physique de la part d'un père alcoolique, chômeur, toxicomane et qui a même fait de la prison pour affaire de mœurs (viol), qui est d'ailleurs la cause de son divorce d'avec la mère de C. H.

Les faits incestueux remontent à plusieurs années. La victime se souvient très bien du nombre de fois où son père a abusé d'elle. Elles sont au nombre de cinq, mais étalées dans le temps. A chaque fois, le père trouvait un prétexte pour rester seul avec sa fille. Il créait même ces prétextes. Mais un matin, sa fille s'est enfuie chez sa tante paternelle (victime elle aussi d'inceste), à qui elle a raconté toute son histoire. Cette dernière lui a conseillé d'aller dénoncer le père. Ce qui a été fait. Le père est interpellé, puis jugé et incarcéré.

L'analyse des faits incestueux ainsi que l'histoire personnelle de la belle mère de la victime révèle l'importance du rôle du substitut maternel, dans ce cas défaillant et carencé.

1- Absences maternelles

L'absence réelle de la mère (décédée) et l'absence physique du substitut maternel (la belle mère) semblent être un facteur primordial facilitant le passage à l'acte incestueux. La victime elle même a considéré l'absence de sa mère comme la cause de l'inceste (« si ma mère était vivante, mon père n'aurait jamais osé s'approcher de moi »).

Le premier abus incestueux est survenu, comme nous l'avons déjà mentionné, lorsque la victime avait 12 ans. L'abuseur a promis à la victime qu'elle sera la première personne à visiter leur nouveau logement. C'est alors qu'elle l'a accompagné pour cette visite. Le second à la fête de l'*Aïd al-Adha* (25) occasion qui a permis au père de faire

en sorte que tous les membres de la famille quittent la maison pour aller rendre visite à la grande famille. A cette occasion il a exigé que seule la victime reste pour qu'elle s'occupe de lui. La troisième fois a eu lieu une nuit où la belle mère était absente de la maison en rendant visite à sa propre famille. La quatrième fois, lors de leur déménagement pour leur nouvelle maison où la victime était seule avec son père. La dernière fois enfin, lorsqu'elle avait presque 15 ans. Cela s'est passé lors des vacances d'été, cette fois l'abus est accompagné de violences physiques en raison de la résistance de la victime. Le père a en effet battu à coups de poings et de pieds la victime, pour l'enchaîner ensuite durant toute la nuit.

Cette maltraitance a été rendue possible par l'indifférence de la belle-mère. En effet, la belle mère, n'a pas cherché à protéger la victime, alors qu'elle connaissait le passé pervers et judiciaire de son mari. Peut-être ignorait-elle les intentions du père à l'égard de sa fille ? Une mère protectrice aurait perçu le danger, à travers le changement de comportement du géniteur et de l'adolescente.

L'abuseur à, en effet, changé de comportement envers sa fille à cet âge, où le développement physique donne un aspect plus féminin : « Au début, mon père était tendre et gentille, les relations avec lui étaient bonnes, puis elles sont devenues de plus en plus mauvaises lorsque je suis entrée au collège. Il nous frappait souvent, ma soeur et moi alors que les garçons n'ont jamais été inquiétés ».

L'adolescente est, en effet, la plus exposée à l'inceste: « l'âge moyen des victimes de l'inceste est variable mais la plus par se situent vers 12/13 ans […] ; la féminisation du corps de l'enfant est le signal pour l'abuseur qu'il peut passer à une phase de réalisation puis d'installation dans la relation abusive » (26).

C'est, du reste, ce qui s'est passé aussi avec le deuxième cas de l'étude.

2- <u>Désinvestissement de la relation belle-mère/enfant</u>

Outre les absences maternelles, le désinvestissement de la relation mère-enfant est très visible dans les relations qu'entretenaient la belle-mère avec la victime. Les liens affectifs sont pratiquement superficiels pour ne pas dire inexistants. « Ma belle-mère ne me parle presque plus sauf pour me demander de faire quelque chose », a confié la victime, propos qui est confirmé par petite sœur. Selon, les données du dossier de la victime (rapport psychologique et social), la belle-mère ne s'est jamais inquiétée des fréquentes manœuvres utilisées par le père pour demeurer seul avec sa fille et pour cause ! la victime n'est qu'une étrangère pour la belle-mère, ce dont elle ne se cachait pas : « tu n'es pas ma fille, il faut que tu comprennes cela », lui disait-elle. Ce conflit latent a éclaté au grand jour, après la dénonciation de l'inceste. Elle a réfuté l'accusation de viol de sa belle-fille, puis, après l'interpellation du père par la police, elle l'a chassée du domicile familial, avec sa petite sœur.
Les deux sœurs furent placées à l'orphelinat durant près d'une année, puis transférées au Centre de Rééducation Spécialisée (C.R.S.) de Constantine (communément appelé "prison des mineures").

L'explication de l'hostilité de la belle-mère à l'égard de ses belles-filles, et de manière générale la défaillance constatée de la fonction maternelle attendue d'elle, est, sans doute, à rechercher dans l'histoire personnelle de la belle mère elle-même.

3- Quelques traits caractéristiques de la personnalité de la belle mère

D'après l'anamnèse de la belle mère, cette dernière était elle-même victime de carences affectives et éducatives. En sont révélateurs, le fait d'avoir sombré dans la prostitution, et l'attachement paranoïaque à son époux, après la révélation du crime commis sur la personne de sa fille. Ainsi, après le verdict condamnant le père abuseur, la belle-mère a blâmé la victime de n'avoir pas parlé plus tôt des actes du père, au lieu de le dénoncer, en arguant qu'elle était capable de faire quelque chose pour mettre fin à ces abus sans qu'elle perdre son mari : « si tu m' avais parlé avant, on ~~ne~~ n'en serait jamais arrivé là ; aujourd'hui, tu as détruit ton père et moi avec ».

En effet, ce père incestueux était, malgré tout, pour la belle-mère, un gage de sécurité et une protection, qui lui a permis de quitter le milieu de la prostitution et de fonder une famille.

II / Deuxième cas

Il s'agit d'un inceste commis par un demi-frère. I. B est née en 1989 à J. d'une famille nombreuse. Elle est la seizième d'une fratrie composée de 18 enfants, tous des demi- frères et des demi-sœurs (10 du père et 08 de la mère). Elle a été scolarisée et n'a pas d'antécédents personnels ou familiaux particuliers concernant des maladies chroniques ou mentales. Au moment de l'enquête, elle vivait avec sa mère, âgée de 42 ans, et son beau-père, presque toujours absent, car son lieu de travail se trouve dans une autre ville.

La victime déclare avoir eu une enfance instable, dispersée entre plusieurs maisons, en raison de la situation de la mère. Divorcée et remariée plusieurs fois, pour différentes raisons, et toujours en quête de stabilité, elle a abandonné tous ses enfants sauf la victime qu'elle a été obligée de prendre avec elle, car ~~parce que~~ le père n'en voulait pas. Il n'en veut toujours pas et ne s'en préoccupe jamais.

La mère travaille dans le cadre du "filet social" (27). Elle accueille souvent chez elle son fils aîné, l'abuseur, âgé de 23 ans, de niveau scolaire secondaire, alcoolique, toxicomane, chômeur et sans domicile fixe parce qu'il a été chassé de la maison paternelle par son propre père, à cause de sa mauvaise conduite et les permanentes disputes avec sa belle mère. Il est devenu une personne indésirable dans toute la famille au point où personne ne veut plus de lui.

La famille a vécu longtemps dans des bidonvilles. Elle s'est installée depuis peu (deux ans) dans un petit appartement de deux pièces. La victime partage l'une de ces pièces avec les frères, la grand'mère et même les invités.

Mais, les faits incestueux n'incombent pas à cette excessive promiscuité. Ils remontent à plusieurs années, et ont débuté lorsque la victime avait presque 12 ans. Son demi-frère s'est mis à rejoindre souvent son lit la nuit. La relation est restée en l'état jusqu' au jour où son petit frère, après une dispute avec la victime, dénonce brusquement les pratiques incestueuses à la mère.

Incontestablement, la réalisation de l'inceste a été favorisée par les antécédents de déviance de l'abuseur.

1- Absences maternelles

En fait, le frère abuseur a profité des absences effectives de sa mère (travail et visites régulières à sa famille, résidant loin de Constantine), mais aussi de ses présences formelles à l'intérieur du foyer, pour un passage à l'acte, lequel était déjà largement favorisé par la médiocrité des conditions de vie, notamment l'exigüité de l'espace de vie, puisque la victime et l'agresseur étaient obligés de partager la même chambre L'acte incestueux s'avère être le maillon et le produit d'une longue chaîne d'épreuves dramatiques.

En effet, marquée par ses nombreux divorces antérieurs, la mère faisait prévaloir son rôle d'épouse sur celui de mère : « Mon mari travaille loin ; lorsqu'il est à la maison, je ne fais rien d'autre que de m'occuper de lui, *je ne veux aucun problème* ». Cette échelle des priorités est clairement assumée. La crainte d'un nouvel échec conjugal, s'ajoutant aux 5 précédents, la contraint à faire passer au second plan sa relation avec les enfants : « *Je ne veux pas avoir de problèmes avec mon mari* qui peuvent détruire ma vie actuelle, c'est trop. Les gens me voient déjà d'un mauvais œil après mes divorces qui me dépassaient, personne ne comprend ma situation ».

2- Protection maternelle défaillante

La fonction protectrice de la mère envers ses enfants s'est avérée, dès le début, défaillante. Deux éléments la révèlent:

Le premier concerne l'abandon des enfants. En réalité, la mère a abandonné tous ses enfants sans exception, y compris la victime de l'inceste, contrairement à ce qu'on pourrait déduire du contrôle tatillon qu'elle exerce en permanence sur elle. En effet, elle n'a consenti à la reprendre que parce que le père a refusé de la garder Le besoin de refaire sa vie après chaque divorce l'emporte sur celui l'envie de rester près de ses enfants : « je sais qu'aucun homme n'acceptera les enfants de mon ex-mari, je ne peux pas faire autrement » , justifie-t-elle.

Le second concerne le contrôle excessif exercé par la mère sur fille. Ce contrôle s'exerce sur ses relations extérieures : « J'accompagne chaque jour ma fille à l'école. Je ne la laisse jamais seule. Elle ne sort jamais sans moi ». Cette attitude est confirmée par la victime qui confie : « À l'école j'ai des amis mais elles ne sont pas des amies intimes. Ma mère ne me laisse pas faire des amies intimes. D'ailleurs, cela a toujours été ainsi ». Or, à l'intérieur de la famille, ce souci tutélaire s'éclipse alors que, paradoxalement, de nombreux indices auraient dû capter son attention et l'alerter. En effet, durant son séjour chez sa mère, il a tenté de violer sa cousine, puis une invitée de la famille. Sa mère était au courant de ces tentatives avortées et dénoncées par les victimes. Actes inimaginables pour la mère aveuglée par une confiance totale en son fils et certaine que cela ne pourra jamais arriver à sa fille ? « Je n'ai pas une seule fois imaginé qu'une telle chose puisse m'arriver à moi. Je me suis dit que mon fils tente seulement ces choses avec les personnes étrangères mais jamais avec sa sœur. C'est impossible » a expliqué la mère dont les convictions sont également ébranlées par l'attitude de sa fille « si lui ose faire cette chose, ma fille n'acceptera pas. Nous nous racontons tout. Nous étions comme des vraies amies ».

3- Quelques traits caractéristiques de la personnalité de la mère

En premier lieu, la multiplicité des relations conjugales est révélatrice d'une certaine instabilité psychique et immaturité psychoaffective. « « Je me suis mariée très jeune. Tu sais, à mon âge j'ai déjà des petits enfants. Mais j'ai fait de mauvais mariages, ce n'est pas de ma faute (en parlant des divorces), *je ne sais pas faire le bon choix* ».

L'abandon des enfants, qui fait suite à chaque échec conjugal, traduit, quant à lui, un manque de sens des responsabilités et la dépendance, à tout point de vue, du partenaire conjugal.

Enfin, résultant de cette expérience existentielle traumatisante, l'attitude anxiogène à l'égard du monde extérieur est un autre trait de la personnalité de la mère qui peut contribuer à expliquer ses défaillances maternelles : « je n'aime pas avoir beaucoup de visites chez moi, mon mari aussi n'aime pas ça. Avoir beaucoup d'amis et de connaissances ce n'est pas bien. Je n'aurais que des problèmes » ; « Mon mari n'est pas au courant de l'affaire (inceste). Et je ne veux pas qu'il sache, Ce problème me fait *peur*. J'ai *peur* qu'il me quitte. Je crains que mes deux enfants détruisent ma vie, une fois de plus ». C'est pourquoi, la mère fait tout pour que l'affaire reste dans l'ombre. Elle a dénoncé son fils à la police, une façon de le chasser de la maison. Elle s'est présentée seule avec sa fille aux procédures judiciaires, en donnant des faux prétextes aux absences de son mari (visites familiales, rendez-vous médicaux, courses, etc.).

Echaudée par le crime de son fils commis sur la personne de sa fille, cette mère est surtout terrorisée à l'idée que cet énième mari pour qui elle a sacrifié ses enfants afin de conjurer un énième échec conjugal ne découvre les conséquences de son choix : son échec maternel.

Dans les deux cas étudiés, le mot "peur" est récurrent: « Peur » d'un autre échec conjugal ; « Peur » de se retrouver seule au monde, incapable de faire face à la vie; « peur » de perdre la protection retrouvée auprès d'un mari; et « peur » d'avoir des problèmes avec le mari". Comment des mères, vivant dans une telle précarité, peuvent-elles assumer les devoirs qui leur incombent?

Discussion

Les résultats de notre étude confirment le rôle du climat familial dans la réalisation de l'inceste.

Ils corroborent les études qui traitent du problème de l'absence de protection de la victime par la mère: « La majorité des mères impliquées dans une dynamique familiale incestueuse sont des mères non protectrices » (28). En sont révélatrices, dans les cas étudiés, les absences effectives et/ou symboliques de la mère ou de la belle-mère, lesquelles constituent autant de moments dits de faiblesse, favorables à la survenue de l'inceste. En effet, dans les deux cas étudiés et plus particulièrement dans le premier, chaque fois que l'abuseur tente ou réalise son abus sexuel, la victime s'est trouvée seule. Et, quel que soit le motif de l'absence, l'abuseur en profite.

Dans le premier cas, l'abuseur a, non seulement, exploité les absences de la belle mère, mais aussi employé sa famille pour réaliser ses désirs. Il l'a manipulée de façon à créer ces absences favorables à son passage à l'acte. Il en est de même du deuxième cas où l'absence symbolique de la mère a joué un rôle plus important que son absence

effective. La présence de la mère n'a pas empêché le frère d'abuser de sa sœur, alors que les conditions d'habitation y étaient favorables. En effet, l'abus aurait été impossible, sans ce "vide" maternel que Bigras a nommé "inceste en creux". Dans le deuxième cas, l'attitude protectrice de la mère est apparente; elle ne s'exerce que contre les éventuels dangers extérieurs

L'inceste a été favorisé par ce déséquilibre: l'hyper-vigilance à l'égard de l'extérieur et l' hypovigilance au sein de la famille. C'est une situation assez courante qui a retenu l'attention des chercheurs : « les mères plus ou moins protectrices sont préoccupées, ou parfois envahies par d'autres soucis qui les empêchent d'avoir un recul suffisant par rapport à la situation abusive [...] . Elles sont pour la plupart bouleversées par la révélation des faits ». (29)

Le deuxième point qui mérite d'être souligné est, dans les deux cas étudiés, le surinvestissement de la relation mère-conjoint

Dans le premier cas d'inceste, la dénonciation des pratiques incestueuses du père par la victime n'a apparemment rien changé dans l'attitude de la belle mère de la victime envers son mari. Bien au contraire, elle continue de se soucier davantage de son mari. Bien qu'il soit paradoxal, ce type de réaction de la mère n'est pas exceptionnel : « la majorité (des mères) reste dans une attitude ambivalente comme si le dévoilement en soi ne changeait pas grand-chose ou ne suffisait pas à briser le lien qui les relie à leur mari ou compagnon » (30).

Dans le deuxième cas, l'abandon de tous les enfants par la mère pour se remarier cinq fois et sa « surdité psychoaffective" (31), sont le revers de cet attachement intense au partenaire.

Dans les deux cas, la mère a « une personnalité immature, dépendante et passive […], elle ne peut s'assumer comme épouse et comme mère, elle n'a pas été protégée et demeure incapable de protéger ses enfants » (32).

Conclusion

Nous avons abordé dans ce travail la contribution de la mère à la réalisation d'un type de violence intrafamiliale, l'inceste. Ce troisième personnage de la tragédie incestueuse joue, à son insu, un rôle déterminant et primordial dans la réalisation de ces pratiques, en raison, soit des circonstances créées directement ou indirectement par la mère ou le substitut de la mère, notamment les absences maternelles (effectives et/ou symboliques), soit des comportements et du mode relationnel de la mère à l'égard de la victime et des autres membres de la famille, surtout de l'abuseur (dans le premier cas) et le conjoint (dans le deuxième cas), sans compter les traits caractéristiques propres à sa personnalité.

Bref, la mère est un élément plus ou moins actif dans la création d'un climat favorable à l'inceste. Toute défaillance dans son rôle maternel, dans ses relations interpersonnelles ou dans sa personnalité constitue, à cet égard, un facteur de risque Dès lors, toute victime d'inceste est une victime de l'interaction de plusieurs éléments paramètres.

Notes

1- Pourtois J.-P., Blessure d'enfant. La maltraitance : théorie, pratique et intervention, Bruxelles, De Boeck Université, 2000.

2- Rondeau G., « La violence familiale », in F. Dumont, S. Langlois et Y. Martin (S/D), **T**raité de problèmes sociaux, chapitre 15, pp. 319-336, Québec, Institut Québécois de recherche sur la culture, 1994, version numérique 2005.

3- Vachss,, in El Cherbini et al.,. www.umc.edu.dz/buc/theses/psychologie/TOU870.pdf

4- Pence & Fruman, , in El Cherbini et al. www.umc.edu.dz/buc/theses/psychologie/TOU870.pdf

5- Razon L., « Pères incestueux: absence de repères parentaux », in 2ème congrès international francophone sur l'agression sexuelle, 7- 9 Mai 2003, Bruxelles.

6- Savin B., « Fonctionnement inconscient de la famille incestueuse », in 2ème congrès international francophone sur l'agression sexuelle, 7- 9 Mai 2003, Bruxelles.

7- Cyrulnik B., , in Héritier F. , Cyrulink B**.** et Naouri A**.**, De l'inceste, Paris, Jacob Odile, 1994, pp. 56-57.

8- Laupies, V., Les quatre dimensions de l'inceste, Paris, L'Harmattan, 2000, pp. 127-128

9- Razon L., L'énigme de l'inceste, Paris, Denoël, 1996, p. 207.

10- Crivillé A. et al, , L'inceste: Comprendre pour intervenir, Paris, Dunod, 1996, p. 61.

11-Razon L., L'énigme de l'inceste, op. cit. , p. 81.

12- Razon L., « Enigme de l'inceste, d'une violence à l'autre », in Baccino E. et Bessoles P. (S/D), Victime et Agresseur : le traumatisme sexuel et ses devenirs, Tome 1, Lecques, Les éditions du champ social, 2001.

13- Razon L., idem.

14- Laupies V., op.cit., p. 74.

15- Barudy cité par Haesevoets Y. H. L., L'enfant victime d'inceste : de la séduction traumatique à la violence sexuelle, Bruxelles, de Boeck université, 2003, p. 182.

16- Meiselman K. C., Incest: a psychological study of causes and effects with treatment recommendations, California, Jessey-Bass publishers, 1978, p. 112.

17- Barudy J., La douleur invisible de l'enfant : l'approche éco-systémique de la maltraitance, Ramonville Saint Agne, Erés, 1997, p. 193.

18- Barudy J., ibid, p. 183.

19- Bigras, cité par Rondeau G (2005).

20- Alexander P. C. & Schaeffer C. M. A., "Typology of Incestuous Families Based on Cluster Analysis", Journal of Family Psychology, Vol. 8, n° 4, 1994, American Psychological Association, Inc., pp. 458-470.

21- Howard C. A., "Factors Influencing a Mother's Response to Her Child's Disclosure of Incest", in Professional Psychology: Research and Practice, vol. 24, n° 2, 1993, American Psychological Association, Inc, pp. 176-181.

22- Barudy, op.cit., p. 192.

23- Rouyer et Drouet, in Crivillé et al., op. cit., p. 17.

24- Haesevoets Y. H. L., op. cit., p. 181.

25- C'est la « fête du sacrifice » (en arabe : عيد الأضحى), Fête religieuse chez les musulmans. Elle a lieu le 10 du mois de dhou al-hijja, le dernier du calendrier musulman, après waqfat Arafa (la station sur le Mont Arafat). Cette fête commémore la soumission d'Ibrahim à Dieu, en acceptant d'égorger son fils Ismaël. Dieu a envoyé au dernier moment un mouton par l'ange Gabriel pour remplacer Ismaël. En souvenir de cette soumission d'Ibrahim à Dieu, les musulmans sacrifient ce jour un mouton.

26- Perrone R. & Nannini M., Violence et abus sexuels dans la famille : une approche systémique et communicationnelle, Paris, ESF éditeur, 1995, p. 78.

27- Dispositif d'emploi mise en place par le gouvernement algérien en 1992. Il consiste en un emploi étatique sous forme de contrat renouvelable et dont la rémunération est fixée à 3000 Dinars Algérien par mois.

28- Haesevoets Y. H. L., op. cit., p.182

29- Idem, p. 183

30- Perrone R. & Nannini M., op. cit., p. 77.

31- Selon la formule de Haesevoets, op. cit., p. 184.

32- Rouyer et Drouet, , in Crivillé et al., op.cit.,

Revue SCIENCES HumaineS n°38, Décembre 2012– pp 29- 36

Situation de l'éducation physique et sportive (EPS) au niveau de l'enseignement primaire en Algérie (entre mythe et réalité)

Résumé

L'éducation physique et sportive (E.P.S.) permet la connaissance de soi chez l'enfant. Grâce à ses expériences motrices, il découvre ses possibilités d'action, et parvient à la connaissance des autres et de son environnement. Le but de cette recherche est de pouvoir répondre à cette question: quelle est, de ce point de vue, la place de l'E.P.S. dans nos écoles.

Redouane BOUKHERRAZ
Kamel BENAKILA
Laboratoire Sciences et Pratiques des Activités Physiques Sportives et Artistiques. Université Alger 3 (Algérie)

ملخص

يعتبر النشاط الحركي وسيلة أساسية لتعلم الطفل من خلال الحركة، التربية البدنية والرياضية تسمح للطفل الوعي بذاته من خلال التجارب التي يكتسبها ليكتشف إمكانياته البدنية والحركية، كما تسمح له معرفة بيئته ومعرفة الآخرين، وبالتالي ينبغي للتعليم الابتدائي أن يشمل كل المتطلبات التي تهتم بكل من الجوانب المعرفية، الوجدانية والعلائقية كذلك الجوانب البدنية من خلال التربية البدنية والرياضية لاكتساب المهارات الحسية والحركية التي لها امتداد لمكتسباته وتجاربه. الهدف من هذا البحث يكمن في الإجابة على التساؤل الهام الذي يتمحور حول: ما هي مكانة التربية البدنية على مستوى المدارس الابتدائية؟ للأسف أن الحقائق الميدانية تؤكد أنه بالرغم من الجهود التي تبذلها الدولة لتنفيذ هذا المشروع المهم، فإن الواقع على الأرض لا يزال غير مرضي.

Introduction

Le système éducatif est au centre des préoccupations de toute nation. L'éducation nationale est considérée comme l'un des secteurs les plus importants d'une société. Depuis son indépendance, l'Algérie a affecté une part très importante de ses moyens et de ses richesses au développement de ce secteur. L'école a pour mission de garantir aux élèves les moyens nécessaires à l'acquisition d'un minimum de connaissances et de compétences indispensables, leur permettant de construire leur avenir et de réussir leur vie en société.

Dans le domaine du développement de l'enfant, nombreux sont les chercheurs qui affirment que c'est grâce aux expériences psychomotrices que les enfants font l'apprentissage du monde qui les entoure

© Université Constantine 1, Algérie, 2012.

(Doyon L. 1992; Drouin-Couture G. et Gautier-Bastien L. 1993 ; Le Boulch J. 1991).

L'éducation physique et sportive (E. P. S.) vise à garantir l'épanouissement physique et mental de l'enfant et l'acquisition de comportements socialement positifs pendant la scolarisation de l'élève durant le cycle primaire, voire durant toute sa scolarisation.

Quelle est, à cet égard, la place de l'E.P.S. dans les programmes scolaires en Algérie ? Nos écoles sont-elles équipées des infrastructures nécessaires aux activités motrices adéquates ? Le personnel d'encadrement est-il habilité à assurer convenablement les tâches de l'EPS ?

Nous tâcherons de répondre à ces questions, d'abord en reconstituant les principales étapes de l'évolution de l'E.P.S., ensuite en procédant à un état des lieux et, enfin, en analysant les perpespectives de développement de cette discipline telles qu'elles se dégagent des principales dispositions législatives et règlementaires qui la régissent.

1. Aperçu historique

A l'époque coloniale, jusqu'après la deuxième guerre mondiale, l'enseignement de l'EPS au primaire était rudimentaire. C'était la matière la plus négligée.

Cependant, la création de l'Union du Sport de l'Enseignement Primaire (USEP) durant la fin des années trente aurait donné un autre élan à l'EPS (Rage J. et Delaplace J.M. 2004). Créée par Jean Zay en 1939, cette organisation était chargée d'apporter son soutien à l'organisation et à la pratique de l'éducation physique et du sport scolaire dans l'enseignement du premier degré. A partir de 1953 et sous l'impulsion d'André Rouet, l'USEP en Algérie devient le principal système de promotion et d'organisation de l'éducation physique du premier degré. Le rôle de l'USEP est, initialement, de contribuer aux programmes de l'éducation physique, en particulier ce qui touche l'organisation de la pratique sportive. L'USEP a largement influencé l'évolution de l'éducation physique en Algérie, en particulier dans le cycle primaire, grâce à l'organisation de stages de formation en faveur des instituteurs.

A l'indépendance, la politique éducative conçoit l'enseignement comme la base *essentielle à tout changement économique et social* (Ordonnance n° 76-35 du 16 avril 1976 définissant les missions, les finalités et les objectifs du système éducatif).

La nouvelle loi d'orientation sur l'éducation nationale (23 janvier 2008) fixe les dispositions fondamentales régissant le système éducatif national. Elle redéfinit les missions de l'école et les principes fondamentaux de l'éducation nationale. Cette loi stipule que l'école algérienne a pour vocation de former un citoyen doté de repères nationaux incontestables, profondément attaché aux valeurs du peuple Algérien, capable de comprendre le monde qui l'entoure, de s'y adapter et d'agir sur lui et en mesure de s'ouvrir sur la civilisation universelle.

Le tableau ci-dessous indique le nombre d'écoles de l'enseignement primaire, le nombre d'enseignants, ainsi que l'évolution du nombre des élèves.

Tableau n°1. Enseignement primaire

Nombre d'écoles	Nombre d'élèves	Division pédagogique	Nombres d'enseignants	Ratio élèves par enseignant	Taille des divisions Pédagogique
17 730	3 309 212	121 190	143 397	23	27

Source : Données M.E.N. 2010.

Tableau n°2. Taux de progression des élèves du primaire entre 2008/2009 et 2009/2010

2008/2009			2009/2010			Taux de progression		
Garçons	Filles	Total	Garçons	Filles	Total	Garçons	Filles	Total
1 715 987	1 535 532	3 251 519	1 743 068	1 566 144	3 309 212	1,58	1,99	1,77

Source : Données M.E.N. 2010.

Tableau n°3. Répartition des élèves du primaire selon le niveau d'enseignement

Années d'études	1ere A.P	2ere A.P	3ere A.P	4ere A.P	5ere A.P	**Total**
Garçons	342 030	388 192	349 391	338 409	325 046	1 743 068
Filles	319 362	338 985	311 104	300 486	296 207	1 566 144
Total	661 392	727 177	660 495	638 895	621 253	3 309 212
Divisions pédagogiques par année d'étude	24 323	25 005	24 180	23 677	24 005	121 190

Source : Données M.E.N. 2010.

Il est loisible de remarquer que le nombre d'enfants qui fréquentent l'école primaire est en nette progression. Avec un taux de progression de 1,77, le nombre d'élèves s'élèvera à près de quatre million d'élèves en 2020, ce qui obligera les pouvoirs publics à construire plus d'écoles et à former plus d'enseignants.

Le Ministère de l'éducation nationale est chargé de prendre en charge toutes les activités relatives à l'éducation des enfants en âge de scolarisation, d'œuvrer pour le développement des activités d'éducation, et de prendre toute initiative à même de garantir la promotion de l'éducation afin d'améliorer la qualité de l'enseignement. Plusieurs départements et commissions sont chargées de mettre en oeuvre cette politique. L'analyse portera sur ces trois domaines d'intervention:

– les *programmes pédagogiques;*
– *l'infrastructure* et les équipements didactiques;
– les *éducateurs*.

2. Les programmes pédagogiques

Selon le décret exécutif n° 10-229 du 2 octobre 2010, l'inspection générale de la pédagogie est "chargée de contrôler et d'évaluer les activités pédagogiques et éducatives des établissements publics et privés d'éducation et d'enseignement relevant

du ministère de l'éducation nationale". Cette inspection a spécifiquement pour mission est :

"– Contrôler et d'évaluer les programmes d'enseignement en vue d'améliorer la performance et le rendement du système éducatif ;

– Veiller à l'exécution des instructions et directives officielles ayant trait aux programmes, horaires et méthodes d'enseignement, ainsi qu'à l'évaluation des travaux des élèves et à leur orientation afin d'assurer la réussite de l'acte éducatif;

– Participer à l'élaboration et à l'évaluation des programmes d'enseignement ainsi qu'à l'homologation de la nomenclature des moyens didactiques et des équipements pédagogiques;

– Contrôler, d'assurer le suivi et d'évaluer la mise en œuvre du plan éducatif et du projet pédagogique relatifs à chaque discipline d'enseignement. "

Le premier texte régissant l'organisation de l'éducation et de la formation (Ordonnance n° 76-35 du 16 avril 1976), institue un enseignement fondamental obligatoire de 9 ans, regroupant l'enseignement primaire et l'enseignement moyen. Cet enseignement était organisé en trois cycles de trois ans chacun: le cycle de base, le cycle d'éveil et le cycle d'orientation. Les deux premiers cycles étaient dispensés à l'école primaire. L'admission des enfants en première année primaire s'effectuait à l'âge de 6 ans. Toutefois, malgré la création de la direction de l'enseignement préparatoire en 1981, qui avait un double objectif – préparer l'enfant à l'école et compenser l'insuffisance du milieu familial et socioculturel sur le plan psychomoteur, affectif, social et linguistique – l'enseignement préscolaire était considéré comme non obligatoire. Cependant, à partir de la promulgation de la loi d'orientation sur l'éducation national du 23 janvier 2008, l'enseignement fondamental a été réorganisé en un enseignement primaire et un enseignement moyen. L'école comprend dès lors deux paliers: *un enseignement préscolaire* (qui est devenu obligatoire malgré les multiples lacunes) et un *enseignement primaire*.

2.1. L'enseignement préscolaire

Malgré son importance, l'éducation préscolaire n'était pas obligatoire. Les enfants pouvaient fréquenter à titre facultatif certains établissements éducatifs (mosquées, crèches, garderies, etc.). Il le devient, désormais, avec la loi d'orientation sur l'éducation nationale de 2008. Comme son nom l'indique, ce palier de l'enseignement fondamental prépare l'enfant âgé entre 5 et 6 ans à l'accès à l'enseignement primaire. L'éducation préparatoire est dispensée dans des classes préparatoires ouvertes au sein d'écoles primaires.

Les conditions de création, l'organisation, le fonctionnement et le contrôle des établissements d'accueil de la petite enfance (enfants au niveau du préscolaire) sont fixées par le décret exécutif n° 08-287 du 17 septembre 2008. Ces établissements ont pour objectifs *le développement des capacités psychomotrices et intellectuelles à travers le jeu et les travaux manuels*.

Les établissements et centres d'accueil de la petite enfance sont des espaces *socioéducatifs* pour la prise en charge des enfants moins de 6 ans. Ils sont gérés par les communes, sous tutelle du Ministère de l'intérieur et des collectivités locales.

Selon les données statistiques du ministère de l'éducation nationale, le nombre des enfants inscrits en classes préparatoires est en évolution exponentielle. Il atteint en 2009/2010, le nombre de 427 913 enfants dont 206 483 filles. Ces enfants âgés de moins de 6 ans sont accueillis dans des salles de classe de l'enseignement primaire dont le nombre s'élevait à 17 752 divisions pédagogiques. L'encadrement est assuré par un nombre de 17 524 enseignants dont 13 417 femmes.

Selon l'article 39 de la loi d'orientation du 23 janvier 2008, l'éducation préparatoire a pour objet de favoriser l'épanouissement de la personnalité de l'enfant, en utilisant des supports comme *le jeu et les activités ludiques*, elle permet à l'enfant de prendre conscience de son corps, grâce à l'acquisition d'habiletés sensorimotrices, elle permet aussi de créer chez l'enfant de bonnes habitudes à la vie en collectivité, de développer leur pratique du langage à travers des situations de communication induites par des situations pédagogiques ludiques et du jeu éducatif, ainsi contribuer à l'initiation aux premiers éléments de lecture, d'écriture et de calcul à travers des activités attrayantes et des jeux appropriés. Le programme est exécuté dans des séances de motricité fine (manipulation manuelle, de graphisme), d'activités artistiques (dessin, chant et musique), de motricité globale (stimulation sensoriels, activités motrices). Au terme d'une étude effectuée sur les effets d'un programme d'activités corporelles créatives sur la conscience du corps chez les enfants du préscolaire, de nombreux effets bénéfiques ont été soulignés que ce soit sur le plan de la motricité ou sur le plan psychosocial (Gervais I., 2005).

2. 2. L'enseignement primaire

Selon l'article 45 de la loi d'orientation de 2008, l'enseignement primaire vise, notamment, à donner aux élèves les outils d'apprentissage essentiels leur permettant:

"– d'acquérir des compétences qui les rendent aptes à apprendre tout au long de leur vie ;

– de renforcer leur identité en harmonie avec les valeurs et traditions sociales, spirituelles et éthiques issues de l'héritage culturel commun ;

– de s'imprégner des valeurs de la citoyenneté et des exigences de la vie en société ;

– d'apprendre à observer, analyser, raisonner, résoudre des problèmes; de comprendre le monde vivant et inerte, ainsi que les processus technologiques de fabrication et de production ;

– de développer leur sensibilité et d'aiguiser leur sens esthétique, leur curiosité, leur imagination, leur créativité et leur esprit critique ;

– de s'initier aux nouvelles technologies de l'information et de la communication et à leurs application élémentaires ;

– de favoriser l'épanouissement harmonieux de leur corps et de développer leurs capacités physiques et manuelles ;

– d'encourager l'esprit d'initiative, le goût de l'effort, la persévérance et l'endurance;

– d'avoir une ouverture sur les civilisations et les cultures étrangères, d'accepter les différences et de coexister pacifiquement avec les autres peuples. "

L'ensemble de ces objectifs peut être atteint par l'E.P.S. En effet, l'activité motrice et sportive (A.P.S.) est un moyen de connaissance de soi chez l'enfant, le mouvement contribue au développement de l'estime de soi sur le plan morphologique et fonctionnel. Cette connaissance de soi se construit progressivement (Schilder P. 1990). Dans la plupart des programmes d'éducation des jeunes enfants, la connaissance de soi apparait comme un des objectifs les plus essentiels à atteindre. Le pédagogue a tout intérêt à recourir aux activités motrices comme point de départ des leçons spécifiquement orientées vers la perception du corps et de ses actions. L'expérience vécue du corps en mouvement peut constituer une base concrète sur laquelle le pédagogue peut s'appuyer pour amener les enfants à prendre conscience des parties du corps qui ont été engagées dans l'action, à les identifier, à dégager leurs caractéristiques morphologiques et fonctionnelles, puis les représenter par toutes les formes d'expressions possibles, comme le langage verbal ou gestuel, le dessin ou la peinture (Potel, C. 2000).

Grâce à ses expériences motrices, l'enfant découvre ses possibilités d'action de manière globale et différenciée (Keller, J. 1992).

A l'époque coloniale, le volume horaire hebdomadaire consacré à l'éducation physique était de 2h 30, à raison de 5 minutes de maintien par jour, soit 30 minutes par semaine (les cinq minutes de maintien sont une norme définie par les travaux d'Y. Léger, professeur d'EPS au CREPS de Dinard), et deux leçons d'éducation physique de 40 à 45 minutes, (Rage J. Delaplace, J. M. 2004).

A l'indépendance, le volume horaire consacré à l'EPS dans l'enseignement primaire équivaut à une séance d'une heure par semaine, rarement réalisable, faute d'infrastructures et de moyens.

A titre comparatif, dans les 27 pays de l'Union européenne, il est recommandé de pratiquer l'EPS trois heures par semaine pour tous les cursus d'étude et de faire en sorte de ne pas axer uniquement sur la compétition sportive afin de ne pas décourager les élèves les plus faibles de la pratique d'activités physiques sanitaires (« Education physique et sportive", *Wikipédia*).

3. Les équipements

L'article 43 de la loi n° 08-04 du 23 janvier 2008 portant orientation sur l'éducation nationale stipule que ministre chargé de l'éducation nationale est responsable de "l'élaboration des programmes éducatifs, de la définition des conditions d'admission des élèves, de l'élaboration des programmes de formation des éducateurs [et] de l'organisation de l'inspection et du contrôle pédagogiques", et notamment de *la définition des normes relatives aux infrastructures, au mobilier scolaire, aux équipements et aux moyens didactiques.* Il faut relever que certaines organisations et certains ministères contribuent**,** selon leurs attributions respectives**,** aux actions d'éducation: il s'agit, en particulier, du le Ministère de l'agriculture et du développement rural, le Ministère de la jeunesse et des sports et le Ministère de la

santé. La construction des écoles primaires, leur équipement, leur entretien, leur gardiennage et leur sécurité sont plus spécifiquement à la charge de la commune, donc du Ministère de l'intérieur et des collectivités locales. Un *centre d'approvisionnement et de maintenance en équipement et matériels didactiques*, créé en 1986, est chargé d'acquérir et de fournir aux établissements les équipements didactiques et technico-pédagogiques et d'en assurer la maintenance.

Cependant, la réalité est en deçà des besoins de l'enseignement d'une manière générale (manque de mobilier, de chauffage, surcharge des classes, etc.), et de l'enseignement de l'EPS en particulier (manque d'espace, d'infrastructures et de matériels didactiques). D'après une étude réalisée en 2012, sur un nombre de 543 écoles primaires réparties dans 12 wilayas dans différentes régions du pays (Boukherraz R. et Boudjrada A. 2012), la majorité des établissements scolaires du primaire *ne disposent pas d'infrastructures ou d'espace adéquat* pour permettre aux enfants de jouer et de bouger de manière à favoriser les comportements psychomoteurs à travers des activités motrices éducatives. Or, le jeune enfant a horreur de l'immobilité imposée, il a besoin de mouvement; il éprouve du plaisir à se dépenser physiquement, à agir et être en action. Les psychologues ont d'ailleurs appelé cette période "âge de la grâce" en raison de l'aisance, de la liberté des mouvements et de l'harmonie de certains d'eux, mouvements qui deviennent de plus en plus coordonnés (imitation, manipulation, préhension...). La pratique d'une activité motrice régulière permet aux enfants de s'épanouir, d'établir des relations avec autrui, d'exercer ses capacités motrices, sensorielles, affectives, relationnelles et intellectuelles. Elle s'appuie sur le besoin d'agir, sur la curiosité, sur le plaisir du jeu (Dupont R., 1995). Le "jeu" est synonyme de "plaisir" ou "amusement" et c'est grâce à ce sentiment que naissent le besoin, la volonté et la motivation d'apprendre. Faire apprendre à des enfants à lire, à écrire, à calculer sans éveiller en eux ni l'intérêt, ni le plaisir à travers des situations pédagogique amusantes risquera de leur faire détester la classe, voire même l'école.

4. Encadrement

Selon l'article 77 de la loi d'orientation sur l'éducation nationale de 2008, la formation initiale des différents corps d'enseignements est une formation de niveau universitaire. En réalité, il est fréquent de rencontrer dans les écoles, un instituteur principal s'occupant de toutes les matières enseignées. En effet, *la majorité des enseignants n'ont pas eu une formation spécialisée* (Boukherraz, R. et Boudjrada, A. 2012).

Discussion et conclusion

L'activité motrice est un moyen d'action, d'exploration, d'expression et de communication privilégié nécessaire à un développement moteur, affectif et intellectuel harmonieux. Les théories sur l'éducation du pédagogue allemand Friedrich Fröbel (1782-1852) reposent sur une pédagogie ludique. C'est dans le jeu des enfants que germe la vie d'adulte. Durant la période de l'enfance se constituent les habilités ou les *comportements moteurs fondamentaux* qui vont servir d'assise à toutes les formes de mouvements hautement spécialisés (Gallahue D. L. 1987). Il est établi que l'acquisition de ces comportements moteurs est marquée par des stades précis, et que l'accès à un

nouveau stade pour un comportement moteur donné (l'écriture par exemple) dépend de la qualité et de la quantité des expériences moteurs vécues par l'enfant. Autrement dit, il n'y a aucune raison qu'un enfant qui suit une formation scolaire normale soit foncièrement maladroit. Si cela se produit, c'est que son éducation motrice a été mal assurée, insuffisant ou carrément négligée. Par conséquence la capacité d'apprentissage et la possibilité de maitriser de nouveaux comportements moteurs chez l'enfant ne peut donner sa pleine mesure que dans un contexte éducatif structuré et sous la direction d'un éducateur attentif et informé.

Références bibliographiques

- Boukherraz R., Boudjrada A., « L'éducation motrice durant la première enfance en Algérie », *In Développement professionnel des métiers de l'activité physique et sportive*, Laboratoire SPAPSA, université d'Alger 3, 2012.
- Deldime R., Vermeillen S., *Le développement psychologie de l'enfant*, Bruxelles, DeBoeck et Belin, 1997.
- Doyon L., *Préparez votre enfant à l'école dès l'âge de 2 ans. Montréal*, Les Editions de l'Homme, 1992.
- Dupont R., *Introduction à la psychomotricité*, Paris, Vernazobres-Grego, 1995.
- Drouin-Couture G., Gautier-Bastien L., *La psychomotricité des enfants de 4 à 8 ans*, Montréal, Guérin, Litée, 1993.
- Gallahue D-L., , *Developmental Physical Education for today's*, Elementary school children, New York, 1987.
- Gervais I., , *Les effets d'un programme d'activités corporelles créatives sur la conscience du corps chez des enfants d'âge préscolaire*, Quebec, Université du Québec, 2005.
- Keller J., *Activité physique et sportive et motricité de l'enfant*, Paris, Vigot, 1992.
- Le Boulch, J., *Mouvement et développement de la personne*, Paris, Vigot, 1991.
- Potel C., *Psychomotricité entre théorie et pratique*, In Press Eds, Paris. 2000.
- Rage J. & Delaplace J.-M., « Place et rôle de l'USEP dans l'Education physique en Algérie (1950-1962) », *L'Algérianiste*, bulletin d'idées et d'information, n° 105, mars 2004.
- Schilder P.,. *Une psychologie du corps*, Paris, P.U.F., 1990.
- UNESCO, Bureau international d'éducation, *Données mondiales de l'éducation*, 7eme édition 2010 /2011 (Version révisée, mai 2012).

Revue SCIENCES HumaineS n°38, Décembre 2012 – pp 37 - 46

Comprehension Monitoring Strategies for Fostering Reading Comprehension

Abstract

The present article investigates the effects of comprehension monitoring strategies on performance in reading comprehension. The monitoring techniques opted for are coding texts, restating, asking questions, thinking aloud and repair strategies. Particular attention is given to this subject matter because reading is the language skill most widely practiced in the academic context, and thus success with reading comprehension is of paramount importance for learners. Comprehension, however, is not taught as such; it is rather tested via some questions that follow the reading of a given text. Therein lays the need for finding the instructional methods which can best assist learners in improving their text understanding.

Samir LARABA

Faculty of Letters and Languages
Department of Foreign Languages
University Constantine 1
(Algeria)

ملخص

تناول هذا الموضوع دراسة أثار استراتيجيات الرصد والفهم على الأداء في القراءة والفهم. وقد اعتمدت تقنيات الرصد,إعادة الصياغة, ترميز النصوص طرح الأسئلة, التفكير بصوت عال واستراتيجيات الإصلاح ويحظى هذا الموضوع باهتمام خاص لان القراءة تعتبر مهارة لغة تمارس على نطاق واسع في إطار أكاديمي وبالتالي فان للنجاح مع القراءة و الفهم أهمية بالغة للمتعلمين . بيد إن الفهم لا يلقن على هذا المنوال بل يخضع لاختبار عن طريق بعض الأسئلة التي تتبع قراءة نص معين. إننا في أمس الحاجة لإيجاد طرق تدريس التي يمكن أن تساعد أفضل المتعلمين في تحسين فهم النصوص.

Introduction

Reading is by far the most eminent skill that plays a significant role in improving readers' language proficiency especially in a foreign language setting. Actually, EFL learners basically rely on this skill to acquire knowledge as foreign language is seldom spoken outside the classroom. Nevertheless, students tend to handle reading without adequate skillfulness; this negatively affects their reading efficiency, and causes comprehension deficiency that is not easy to discern. Thus, for most readers, comprehension is always challenging. They may understand the words separately, but linking them together into meaningful ideas often does not happen as it should. They have not developed sufficient skills to comprehension. So, the problem lies in the fact

© Université Constantine 1, Algérie, 2012.

that beginning readers are less aware of strategies that can be used to monitor their comprehension than good readers.

EFL learners may not be aware of strategies they could use to achieve better understanding. The objective of this article is to shed light on the strategies that can be used by EFL learners as well as by teacher to improve reading comprehension. In other words, it is meant to give solution to the difficulties that confront EFL learners in their reading tasks. The aim is to prove that adopting comprehension monitoring strategy can foster the learners' reading comprehension.

Comprehension Monitoring Strategies

Although instruction on text comprehension has been a major research topic for more than 20 years, the explicit teaching of text comprehension before 1970's was done largely in content areas, and not in the context of formal reading instruction. The idea behind explicit instruction of text comprehension is that comprehension can be improved by teaching students to use specific cognitive strategies, or to reason strategically when they encounter barriers to comprehension when reading. The goal of such a training was the achievement of competent and self-regulated reading.

Strategic learning during reading is all about monitoring reading and making sense. However, good teachers know that teaching students how to monitor their understanding, during the reading process, can take place through adapting comprehension monitoring strategies which is the focus of this article.

Comprehension-Strategy Instruction

What is a Strategy?

Strategies are what we provide to the learner to help him organize and make meaning as he is reading. The learner must be made aware of what is required from him to apply a specific strategy thanks to a full description of the strategy, its features, and steps to be followed in its execution (Pressley, 2002: 45). Israel (2007: 6) refers to this kind of data as "*the knowledge function of met a cognition".*

How to Use the Strategy

As comprehensive as the definition of a strategy may be, it does not suffice for its fruitful application. A demonstration of how it is implemented in actual reading instances is indispensable. This is achievable by means of think-aloud explanations of the outline employment of the strategy in question (Israel, 2007). Verbal clarification turns around the diverse sub-components of the strategy, and how they operate together as a whole to problem solving a reading complexity (Winogard and Hare, 1988 in Carrell et.al., 2001: 223). '*Procedural function of meta-cognition* ' is the label Israel (2007: 6) gives to this mass of information.

When to Use the Strategy

An important part of the Meta-cognitive teaching of reading strategies entails raising learners awareness to the appropriate times, and conditions under which the carrying out of the inculcated behaviour is needed (Winograd and Hare, 1988; in Carrel et. al., 2001: 22). The circumstances of use are made clearer by establishing

comparisons, on the one hand, between the arrays of potential strategies applicable in a particular situation, and on the other hand, between occasions of good and bad strategy use (Pressley, 2002: 46).

Why to Use the Strategy

It is central to draw the learners' attention to the rationale behind the selection of a strategy for instruction, its value, and its utility in improving reading comprehension (Schraw, 2001).

When completely informed about the ways in which the taught behaviours will be useful for them, learners as well as teachers will find it easier to shift control of strategy use from the latter to the former.(Winograd and Hare, 1998; in carrel et.al., 2001:234). The 'When' and 'Why' of strategy instruction is what Israel (2007:6) calls "*executive function of meta-cognition*".

Cognitive Strategies for Improving Reading Comprehension

Comprehension strategies are procedures that guide students as attempts to read and write (NRP, 2000). For example, a reader may be taught to generate questions about the text as it is read. These questions are of the 'Why', 'What', 'How', 'When' or 'Why' variety, and by generating and trying to answer them; the reader processes the text more actively (Pressley, 2002: 47). The value of cognitive strategies in comprehension instruction is, first, their usefulness in the development of instructional procedures and second, the learning of these procedures by students as an aid in their reading and learning, independent of the teacher. (NRP, 2000).

Instruction of strategies for comprehending during reading is a way for teachers to break through students passively, and involve them in their own learning (Meir, 1984). Typically instruction of cognitive strategies employed during reading consists of:

- *The development of an awareness and understanding of the reader's own cognitive processes that is amenable to instruction and learning.*
- *A teacher guiding the reader or modeling for the reader the actions that the reader can take to enhance the comprehension processes used during reading.*
- *The reader practicing those strategies with the teacher assisting until the reader achieves a gradual internalization and independent mastery of these processes* (Pressley, 2002: 48).

The general finding is that when readers are given cognitive strategies instruction, they make significant gain on measures of reading comprehension over students who are trained with conventional instruction procedures (Pressley, 2002: 50).

What Is Comprehension-Strategy Instruction?

Comprehension-strategy instruction departs from the convection that "*if adequate performance depends on the application of a set of rules, and this rule can be specified exactly, then it should be possible to design instructional routines that introduce the initiated to this possibly* "(Baker and Brown, 2002: 375).

There is an ample research evidence that text comprehension requires the use of an arsenal of strategies readers need to be aware of, know how to use, and do use frequently (Paris et.al., 1991: 610-615). Tankersley (2005: 11) supports this view of studies when asserting that readers will give up and stop reading at once if they have no knowledge of comprehension strategies. Conversely, when they apply them, they can reach satisfactory understanding. As a result, Paris et.al (1991: 624) conclude that reading is strategic, and that strategic reading is typical of skilled readers. Ethnographic studies, interviews, case studies analysis of classrooms discourse, think-aloud, verbal protocols, experiments and observation of classroom practices have supplied educators and reading teachers with an inventory of comprehension strategies known for their impact on enhanced text understanding (Pressley, 2002: 57-59). Experimental research in strategy instruction affirms that studying reading strategies "*can be trained and such training can be durable and generalizable*" (Baker and Brown, 2002: 382), and that this teaching leads to satisfying gains in comprehension (Cromley, 2005: 195), and memorization of print (Pressley, 2002: 60), and that to be successful, any methodology should be characterized by a meta-cognitive tendency (Israel, 2007: 3).

Two questions with respect to meta-cognitive reading strategies instruction are very important to answer. The first question concerns content strategies, and the second one is about the required instructional practices content (Mier: 1998).

Baker and Brown (2002: 176) have suggested divergent lists of strategies to be taught; nevertheless, all of them intersect in most of the following behaviour:

- *Setting a purpose for reading.*
- *Skimming and previewing.*
- *Activating text content while reading.*
- *Differentiating key concepts from trivial one. Using context to clarify an ambiguity or determine a word meaning.*
- *Inferring or interpreting text at more than the literal meaning; i.e. reading between and beyond the lines.*
- *Constructing mental images.*
- *Asking questions about text content.*
- *Rereading segments of text recognized important or difficult for deeper comprehension.*
- *Monitoring comprehension and detecting comprehension failures.*
- *Deploying compensatory strategies to rectify comprehension break downs.*
- *Summarizing.*
- *Using graphic organizers, flow-charts, networking, mapping and outlining.*
- *Varying reading speed and adjusting reading rate.*
- *Evaluating the material read in terms of content, style, tone*.

Developing Comprehension Ability through Instruction

As strategic reading is encouraged for sustaining readers' comprehension then, what strategies should be taught? Comprehension strategies are "*specific cognitive procedures that guide readers to become aware of how well they are comprehending as they attempt to read or write*" (NRP, 2000: 4-5). In its review of more than 200 studies,

the National Reading Panel (2000) concludes that amide the sixteen categories of strategy instruction surveyed, eight appeared to have a firm scientific ground "*for concluding that they improve comprehension in normal readers*" (NRP, 2000: 4.42). These strategies are: comprehension monitoring, cooperative learning, graphic and semantic organizers, story structures, question answering, question generation, summarization, and multiple strategies (NRP, 2000: 4-6).

Cooperative Learning

Cooperative learning involves learners to work together on strategies, and to be engaged in intellectual discussions to sustain their reading comprehension (NRP, 2000: 4-72).

Using Graphic and Semantic Organizers and Recognizing Story Structures

Graphic organizers are diagrams or charts that are drawn to represent the relationship of ideas and information in a print. Different texts take different structures; history texts, for instance, present events in chronological order, an article may be organized around a main thesis whereby supporting details are matched to make a persuasive argument, and a story, on the other hand, is organized around a series of events. Recognizing a story structure, or the way its events are organized into a plot enables the readers to become aware of the important story elements (setting, characters, events, goals …etc), and facilitates their understanding and recall. Graphic organizers, thus, help readers be familiar with different text structures and hence enable them to grasp the flow of information within a particular selection (NRP, 2000: 4-73, 4-91).

Question Answering

Question answering strategy involves showing the learners how to find, and use information from a text to answer teacher's questions in order to get more from their reading (NRP, 2000: 4-86).

Question Generation

Question generation involves learners' asking, and answering of questions about their reading. This improves their understanding and retention (NRP, 2000: 4-89).

Activating and using background knowledge is often used as part of question answering and question generating strategies. Prior Knowledge activation implies the elicitation of students pre-existing Knowledge of the world that they can use to understand what they read. This may be achieved through pre-reading activities which are conceived as a "*bridge between readers knowledge base and the text*"; they are viewed as "*a preparatory step in which purpose setting and concept development are primary goals*" (Tiemey and Cunningham, 2002 in Paris et. Al., 1991: 609). One way to fulfill this aim is to ask students to predict the text 'content relying on their prior knowledge, often in response to pre-reading questions about the text.

Summarization

Summarization requires from the learner to recognize the important ideas of a text. This strategy helps learners to know about the organization of a text, to identify its main ideas, and to connect them together.

Multiple Strategy Instruction

Multiple strategy instruction entails the use of two or more strategies involved in a teacher-learners interaction, usually in small groups. Readers have to be flexible in choosing among the wide range of strategies according to text demands.

Although reading strategies are powerful tools for readers, Harris and Pressley (2002: 50) Point out that strategy instruction does not cure. They are just one instrument to assist students in reading comprehension. There is clearly more to skilled reading comprehension than knowing and using strategies. According to Pressley (2002: 551-553), teaching decoding skills, developing sight words (reading through chunks), vocabulary instruction and encouraging extensive reading are also important to effective reading comprehension. This was clearly stated by Cromley (2005:201):

"*I argue that the best way to improve comprehension is by explicitly teaching vocabulary, background knowledge, and the flexible use of specific strategy*".

The Difference between Reading Strategies and Comprehension Monitoring Strategies

From the first examinations of reading strategies, researchers have tried to distinguish "good" strategies from "bad" ones with the intention of training less-proficient readers to use "good" strategies as they read (Block, 1998). However, Mier (1984) pointed out that good strategies do not necessarily lead to successful comprehension. Anderson (1985) claimed that proficient and less proficient readers might actually use the same strategies; this uncovered the fact that reading strategies alone cannot account for the effectiveness of reading comprehension. Being aware of this flow, researchers then started to conduct studies related to comprehension monitoring.

Comparing reading strategies with comprehension monitoring strategies, it is found that many types of reading strategies are similar to those of comprehension monitoring strategies. For example, the reading strategy type of "*identifying a purpose for reading»* in Paris et.al. (1991) study is almost the same as the comprehension monitoring strategy type "*clarifying the purposes of reading*" in Baker and Brown's (2002) research. The strategy "*rereading*" in Block's (1986) research is also found in Collins and Smith's (1980) categories of "*reread the current sentences*". Moreover, the reading strategy type of "*monitoring comprehension*" and *"self correcting"* are also identified by Baker and Brown's (2002) "*monitoring ongoing activities to determine whether comprehension is occurring*" and "*taking corrective action when failures in comprehension are detected*".

It seems that the definition, content, and description of reading strategies are very similar to those of comprehension monitoring strategies, although the definition of each strategy may vary subtly from one study to another. Baker (2000) stated that

comprehension monitoring strategies are more concerned with thinking about the reading experience itself. Pressley (2002) described comprehension monitoring strategies as dealing with pre-assessment and pre-planning, on-line planning and evaluation, post-evaluation of language learning activities and of language use events. He also acknowledges that more investigations have to be done in order to make the distinction between comprehension monitoring, and reading strategies clear.

Comprehension Monitoring Techniques

As we explained in the previous title, comprehension monitoring strategies are intended to develop meta-cognitive abilities in readers, that is, to help them think about their own thinking. Mc Shane (2005) claims that through the Use of comprehension monitoring techniques, readers learn how to:

- *Actively monitor their understanding.*
- *Identify specific problems when comprehension breaks down and*
- *Take steps to solve their comprehension problems.*

In his attempt to identify monitoring techniques, Mc Shane (2005) affirms that there are five techniques to be effective for students to monitor their comprehension. These techniques are: Thinking aloud, restating, asking questions, coding text and monitoring and repair strategies (Mc Shane 2005).

Thinking Aloud

One way to teach adults how good readers monitor their understanding is to show them how you do it (Mc Shane, 2005). Gromley (2005) reported that thinking aloud strategies is used unconsciously by skillful readers; they use a range of strategies to make meaning from text. If they are not skillful, Israel (2007) suggested that the teacher must engage the readers even skillful ones, in a meta-cognitive dialogue about their comprehension of the text, and the use of reading strategies. Baker (2000) pointed out that the think aloud strategy involves modeling these strategies by "thinking aloud" while reading, and responding to a text. Markman (1978) pointed out that thinking aloud is a literacy strategy designed to help students monitor comprehension, and direct their thinking as they work through the problem solving process. He suggested that thinking aloud strategy can be implemented effectively in many content areas. Mc Shane (2005), on the other hand, pointed out that think aloud technique is both a strategy for readers, and an instructional approach the teacher can use with any of the other comprehension strategies as well.

Mc Shane (2005) explains how thinking aloud technique works: you read a passage to the learners, and thinking aloud about how you process the information. When you run into problems, you express your confusion, and talk through your thinking as you solve the problems. Following are examples of strategies you might demonstrate:

- *Stopping to reread or restate a difficult section*
- *Summarizing long sentences or other bits of text and putting them in your own words*
- *Looking back in the text to locate the person or thing that a pronoun refers to*

- *Identifying important or not-so-important information*
- *Using various strategies to identify or determine the meaning of an unknown word* (McShane, 2005:37).

Block (1992:68) proposed another application; selecting a piece of text and model conversation about the process a readers use.

Restating

Through restating technique, readers identify key elements, and condense important information in their own words during and after reading to solidify meaning (Tenkersley, 2005). Mc Shane (2005) suggested that teachers can teach learners to stop periodically (after each section, for example), and try to restate what has been in their own words. If they have trouble with this, they know they are not getting it.

Asking Questions

Another way through which students can monitor their understanding is to ask themselves “who”, “what”, “when”, “where”, and “why” questions after each section or page. If they cannot answer these questions, they have to stop and reread (Mc Shane, 2005). Asking questions or “self-questioning” as identified by Nuttal (1996), in Mc Shane (2005), has been described as a characteristic of good reading because it promotes cognitive processes such as inferring, monitoring, understanding, and so on. Tenkersley (2005) noted that asking questions strategy may work best with stories, news articles, and other narrative texts because they are likely to have all the “5 Ws” represented.

Coding Text

Coding text is one of comprehension strategies.

Block (1992) defined text coding as a strategy used to help students keep track of thinking while they are reading. Students use a simple coding system to mark the text and record what they are thinking either in the margins or on post it notes. Mc Shane (2005) said that teachers can tell learners to take “notes” using symbols to identify important information or unfamiliar terms. The readers also may mark the text with question marks when anything is confusing or unclear. These marks represent the readers thinking at that point in the text (Baker and Brown, 2000).

Monitoring and Repair Strategies

Teachers also may teach specific strategies for solving comprehension problems (Davey and Kibby, 1983, in Mc Shane, 2005). Tenkersley (2005) pointed out that teachers can describe and demonstrate the different kinds of problems that can arise while reading. Then, taking them one at a time, they can also teach appropriate repair strategies, by modeling, providing guided practice, and independent practice.

General Conclusion

Reading is a complex cognitive activity that draws in many meta-cognitive strategies; the comprehension monitoring strategy is one of them. That is in order to be

able to monitor understanding with some proficiency; students must use comprehension monitoring strategies.

The present article is an attempt to shed light on the relation between reading comprehension strategy and comprehension instruction. The concern behind this is the search for a teaching reading methodology that best assists learners to become autonomous text comprehenders, especially that reading is the most important skill for learning English at the University. It also aims at investigating the potential positive effect of teaching comprehension monitoring strategies on students' performance in reading comprehension.

The readers' meta-cognitive awareness about how comprehension works is the key factor in this interface. Thus teaching reading should provide learners with this meta-cognitive knowledge, and train them how to monitor their understanding through the use of monitoring techniques. Monitoring Instruction teaches students to be aware of their understanding when they engage in the process of reading. For this reason, we explained the different monitoring techniques and gave instances of how they can be instructed by the teachers so that they can be well practiced by the students.

BIBLIOGRAPHY

Anderson, R.C. , Hiebert, E. , Scott, J.A., and Wilkinson, I.A.G. (1985). *Becoming a Nation of Readers: The Report of the Commission on Reading*. Urbana, IL: University of Illinois, Center for the Study of Reading.

Baker, L. 2000. "Meta cognitive Skills and Reading." In G. Schraw, and J. C. Impara (Eds.), *Issues in the Measurement of Meta cognition* (pp. 99-46). Lincoln, NE: Buros Institute.

Baker, L., and Brown, A.L. (2002). "Meta cognitive Skills and Reading." In P.D. Pearson, M. kamil, and P. Mosenthal (eds), *Handbook of Reading Research*, (pp.53-95). Hillsdale: Lawrence Erlbaum Association, Inc.

Block, E.L. (1992). See how they read: *Comprehension Monitoring of L 1 and L2 Readers*. TESOL Quarterly.

Carrel, L.C; Gajdusek, L.; and Wise, T.(2001). *Meta cognition and EFL/ ESL Reading. London*: Klawer Publishers.

Gromley, J.G. (2005)."Meta cognition, Cognitive Strategy Instruction and Reading in Adults Literacy." Hillsdole: Lawrence Erlbaum Association.

Israel, SE (2007). *Using Meta cognitive Assessments to Great Individualized Reading Instruction.* International Reading Association.

Markman, E. M. (1978). *Reading that you don't understand: A Preliminary Investigation*. Vermont Strategic Initiative.

McShane, Susan. 2005. *Applying Research in Reading Instruction for Adults: First Steps for Teachers*. New Hampshire: Portsmouth.

Mier, m. (1984). *Comprehension Monitoring in the Elementary Classroom*. Reading Teacher (74-77).

National Reading Panel. (2000). Teaching Children to Read: An Evidence Based

Assessment of the Scientific Research Literature on Reading and its Implications for Reading Instruction. Washington D-C. National Institute of Child Health and Human Development.

Paris, S.G., Wasik, B.A., and Turner, J.C. (1991). "The Development of Strategies Readers." In R. Barr, M. Kamil, P.D. Pearson (eds), *Handbook of Reading Research* (pp.609-640) New York: Longman.

Pressley, Michael. 2002. "What Should Comprehension Instruction Be the Instruction of ?" In R-Barr; M.L. Kamil; P.B. Mosenthal and D.Pearson (eds.), *Handbook of Reading Research*, (Vol-3, pp. 525-545). Mahuwah, NJ: Lawrance Erlbawn Associates.

Schraw, G. (2001). "Promoting General Meta cognitive Awareness." In H.J. Hartman (Ed.), *Meta cognition in Learning and Instruction*: Theory, Research, and Practice, (pp.03-16). Dodrech, Boston, London: Klwer Publishers.

Snow, C.2002. *Reading for understanding: Toward an RED Program in Reading Comprehension*. Santa Monica: RAND.

Tenkersley, Karen. (2005) " Literacy Strategies for Grades 4-12". *Reinforcing the Threads of Reading*. Virginia: Association for Supervision and Curriculum Development (ASCD).

Revue SCIENCES HumaineS n°38, Décembre 2012– pp 47 -62

Contraintes structurelles et évolution dialectique de l'entreprise algérienne

Résumé

L'entreprise Algérienne, comme entité économique, au centre de la problématique de la croissance et du développement durable, peut être perçue dans un premier angle d'analyse, par la valeur ajoutée, concept central de la comptabilité nationale.
Pour l'analyse de cette notion d'entreprise, il faut recourir à deux niveaux d'analyse : le niveau micro-économique et le niveau macro-économique.
Afin de rendre compte de la complexité de l'objet d'étude, nous présenterons l'ensemble des déterminants qui interviennent dans l'explication du phénomène.

Farid BOUKERROU
Samira DJAALAB
Faculté des sciences économiques
Université Constantine 2
(Algérie)

ملخص

تشكل الشركة الجزائرية مركز إشكالية النمو والتنمية المستدامة، كونها كيان اقتصادي- يمكن أن ينظر إليه من زاوية تحليلية أولية- من جهة القيمة المضافة، والتي تمثل بدورها مفهوما مركزيا في المحاسبة الوطنية.
بغية تحليل مفهوم المؤسسة هذا، من الضروري استخدام مستويين من التحليل: مستوى الاقتصاد الجزئي ومستوى الاقتصاد الكلي. من اجل الإلمام بتعقيد موضوع الدراسة، سوف نقدم كل محددات المشاركة في تفسير هذه الظاهرة.

Introduction

L'ENTREPRISE ALGERIENNE : REALITE ET HISTOIRE

Cette contribution vise à cerner le mode de fonctionnement de l'entreprise Algérienne publique et privée dans son environnement national et international.

La littérature économique concernant cette question d'importance capitale pour la croissance et le développement du pays est sans conteste non négligeable .Elle permet de saisir cette réalité à travers le processus de modification des structures économiques ainsi qu'à travers l'interventionnisme de l'Etat, comme agent économique régulateur et promoteur de l'investissement national et ce, dans les différents secteurs et branches économiques favorisant l'émergence d'un appareil de production performant, de même que sur le plan des relations économiques interbranches, qu'elles soient internes (marche intérieur) ou externes (marché extérieur), au-delà des frontières de l'économie nationale.

© Université Constantine 1, Algérie, 2012.

Le développement de l'offre nationale en produits industriels et agro-alimentaires pour répondre à la demande nationale (productive et de consommation) et internationale (libre circulation des marchandises, OMC) s'inscrit dans la logique de promotion de l'investissement, dans les différents créneaux et filières industrielles, en mesure de sortir l'économie nationale de son sous-développement, par la réussite de son modèle de développement, s'articule sur des foyers d'accumulation que sont les entreprises industrielles. .

Période antérieure (post indépendance)

La réalisation de ce modèle ou schéma de développement a nécessité la mobilisation de toutes les ressources nationales, tant matérielles qu'humaines, la transition vers ce paradigme industriel étant à ce prix. Ce programme d'industrialisation a connu des résultats mitigés tout au long de son évolution historique, en dépit des forts taux d'accumulation du capital qui frôlaient les 60% de l'épargne nationale et surtout du PIB .Ceci signifie l'effort monétaire et financier consenti pour le mettre en place (recours aux devises étrangères et à l'endettement).

Cette période se rapporte davantage à la phase où l'économie nationale était centralement planifiée[1] et dirigée et où le secteur d'état représentait le modèle exclusif d'organisation de l'activité économique industrielle.

Période transitoire actuelle

La phase actuelle dominée par la transition vers l'économie libérale, s'accompagne d'une inversion du mode d'organisation de l'économie nationale, dans la mesure où le secteur privé est devenu un pôle économique, dominant en coexistence avec le secteur public. Ce secteur est censé libérer les énergies créatrices, en assurant le développement de l'entreprise privée, seule garante de la croissance face aux lourdeurs étatiques et au dysfonctionnement de l'économie.

Cette nouvelle dynamique est mise en place par le plan d'ajustement structurel du FMI .Ce PAS réoriente l'économie algérienne dans le sens d'une meilleure intégration du pays dans l'économie mondiale et ce, en intervenant sur les deux axes et segments de l'économie nationale, à savoir la production et la commercialisation et en les libérant de toute entrave publique.

Ces transformations en profondeur des structures de l'économie du pays ont eu pour résultat la privatisation et son corollaire logique, l'intégration du pays dans la politique de l'organisation mondiale du commerce OMC et des organisations internationales, telles que le FMI et la Banque Mondiale. En résumé, il s'agit là d'une meilleure intégration / soumission de l'économie nationale, au nouvel ordre mondial, sous la domination des thèses Monétaristes.

Ce rapide survol de la question de la modification interne et externe de l'entreprise qui insiste sur la modification de l'environnement global des conditions de valorisation du capital, pose le problème de l'adaptation nécessaire de l'entreprise quant à la recherche d'une nouvelle stratégie de croissance en milieu ouvert à la concurrence nationale et internationale.

Les problèmes micro-économiques de la viabilité de l'investissement productif, de la performance, de la productivité, de la rentabilité en un mot le management, le marketing national et international, et la gestion des ressources humaines, sont les éléments clés de la réussite de la stratégie entrepreneuriale.

Le fonctionnement des entreprises, reste aussi tributaire, des conditions globales, macroéconomiques qui caractérisent l'économie nationale : salaires, prix, emploi, taux de change, demande solvable etc…..L'inflation exerce quant à elle une action pernicieuse sur la demande nationale et les exportations

Perspective historique

L'entreprise algérienne telle que définie par le planificateur national est une simple entité économique chargée d'absorber le maximum de travail vivant, car le volant de chômage est excessivement élevé et excède les capacités d'emploi offerts.

Le choix d'une croissance déséquilibrée, en faveur du secteur industrie, et au détriment du secteur agricole a vu l'intensification horizontale et verticale de l'industrie, posée comme condition sine-qua-non de la transformation des structures économiques, d'où les différents plans triennal quadriennal et quinquennal.

Cette politique d'industrialisation, qui s'identifie davantage à une politique d'aménagement du territoire se traduit par une répartition équilibrée des forces productives, où l'équilibre régional prend le pas sur une production et une reproduction élargie du capital sous la forme d'une extension de l'appareil industriel de production mis en place et induit une meilleure rentabilité des entreprises.

La priorité est donnée à la satisfaction des besoins sociaux nationaux au sein du marché intérieur, besoins amplifiés par une extension du rapport salarial donc de la demande solvable, alors que le marché international, signe d'ouverture économique, est marginalisé.

Ces choix économiques et ces préférences nationales de structures, étaient les vecteurs de la réalisation de l'indépendance économique, omniprésente dans le discours politique officiel de l'époque.

En résumé le modèle algérien de développement que l'on retrouve dans la littérature économique spécialisée de l'époque, était connu sous l'appellation de modèle de G.DE BERNIS ou modèle des industries industrialisantes .Ce schéma théorique fonde l'articulation nécessaire entre l'industrie lourde, légère et agriculture, dans une dynamique évolutive et temporelle. Cette conception tripolaire et ternaire devait supporter toute la conception productiviste du modèle de développement ainsi défini.

APPROCHE SYSTEMIQUE DE L'ENTREPRISE

DEFINITION DE L'ENTREPRISE

L'entreprise, comme espace économique de valorisation et d'accumulation du capital, comme lieu de création de la valeur et de la richesse sociale (création de la valeur ajoutée), est garante du développement économique[2].

L'entreprise est un espace économique composé d'une combinaison spécifique de facteurs de production : capital et travail.

Le capital peut se présenter autant sous sa forme instrumentale, c'est à dire matérielle, technique et technologique que sous sa forme monétaire et financière .Le capital consiste donc en une mobilisation d'actifs réels et financiers. Le cycle de production à l'intérieur de l'entreprise, débute par la mobilisation du capital fixe et circulant ainsi que du travail vivant.

Le facteur travail se compose du travail vivant, chargé de la transformation de ces facteurs de production matériels, en divers produits d'équipement et de consommation.

L'ENTREPRISE ALGERIENNE FACE AUX REALITES MACROECONOMIQUES

A la lumière de cette définition, l'Entreprise Algérienne a-t-elle tenu son engagement ? a savoir celui de fournir un niveau de production suffisamment élevé pour couvrir et satisfaire le besoin social exprimé par le marché.

Pour répondre à une telle question, une étude systémique de cette entité économique qu'est l'entreprise s'impose. Pour éclairer l'analyse et en mesurer la portée, il faut mener une réflexion approfondie, mettant sur les plateaux de sa balance et de son bilan, les aspects tant positifs que négatifs qui marquent le cheminement historique et logique de cette institution.

L'entreprise de l'époque, et la planification[3] ne visaient pas nécessairement à réaliser un optimum économique, soit la réalisation d'un équilibre parfait entre production et consommation comme le montrent certains agrégat macro-économiques de la comptabilité nationale, notamment le PIB .Il ne s'agissait pas de réaliser un output industriel total maximal en mesure de satisfaire la demande sociale en cette période de démarrage de l'industrialisation.

Cette volonté d'instaurer une industrialisation reposant sur l'entreprise était censée jeter les bases d'un développement durable et à long terme et modifier la structure interne de l'entreprise en lui assurant les conditions d'un développement sans heurt, reposant sur un marché interne captif isolé des flux concurrentiels externes ,des firmes monopolistiques et des firmes transnationales.

Ceci reposait sur une injection massive de capitaux d'origine étrangère, qu'il fallait importer de l'extérieur à coup de devises rares, mais que la rente pétrolière et gazière devait permettre de se procurer car le pouvoir d'achat international de l'Algérie était élevé. La transformation de cette rente devait jeter les bases d'une industrialisation réelle et effective.

On assiste alors au développement d'entreprises nationales- branche, qui mobilisent un capital technique certain avec une absence de concurrence interne et externe. La constitution de ce tissu industriel reposant sur des entreprises dynamiques devait provoquer à terme un réel décollage économique du pays.

En termes de comptabilité nationale, on devrait assister à une réelle croissance, fondée sur une valeur ajoutée, dégagée par le système productif. Cette valeur ajoutée, était censée connaître une croissance certaine et régulière, pour augmenter les revenus

des facteurs de production (capital et travail). Cette augmentation de la valeur ajoutée devrait faire croître le revenu national intérieur, et de ce fait augmenter les investissements et relancer la croissance de la demande intérieure, en multipliant l'emploi industriel et la distribution des revenus disponibles.

Or l'entreprise algérienne[3], conçue théoriquement comme un vecteur de la croissance économique, a connu cependant une série de problèmes dus au mode d'insertion de l'économie nationale dans le marché mondial, et surtout le mode de gestion centralisé, et bureaucratisé, qui constitue un frein au développement de cette entité économique.

L'importation des équipements et outils de production de l'étranger, dans le cadre de la planification nationale, s'est heurtée très tôt, à une série d'handicaps, dont l'origine était à rechercher du côté du mode d'organisation de l'économie nationale, et de la nature du marché du travail en vigueur dans le pays.

L'extension et le développement du travail salarié (l'Etat distributeur et répartiteur de la rente), était une réalité tangible, tant le niveau du chômage était endémique. La situation de l'emploi, dans les villes, les centres périphériques urbains, ainsi que dans les campagnes et le pays profond, était alarmante. Il fallait coûte que coûte occuper cette main d'oeuvre en créant des postes de travail, ne répondant parfois à aucune nécessité économique. D'où une pléthore de travailleurs sans poste de travail clairement défini.

L'entreprise devait donc absorber ce fort volant de chômage, en surdéterminant le travail dans le secteur industriel. Cette crise sociale par secteur larvée ou ouverte, compte tenu de l'excédent de main-d'œuvre disponible, le déséquilibre sur le marché du travail et le manque d'occupation productive, était la trame de fond de l'économie algérienne de l'époque.

Sans être un pays traditionnellement exportateur de main d'œuvre, l'Algérie a tissé des relations avec la France, comme ancienne métropole coloniale et comme pays destinataire de cette main d'œuvre excédentaire. L'Algérie s'est vue obligée par le canal de l'Office national de main-d'œuvre (ONMO) de valoriser son excédent de main-d'œuvre sur le territoire de la France et ceci en fonction de la conjoncture .

Cette solution externe, n'était cependant pas la panacée au problème de l'Algérie, les quantités de main-d'œuvre exportées étaient peu significatives. Il fallait en l'occurrence trouver une solution interne, que la politique économique publique, à travers sa planification devait trouver, pour diminuer l'ampleur de ce phénomène constaté.

Les unités de production installées sont caractérisées par leur gigantisme, caractérisé par une intégration économique, tant verticale qu'horizontale, c'était de véritables centres « d'accumulation du capital » et de « foyers capitalistiques » dont la composition organique du capital était élevée.

Vu la pauvreté de la balance nationale d'innovation technologique, les brevets et licences étaient importés de l'extérieur, ce qui se répercutait sur le solde de la balance des paiements, d'où un déficit certain.

L'importation de cet outil de production, sous la forme «d'usines clés en main » et « d'usine marché en main » était la forme dominante, sinon exclusive, de l'importation de ces biens d'équipement, si importants pour la croissance du pays.

GESTION EMPIRIQUE DE CES ENTREPRISES.

Vu la grande taille économique, de ces installations industrielles de production de marchandises, devant lesquelles aucune forme de concurrence interne n'était possible, vu la hauteur du niveau des investissements requis, «des barrières à l'entrée » assuraient de fait une totale absence de pénétration de ces secteurs, au capital privé, largement sous-équipé et faiblement doté en ressources financières.

La taille des investissements, dans le secteur industriel, est corroborée par la nature des industries mises en place. En effet, le modèle algérien de développement reposait nécessairement sur le primat de « l'industrie lourde » ensuite de « l'industrie légère » qui lui est articulé et logiquement devait intervenir à l'aval de cette industrie lourde.

C'est dire, combien la tâche du gestionnaire était difficile, dans la mesure où les compétences nationales[4] de gestion, et de management, étaient rares et manquaient d'expérience professionnelle, tant les opportunités de mise en application de ces connaissances théoriques et empiriques étaient rares.

Les contradictions du système de formation, lié au système d'éducation nationale, qui ne prospecte pas le marché du travail et n'a pas d'information sur « les profils de formation » et les demandes qualitatives et quantitative du secteur industriel.

Les formations théoriques de haut niveau et de haut rang étaient disponibles, par contre les formations alternatives de second rang, n'étaient pas prises en considération par le plan national de formation.

Cette « dichotomie » dans le système de formation faisait qu'une main-d'œuvre qualifiée intermédiaire n'était pas disponible, d'où une formation « sur le tas ». Ceci explique que les besoins du secteur industriel, ne sont pas satisfaits par le secteur de formation, d'où un profond déséquilibre sur le marché du travail.

« Les bassins de main-d'œuvre » constitués par les zones rurales et campagnardes, où sévissait un fort taux d'inoccupation, et d'inactivité économique, était les pourvoyeurs traditionnels de cette industrie en plein essor. Cette main-d'œuvre juvénile exportée vers les centres urbains était une main d'œuvre sans expérience préalable du milieu industriel et du travail en commun et de la répartition des tâches entre les membres du collectif de travail.

La transformation du paysan[5], habitué au travail de la terre, d'une manière isolée et sans partage, se voyait du jour au lendemain passer au statut « d'ouvrier d'usine » sans connaissance de l'univers de l'industrie ; et surtout sans culture d'entreprise et peu enclin à la discipline collective.

Ce sont les qualités intrinsèques du travail humain, corollaire indispensable du capital matériel, qui définissent les capacités à intervenir efficacement, dans un procès de travail industriel. Si dans ces conditions, le facteur travail enregistre des

insuffisances, ou des faiblesses, inhérentes à son passé, ou à sa trajectoire sociale, les conséquences sur la production des entreprises se fait sentir.

Ce qui explique, dans la majorité des cas, la faible productivité du travail. Bien que la situation soit différente d'une entreprise à l'autre ? Elle reste valable, en tant qu'observation générale, propre au système de production algérien.

Si on se réfère au compte de production dégagé par la comptabilité nationale, et sur un plan macro-économique, la comptabilité nationale nous enseigne que la structure et le coût économique des consommations intermédiaires reste élevé, car le capital circulant est importé de firmes transnationales exerçant un monopole sur la production mondiale des inputs de production et qui bien souvent pratiquent des prix de monopole. Par contre la production globale enregistrée est marginale. Ce qui explique que la valeur ajoutée par ces unités de production tend vers une faible part du produit intérieur brut. Pour certaines entreprises elle est franchement négative.

Vu la masse des investissements consentis pour le secteur industriel, le paradoxe concomitant que l'on peut enregistrer, est une faible contribution de ce secteur, à la hausse de la production réalisée, ce qui explique une certaine inélasticité de la production nationale.

En ce qui concerne, la rémunération des facteurs de production (capital et travail) on constate que ces revenus, loin d'être rémunérés par leur production marginale réalisée ; sont en en fait indexés sur le budget de l'État, lui-même constitué de la fiscalité pétrolière et gazière et par les exportations nationales d'hydrocarbures, qui dépendent du prix du baril de pétrole.

Concernant la répartition du revenu national et plus précisément les revenus crées dans la production (revenus du capital et du travail), leur faiblesse fait qu'ils sont couverts par des revenus de transfert ; d'où leur dépendance quasi-exclusive pour ne pas dire unique du budget de l'État. C'est dire dans ces conditions, combien la lourdeur des déficits enregistrés, par le secteur industriel, toutes catégories sociales confondues, pèse excessivement lourd sur les ressources de l'État qui sont en majorités exogènes par rapport au système de production industriel national.

Le secteur industriel,[4] n'a pas tenu toutes ses promesses, dans la mesure où l'intégration économique, générale du système productif, n'a pas eu lieu. En ce sens que les relations inter-branches et inter-entreprises ou inter-firmes ont connu un faible développement, pour ne pas dire un développement insignifiant.

Les relations croisées entre industries, par le mouvement des marchandises, bien de production et biens de consommation, n'a pas eu lieu. Les mouvements de capitaux bancaires et financiers sont restés lettre morte, vu que le marché des valeurs mobilières n'existe pas en Algérie. L'inexistence de la bourse est un handicap majeur pour la mobilisation des capitaux et le développement du monde des affaires.

La sous-traitance industrielle, est également absente, dans le sens ou les entreprises nationales, n'arrivent pas à définir une politique d'articulation avec les autres segments de capital existant. Or sans sous-traitance, il n'est pas permis aux entreprises de dépasser le stade local ou régional, pour asseoir leurs activités au plan national et

éventuellement au stade international , par les exportations et la commercialisation de leurs produits sur les marchés euro - méditerranéens. Cette difficulté à instaurer une politique d'intégration, verticale et horizontale est un handicap majeur, pour une remontée de filières et pour la réalisation d'une domination sur le marché.

Sans être inconditionnels de la théorie industrielle, on constate combien l'entreprise algérienne se meut dans un environnement plein de contradictions qu'il est difficile de lever , compte tenu de la faiblesse des ressources humaines et de la difficulté de les mobiliser autour de la question de la performance des entreprises.

Perversion sur les marchés de consommation

Nous avons souligné précédemment la rigidité de l'offre nationale et l'inélasticité de la demande nationale de consommation, dues en grande partie à la croissance démographique et au niveau de fertilité naturelle de la population. Dans la mesure où la croissance de la population[5] est exponentielle et la croissance des biens de consommation est arithmétique (au sens de Malthus), nous avons là les termes de l'équation à résoudre. D'un côté une faible production nationale, de l'autre une hausse plus que proportionnelle de la consommation due à la hausse de la population. Sans parler d'économie de pénurie, les perturbations sur le marché de la consommation sont une constante. Les ruptures dans les approvisionnements sont fréquentes.

Pour sortir de ce « dilemme » une seule solution : accepter que la balance des échanges extérieurs, soit déficitaire. Accepter d'importer des quantités de plus en plus importantes de produits industriels et de denrées alimentaires pour satisfaire les besoins de consommation des « marchés urbains » des « marchés périphériques » et des « marchés ruraux ». Ce qui marque l'importance de la dépendance alimentaire et extra - alimentaire donc industrielle du pays. Les tensions sur la balance des paiements est certaine, cette balance des opérations courantes n'est excédentaire que grâce au prix des hydrocarbures sur le marché international.

Les importations enregistrent un pic, puisqu'elles s'élèvent à une cinquantaine de milliards de dollars annuellement, alors que les exportations hors hydrocarbures sont évaluées à 1,5 milliards de dollars uniquement, c'est dire combien le taux de couverture des importations par les exportations est nul ou peu éloigné.

Les dévaluations cambiaires de la monnaie nationale renchérissent les importations en monnaie nationale. Ce qui provoque une hausse générale des prix sur les différents marchés de consommation et provoque une inflation galopante sur ces marchés. Ajouté à cela la hausse des prix sur le marché international, ce qui nourrit à son tour une inflation importante. Cette crise financière, monétaire et économique mondiale a des effets directs sur l'économie nationale.

De même que les rigidités de l'offre nationale, qui entretiennent la rareté sur les marchés nationaux, provoquent sans conteste, une augmentation des prix ; la hausse de la demande de consommation sur les marchés due à une hausse des salaires (illusion monétaire) suite aux différentes grèves et contestations sociales, sont autant de facteurs qui influent sur la hausse des prix.

Le FMI et son programme d'ajustement structurel (PAS) et l'entreprise algérienne.

La crise qu'a connue l'économie algérienne fait suite aux multiples reformes structurelles introduites pour modifier le contexte global de l'industrie en Algérie. L'introduction de la rationalité de la politique économique libérale et l'utilisation d'instruments de gestion des entreprises et de l'économie nationale supposés plus performants que ceux en vigueur antérieurement – ces instruments ont conduit au blocage de la croissance et du développement du pays.

Témoin le recul stratégique du pays, par rapport aux pays maghrébins voisins, et aux pays du bassin méditerranéen. Il fallait coûte que coûte trouver une solution à terme, pour sortir le pays de son sous-développement chronique et sa crise multiforme, dans laquelle il s'enfonçait en permanence.

Cette crise, sans parler des différentes crises passées, peut faire l'objet de thème de recherche, de la part de spécialistes de la question. C'est une crise structurelle du système de production tel que défini par les autorités publiques et mis en œuvre par les différents agents économiques en perpétuelle transition.

C'est la transition, d'une économie centralement planifiée et impérativement contrôlée, par le pouvoir politique, en place. Cet Etat était censé assurer la pleine satisfaction des besoins sociaux de la population, car se réclamant de l'idéologie socialiste orthodoxe, ou socialisante, se rapprochant du modèle de la propriété publique et sociale.

Cette crise est l'expression des antagonismes, et des contradictions sociales, dans la mesure où la crise financière et l'endettement international qui s'en est en suivit et la difficulté d'honorer la dette extérieure, vis-à-vis de ses créanciers internationaux que sont les organisations internationales (Fmi, Banque mondiale), le « club de Paris » et « le club de Londres ». Les raisons de ce rééchelonnement de la dette est la baisse des ressources financières extérieures du pays, dû à la chute drastique du prix du baril de pétrole.

On assiste donc à l'arrêt ou au ralentissement du système productif, par manque de devises étrangères. La consommation fluctue vers la baisse par chute des importations d'où une crise sociale aigue, faite de grèves et de rupture du « contrat social ».

Pour avoir des crédits extérieurs, indispensables à la continuité du procès de production, et de la consommation urbaine et rurale, il fallait s'endetter auprès du Fmi donc accepter de mettre en œuvre sa politique économique connue sous l'appellation de « programme d'ajustement structurel ».

REFORMES IMPOSEES PAR LE FMI

Il s'agit en clair de trois types de reformes,

1- rechercher l'équilibre extérieur de la balance des paiements, soit la dévaluation de la monnaie nationale, pour pouvoir exporter davantage et dégager des surplus financiers pour rembourser ses créanciers extérieurs.

2-assainir le budget de l'État, en faisant des coupes radicales, en diminuant les dépenses publiques et en diminuant les différents emplois nationaux et éliminer de ce fait le déficit des comptes de l'État (pléthore de personnel qui émarge au budget de

l'Etat) et les charges induites par les salariés qui ne sont pas rémunérés sur leur production mais par le budget de l'Etat car la quasi-totalité des entreprises est déficitaire. L'Etat renoue alors avec l'équilibre budgétaire.

3-intervenir sur le marché monétaire et faire jouer la variable monétaire pour obtenir la hausse des taux d'intérêt. Avoir une politique déflationniste et diminuer de ce fait l'investissement et la consommation.

IMPACT SUR LES ENTREPRISES PUBLIQUES ET PRIVEES :

Elimination de toutes les entreprises non performantes et non rentables, qui n'arrivent pas à dégager un excédent brut d'exploitation suffisant, c'est-à-dire pratiquement l'ensemble du tissu industriel national, soit l'écrasante majorité des entreprises essentiellement de capital public.

Dégraissage de toutes les entreprises de leur pléthore de personnel. Cela s'est manifesté par un départ massif des ouvriers expérimentés et rompus aux relations industrielles. Chômage involontaire dû à la prime de départ d'où une chute drastique du pouvoir d'achat de ces ouvriers licenciés, qui sont venus augmenter le nombre de demandeurs d'emploi. La hausse du chômage concomitant a aggravé les déséquilibres sur le marché du travail. Ce licenciement n'est accompagné d'aucune mesure de substitution visant au classement de ces ouvriers licenciés avec prime de départ.

Nouvelle politique économique et privatisation, émergence de l'entreprise privée

L'ouverture de l'économie à un capitalisme débridé, a permis l'éclosion de centre d' intérêts qui investissent leurs capitaux dans la sphère de l'industrie légère et surtout de l'agroalimentaire, tout en perdant de vue l'industrie lourde[6] , complètement évacuée de leur plan d'accumulation du capital. Laissant libre cours à la rentrée des capitaux étrangers et la dénationalisation de certains secteurs stratégiques, passant sous la tutelle et le contrôle des filiales de firmes étrangères, de joint-ventures (capital privé national. en association avec le capital étranger). La confrontation du secteur privé national avec le secteur privé international mieux outillé en termes de moyens managériaux et politiques marketing agressives et surtout l'inégalité dans la dotation en ressources financières.

Cette situation ne peut que mener à terme à une dépendance et une articulation de l'outil de production national avec les centres d'affaires internationaux. La libre circulation des capitaux sur le plan international est un profond levier économique pour asseoir cette dépendance-soumission, avec un transfert net de ressources au profit de l'extérieur, ce qui contribue au déséquilibre de la balance des opérations courantes, puisque les intérêts du capital versé à l'extérieur sont supérieurs aux intérêts du capital national investi à l'extérieur.

La substitution du secteur privé au secteur d'État est censée libérer les initiatives de production des entreprises ; en les libérant d'un environnement fait de multiples contraintes, dont le plus décrié, est une bureaucratie omniprésente et omnipotente, qui contrôle à tatillon tout le cycle de la valorisation du capital (de la production à la consommation) et les différentes phases du cycle de produits . La pression fiscale sur les authentiques créateurs de valeur ajoutée est décriée.

L'insécurité et la peur de mobiliser son capital et de l'investir dans des spéculations rentables font qu'il y a un certain gel des ressources économiques disponibles et qui sont prêts à être mobilisés dans la sphère de la production sociale pour peu que des garanties leur soient données.

L'accompagnement de l'investissement productif fait défaut dans la mesure où l'investisseur potentiel est confronté à une série de problèmes et de difficultés qui, bien des fois dépassent de loin sa volonté d'investir. La difficulté du crédit bancaire et la peur de prendre des risques contrôlés de la part du banquier, font que bien souvent des investissements rentables à moyen ou long terme ne trouvent pas une source de financement adéquate. De même la banque centrale par rapport à sa gestion de devises et l'alimentation du marché interbancaire, ne permet pas à ces entreprises bien souvent dynamiques, à accéder au marché des changes au comptant ou à terme. Ceci ne manque pas d'influer négativement sur la viabilité de ces entreprises quant à leur possibilité d'importer des inputs de production.

Ces réformes économiques sous l'égide du FMI étaient censées trouver les conditions idoines pour réaliser un développement tendanciel - sous la responsabilité de la firme privée - et ancrer d'une manière durable l'économie algérienne à l'économie libérale mondiale.

Le désengagement de l'État de la sphère industrielle et agricole hypothèque l'avenir du pays, avec un fléchissement du rôle de l'État comme agent entrepreneurial et régulateur et comme « interventionniste » et animateur de la politique économique retenue. Sans oublier que l'État national doit s'impliquer davantage dans la question sociale pour assurer une meilleure couverture du citoyen.

L'entreprise privée doit tendre vers l'acquisition d'une position dominante sur son marché intérieur et faire face à la concurrence oligopolistique de ces concurrents internationaux, mais actuellement, ce n'est pas le cas, dans la mesure où la confrontation se fait entre des entreprises inégales sur le plan managérial, marketing et ressources humaines. Si l'État n'accompagne pas ces entreprises en leur assurant un certain « protectionnisme » économique, leurs parts de marché vont constamment diminuer et le risque commercial de faillite devient certain.

Dans ces conditions une nouvelle politique économique qui prendrait en charge l'ensemble des problèmes que connaît l'entreprise privée est nécessaire pour faire sortir le pays de sa crise multiforme. La thérapie appliquée par le FMI à l'Algérie et ses principes d'orthodoxie financière n'ont fait qu'accentuer la crise sociale dans ses différentes strates et groupes sociaux et renforcer la paupérisation de pans entiers de la société et l'exclusion sociale renforce à son tour la crise ouverte que vit le pays.

Le fonctionnement de l'entreprise fait de discontinuité interne et externe alourdi la gestion stratégique de la firme, les inputs le plus souvent importés de l'extérieur (matière première spécialisée) font défaut ou sont cédés à des prix excessivement élevés à cause de la dévaluation de la monnaie nationale. La spéculation sur le marché des facteurs de production alourdi les coûts de production et le prix de revient des produits. Le nombre d'intervenants sur ces marchés faits de courtiers et d'intermédiaires pèse lourd sur la facture des sociétés.

Si l'amont de la production connaît des problèmes, l'aval n'échappe pas lui-même à des incohérences et des contradictions, alourdissant le circuit de circulation du produit et allongeant la liste des intervenants sur la filière commerciale, bien souvent clandestins et appartenant à l'économie informelle donc sans existence juridique légale (Registre de commerce, facture, impôt).

L'État du marché national fait que toute politique de diversification des entreprises devient aléatoire, et une remontée de filières difficile. Le marché national se caractérisant par une faiblesse chronique d'« offre de technologies », la balance des brevets et licences étrangères revient très cher au pays et grève l'équilibre de la balance des paiements. Cette ouverture sur l'économie internationale non maîtrisée politiquement par les autorités politiques du pays et renforcée par les accords avec l'organisation mondiale du commerce (OMC) ne fait que compliquer le problème.

L'entreprise comme lieu de création de richesse sociale (valeur ajoutée) se trouve confrontée à quatre types de problèmes :

1- Des contraintes internes pour réaliser la production, maîtrise opérationnelle de tous les facteurs de production et leurs contributions effectives et contrôlée à la réalisation de cet objectif stratégique. Les données sociologiques montrent que le rapport salarial effectif est difficile à mettre en œuvre dans le pays.

2- Difficulté de réunir une équipe dirigeante motivée et compétente qui vise à travers une adhésion totale et inconditionnelle à la réalisation de la politique stratégique de l'entreprise

3- L'environnement légal de l'entreprise est fait de décisions bureaucratiques, qui ne favorisent pas l'éclosion, de l'esprit d'entreprise, propre au chef de société portant un projet de mobilisation de ressources rares (finances) et leurs tendances naturelles à les injecter dans le circuit économique général.

4- Le marché mondial qui assure d'une part la soumission-dépendance de l'économie nationale sur le plan macro-économique (finances, technologies) et sur le plan de la libre circulation des marchandises, le contrôle drastique des flux commerciaux originaires des pays en voie de développement comme c'est le cas pour l'Algérie. Organisation de ces pays développés en blocs homogènes (union monétaire et économique) et politique commune concernant la libre circulation des facteurs de production (capitale et travail).

Échec dans l'intégration régionale maghrébine (UMA) et difficultés de créer un pôle unique de concertation avec les pays euro méditerranéens.

Dans le contexte d'une économie mondialisée et hiérarchisée, marquée par la globalisation financière (marché unique des capitaux) et la multinationalisation des forums de production (filiales) , quelle est la place de l'entreprise nationale en vue de répondre aux besoins de son marché intérieur et placer ses excédents commerciaux sur les marchés extérieurs ? Quelle est son aptitude et sa capacité à affronter la concurrence mondiale des firmes oligopolistiques, organisées en cartel et disposant de coûts de production bas en raison de leur stratégie mondiale différenciée, en direction des pays développés et en voie de développement ?.

Pour rappel, il faut souligner les difficultés structurelles de l'entreprise algérienne qui doit faire face à la concurrence internationale sur son marché intérieur (libre circulation des marchandises et des capitaux). La libre entrée des marchandises étrangères sans aucune forme de protectionnisme et contrôle des changes est une menace certaine pour affronter cette concurrence déloyale par les prix (dumping économique et social).

S'agissant alors d'affronter, la concurrence mondiale sur les marchés extérieurs, il va sans dire que la vulnérabilité, les faiblesses de l'entreprise algérienne, sont manifestes. Si on analyse la structure du commerce extérieur et essentiellement les exportations, on se rend compte, combien l'entreprise algérienne marque son absence structurelle, par rapport à ces marchés extérieurs. Les exportations hors hydrocarbures de l'Algérie sont réduites à la portion congrue, ils sont estimés par les services de la douane à environ 1,5 milliards de dollars annuellement. Il en résulte une profonde nécessité de modifier la structure interne de ces entreprises pour pouvoir, grâce à une politique de croissance interne, la croissance externe est un chaînon manquant, à cause de l'inexistence du marché financier : la bourse des valeurs » dans ces conditions l'État doit prendre ses responsabilités historiques, en définissant une politique économique rigoureuse et courageuse qui prendrait en charge l'ensemble des problèmes, qui se posent à l'entreprise publique ou privée, pour leur assurer la condition de leur viabilité et de leur pérennité et d'avoir une existence internationale, pour pouvoir participer à la rentrée de devises étrangères, à côté du secteur des hydrocarbures.

Dans ces conditions, quelles sont les propositions que nous pouvons formuler, pour essayer d'améliorer la situation générale de l'entreprise algérienne. l' Histoire de l'accumulation du capital et de la genèse de l'entreprise, comme condensé de rapport sociaux, en Algérie montre un développement non linéaire, de cette institution (capitalisme familial et ses problèmes) il faut donc avoir affaire à de vrais capitaines d'industrie, capables de prendre le risque économique en acceptant de faire les investissements en milieu incertain.

PROPOSITIONS POUR AMELIORER LA SITUATION DE L'ENTREPRISE

Méthodologiquement, il faut que la réflexion, porte sur les éléments jugés opératoires et significatifs, de la démarche de restructuration de l'entreprise sans trop s'appesantir sur des éléments de second ordre. La présentation de ces éléments n'est pas exhaustive. Il nous a semblé utile de polariser notre réflexion sur les éléments suivants sans la définition d'un ordre préétabli.

Sans trop s'appesantir sur les notions de base du management d'entreprise, qui est l'ensemble des techniques d'organisation des ressources mises à la disposition de l'entreprise, et mis en œuvre pour réaliser un but et un objectif précis, tout en menant une équipe d'hommes pour atteindre un niveau de performance précis.

Il faut donc, qu'il y ait l'organisation stratégique[7] de l'entreprise, sur le plan du management, du marketing et de la gestion des ressources humaines. Dépasser les carences de l'entreprise algérienne qu'elle soit publique ou privée, revient à suivre à la lettre ces principes. Il faut donc engager des actions sur ces différents éléments.

Sans oublier bien sûr que l'entreprise, est une réalité entière et unique, en perpétuel mouvement de métamorphose, sous l'action de ses contraintes. Gérer une entreprise c'est créer les conditions idoines à sa survie en milieu fortement concurrentiel.

LES MOYENS FINANCIERS : la détermination d'un projet industriel, repose avant tout sur l'exploitation des ressources monétaires, que l'investisseur peut obtenir au moindre coût économique. L'investissement par moyens financiers personnels (auto financement) ou par crédit externe (capital bancaire ou financier). La stratégie d'emprunt ou de placement repose sur des techniques et du calcul économique. C'est un calcul prévisionnel qui porte sur l'évaluation du risque. Il s'agit donc d'obtenir des ressources monétaires sans tomber dans le risque de crédit, ou d'être insolvable, et ne pas honorer ses engagements financiers.

LA COMPTABILITE : la maîtrise de cet outil de gestion, est importante car elle permet de suivre le mouvement de son entreprise et ses différentes phases d'activité : connaître les comptes de bilan et de résultats, permet de savoir si l'entreprise dégage des excédents financiers, donc si elle est performante ou non. La comptabilité générale permet d'introduire des correctifs nécessaires et en temps voulu. Comme il est important de maîtriser la comptabilité analytique pour déterminer la structure de ces coûts de production et donc de ses prix. Le milieu concurrentiel dans lequel vit l'entreprise lui permet de se mesurer à ses concurrents. Comme il est important de savoir lire les informations macro- économique présentées par la comptabilité nationale. Les comptes de la nation présentés par les documents comptables (comptes, tableaux, agrégat normalisés) sont importants pour le gestionnaire d'une entreprise, car ils permettent d'avoir une information lisible et chiffrée sur l'état de l'économie nationale, et sur la structure de son commerce extérieur.

Document de synthèse, la comptabilité classe les informations dans un cadre synthétique, la comptabilité est un précieux outil de gestion et de contrôle de gestion.

LA FISCALITE : c'est un recueil de textes juridiques qui réglemente l'activité économique dans sa relation avec la perception de l'impôt. Cette soumission réglementaire de l'entreprise à la fiscalité lui permet de s'acquitter de toutes les charges fiscales qui organisent le mode de ponction sur son activité, et ses revenus au profit de l'État souverain. Ces transferts ne sont en réalité que les ressources de l'État. Il s'agit pour l'entreprise de bien connaître globalement et dans le détail, l'ensemble de ces impôts pour assainir sa situation financière. Ces lois, règlements et pratiques fiscales sont un élément de la politique économique de l'État. L'économie budgétaire doit être parfaitement connue et maîtrisée par l'entreprise.

L'AUDIT : c'est une activité indépendante qui vise à donner une vision objective sur la réalité de l'entreprise. Cet Audit externe est un moyen efficace pour juger des forces et des faiblesses de l'entreprise et de la conformité de ces moyens utilisés avec la stratégie définie et retenue, comme finalité essentielle de la raison d'être de l'entreprise. La conformité des moyens et des objectifs est un puissant facteur de création de la valeur ajoutée.

LE MARKETING : il s'agit pour l'entreprise de l'ensemble des activités d'études, de promotion et de communication, de distribution et de vente de produits et de services.

La raison d'être d'une entreprise c'est son articulation avec ses marchés, d'amont et d'aval. Ceci lui permet de passer de la phase de la création de la valeur, à la réalisation de cette valeur. Les études de marketing lui permettent d'adapter son offre à la demande de sa clientèle. Ce qui lui permet de ne pas connaître le phénomène de la surproduction et de crise.

LA POLITIQUE COMMERCIALE : elle permet à l'entreprise de définir[8] une politique commerciale c'est-à-dire d'achat (en amont) et de vente (en aval). C'est-à-dire définir une politique en direction de ses fournisseurs et de ses clients. La politique commerciale repose sur de bonnes relations subjectives pour arriver à garder et à approfondir sa clientèle, nécessaire à son dynamisme économique.

PUBLICITE ET COMMUNICATION : ceci permet à l'entreprise d'envoyer des messages à sa clientèle (pyramide de Maslow) pour la fidéliser et donner la préférence à sa marque ou son image. L'approfondissement de ses marchés de consommation est le garant de la réalisation de ses profits industriels, cela lui permet d'augmenter ses parts de marché vis-à-vis de ses concurrents.

RESSOURCES HUMAINES : mobiliser, gérer et développer l'encadrement de son entreprise, de l'ouvrier au cadre supérieur, « travail intellectuel et travail manuel », travail de conception, de commandement et d'application ou d'exécution. Toute l'équipe des collaborateurs est mobilisée pour une plus grande efficacité et efficience de l'entreprise.

STRATEGIE ET ORGANISATION : Au sens de l'économie industrielle, il y a beaucoup d'éléments qui interviennent dans le pilotage de l'entreprise, mais nous avons choisi les plus pertinents à notre sens. Mais il ne faut pas omettre de signaler que toute entreprise, quelle que soit la branche ou le secteur dans lequel elle inscrit son activité, a néanmoins besoin de définir deux éléments essentiels que sont la stratégie et l'organisation.

Pour une entreprise qu'elle soit industrielle, agricole ou de services, doit au préalable définir sa stratégie, c'est-à-dire définir les buts et les objectifs assignés à cette organisation à long terme, et d'affecter les ressources ou les moyens d'action pour inscrire ces objectifs dans la réalité. Il faut donc faciliter la libre circulation de l'information entre les différents échelons de la responsabilité et la base, pour répondre à des besoins précis, pour concrétiser les objectifs retenus par la planification de l'entreprise.

Ces quelques éléments de gestion proposés ne prétendent pas être une panacée pour les différents problèmes que connaît l'entreprise algérienne, néanmoins une action qui donnerait une importance, à ces éléments pourrait infléchir la tendance à la sous gestion des entreprises, et leur manque de performance et de rentabilité. Il faut donc un plan audacieux de soutien qui mobiliserait tous les intervenants de la chaîne économique pour relancer ces entreprises sur le sentier de la croissance.

CONCLUSION

L'entreprise comme réalité économique et surtout sociale traverse une conjoncture des plus déprimantes tout au long de son histoire .Cette conjoncture est la combinaison

de plusieurs facteurs tant nationaux qu'étrangers. Pour pouvoir redresser cette conjoncture qui limite l'action de l'entreprise, il faut que l'Etat en tant qu'agent économique régulateur définisse un plan de redressement en arrivant à circonscrire l'état réel de l'entreprise qu'elle soit publique ou privée.

Comme il est certain que l'entreprise, doit réunir les conditions, pour la relance de son activité, en identifiant ses vrais problèmes et en intervenant dessus en appliquant les instrument et outils de gestion modernes et ce, afin d'assurer les conditions de sa viabilité économique et de pérennité dans le temps.

Bibliographie

1-Revue tiers-monde n°80 université Paris.

2-Revue planification et développement n°69 - Paris.

3- Abdelhamid Faredeheb la politique d'investissement dans le secteur d'Etat .OPU

4-Abdelmadjid Djenane. Dépendance alimentaire en Algérie. Sétif.

5-Omar Bessaoud, enseignant-chercheur CIHEAM Montpellier .Paysans algériens.

6-A. Bouyacoub. L'économie algérienne et le PAS. Alger.

7-Revue CREAD n°61 .Alger.

8-Nouveau Code des Investissements .OPU Alger.

التراث بين العقلانية المجردة والفكرانية المسيسة عند طه عبد الرحمان
- حدود الاستعمال ومحاذير النتائج-

ملخص

تعدّ منهجية الدراسة والتقويم للتراث العربي الإسلامي على المستوى الإستيمولوجي والمنهجي من المطارحات النقدية التي تروم إستبار فاعليته، فمحمد عابد الجابري بمنهجيته في التقويم التفاضلي قسم التراث إلى قطاعات وحقول متباينة بينما سمية المفكر طه عبد الرحمان يرى أن التراث قمينة به منهجية التقويم التكاملي لاعتقاده أن قطاعات التراث متداخلة منهجيا و معرفيا وهذا ما يدحض به كل قراءة انتقائية.

د . محمد بومعيزة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة قسنطينة 2
الجزائر

Résumé

L'étude présentée dans cet article tente de faire le point sur l'évaluation de l'héritage arabo-musulman, considéré au niveau épistémologique et méthodologique. Deux méthodes d'évaluation sont, ici, examinées : la méthode d'évaluation différentielle, représentée par le penseur Taha Abd Erahmane et celle, dite multifactorielle, défendue par son concitoyen Taha Abd Erahmane. Tandis que la première consiste à diviser cet héritage en champs distincts, la seconde le conçoit comme un ensemble de secteurs imbriqués.

مقدمة

إن إيثار النظر في مضامين التراث وهجران النظر في آلياته الأصيلة المنتجة له إيثار اختيار أو إيثار قصور يلزم عنه بالحصر المنطقي الاضطرار ضرورة إلى مناهج وآليات أخرى يتوسل بها للنظر في المضامين ولا بد في هذه الحالة من أحد الاحتمالات: إما أن تتشارك الآليات المتوسل بها في التقويم مع الآليات الأصيلة البانية لمضامين التراث، بمعنى أن تكون من جنسها أو قريبا منها، وإما أنها غير ذلك، فيكون لازماً أن لا مناص من الإستوسال بآليات أخرى خارجة عن سياقات الثقافة العربية الإسلامية، وبالتالي يكون الاستمداد بين هذه الوسائل هو استمداد من غير ما هو جنس التراث تاريخاً ومنهجاً وواقعاً، ونتيجة لهذين الاحتمالين يرى طه عبد الرحمن جازماً أن الاحتمال الأول هو أبلغ في التعذر أخذاً، لأن الآليات لنص التراث لازالت غير معروفة، إذ ظلت لوقتنا هذا خارجة عن مجال اهتمام واشتغال الباحثين في التراث، فانتفى بذلك

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر2012

حصول القدرة على التوسل بها فلم يبق إلا الاحتمال الثاني وحاصله أن الناظرين بمقتضاه في التراث توسلوا في النظر للمضامين التراثية بوسائل تغاير آليات إنتاج النصوص نفسها ومن ثم فإن عدم مراعاة التناسب في النظر بين الآليات الأصيلة وهي المسماة عنده بالآليات التحتية وبين المضامين في تقويم النص التراثي هو علة صريحة ظاهرة غير مضمرة في الإخلال بالمستويات المضمونية البعيدة والقريبة، الخاصة بهذه النصوص، وكخطوة منهجية في استتمام النقد أحال على جهة الوجوب، ضرورة التعرف على الوسائل المنقولة في الدراسة والتقويم (وتبين وجوه استعمالها في مجال تطبيقها الجديد) ثم تتبع ورصد ما يترتب من نتائج وآثار على مستوى المضامين التراثية جراء هذا الاستعمال، ولما سمّى الآليات المجانسة الأولى بالآليات الأصلية، سمى الآليات المغايرة عن طريق التناظر الإصطلاحي بالآليات المنقولة أو (الآليات الاستهلاكية، أو الآليات الفرعية أو الآليات الفوقية) وهي ترتد عنده حصراً إلى صنفين أساسين:

صنف الآليات العقلانية وصنف الآليات الإيديولوجية،وباصطلاحه الخاص صنف الآليات الفكرانية، فماهي حدود استعمال هذه الآليات و محاذير نتائجها؟

أولا:- حدود استعمال الآليات العقلانية المجردة: لما كان تأسيس النظر على العمل منهجاً اقتضاه الإمكان العقلي المحض كغيره من الإمكانات العقلية المتكثرة، لزم حتماً استواء غيره من المكنات العقلية معه في صفة الإمكان فتكون العقلانية المجردة عن العمل مستوية مع غيرها في الإمكان فما يفوق أحد المنهاجين الآخر في وجوب الإتساء به في دراسة وتقويم التراث إلا بعد الاستدلال لأفضلية الاستعمال في الاشتغال استدلالا يدفع عنه غوائل تقسيم التراث، واعتباراً بحسب التباعد أو التقارب مع العقلانية المجردة على قياس من ذهب هذا المذهب في السبر والمعايرة، فمثلاً المتمسكون بالآليات الاستهلاكية العقلانية كما اصطلح عليها طه عبد الرحمن قدّروا أن هذا المنهج الذي توسلوا به هو أوفى المناهج قاطبة من حيث القدرة على تحصيل الاستفادة العلمية من التراث، وإن كان هذا المنهج قد تأدّى بهم إلى الاتفاق على مبدأي التشريح والانتقاد إلا أنهم تزايلوا في استهداف القطائع والشرائح التي تعدّ بمقتضى هذا المنهج مثالاً فاتقاً أو نموذجاً فائقاً متألقاً للعقلانية "فمنهم من يقول بالنصوص الفلسفية، ومنهم من يرى أنها النصوص النقدية، ومنهم من يعتقد أنها النصوص اللغوية، ومنهم من يذهب إلى أنها هي النصوص الكلامية ومنهم أخيراً من يجمع بين أجزاء هذه النصوص" (1) فإن عنَّ لهم فيها ما يرونه أعلق بالعقلانية المتوسل بها أكبروه وأعظموه وصار ذلك أدعى عامل محضض لهم على تحقيقه وتيسير الانتفاع به واعتبر سبقاً حداثياً في التراث وإن كان على خلاف ظنة ما اعتقدوه اعتبر غير ذي نفع في الاستعانة على المقصود الأول "وإن دعت الضرورة إلى تحقيقه قصد المقارنة والمقابلة فليجتزأ منه بعينات تؤخذ منها العبرة ويحصل بها الاتعاظ." (2)

إن الإجراءات المقتطعة بمقتضى العقلانية المجردة ليست عند طه عبد الرحمن من المنهجية العلمية بسبيل في المفاضلة والتجزيء منها ويمكن أن يتوجه الاعتراض عليها من ثلاث جهات:

- الجهة الأولى/ وهي اعتراض إجرائي وسيلي يتمثل في انعدام البرهان في تحصيل الكفاية من حيث الدربة والمكنة في التوسل بالآليات العقلانية، "من مفاهيم ونظريات ومناهج، ناهيك عن الإحاطة بتمام تقنياتها وبكمال وجوه إجرائيتها." (3)

- الجهة الثانية/ انعدام التمهيد والتقدمة الأولية في تنزيل الآليات العقلانية على التراث بنقدٍ كافٍ وشاملٍ لها حتى يتبين مدى الكفاية للتحليل والاستنتاج فيها.

- الجهة الثالثة/ الإنحجاز عن انتقاد العقلانية ونخلها، من جهة كونها منهاجاً تضاهيه مناهج أخرى لا تقل خصوبة وثراوة خصوصاً الأول "نحو مراجعة اعتباره اختياراً أفضلياً أمثلاً عند من وضعوا أصوله ورتبوا مسائله." (4)

1- نتائج استعمال الآليات العقلانية المجردة: ليس أبلغ صلف الإستصنام المنهجي الجمود على نهج واحدٍ من النظر ثم الركون إلى ما أسلمنا إليه مع الإيقان أو الغفلة بتطرق الوهن إليه أو إلى بعض أصوله وقواعده، ثم زوي النظر بعد ذلك عن مقتضيات المرونة المنهجية إذا لم يف الوضع الأول للمنهج بتحصيل المطلوبات العلمية المراد تحصيلها، ومثل هذا يسحب على استعمال الآليات العقلانية المجردة، فعلى الرغم مما عرى العقلانية من نقد في أصل وضعها عند واضعيها من فلاسفة الغرب وعلمائه أفضى إلى تحيف في سلطانها المنهجي والمعرفي غلا أن هذه الفئة، حسب طه عبد الرحمن لا تنِ تتوسل بالعقلانية المنقولة منطلقاً في نقد التراث ومنهجاً وكان الأولى بها عند الانتهاض بعملية نقدية محكمة قبل التولج في التحليل تولجاً جامداً في إمازة "بعض قطاعات التراث والمفاضلة بينها بدعوى أن بعضه أوفى بأغراض الاختيار العقلاني" (5) والذي يلحظ متكرراً هو أن طه دائما يلجأ في التطارح الفلسفي الجدلي في مجال المناهج المطبقة على الدراسات التراثية، ومحاكمته من يخالفهم إلى نسق التراث نفسه وهو نسق النظر العلمي، أو العقلانية العلمية إذ يرى أنه كان الأحرى بهذه الفئة إذ تجردت للاشتغال بتقويم التراث بهذه العقلانية أن تستبين صفاتها السلبية استبانة جلّى، تربأ بها عن النقائص والثلمات التي يجدر بها تلافيها، والتي فات التنبيه إلى بعضها سابقاً، ومن هذه الصفات السلبية التي يحيل التحليل المتعادل إليها، الإفراط الفاحش في التجريد ونقص التوجيه أو التسديد العملي ما يجعلها محوجة إلى الاستزادة "من التغيير والتطويع والتنقيح حتى تصير أقدر على الظفر بحقيقة المعرفة التراثية" (6) لأن النقد الجامد لآليات العقلانية المجردة والإصرار عليها يحول حؤولاً كاملاً دون تحقيق العلم بالتراث وطرق النظر فيه وليس ذلك فحسب بل تصدف هذه الآليات عن معرفة أوجه التخالفات البينة بين وسائله المأصولة التي نظر بها أهلوه لأنهم منتجوه، وبين الآليات المنقولة المدخول بها عليه وللاستدلال على التلازم البيّنِ بين النظر والعمل كمنهاج انتحاه العقل العربي الإسلامي في تاريخ التراث يلجأ طه عبد الرحمن إلى الإحالة على

الخصائص والسمات التي ميزت العقلانية العملية في الممارسة التراثية وهذه الخصائص هي:

- أنها ليست اتجاهاً نظرياً خالصاً شأن العقلانية المنقولة.

- أنها عقلانية لها تعلق راسخ وثيق بالحقيقة العملية من حيث اتصالها بالقيم السلوكية مبدأً واكتساباً بالتعاون مع الغير في إظهار الصواب وتحقيق الاشتراك في النظر منهجاً ومن ثم فإن تنزيل مقولات العقل النظري المجرد المنقولة على العقل العملي الذي اتسمت به الممارسة التراثية من غير ما رعي للأصول العملية التي تتفاوت فيها هاتان العقلانيتان مصدراً ومنهاجاً، فإنه سيكون التنزيل مؤدياً إلى أمرين "إما إلى استبعاد أجزاء التراث بحجة ضآلة درجتها من العقلانية أو انعدامها منها، وإما إلى حمل أجزاء منه على وجوه من التأويل تفضلها عن بقية الأجزاء الأخرى ولا يخفى ما في هذا التعسف، بل من التجني على نصوص هي متقومة أصلاً بالنظر المسدد بالعمل، ولا تسديد أقوى من التسديد بواسطة العمل الشرعي الذي قامت عليه نصوص التراث في مجموعها" (7) ولا شك فإن استنهاج نهج العقلانية المجردة لانتزاع العقلانية من التراث العربي الإسلامي، مفضاه حتماً إلى بتر صلتنا بأكثره إما بالانتقاء وإما بالإسقاط وكلاهما بتر لا موجب له.

ثانيا- حدود استعمال الآليات الفكرانية المسيسة في نقد التراث:

الآليات الفكرانية المسيسة مصطلح نقد اجترحه طه عبد الرحمن للدلالة على النهج الذي نهجته بعض الدراسات النقدية في الاشتغال بتقويم التراث والآليات الفكرانية المسيسة نقداً وتقويماً هي عنده ولا جرم آليات استهلاكية تشترك في هذا الوصف مثلها مثل آليات العقلانية المجردة فما هي الفكرانية المسيسة؟ وما هي نتائجها؟.

آليات الفكرانية المسيسة مصطلح يستعمله يتناظر مع مصطلح الإيديولوجيا في غالب الاستعمالات النقدية المعاصرة في العلم والسياسة والسياسة والفلسفة والاقتصاد والنقد، وقد أخضعت الترجمة العربية الحديثة والمعاصرة هذا المصطلح كما هو شائع إلى ما يقتضيه الاستعمال العربي ولم تسلم حتى هذه الترجمة الاستعمالية من انتقادات طه عبد الرحمن وليس هذا النقد منه استهتاراً أو تولعاً بالنقد لأجل النقد وإنما نقد الرجل في الحقيقة هو مشروع فكر ونظر مستقل ومبدع في التأسيس للفكرة والنظر معا، كما هو مشتغل بالإبداع والنظر في التأسيس للمصطلح النقدي حيث تحرفت الترجمة إلى معنى الفعل دَلَجَ أدلجةً و أدلوجة، غير أن تعريب هذا اللفظ على هذه الشاكلة لا يلبث أن ينقل إليه المعنى اللغوي الذي يقترن بمادة الفعل - د – ل – ج – والذي يفيد معنى السير في الليل "مما يجعل المفهوم معرضاً لأن يحمل معنىً قدحياً لا يليق ببعض المنازع الأديولوجية النافعة، لذلك آثرنا اشتقاق المصدر الصناعي الفكرانية بالقياس إلى صيغة العقلانية" (8) ويرى طه عبد الرحمن أن الأخذ بمصطلح الفكرانية أوفى بالعرض وأشد درءًا للمعنى القدحي المحتمل، أما الدلالة الكلية لمصطلح الفكرانية المسيسة على أخصر معنى، فإنها اعتماد التسييس في الاشتغال التقويمي للتراث وإيلائه

الاعتبار والمقصود بالتسييس هنا إفراد الجانب السياسي بالقدرة على الوفاء بشروط النهضة الثقافية والحضارية فليس يبعد أن ينحصر بحسب هذا المنزع الأيديولوجي أن يتفدد بالقيمة من بين نصوص التراث، كل ما كان نصاً مترعاً بالدلالة طافحاً بالإشارة الصريحة أو المضمرة إلى التدافعات الجدلية سياسيا واجتماعياً كيما تتخلص فئة أو قبيل من الفئات السياسية والاجتماعية التي كثيراً ما تتحالف لأجل غلغلة نفوذها في مراكز بؤر القوة المالية والسياسية ولا يخفى عن النظر إطلاقاً ما يفضي إليه هذا التصاول الجدلي من تأريث لنار الحراك الاجتماعي والسياسي بين الواغل المستفيد وبين المعدم الحنق والدفع نحو التغيير واستحداث قيم مادية أو معنوية يستظهر بها على التلفت من القديم والتطلع استشرافاً للحديث والجديد المأمول، وبالتالي يفعم تقويم النص أساساً بالهموم النضالية الصريحة والانشغالات السياسية الظاهرة مثل التحرر والتقدم والتطور بل والثورة وغيرها، ولعل هذا النحو من النظر في التراث يكون أعود بالفائدة في استئصال الواقع الكالح الذي يغل العالم العربي والإسلامي ويطوق فيه جميع الصعد، ونتيجة لهذه النزعة التسيسية في الاشتغال بالتراث تتالى بمقتضاها ضرورة منطقية، هي تخصيص البحث وجعله لصيقاً بما كان أوفى بتحقيق قصدها وغرضها في دراسة وتحليل النصوص التراثية، ثم جعل تلك النصوص تتبوأ المكانة الأمامية والحظوة في مدارج الاشتغال السياسي "وما كان مجانباً أو مخاصماً لهذه القيم النضالية، أولى به أن يقبر وتنسب إليه أسباب التدهور الذي أصاب الوجود الإسلامي العربي." (9)

إن الأخذ بمبدأ التسييس من خلال الآليات الفكرانية المسيسة لم يصفق الآخذون به على شاكلة واحدة أو ضرب خاص "فهناك الشكل الثوري والشكل الإصلاحي والشكل التسييسي وغيرها" (10) وكل ضرب من هذه الفئة له قراءة في نصوص التراث على طريقة وشاكلة، سواءً كانت قراءة سلفية محضة تجمد على النص وتطرح ما سوى معتمدها من النصوص، أو قومية تزهو بالمقومات الركينة الموغلة في امتدادات التاريخ، كعراقة الجنس وبراعة اللغة وترفض أن تكون سائر نصوص التراث مع ما ذكر سوية به، وإن كانت اشتراكية تكلف روادها وتجشموا عناء التفتيش للظفر بالنصوص ذات البعد الثوري والتحرري، وإضافة إلى هذه النزعات عند طه"الفكرانية الليبرالية، أ خذ مؤيدوها بالنصوص التي تدعو إلى الفكر العلمي وإلى النظام الديموقراطي" (11)

1- نتائج آليات الفكرانية المسيسة: تكون النتائج في المنطق الطبيعي كما تقتضيه بداهة العقل تبعا للمقدمات التي وقع منها استلالها في أي عملية استدلالية، وعليه فإن الاعتراضات التي اعترض بها طه عبد الرحمن على الآليات الفكرانية المسيسة تتوجه عليها من خلال نتائجها وتنقسم الاعتراضات إلى نوعين:

أ/الاعتراض الأول: وهو اعتراض نظري منهاجي يتعلق بالتوجيه والتسديد المفتقر إليه، إذ الأحرى أن يسلك في الاشتغال بالنقد لأن التذرع بالآليات الاستهلاكية المسيسة (بفتح الياء) من دون امتحان كفايتها بالنظر ومعايرتها بالسبر إخلال بالمبدأ النقدي.

ب/الاعتراض الثاني: وهو اعتراض عملي إجرائي وقد تم تسميته من قبل طه (استدلال قلب أو عكس) وهو اعتراض ناتج أساساً عن إغفال الترتيب الطبيعي في عملية النقد، فبدلاً من أن يقدم هذا الاتجاه نقد الأدوات على نقد التراث، عكس الوضع عكساً لا موجب له، فقدم نقد التراث على الأدوات.

2- التأنيس بدل التسييس في التقويم التكاملي: يرى طه أن الاشتغال بتقويم التراث لو كان جرى على غير نحو التسييس "لتبين أن النص عموماً والنص التراثي خصوصاً هو أقرب إلى التأنيس منه إلى التسييس" (13) وهنا يثار سؤال آخر هو التالي، ما المقصود بالتأنيس؟

إن مفهوم التأنيس عنده هو أن يرود ويضطلع الجانب الروحي المعنوي الأخلاقي المكانة الرئيسة الأولى في عملية النهضة والانبعاث الفكري "فتكون قيمة النص المقروء من جهة التأنيس كامنة في الفوائد العملية والآثار المعنوية التي يولدها عند القارئ أكثر مما تكمن في الجوانب التسييسية والمادية، فالنص التراثي هو على الحقيقة وحدة تأنيسية وليس وحدة تسييسية كما يعتقد الفكرانيون" (14) وللاستدلال على أن النص التراثي متغلغل وغائص في التأنيس يورد طه على ذلك شاهدين الأول تاريخي له امتداد معنوي لصيق بالإنسان، والثاني هو العمل الشرعي الإسلامي نفسه من حيث انزياحه كلياً عن المفاصلة بين النص والعمل وتفصيل مفاد البرهانين هو ما يلي :

إن البرهان التاريخي يرجع إلى النص التراثي نفسه من حيث أنه استنفد أسباب وجوده بذهاب أسباب إنتاجه الظرفية المكانية والزمانية من غير أن تستنفد منزلته المعنوية ومن ثم فهو يكتسب منزلة معنوية متميزة ويكتسي روحانية خاصة تهبه وجوداً ثقافياً مستقلاً يصير به شاهداً على معانٍ تمتد آفاقها إلى الإنسان حيثما كان.

أما البرهان الثاني فهو أن العمل الشرعي الإسلامي يحمل قيماً لا يمكن أن تكون ذات أبعد إنسانية، كما أنها وحي من رب العالمين وعيه فكلما كان العلم بالأسباب الحقة التي اكتنفت نشأة النصوص التراثية وأصولها المضمونية ثابتاً على وجهه ومحيطاً كلما كان ذلك مفيتاً ودرءا لما تحاوله النزعة العقلانية المجردة والنزعة الفكرانية التسييسية من تنزيل لآليات ومناهج تنزيلاً غير آبه بالاعتبارات التي تحكمت في نشوء هذه النصوص آلة ومضموناً ومن الضروري طبيعة ومنطقاً أنه باعتزال هذه الاعتبارات في النظر التقويمي للتراث أن تتبدد الوحدة الكلية التآلفية إلى نثار وتفاريق يفضل بعضها بعضا من غير أصلٍ جامعٍ لها، وهو خلاف حقيقتها في واقعها التاريخي.

خاتمة

الاجتهاد الفلسفي في تجديد التكوين العقلي يقتضي الالتزام بالمقتضيات العملية للتراث وهذه المقتضيات تندرج ضمن مطارحة التأسيس للعقلانية العملية كنسق ممكن بعادل أو يفوق العقلانية المجردة عن العمل بترك ثلاثة انفكاكات وجمع ثلاثة تفرقات :

ترك العلم المنفك عن العمل، والعمل المنفك عن النفع في الآجل والصواب المنفك عن الاشتراك في الطلب واستجماع العلم والعمل وتحري الصواب كما درج السابقون من أهل التراث وللبرهان على حجية هذه الطريقة تسلك طه عبد الرحمن طريقة حوارية لها جذورها وأصولها في الممارسة التراثية وهي طريقة أهل المناظرة، وهي طريقة في الامتراس النظري الفلسفي تنبني على وظائف منطقية في الخطاب كان لها فشو واسع في أقسام التراث وشعبه المختلفة، وقد احتفّت بها مبادئ معينة بعضها نظري كمبدأ اشتراك عقل الناظر مع عقل ناظر آخر في طلب الظفر بالعلم، ثم العمل بالمعلوم ، والمبدأ الآخر أخلاقي محض مثل الأخذ بمبدأ تعدية النفع إلى الغير أو إلى الآجل وعليه يمكن الاستنباط من كلامه أن طريقة المناظرة في الامتراس النظري لأهل التراث لم تكن امتراساً نظرياً خالصاً، وإنما لها تغلغل ونفاذ في مقتضى العمل وقد يخالج الذهن سؤال، كيف يتحدث طه عبد الرحمن عن تجديد تكويننا العقلي ثم هو يعود بنا إلى تمثل ما تمثله السابقون من أهل التراث مع قيام فارق الزمن جلياً مشهوداً ؟

إن تمثل طه عبد الرحمن لآليات المناظرة ليس تمثلاً آلياً صرفا أو ظاهرياً، وإنما هو تمثل واعي ونقل حي والدليل الشاهد على هذا التمثل الواعي هو مراعاة النقل لمقتضيين جوهريين: /أحدهما مقتضى تجدد المعرفة العلمية. /الثاني مقتضى خصوصية الموضوع المدروس.

ومراعاة هذين المقتضيين تنتج عنها الإحالة المنطقية حتماً إلى ضرورة الاستعانة بما جدّ مستحدثاً من النظريات المنطقية والحجاجية في الألسنيات المعاصرة كما استعان الأولون من نشأوا في أكناف الثقافة التي أنتجت التراث، وعمدوا إلى التوسل بآليات منطقية ولغوية واءمت عصرهم وهي العلوم المسماة بعلوم الآلة.

إن لبّ النتيجة هو درء آفات التنزيل المتسيب ورعاية التناسب بحسب البنية الخاصة بكل قسم من أقسام التراث، دون التطوح في نقل مناهج يتقحم بها عليه، كالأيديولوجيا أو الفكرانية، أو الحكم المسبق أو العصبية السياسية، أو إرسال أحكام جافلة عن الموضوعية التي يقتضيها الواقع والتاريخ.

الهوامش

1- طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي- بيروت لبنان، الدار البيضاء المغرب ، ط 2 : ص25-26 .

2- نفس المصدر السابق:ص25.

3- نفس المصدر السابق:ص25.

4- نفس المصدر السابق:ص25.
5- نفس المصدر السابق:ص25.
6- طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص26.
7- أيديولوجيا: *Idéologie* كلمة مركبة من مقطعين كلمة*Idéo* وتعني فكرة أو تصور و *logie* وتعني علم والمعنى الكلي المركب علم التصور أو الفكرة، ويختص بالبحث في التصورات والأفكار، ثم تطور المصطلح وصار يعني في الدراسات النقدية استعمال حقائق العلم والمعرفة لتبرير فكرة ما أو نزعة أو توجه في الحياة، السياسية، الاقتصادية.
8- نفس المرجع السابق:ص26.
9- أنظر ما كتبه محمد عمارة في كتابه مسلمون ثوار وهو كتاب عالج الهم الثوري للتغيير وتحقيق النهضة العلمية والثقافية والسياسية عند جملة من قادة الإصلاح الإسلامي الذين أسهمت كتاباتهم وأفكارهم في تحصيف الوعي عند شعوب العالم العربي والإسلامي، وكذلك ينظر الأبحاث التي دعت إلى تجاوز الإرث العتيق الذي أعان على الاستبداد مثل كتب عبد الله العروي وكتب حسين سودة وكتب عبد الرزاق عيد وكتب الترابي.
10- طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث،ص ص25-26.
11- المصدر نفسه: ص26.
12- المصدر نفسه: ص26.
13- المصدر نفسه: ص27.
14- المصدر نفسه: ص27.

ألبيركامو... بين الضّفّتين وبين المواطنة والولاء

ملخص

شاءت الأقدار أن يولد البير كامو على أرض الجزائر فأصبح جزائري المولد ، فرنسي الانتماء والمواطنة. وبذلك يمكن أن يصبح حلقة وصل بين متناقضين لا يمكن الجمع بينهما.

وجد نفسه في دائرة عاطفية مشكوك في صدق أبعادها، لم تكن لديه القدرة على التحكم فيها أو السيطرة على منطلقاته الأيدلوجية فوقع في الأسر. ولكنه لم يستطع أن يستمر طويلا أمام هول الأحداث التي عرفتها الجزائر خلال ثورة التحرير الكبرى 1954- 1962. فصرح معلنا موقفا وإرادة: " أنه يؤمن بالعدالة، ولكنه يختار أمه على العدالة " وهنا ضاعت مبادئه، وغيب التزامه، بالعدالة الضائعة التي لم تكن حرب التحرير الجزائرية إلا ترجمة لروح تلك العدالة إن لم تكن أمها .

إن البير كامو هو ظاهرة ضاعت مواقفها الإنسانية، ووجدت نفسها فقط في دائرة مؤلفاته الأدبية والفلسفية. وفي حالة عبثية يصعب تحديد ملامحها بوضوح.

وكانت إرادتنا هي محاولة لقراءة مواقفه في مسيرته الإبداعية من خلال بعض مؤلفاته التي نقدم جزءا منها في هذا المقال.

د. نواف أبوساري

كلية الآداب واللغات

جامعة قسنطينة1

الجزائر

Résumé

Cet article retrace modestement le parcours d’Albert Camus, son idéologie et ses principes, en ce qu'ils contiennent comme ambivalences et ambiguïtés, telles qu'elles transparaissent dans ses principales œuvres, mais aussi dans ses prises de positions publiques de français d'Algérie, telle celle par laquelle il déclame, alors que le combat anticolonialiste fait rage : "je crois en la justice mais je choisis la mère patrie"

مقدمة

مولده ونشأته

ولد البير كامي في السّابع من شهرنوفمبر" تشرين ثاني" 1913م في مدينة "مندوفي" "Mondovi" وقد أطلق عليها هذا الاسم خلال الحقبة الاستعماريّة، أنها مدينة "الذرعان" الجزائريّة، لأب فرنسي كان يعمل في مصنع لاستخرج النّبيذ، وهو ينتمي إلى أسرة يعود أصلها إلى منطقة الألزاس المتاخمة للحدود الجغرافية الفرنسية الألمانية شرقا . نزحت إلى الجزائر في عام 1871م أيّام حكم ملك فرنسا نابليون الثّالث. (أمّا أمه ؛ فكانت من أصل اسباني، من جزر المايوركا). (1)

وعندما اندلعت الحرب العالميّة الأولى 1914 م، لم يكن قد أكمل عامه الأوّل. واشترك

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2012.

أبوه في هذه الحرب، وجرح في معركة المارن، ثمّ مات في المستشفى فيما بعد. وبذلك أصبح الطّفل يتيما. وقد عبّر عن ذلك في كتابه الّذي صدر بعنوان*الصّيف* وذلك حين قال: (نشأ كل من هم في سنّي على طبول الحرب. ولم يتوقّف تاريخنا منذ ذلك الحين عن أن يكون؛ سلسلة من القتل والظّلم والعنف). (2)

وبعد موت أبيه، انتقلت أمّه إلى مدينة الجزائر، حيث أقامت في حي بلكور الشّعبي في شقّة من غرفتين. كانت تضمّ شمل الأسرة المكوّنة من أمّه وأخيه لوسيان، وخاله المصاب بعاهة، وجدّته المتسلّطة.

كانت الأم تعمل في مصنع للبارود، ثم عملت بعد ذلك في خدمة المنازل. وهكذا عرف الغلام البؤس والفقر والحرمان. كما أصيب عام 1920م بمرض السّلّ ، وبالرّغم من أصوله الفرنسيّة فانّه لم يكن ينتمي الى الصّفوة المحظوظة من المستوطنين الفرنسيين المستمتعين بالثّراء والسّلطة في الجزائر .

بل كان غريبا عنهم بحكم الفقر والحاجة . ولذلك لم يكن من الغريب أن يثور البير كامو ويناضل من أجل الحرّية والعدالة .فهو يقول في الجزء الأوّل من كتابه * الوقائع الرّاهنة *:(انّي لم أتعلّم الحرية من كتب ماركس...الحق اني تعلمتها من الفقر). (3)

وعندما اندلعت الحرب العلميّة الثانية 1939م حال المرض بينه وبين الالتحاق بالجيش، ولكنّه غادر الجزائر الى باريس Paris وذلك قبل الغزو الألماني لفرنسا . ثمّ انتقل بعد هذا الغزو إلى مدينة كليرموفيراند Clermont – Ferrand، ثمّ الى مدينة ليون Lyon حيث استقرّ به المقام هناك حتى عام 1941 م ، ثمّ رحل إلى مدينة وهران بالجزائر. ولمّا اشتدّ عليه المرض عاد للاستشفاء من حيث أتى.

لقد حالت ظروف الحرب بيه وبين العودة إلى الجزائر الاّ بعد أن تمّ تحرير فرنسا الألمان .وبقي طوال هذه المدّة بعيدا عن أسرته .

ولم يكن المرض يريحه بصفة نهائيّة، بل كان يعاوده ويشتدّ عليه بين الحين والآخر، فيضطرّه ذلك إلى التزام الرّاحة والعلاج . وكانتا صحّته على وجه العموم سيّئة ، خاصّة في السّنتين السّابقتين لوفاته.

واذا كان الرّجل قد تخلّص من الفقر، وابتعد عن الحاجة عندما بلغ سنّ الرّشد، وابتسمت له الحياة فانّه عانى من المرض عناء شديدا. جعل حياته ذات مذاق مرّ .

وفي عام 1957م نال جائزة نوبل في الأدب . وكان أصغر من نال هذه الجائزة من بين طلائع الأمة الفرنسيّة في الأدب. وفي شهر كانون ثاني" يناير" لقي البير كامو حتفه في حادث سيّارة مأساوي على الطّريق العام عام 1960 م.

نشأته التّعليميّة :

تلقى البير كامو تعليمه الابتدائي بمدرسة الحي في مسقط رأسه ، ثمّ واصل تعليمه العام بالثّانويّة الفرنسيّة بمدينة الجزائر ، وذلك ما بين 1922 م – 1930 م .

وقد ظهرت ميوله الأدبيّة في سنّ مبكّرة. فانكبّ على قراءة كتب كبار الأدباء بنهم شديد، من أمثال: أندري جيد André Gide وليون تولستوي نيكولافيتش Leon Tolstoi وبلزاك Balzac ونيتشة Nietzsche ومالرو Marleau .

وفي عام1933 صدر كتاب (الجزائر) لأستاذهجانجرينييه .ويحتوي هذا الكتاب على سلسلة من المقالات القصيرة الّتي تتعرّض لمشاكل الحياة في عالم لا يخلو من طابع السّخرية . وكانت هذه المقالات تتّسم بلهجة الشّك الخطيرة، جعلت من جرينييه أحد أساتذة الفكر الّذين تأثّر بهم كامو تأثرا شديدا. وقد واصل البير كامو دراساته الفلسفية بكلّيّة الآداب بجامعة الجزائر، وانتهى منها عام 1933 . حصل على إجازة الدّراسات العليا برسالته الّتي قدّمها عن (العلاقات بين الهيلينيّة والمسيحيّة عند أفلوطين والقدّيس أوغسطينوس). (4)

كان البير كامو متعدّد المواهب، فقد ألّف روايات ومسرحيّات وكتب كثيرا من المقالات الأدبيّة، والسّياسيّة، والاجتماعيّة، والمسرحيّات، واعمل في التّمثيل في فرقة إذاعة الجزائرالمسرحيّة في حينه . ثمّ أسّس * مسرح العمل * ، وعمل في الميدان الصّحافي ممّا أكسبه شهرة إضافية .

نشاطه السّياسي :

عندما استولى هتلر المستشار الألماني على السّلطة في بلاده عام 1933 ، اشترك هذا الأديب في الحركة المناهضة للنازيّة. وفي عام 1934 سحر بالأهداف الاجتماعيّة والإنسانية التي نادت بها الشّيوعيّة فانضمّ إلى الحزب الشّيوعي، وما لبث أن انفصل عنه بعد ثلاثة أعوام . ولمّا احتلّت فرنسا من قبل الألمان اشترك في حركة المقاومة الفرنسيّة لتحرير بلاده من الجارة النّازيّة ألمانيا وكان ذلك ابّان الحرب العالميّة الثّانية .

وعندما ألقيت القنبلة الذّرية الأولى في تاريخ البشريّة والحروب الكونيّة على مدينة هيروشيما اليابانيّة أعلن سخطه حين قال : (إن الحضارة الآليّة قد وصلت إلى أعلى درجات الوحشيّة). (5)

وعندما اندلعت ثورة الشّعب في المستعمرة الفرنسيّة مدغشقر، أعلن احتجاجه الشّديد من مسائل القمع الرّهيبة الّتي مارسها الفرنسيّون ضدّ أبناء هذا الشّعب المسالم المطالب بحرّيته .

وفي 22 كانون ثاني " يناير"1956 وجّه نداء قي خضمّ ثورة التّحرير الجزائريّة، دعا فيه الى هدنة، ولكنّه قوبل مقابلة عدائيّة سيّئة من عدد من مواطنيه الفرنسيين ، فعاد الى بلاده وهو يقول :(انّي عائد من الجزائر يائسا الى حدّ ما، انّ ما يجري هنا يؤكّد اقتناعي بأنّه مصيبة تمسّني شخصيّا). (6)

وفي شهر شباط * فبراير* من العام نفسه تدخّل كامو لصالح عدد من الثّوار الأحرار والقوميين الجزائريين المقبوض عليهم دون جدوى. وعندما اشتعلت ثورة

المجر ضدّ هيمنة الاتّحاد السّوفياتي في نفس العام اشترك في اجتماع للاحتجاج على الطّريقة التي قمعت بها ثورة هذا الشّعب .

مؤلفاته أنشطته الأدبيّة

بدأ حياته الأدبيّة بتأليف كتاب *الظهر والوجه*. ألّفه أثناء دراسته للفلسفة بجامعة الجزائر رغم أنّه كان يمرّ آن ذاك في مرحلة عصيبة من المرض، الاّ أنّه كتب خلالها أيضا :*حفلات العرس* ، وقَصّة* الموت السّعيد* .

وفي عام 1938 كتب أولى مسرحيّاته *كاليجولا* الّذي يظهر فيها الامبرطور الرّوماني القديم ، شكلا بلا مضمون ، واسما على غير مسمّى .

لقد صدم هذا بموت أخته الّتي يحبّها صدمة قويّة، أثّرت على تفكيره، وعلى وجهة نظره في الحياة تأثيرا خطيرا.فاكتشف أنّ العالم على حالته هذه غير مرض ، فالناس يموتون وهم ليسوا سعداء . فهو يفكّر في البحث عن المطلق (7) . انّه يبحث عن المستحيل ، ويفكّر في الحصول على القمر ، وذلك حين يناجيه :

لا لست مجنونا بل لم يسبق أن تمتّعت بقواي العقليّة كما أتمتّع بها الآن كلّ ما هناك أنّني شعرت فجأة برغبة في المستحيل، فالأشياء المألوفة والممكنة لم تعد تقنعني بأيّ حال من الأحوال. انّ العالم على ما هو عليه لا يطاق .

لقد تملّكت * كاليجولا * رغبة التّمرّد المطلق ، فقرّر أن يستغلّ السّلطة الّتي يتمتّع بها بلا حدود حتّى النّهاية فاندفع يقتل ويحطّم كلّ شئ ويرفض الصّداقة والخير والتّضامن الانساني . لكنّه يدرك أخيرا أنه ضلّ السّبيل فقال : (لم أسلك السبيل الّذي يجب أن أسلكه ، انّني لا أصل الى شئ . انّ حرّيّتي ليست هي الحرّية السّليمة). (8)

إن تجربة اللاّمعقول أو العبث عند البير كامو لا تقرّر قاعدة للفعل أو السّلوك لذلك فهو مؤمن بالتّمرّد الّي يمكّنه من تخطّي المعقول ، لأنّه تمرّد ميتافيزيقي ، بمعنى أنه يناقش مصير الانسان والعالم .

وفكرة التمرّد هذه تظهر بصورة هدّامة في مسرحيّته السّابقة الذّكر. هذه المسرحيّة الّتي مثّلت على خشبة المسرح عام 1945 .

وهناك مسرحيّة * سوء تفاهم * الّتي مثّلت قبلها بعامين ، ولكن التّمرّد يبدو بعد ذلك بصورة أكثر ايجابيّة في مسرحيّته * حالة حصار * الّتي مثّلتعام 1948، وكانت مسرحيّته *العادلون* قد عرضت قبلها عام 1945.

ولمّا غادر الجزائر إلى فرنسا خلال الحرب العالميّة الثانية مضطّرا بسبب ما كان يعانيه من مضايقات جاءته من الهيئات السّياسيّة الفرنسيّة الرّسميّة بشأن مقالاته ، بدأ العمل في جريدة *باري سوار* paris soir وهناك أنهى روايته*الغريب* في شهر أيّار *مايو* 1940. وفي أيلول*سبتمبر* كتب الجزء الأوّل من * أسطورة سيزيف * (9) التي أكمل فصولها في شهر شباط * فبراير* من العام التّالي.

أنها أسطورة إغريقية تحكم فيها الآلهة على * سيزيف * بأن يحمل حجرا ثقيلا ، ويصعد فيه إلى قمّة الجبل، وقبل أن يصل إلى قمّته الحجر من بين يديه إلى سفح الجبل ، فيضطرّ إلى النزول إلى الأرض ليلتقطه من جديد، ويصعد به إلى قمّة الجبل مرّة أخرى. وتتكرّر المأساة ثانية فيسقط منه الحجر مرّة أخرى. وهكذا يظلّ *سيزيف* صاعدا وهابطا إلى ما لا نهاية دون أن يتمكّن من أن يصل إلى قمّة الجبل .

وقد كانت هذه الرّواية أوّل اعلان من الأديب عن عبثيّة الحياة الّتي يتعب فيها الإنسان، ويكدّ ويكافح ويجاهد ،لتحقيق هدفه ، ولكن دون جدوى .

وفي عام 1941 أعدّ قصّة *الطّاعون* متأثّرا بقصّة *موبي ديك* للكاتب الأمريكي** هيرمان ملفيل** .وقد ذكر الكاتب أنّ هذه القصّة من أكثر الأساطير إثارة فيما يتعلّق بكفاح الإنسان ضدّ الشّر .

وفي عام 1944 قابل الفيلسوف الوجودي **جان بول سارتر** الاّ أنّه تبرّأ من الانتماء إلى المذهب الوجودي كما ذكر :(لا ... لست وجوديّا انّنا ندهش أنا وسارتر اذ نرى اسمينا متلازمين ، انّنا نشرنا كتبنا جميعها ، قبل أن نتعارف ، وعندما تعارفنا ، كان ذلك لكي نتبين ما بيننا من اختلافات. إن سارتر وجودي. وكتابي الوحيد الذي نشر وفيه أفكاري هو كتاب * أسطورة سيزيف* كان موجها ضد الفلاسفة الذين ينعتون بالوجودية). (10)

وسوف نرى تدريجيا عبر أسئلة نوجهها إلى الغائب الحاضر من خلال ما طرحه من أفكار، ومواقف حسبت له أوعليه.

- هل استطاع البير كامو أن تكون مواقفه ، منسجمة مع أحلامه وأيدلوجيته ؟ .
- هل قدم هذا الأديب الفرنسي الأصل الجزائري المولد لمسقط رأسه ما أمله منه طلاب الحرية ؟
- ما هي أسباب تنصله من مناصرة الثورة الجزائرية. وما هي أسباب التزامه بأهداف أمه فرنسا ؟
- ما هي أسباب سكوته عما تفعله هذه الأم من سفك للدماء ؟
- لماذا تنكر البير كامو للتطلعات الإنسانية المحيطة به ؟في مؤلفاته ونادى محتجا غاضبا على ممارسات وحشية في أكثر من موقع ؟ ومامعنى التمرد إن لم يكن ضد الظالم الذي يعاني منه المظلوم من القهر والعدوانية ؟ الظالم الذي طغى وبغى على أمة نادت تطالب بالحرية بشجاعة وشرف تلك التي دافع عنها وأدانها جهارا نهارا ؟ وتحدى بواسطتها قدرات الإنسان وحقه في التعبير الحر ومقاومة الظالم على ظلمه ؟ولكن في مواقع أخرى .
- أم أن الكيل بمكيالين أمر مشروع حين يتعلق الأمر بالانتماء العرقي وهضم حقوق الآخرين؟

واستمر في نشاطاته فزار البير كاموعام 1946 الولايات المتحدة الأمريكية. وهناك احتفى به الشباب الأمريكي احتفاء يليق به، وخاصة طلاب الجامعات. واستطاع في هذا العام الانتهاء من كتابة_الإنسانالمتمرد– الذي أثار جدلا واسعا بين الأوساط السياسية والثقافية في حينه .

وخلال هذه الفترة الزمنية قطع علاقته نهائيا مع-جان بول سارتر–وكان ذلك عام 1952 .واستمر متأزما في حياته الصحية حتى عام 1954. دون أن يقوم بأي نشاط أدبي أو سياسي ما عدا توسطه الإفراج عن سبعة مواطنين تونسيين حكم عليهم أبناء جلدته من المستعمرين الفرنسيين بالإعدام.

ولكن دور النشر نشرت له بعض أعماله القديمة تحت عنوان –الصيف – وفي عام 1956 نشر هذا الأديب رواية – السقطة– وبعدها بعام صدرت له مجموعة بعنوان – المنفى والمملكة – (11)

مؤلفات وأعمال البير كامو وفق تاريخ ظهورها , ومكان طباعتها :

- مسرحية ثورة في جبال الاستوريا، تمرد الاستوري، شارلو، الجزائر، 1936

- على الوجه و بالمقلوب– أو وجها الحياة (الوجه والقفا) 1938 (12) نقل خلاله صراعه مع المرض والفقر ، كما صور فيه الأفكار التي كانت تجول بخاطره آنذاك.

- لموت السعيد .. كتبها عام 1938 ، ولكنها لم تنشر الا بعد وفاته .1971 .

- أعراس ، شارلو – الجزائر ، 1938

- الغريب – غاليمار – 1942 (13) الذي صور فيه غربته عن العالم و الأشياء التي تحيط به مما أفقده طعم الحياة ، حين انتهى به الامر في السجن ، جراء جريمة لم يرتكبها . لكنه للأسف لم يبال ، وتقبل الحكم بأعصاب باردة .

- أسطورة سيزيف – غاليمار – 1942 .

- مسرحية - سوء تفاهم – غاليمار 1944

- كاليجولا – غاليمار – 1944 .

- مقدمة كتاب –حكم ونوادر – لشانتور – بوان دي جور 19440

- رسائل الى صديقي المالي –غاليمار -1945 .

- الطاعون – غاليمار – 1947

- الحصار – غاليمار -1948 .

- محليات ' الجزء الأول : ومقالات 1944- 1948– غاليمار 1950
- العادلون - غاليمار 1950
- الإنسان المتمرد – غاليمار 1951 .
- محليات الجزء الثاني – ومقالات من 1948 – 1953 غاليمار 1953 .
- التبتل للصليب ، عن كالديرون – غاليمار 1953 .
- الأرواح ، عن بيار دي بواديفير 1953
- المرة الزانية - طبعة الإمبراطورية – الجزائر 1954 .
- الصيف – غاليمار 1953 .
- الفن – دويتول1955
- حالة طارئة عن دينو بوزايتي 1955 .
- مقدمة لمؤلفات – مارتان دي غار الكاملة –لابلياد – غاليمار 1956 .
- السقطة ، غاليمار - 1956 .
- صلاة إلى بتول ، أو جنازة لراهبة ، عن فوكنر، غاليمار ، 1956 .
- جائزة نوبل للآداب - خطاب المدينة أو خطاب ستوكهولم، أو خطاب من السويد 1957 .
- فارس أو لميدو ، عن لوب دي فيغ ، غاليمار 1957 .
- المنفى والملكوت – غاليمار، 1957 .وهي مجموعة تضم بين دفتيها عدة قصص منها : المرأة الزانية والضيف وغيرها .
- محليات الجزء الثالث من 1939 – 1953 – غاليمار ، 1958 .
- المسوسون ، عن ديستوفسكي ، غاليمار 1959 .
- موت كامو :البير كامو.......الموت السعيد ....ولم تنشر إلا بعد وفاته كما ذكرنا 1960.

قراءة مختارة ورأي وتعليق مختصر في بعض مؤلفات البير كامو... :

الإنسـان المتمـرد

أثار هذا المؤلف حفيظة وغضب الأديب الفيلسوف الوجودي جان بول سارتر. وقد عبر كامو خلاله: أن الإنسان يتمرد حين تدفعه الظروف المحيطة به إلى درجة عدم

القدرة على احتمال ما يراه من ظلم وجبروت في حق الآخرين ويقف عاجزا عن فعل شئ ما للدفاع عنهم مما يدفعه الى التمرد دون النظر إلى العواقب، ويجد ان لا يمكنه قبول الوضع السائد أمامه ، مما يصعب عليه أن يتحمل أكثر من ذلك ، فيجبر على التمرد من محاولة استمرار مسيرته مهما كانت صعابها.

مسرحية كـاليجـولا :

تحدثنا عنها قبل ذلك، ولكننا نضيف إلى ما ذكرنا:" أن هذه المسرحية هي أشهر مسرحياته. كتبها في صباه ، فكليجولا لم يستقر له رأي في حياته وكل الأمور لديه سيان إلى أن تصل درجة التشاؤم عنده إلى فقدان المتعة في كل شئ. ويتساوى في نظره الظلم مع العدل والحياة مع الموت. وان ما يستوقفنا في هذه المسرحية، هي النظرة التشاؤمية التي طبعت أحداثها" . (14)

وهي نفس النظرة الموجودة في أغلب أعمال هذا الأديب. وهو الأمر الذي دفعنا الى التساؤل: هل الطابع العام الذي طبعت به شخصيات أعماله التشاؤمية أمر عفوي أم أمر يعبر عن دواخل المؤلف وذاتيته القلقة؟.

إنالإجابة عن هذا السؤال تتطلب منا نظرة موضوعية لأشخاص كامو في أعماله، والأحداث التي وضعهم فيها، فإجراءإحصاء تطبيقي بسيط على مسيرة أبطال أعماله من روايات أو مسرحيات أو مقالات أو مؤلفات خارج هذا النطاق ، نجد أن توظيف الأحداث التي عاشها في حياته الذاتية، من أماكن ..ومن فقر ..ومن مرض ومن تناقض في المواقف ..وعدم القدرة على متابعة مواقفه الإنسانية والخضوع الإكراهي لأصوله وولآته، وعدم قدرته على المواجهة والتصادم ولد لديه إحساس بالتراجع المر عن كثير من القضايا فتولد عنده انقباض نفسي حاد سكن داخله وانعكس بالضرورة على مسيرة أبطاله الفنية. أؤلئك الذين لم يكونوا إلا هو. وإلا كيف نفسر مرة أخرى استمرارية وديمومة هذا السلوك التقليدي في أغلب ابداعاته الأدبية بصفة خاصة ان لم يكن يعبر عن دواخله المكبوتة؟

ولعل هناك من ينكر هذا الأمر، وفي هذه الحالة يمكننا القول: على اعتبار أن هذا التشابه يمكن أن يقع صدفة ويدخل في باب محض صدفة وانتهى الأمر. الا أننا نود أن نؤكد أن الصدفة اذا تكررت أصبحت عادة واذا استمرت في التكرار أصبحت مقصودة. وهو أمر متفق عليه تراثيا ونقديا .

الطاعـون:

هو ذلك الوباء الذي حل بالمدينة، ودمر حياة الناس فيها. ونشر في ربوعها حالات من الفزع والهلع جراء سطوته عليهم وتدمير حياتهم . انه مصيبة بكل المقاييس .

إن كامو قد أراد أو سعى للحديث عن صفة كامنة في الإنسان. وهي قوة الإرادة والعزيمة، التي يمكنه من خلالهما التغلب على عشوائية الحياة، ويكون صموده الطريق الذي يقوده الى السعادة بعد المحنة.

وعن هذه الرواية يقول تريشيه : هناكغياب شبه تام للمرأة. أما النساء التي ذكرت أسماؤهن في هذا العمل لم يكن لديهن أي دور في تحريك الأحداث. هي شخصيات صامتة إن أمكن القول ذلك. مما جعل بعض النقاد يحكمون على الرواية بأنها رواية رجولية لقد أراد كامو أن يصور اختناق المدينة بالطاعون كاختناق العالم بلا نساء، وحاجة الطفل لأمه، والرجل للمرأة . فغياب هذه الأخيرة معضلة تجعل من الكون عالما لا يطاق . يصعب أن تكون الحياة فيه سهلة، وهي الرواية التي انتزع بها جائزة نوبل. (15)

وهي ألهمته خطابه الذي يعرف ب – خطاب استوكهولم- وفيه قال : "إن كل جيل دون شك يعتقد أن مهمته هي إعادة بناء العالم، ولكن جيلنا يعرف انه لا يستطيع فعل ذلك، ولكن ربما كانت مهمته أكبر من ذلك .... انه يعمل على منع العالم من التعفن". (16)

من الملاحظ بوضوح أن كامو هنا: يطرح وجهة نظر بناءة تحاول تأسيس منهجية إنسانية سلمية تعم ربوع العالم الذي نعيشه. فهو لم يكن يرمي من وراء ما يقول: أن واجب الأفراد أمام محن مجتمعاتهم هو محاولة إعادة بناء تلك المجتمعات ودفعها نحو الرقي والتقدم. مما ينتج عنه عالم أكثر تحضرا وسلما وتعايشا ووئاما فقط.

بل نستطيع كشف ما يريد حين يستأنف، ما ذهب اليه في مصارحته أن مهمة جيله مهمة صعبة، إن لم تكن معقدة فهو يرمي هادفا توضيح الظروف البغيضة التي يحياها عالمه المعيش ليس مايعنيه ينحصر في الجوع أو الحرمان أو التشرد، بل كان ما يعنيعه يقينا أنالمعضلة تبدو لديه أخطر من كل ما ذكرنا . فهي بنظره بحاجة الى جهد وتساند مشترك وصادق من جميع أبناء المعمورة ومن حقائق الوقائع الحياتية لمنع العالم من التعفن . لكامو أنه كان يعيش في زمن عم فيه الخراب والدمار ربوع العالم الذي يحبه والعبثية الأخلاقية السائدة على المستوى السياسي والأخلاقي والحربي والاستئصالي حيث الكبير يحطم أحلام الصغار والقوي يستغل الضعاف، ويهدم بقايا بيوتهم على رؤؤسهم، ويكتسحهم من عالم الوجود ثم ينفي إنسانيتهم. ومما جعله أو أثر بطرحه هذا أن ظهور ما عرف بالفلسفة الوجودية عند معاصره الأديب الفرنسي - جان بول سارتر—ومنهج العبثية عنده، مع عبثية الأديب الايرلندي – صموئيل بيكت - بالإضافةإلى منهجه المعرفي قد ساعده كل ذلك محاولة إيجاد صياغة إصلاحية تنقل الأحداث السائدة في عالمه الذي يراه ذاهب الى الفوضى . فهو يحاول أن يشير أن العالم بحاجة إلى عملية إصلاحية بطرح حلولا موضوعية لعلاجها.

وبنظره أنه نادرا ما نجد أن الدمار يسود المحيط والعالم ، ويأتي أديب أو مصلح ويتخلى عن انسانيته فيتحدث عن السعادة والرفاهية ، والسلوى والمتعة، في نفس

الوقت الذي تكون الاحداث فيهما قاتلة . ان حالات كهذه تجعل منه شخصا منفصلا أما أن يكون في غيبوبة أخلاقية أو خيانة لبني انسانيته علاوة على بني أمته .

وهو الامر الذي يعرضه ليس للانتقاد فقط بل يعرضه لتهمة الخيانة. لأن الانسان دوما بحاجة لمن يأخذ بيده، ويفضح الظلم والظالمين الذين تغاضوا عن نصرة قضيته. ويعتبر هذا الموقف من مواقف الاستغفال والضحك والاستهزاء ببني البشر.

روايـة الغريـب :

لا بد بادئ ذي بدء من الإشارة المختصرة إلى منهج البير كامو الذي نهجه خلال مشواره الإبداعي الثري .ولا يسعنا إلا أن نذكر أنه كان منهجا عبثيا رجع إلى حياة متناقضة بين واقعين – حيث أن الشهوة المستعرة في باطن الإنسان تطلب الفهم والمعرفة ، وبين الكون الصامت الذي يأبى البوح بسره والوجود الذي يرفض الانطواء تحت قانون شامل يرضى به العقل ، ومنبع الشعور بالعبث. هو هذا التصادم بين شهوة العقل. (17)

إن هذا الأديب الذي نقرأ له يدعو إلى التمرد المتواصل، والتشبث الدائم ، بالقيم والكرامة الإنسانية.حيث أن ظاهر الأمور تجعلنا نعتقد ذلك، رغم تحفظنا عن حقيقتها التي تعنينا مباشرة، وتدمي قلوبنا. والأمرراجع إلى تلك التصريحات القاتلة المنسوبة للأديب في مواقفه من الثورة الجزائرية التي يمكننا الحديث عنها في موقعها من هذه القراءة.

وبكل موضوعية وشفافية فان البيركامو قد صور في هذه الرواية الشخصية العربية الجزائرية في أوج الحرب العالمية الثانية حين كان أبناء الجزائر يضحون بأنفسهم دفاعا عن فرنسا التي كانت ترزح تحت القبضة الحديدية لجيش الاحتلال الألماني. يصور هذه الشخصية بأنها صورة منفرة تظهر من بعيد صماء صامتة. فهي لا تقدم لا الأسماء ولا الصور الشخصية ، ولا حق الحوار لهذه الشخوص لتعبر عن أحلامها ووجودها المسلوب.

فهولم يمنحها مواضع خطاب ، بل كان يمييعها حين لا يشير إلىأسمائها ويكتفي بجماعة من العرب. وأحيانا يشير إلى أحد أفردها بالعربي الآخر .أو العربي الذي كان مسلحا . أو العربي الذي أراد ضرب ريمون. لقد أظهرهم كأناس أو كجماعة من الخصوم تطارد مارسو وزملائه من مكان لآخر .

ويعود السبب في ذلك كما جاء في الرواية: هو اعتداء مارسو على امرأة عربية كما ذكر المؤلف ... مدعيا أنها كانت خليلته. وقد تشاجر هذا مع أخيها مرات عدة. مما أدى إلى ملاحقته ومطاردته من جماعة من العرب للانتقام منه . ونلمس في الرواية بوضوح نظرته الاستعلائية فيصورهم مجموعة من الهمج لا حياة ولا روح فيهم . يصورهم وكأنهم أشياء جامدة ميتة كالحجارة ، بل أحقر من ذلك ، وعلى الرغم من أنه لم يصفهم بتلك الصفات مباشرة، إلا أن هذا يتضح من خلال سياق الحديث وطريقة

الكتابة والتصوير ونكران حقيقة وجودهم بالقول : أنه علم أنهم عرب من خلال لباسهم .

إنطريقة الطرح الأسلوبي بهذه الطريق يوحي مباشرة إلى نوع من التمييز العنصري، وعدم احترام الآخر،وتهميش لأهميته، واستصغار لشأنه، وعاداته واحتقار لمبادئه وتقاليده .

ونجد من خلال البناء الفني لسير الأحداث في الرواية أن بطلها مارسو في دفاعه عن أبناء جلدته من جماعة الأوروبيين ضد مجتمع الأهالي. قد قام بقتل العربي بدم بارد حين كان ممددا على في حالة ضعيفة مهانة.

ويبلغ الحقد مداه، حين يتجاوز حدود الانتقام اى ذروة السادي المقيت المتمثل في إطلاق أربع رصاصات أخرى على جسم العربي لتأكد من موته بعد موته.

تظهر الصورة العامة في هذا المشهد الذي تنافس فيه العمل الروائي مع الحركة التمثيلية المسرحية في أوج تفاعل الحدث ، على رمال الشاطئ واضحة دالة فنحن نراها هكذا : شاطئ رملي لامع، وحرارة شمس حارقة وبطل الرواية الفرنسي يحمل مسدسه ،وفي الواجهة الأخرى، عربي يحمل سكينا . تمنح الأول حجة إطلاق النار عليه لترديه قتيلا. تشهد هذه الصورة على قمة التعفن الأخلاقي، والتهور والحقد الدفين المستمر مع وجود المستعمر على أرض الجزائر العربية.

كيف يمكننا أن نهضم هذه الصورة التي يرفضها قطعا عقل الكائن البشري مهما بلغت القسوة عنده وذابت الروح الإنسانية بين أضلاعه؟ .

كيف نفسرها ؟ ماذا أراد الأديب أن يخبرنا عن هذه الصورة التي خطها بيده ؟

هل كانت أرواح أبناء الأمة رخيصة إلى هذه الدرجة من التنكيل عبر هذه الصورة الانتقامية وغيرها من الصور الكثيرة؟تلك الصور التي نثرها عبر كتاباته.

إن ماسو لم يقتل العربي فقط بل أراد أن يمعن في قتله بعد أن قتله انه خائف منه وهو ميت طريح رمال الشاطئ . وهي حالة نفسية متوترة حقودة يريد أن يقتله عدة مرات جراء الحقد الحيواني الذي يحمله بين أضلعه على كل ما عربي، ولعلها تدخل في باب التطهير العرقي ....تخلصوا من العرب عن طريق التأكد من الفناء.

تعبر هذه الصورة بوضوح عن حالة فرنسا الاستعمارية وما فعلته من جرائم ضد الإنسانية بأبناء الشعب الجزائري. إنها كانت تستهين بأرواح أبناء هذا الشعب المسالم الذي أبى الضيم تاريخا وسيرة .

وهي تنقل صورة أخرى تبين نوعية السلاح الذي كان يحمله ماسو وهو سلاح مدمر حديث ، وفي الجانب الآخر وسيلة تقليدية عاجزة لا تستطيع أن تواجه حداثة السلاح المشهر في وجه العربي . وهي تعبر كذلك عن شراسة وطغيان المعمرين الذين تجردوا من إنسانيتهم،وتنقل الصورة أيضا إرادة العربي الذي يحمل السكين للدفاع عن شرفه

وعرضه غير مبال بالنتائج التي لن تكون لصالحه. ولكن السكين تحمل في طياتها سلاحا شرفيا تقليديا يحمله العربي معه لقضاء كثير من الحاجات التقليدية العادية.

وهناك صورة أخرى يمكننا إدراجها هنا وهي: تنقل صورة ماسو عندما يدخل السجن. فيفاجأ بعدد كثير من الجزائريين في أول غرفة يصادفها حيث يجدها مكتظة بالمواطنين العرب.

إن هذه الصورة قد نقلها بطريقة فاضحة لأولئك السجانين الغرباء ففرانتس فانون*في كتابه – معذبو الأرض --جاء تصويره ذاك عن الحالة المرضية التي صادفها خلال أداء مهمته كطبيب . وهي أن صبيين جزائريين صغيرين قاما بقتل رفيقهما الأوروبي في اللعب . وقد قتلاه انتقاما من الفرنسيين وعلى حد تعبيرهما: "إن آلاف الجزائريين يقتلون يوميا على أيدي الفرنسيين، لا لأحد من هؤلاء القتلة في السجن، على عكس الجزائريين الذين يملأِون السجون دون أي ذنب أو أمر ارتكبوه". (18)

لقد صور كامو العرب في روايته على أنهم جماعات مجرمة خارجة عن القانون وهذا مارسو يقول عنهم : " بعد أن قبضوا علي، كانوا قد وضعوني في غرفة بها الكثير من الموقوفين، أغلبهم من العرب" .(19)

كما أنه صور العرب ضعاف الشخصية سطحيين بسطاء، إنهم في الحقيقة طيبون رحماء إلا أنه ذكرهم بقوله:"وقد ضحكوا حين رأوني بينهم، ثم سألوني عما فعلته فقلت: إنني قتلت واحدا من العرب ، فصمتوا لفترة ولكن فيما بعد عندما حل المساء – شرحوا لي كيف أصنع الحصيرة التي سأنام عليها". (20)

إن الصورة التي رسمها الأديب قبل ذلك تتنافى مع الصورة الجديدة التي فرضت نفسها عليه، وهي أن العربي مهما كان الظلم الذي يعانيه من ظالمه إلا أنه لايمكنه أن يتخلى عن مبادئه الإنسانية والأخلاقية و إلاكيف نفسر حوار ماسو مع الموقوفين الذين لم تصدر بحقهم أحكام بعد ، أنه قتل عربيا مع مجموعة كبيرة العدد من العرب ويتركونه يخر ج من بينهم سالما ، بل بالعكس علموه كيف يصنع حصيرة لينام عليها إن هذه الصورة وتداعياتها الأخلاقية تمثل قمة التعايش الإنساني الذي فقده الآخر الماثل أمامهم.

ومن الجدير ذكره هنا أن الشخصيات التي حركت الأحداث في الرواية كانت صماء غير متفاعلة صامتة وضبابية لم ((يكن لها دور مستمر في صناعة الأحداث فهي مطبوعة بصفة مهمشة تكتنفها مسحة من التجاهل والإهمال فلا شخصياتهم ظهرت ولا أصواتهم سمعت للتعبير عن حالهم، فهم حاضرون غائبون لا ينطقون، وليس لهم أسماء)) (21) الأمر الذي نجده في الشخصيات العربية على عكس الشخصيات الفرنسية.

لقد تحدث كامو عن العرب في هذه الرواية باستعلاء وكبر وعنجهية واحتقار. من ذلك حين تذهب ماري لزيارة ماسو في السجن، وفي صالة المقابلة وقف إلى جانب عشرة من الموقفين العرب، وفي نفس الوقت تظهر منه نظرات الاستعلاء والاحتقار والتجاهل وذلك حين استعمل لغة دالة على ذلك.منها مثلا : "كان أغلبهم من العرب ...وكانت ماري محاطة بالمغاربة " . (22)

إن توظيفه لكلمتي : "أغلبهم"و"محاطة" لهما دلالتان يخفيان شيئا من التحقير للعرب أو لهؤلاء الكثرة الذين لا أهمية ولا شأن لهم. وهو الأمر الذي يرفع من سقف القناعة بأن نظرته لهم كانت نظرة استعلائية فيها اتهام واضح لهؤلاء الأبرياء بأنهم جماعات من المجرمين، بدلالة أن السجون مكتظة بهم، ولكثرتهم هم موقوفون بلا محاكمة ....ولقد بقيت هذه الصورة الضبابية التي يمكننا وصفها بالحاقدة الخاصة بالعرب مستمرة في السير السلبي مع الحدث، دون أن يسمح لها بصناعته، أو المشاركة في التفاعل مع أحداث الرواية، انه لم يذكر هوية معرفية لهم، هم بلا أسماء ، أي وجود بلا وجود دال عليهم . وهذا عكس شخصيات الرواية الأخرى , المتفاعلة مع الأحداث ومع البناء الفني لمعمار الرواية.

روايـة الطـاعون

جاءت بعد رواية الغريب وهي تبرز في الحقيقة عملا وجوديا رمزيا . حدد في كامو عبثية الوجود الإنساني، بل أبعد من ذلك ، حيث يمكننا القول بأنه قد حدد البعد الوجودي لفكره وأدبه. مما جعله يحاول إبراز ذلك في مؤلفه الأدبي هذا. وبناء على مفهومنا يكون الطاعون يمثل : فلسفته وإنسانية عبثيته.

تدور طبيعة أحداث هذه الرواية في مدينة وهران العربية. والأمر غير الطبيعي هو اختفاء الوجود العربي من أهل المدينة في العمل الروائي. فكل سكان المدينة كانوا من المستوطنين الفرنسيين أو الاسبانيين أو الايطاليين. ولم يسمح المؤلف لأهل وهران من المشاركة في العمل الروائي إلا في موضع أو موضعين وبطريقة سطحية.

واستنادا على ما توصلنا اليه من قراءة لهذه الرواية فان ذكره للعرب فيها كان مثلا: حين جاء الصحفي رامبير ريمون الى وهران لإجراء تحقيق حول الظروف المعيشية للعرب لصالح جريدة فرنسية، لجأ هذا إلىالدكتور ريو ليقدم له معلومات يحتاجها عن حالة أهل وهران الصحية." لكن التحقيق أقفل بمجرد أن ظهرت البوادر الأولى للوباء في المدينة. فنسي رامبير سبب وجوده هناك، ولم يتم ما بدأه، إنما قام بتغيير اهتمامه في نهاية الأمر إلى كتابة روبرتاج حول الجرذان الميتة في المدينة ". (23)

وفي صفحة أخرى يذكر فيها العرب بواقع سطحي سريع وذلك حين "يتحدث غران في حوار له مع بائعة التبغ ، تطرقت الى ذكر حادثة، اعتقال لعامل تجاري في الجزائر، كان قد قتل عربيا على أحد الشواطئ". (24)

وما دامت رواية الغريب قد جاءت قبل رواية الطاعون فان كامو قد نهج منهج تثبيت روايته الأولى مرجعا للثانية، لأن الإشارة هنا في الحديث السابق تعني الجريمة المروعة التي اقترفها ماسو في رواية الغريب.

لقد أنكر كامو أن مدينة وهران هي لأبنائها الجزائريين فنسبها إلى سكانها الفرنسيين والأسبانوللفرنسيين خصوصا فهيبنظره، وواقع الحال " أن وهران ليست أكثر من مقاطعة فرنسية على الشاطئ الجزائري ". (25)

لم يكن نكران أصحاب المدينة جملة عابرة، بل منهجية فكرية استئصاليه استعمارية من قبل المؤلف. عبرت هذه عن مكنونات نفسه، واستولت على جوامع تفكيره، من خلال ترديدها في مواقع عدة. فهو يستعمل نون الاختصاص المالكة للملكية،والناكرة هوية الآخر، وان كان هو صاحب الحقيقة وسيدها. والا كيف نفسرأقواله :" ولا ريب في أن يقول قائل إن هذا ليس خاصا بمدينتنا" (26) ، " لعل هذه الإشارة تعطي فكرة كافية عن مدينتنا ....على أن ما هو أكثر جدة وطرافة في مدينتنا " (27) ، و" كان الناس في مدينتنا يقدرونه كثيرا " (28) و" القضايا الدقيقة التي كانت تطرحها ادارة مدينتنا ". (29)

لقد تجاهل الأديب الجزائريين تجاهلا تاما وأنكرهم ، وقيد حريتهم وجودا وحقيقة. وهو القائل: " ونحن دائما أحرار، ولكن على حساب الآخرين " (30) والحقيقة المرة التي لا يمكن هضمها أنه يتجاهل تماما أن وهران مدينة عربية جزائرية أرضا وبحرا وسماء وأنهم عابرون في كلام عابر. صور كامو أن وهران مدينة للمستوطنين الفرنسيين وغيرهم من الأجانب. وأنكر أصحاب الأرض وأظهر التخصيص في الملكية دائما بوضوح تام "البلبلة عندنا ليست معروفة، وأهل مدينتنا يثيرون دائما بصراحتهم وودهم وحيويتهم احتراما معقولا ".

إضافةإلى ذلك فان كامو لم يذكر أن فرنسا وأطباءها قد وجهوا مساعدات ما للمصابين بوباء الطاعون من العرب . إنما كان هم هؤلاء تقديم العناية الطبية للمستوطنين الأوروبيين من الفرنسيين والأسبان بصفة خاصة.

وعلينا أن نذكر هنا أن الفيلسوف الأديب جان بول سارتر قد ثار على الوضع اللاانساني الذي عانى منه العرب أمام الظلم المسلط على رقابهم من قبل من يدعون الحرية والمساواة ، وحقوق الإنسان وشاهدنا على ذلك: " أن شرطيا فرنسيا يدعى ماركي قد أطلق النار على العربي محمد دياب ، الذي كان بعيدا عنه مسافة خمسة أمتار فاصطاده الشرطي ليتسلى ، وعندما سئل عن سبب إطلاقه النار عليه ؟ أجاب بأنه لم يلتزم بالهدوء. وقد لفلفت السلطات الفرنسية المسألة واحتضنتها . وهنا قال ثائرا :" أن بعض الأيدلوجيات العنصرية المريضة التي قامت بها فرنسا ضد الجزائريين يجد ربها حذف كلمة مساواة من شعارها ". (31)

واستمرت المعاملة القهرية الاستبدادية ضد الشعب الجزائري على كافة المستويات فهذا الكاهن بانولو راعي الكنيسة ، لم يطلب مساعدة ما لأبناء هذا الشعب رغم أن مهمته دينية إنسانية، مما حدا بنفس الفيلسوف القول مرة أخرى : "إن العنصرية نشأت ونمت في فرنسا في الوقت الذي تصاعدت فيه حركة الاستعمار البرجوازية. وأن المستعمرين قد استغلوا ثروات المستعمرين وسلبوها من أهلها . وأنهم استغلوا سكان تلك المستعمرات استغلالا يتجاوز كل الحدود. وأن هؤلاء المستعمرين هم أدنى مرتبة من البسر. وأن العرب عانوا بشكل كبير من الظلم والتعسف الفرنسي، وعانوا من الرعب والتقتيل اليومي" . (32)

إن رواية الطاعون لألبير كامو ما هي إلا سجل للحقائق التاريخية لأنها صورت الظلم الذي فرضته فرنسا الاستعمارية على الشعب الجزائري .،فهل كان المؤلف يدرك مدى ظلامية هذا الظلم ؟ أم أنه وقع تحت طائلة الولاء لأمه فرنسا؟ . أم أنه أخذ برأي أمته التي كانت تعتقد أن الجزائر مستعمرة يمكن أن يعامل أبناؤها كما يحلو لجلاديها دون مساءلة قانونية أو أخلاقية أو وخز من ضمير؟ هل كان يعي كل ذلك وهو من بين الذين كانوا يؤيدون الحرية للشعوب المقهورة ؟ .

إن اجتمعت عناصر الإجابة بنعم فان مسؤوليته تكون أشد ظلما وخطورة. ونحن من ألئك الذين يعتقدون أنه مسؤول عما كتب وعلم . فهو في هذه الحالة مسؤوليته مباشرة وشريكة في الظلم وإنكارإنسانية المواطن العربي الجزائري .

أسطورة سيزيف

كنا قد تحدثنا باختصار عن مضمونها العام دون الدخول في تفاصيل كثيرة عن الرواية لأن أحداثها التفصيلية مجالها في مكان آخر. إلا أن هذه الرواية تحمل في طياتها صورا جميلة لمعاني قدسية الحياة. كان سيزف من أشد الفنانين حكمة وحصانة.يعيش في عالم تتحكم فيه الآلهة. وهو متهم بأنه قاطع طريق، ورغم أن سيزيف فنان يتنافى تماما مع التهمة الموجهة له ، ولكنه رغم ذلك ينال العقاب . هي قضية منفصلة ما بين الواقع الذي يحياه الإنسان وبين التقاطع الذي تسيطر فيه الآلهة على تسيير شؤون الطبيعة البشرية .

إن هذه الآلهة تعيش في عالم المثل المستقل، ولا دراية ولا معرفة لها بنوازع النفس البشرية . وهي تصدر أحكاما مثالية، وتلزم المحكوم بها - رفع الصخرة إلى أعلى قمة الجبل - ولا تنتظر منه الرفض. وهنا تبدأ مأساة سيزيف ومعاناته .

إن هذه المعضلة هي التي أطلق عليها البير كامو "الوعي" الرفض الذي عد حسبه السبب الرئيسي في التمرد. فكان البطل اللامجدي مضطرا للتعبير عن عواطفه بقدر ما يمكنه التعبير عن عذاباته ، واعتذاره للآلهة . وهي الحالة الطبيعية التي تجعله كارها للموت ... القدر الأبدي للإنسانية . بعاطفة متحمسة للحياة. وهو الموقف الذي

تنافى مع نوع العقاب الذي لا مفر منه . من أجل تحقيق لا شئ. (33) وهذا هو الثمن الذي يجب أن يدفع لقاء انفعالات وعواطف أولاد البشر.

لقد احتلت هذه الأسطورة منذ نشأتها الأولى القرن الأول قبل الميلاد مكانا بارزا في مسيرة الحياة الأدبية والسياسية فهي من أساطير الفكر، والسلوك البشري، إنها الجسارة من أجل العيش، " ترمز الى الحياة التي تهتز أحيانا بالنسبة للبشر، ويعتريهم الشك . لذلك ينبغي على الإنسان دائما أن يبدأ من جديد " (34). حيث يعيد الكرة في عملية ابتداء دائمة وأبدية ومتجددة .

إن الصخرة التي حملها سيزيف في مهمة مستحيلة أصبحت رمزا للعمل العبثي ، "اذ ما أن يتم انجاز المهمة حتى ينبغي الشروع فيها ثانية " (35) ...هذا في الوقت الذي تساءل فيه المؤلف ... هل الحياة اليومية بالابتداء من جديد باستمرار تستحق أن تعاش ؟ .

إن سيزيف هو قرص الشمس الذي يطلع كل صباح من الشرق ويهوي غاربا في الغرب . ويعتبره الباحثون تجسيما وتشخيصا للأمواج المائجة ارتفاعا وانخفاضا أو للبحر الغدار .

ويعتقد الفلاسفة وأصحاب الرأي أن هذه الأسطورة ما هي إلا تجسيد للساسة الذين يطمحون، ويسعون إلى الكراسي والمناصب السياسية ، وأنهم مهزومون مغلوبون في مسعاهم بصفة دائمة مستمرة ، وأن الأسطورة والسلطة مجرد شئ فارغ في حقيقتها تماما مثل دحرجة الجلمود لأعلى التل .

وهناك رأي آخر يقول إنها رمز الصراع العبثي للإنسان في سبيل المعرفة ، وان عقابه تم بناء على صورة يظهر فيها سيزيف مدحرجا حجرا ضخما، وهو رمز الكدح والمشقة والحنكة والمهارة.(36)

وقد رأى كامو أن أسطورة سيزيف تجسد برأيه " هراء وسخف ولا منطقية ولا عقلانية الحياة الانسانية" ، ولكنه يختم بقوله : " إن المرء لا بد أن يتخيل أن سيزيف سعيد مسرور تماما كما أن النضال والصراع والكفاح ذاته نحو الأعالي والمرتفعات كاف وكفيل بملأ فؤاد الإنسان . إننا نعيش في هذه الحياة ونحارب فيها ،ونحن نعلم أن هذا بلا جدوى ....إننا جميعا سيزيف". (37)

هذا وقد ذهب صموئيل بيكت الى أن " أسطورة سيزيف تمثل ضمير العبث ، تعالج الأمر بمثالية مفرطة ، فلا كاتب له الحق في أن يعمل صورة بكل معانيها الإنسانية لمجرد شخصية روائية، وأسوأ من ذلك أن يكلفها بعمل الرسالة الإنسانية نفسها ". (38)

إن الشخصية الروائية لدى بعض النقاد الفرنسيين المعاصرين مثلها مثل"الشخصية السينمائية أو المسرحية لا تنفصل عن العالم الخيالي ... انه لا يمكن للشخصية أن

توجد في أذهاننا على أنها كوكب منعزل، بل انها مرتبطة بمنظمة وبواسطتها هي وحدها تعيش فينا بكل أبعادها." (39) وهكذا كانت سيزيف تعيش فينا بكل جوانبها الغيبية، وبقوة دوافعها العبثية التي أدخلتها العوامل الخارجية في دوامة المستحيل .

موقف البير كامو من الثورة الجزائرية

كان مفهوم الثورة على المستبد الغاصب لحقوق الآخرين موضوع أخذ ورد ، منذ أن دخل هذا المفهوم في عالم اللغة السياسية والثقافية والتراث، عند كافة الأمم والشعوب على مدار العلاقات الإنسانية عبر التاريخ .

وذهب كثير من النقاد في العصر الحديث أن معناه " يقتصر على الغضب والهيجان فقط ". (40)

أما موقف هذا الأديب الجزائري المولد والنشأة فقد تباين واختلف في أطروحاته الفكرية ومواقفه العلنية المحكومة بالسياسة والمواطنة وأقل ما يقال عنها أنها سياسة شوفونية محكومة بمصطلح الانتماء العرقي لأمته فرنسا الاستعمارية. واتضح تماما أن مواقفه هذه قد تنازعتها مجموعة من العوامل يمكننا أن ندرجها وفق التصور الذي لمسناه عن قرب خلال قراءتنا لآثاره التي عبرت بطريقة وأخرى عن تلك المواقف في أماكن عدة.

ونستطيع الاستدلال على مواقفه السلبية من الثورة الجزائرية من خلال تصريحاته المنشورة وحواراته التي نقلت تلك التصريحات عبر زمن معايشته للأحداث الدامية التي شاهدتها الجزائر إبان ثورة التحرير .

لقد شاء القدر أن يولد البير كامو ذو الأصل الفرنسي، على أرض الجزائر. ويترعرع فيها ويصبح جزءا من نسيجها الثقافي، فهو ككاتب وموقف ...نتاج تلك السياقات التي وجد فيها ، وما كان له أن يكون غير ذلك . ومن ثمة كان حلقة وصل بين نقيضين لا يمكن الجمع بينهما. ووجد نفسه موزعا بين عاطفة الانتماء للوطن الأم ، وبين عقلانية الدفاع عن العدالة متمثلة في الجزائر .

وأغلب الظن أن تتويج كامو بجائزة نوبل أمام كبار الكتاب الفرنسيين الذين كانوا مرشحين للظفر بها كان التفافة من قبل لجنة نوبل لكاتب مغمور، صغير في السن والتجربة يمثل أدب المستعمرات ". (41)

إن موقف كامو من الثورة الجزائرية يمكن اختزاله في عبارته الشهيرة:" بأنه يؤمن بالعدالة ، ولكنه يختار أمه على العدالة ". (42)

وكان هذا التصريح يتناقض تماما مع الموقف الذي وقفه جان بول سارتر في كتابه المعروف* عارنا في الجزائر* الذي نقل به هذا الفيلسوف الأعمال الوحشية التي مارسها الاستعمار الفرنسي، بمنهجية غادرة تطبيقا وفعلا ضد أبناء الجزائر. إنها حقائق قد سجلت للرجل حين كشف فضائحها اللاانسانية، من تعذيب وقتل بصور

بشعة، وتصفيات بالجملة." تحدث عن حرية، وحقوق الإنسان الجزائري، وساند هذا الشعب في تقرير مصيره، وشجعه على ذلك، ومجد وعظم شخصيته من خلال ما كتب. وقد نظر إلى الشعب الجزائري بنظرة إنسانية فيها كثير من التبجيل وحتى الحنان ، لدرجة أن عديدا من أفراد الشعب الجزائري والعالمي اعتبره مناضلا ثوريا مع هذا الشعب " (43) . ونضيف إلى ذلك مواقفه العملية المتمثلة بمساندته المطلقة، ووقوفه بوجه وطنه فرنسا وضد التعسف والظلم والجور الذي لحق بأبناء الشعب الجزائري . ولم يتراجع هذا الأديب الفيلسوف عن مواقفه رغم التضييق الذي مارسه المستعمرون ضده ويتضح بجلاء موقف الالتزام المذهبي الذي نهجه بصدق وأمانة وتجلى ذلك فيما معناه: "إن حرب الجزائر كانت حربه ". (44)

ولم يكن هذا الموقف يتيما، فكان هناك الأديب الطبيب فرانتس فانون في كتابه * معذبو الأرض* الذي كشف فيه المعاناة والأفعال الإجرامية غير المسبوقة بوحشيتها حين فضح ما قام به الاستعمار الفرنسي من تنكيل، وتعذيب وتقتيل في حق أبناء الشعب الجزائري ، الذي نهض وهب إلى النضال والكفاح المسلح العنيف،لينتزع حريته واستقلاله الأبدي من يد قتلته وجلاديه .

إن فانون في كتابه أعلاه قد آمن معجبا بالثورة لجزائرية وبشخصية قادتها، وشخصية الشعب الجزائري ، وقد اكتسب هذا الإعجاب من خلال معاناة مرضاه الذين أشرف على علاجهم ، كما أدرك طبيعة الاستعمار الوحشية المضطهدة الظالمة والمستبدة. كان إنسانيا رحيما عايش دواخل مرضاه ، وتعاطف أيما تعاطف مع مآسيهم ، ومدى الاستغلال والاضطهاد والتفريق العنصري الذي يعانونه، مما أدى ببعض الأوروبيين وسماسرة الحرب إلى القول:" أن في الرجل عقدة نقص، فهو يكره البيض لأنه أسود" . (45)

انه لسؤال مشروع حين نطرحه على الحاضر الغائب الأديب البير كامو ، أين هو من كل ذلك ؟

تمثلت مواقفه في عدم نصرته للاستقلال الذي نادى به الجزائريون ضد مصادرة حقوقهم الوطنية في الحرية والانعتاق من ربق الاستعمار. وقد شرح موقفه هذا في بحث أكاديمي جامعي أعده ودافع عنه داعيا إلى بقاء الجزائر تحت رحمة فرنسا عن طريق الإدماج، معتقدا كالمستوطنين أن احتلال بلاده للجزائر سيعود بأفضال عليه بسبب تخلفه، وهو يلتقي بهذا الموقف مع مواقف كثيرين من مستوطني الأقدام السوداء الذين يبغضون الجزائريين حتى الموت.

وتبريرا لموقفه هذا عبر الروائيان الفرنسيان لويس بارتران و روبار رادو عن مؤلفاته بالقول: " كانت مسالمة ....تحدث فيها عن الطبيعة ..وعن حياته كأوروبي في بلد عربي". (46)

وهناك قضية أخرى بموقف آخر تتناقض مع الأولى إلاأنها لا تؤثر على الموقف الذي نهجه خلال مشواره الإبداعي وهي إدانته ورفضه للظلم الذي حدث في المذابح التي اقترفتها بلاده فرنسا 8 ماي 1945 في سطيف وخراطة وقالمة وغيرها من المدن الجزائرية. وقد عبر عن مساندته وشجبه للجرائم المقترفة في حق أبناء الشعب الجزائري. وبدا وكأن الرجل قد استيقظت به الروح الإنسانية ولم يكتف بالشجب فقط بل نشر مقالا مطولا في مجلة *كومبا* *المعركة* تحدث فيه لأول مرة وآخر مرة عن ميلاد كيان سياسي عربي في الجزائر. وظهرت ملامح إنسانيته كذلك حين قام بزيارة إلى منطقة القبائل ومدينة تييزي وزو 1949 حيث كتب مقالا بعنوان " البحث في منطقة القبائل" قال فيه : " مبكرا ذات صباح رأيت في تيزي وزو أطفالا يرتدون أسمالا بالية يتقاتلون مع كلاب قبائلية من أجل الحصول على محتويات صندوق قمامة". (47)

ويضيف قائلا : " انه لأمر جدير بالاحتقار أن نقول : أن هذا الشعب ليس له احتياجات مثل احتياجاتنا نحن الفرنسيين ، وحتى إذا لم تكن له بعض مثل هذه الاحتياجات ، فانه حان الوقت لكي نخلقها له ، وانه لشئ مثير للفضول أن نرى كيف أن خصال شعب يمكن أن تشرع الإذلال الذي فرض عليه . ذلك أن الأفكار الجاهزة والآراء المسبقة تصبح شنيعة وكريهة، إذا ما نحن طبقناهاعلى عالم فيه الناس يموتون جوعا وبردا، وفيه الأطفال يقتاتون من قوت الحيوانات من دون أن تكون لهم غريزتها التي تحميها من الهلاك ، والحقيقة أننا نعاشر شعبا متخلفا علينا بثلاثة قرون ونحن وحدنا فاقدو الحس". (48)

هل هي عودة الوعي المبطن ؟ ظاهره رأفة ،وباطنه استعلاء واستكبار وسموم ؟ . إن الجواب على ذلك قد تعرضنا له من خلال أعماله ولا داعي للإطالة . ونكتفي بالمثل العربي الذي يقول : " لا تنظر إلى عينيه ولكن انظر إلى ما تفعل يداه" .

وبعد مرور السنوات الطوال على فراقه الدنيا تعالت أصوات انقسمت واختلفت حول أفكاره وسيرته وهناك من نادى بإنصافهوإعادة الاعتبار له مما أثار موجة عارمة من الاختلاف في تقييم ذاته . وذهب كثير من النقاد وأصحاب الرأي الذين أبدوا وجهات نظر لم تعرف الإجماع حول منطلقاته الإنسانية . فهل كان منصفا في مواقفه من الثورة الجزائرية والحقوق الوطنية للشعب الجزائري تلك التي صودرت في ظلام الليل دون وجه حق، وبعدوان متصل يزيد عن 130 سنة عاشها الشعب الجزائري رازحا تحت الظلم والجبروت والطغيان ، فتساءل هؤلاء : أي جنسية يمكن أن يحملها البير كامو ؟ أجاب الناقد حميد عبد القادر حين حاوره الروائي الأمريكي فرانك ماكورت في لقاء أخذ معنى الدهشة قال:"حدثني عن البير كامو كروائي جزائري.والحقيقة أن المرء يجد نفسه حائرا أين يضع هذا الكاتب هل هو جزائري أم فرنسي ؟ هل تمنحه الجنسية الجزائرية بمجرد أنه ولد بالجزائر ؟ أم تعتبره فرنسيا لأن أصوله فرنسية ؟ أين نضع هذا الكاتب الذي لفظه الجزائريون والفرنسيون على حد سواء؟. بحث البير كامو عن

جنسيته في اليوتوبيا ودعا إلى التعايش في البداية، وتحدى عنصرية كبار الملاك ، ولكن حرب التحرير جعلته يغير كثيرا من مواقفه. دعا في البداية إلىإقامة نظام فيدرالي بين الجزائر وفرنسا لفترة معينة، ولكنه سرعان ما تخلى عن هذه الفكرة . فقد رمت به حرب التحرير إلى الجانب الآخر، فرفض دعوة جبهة التحرير الوطني واختار الصمت . لكنه في نفس الوقت راح يكتب رواية *الرجل الأول* ليبرر استحالة إيمانه بأفكار جبهة التحرير الوطني الجزائرية. رفض الثورة ورفض مسايرة أفكار غلاة الاستعمار من كبار ملاك الأراضي الذين اعتبروه بمثابة كاتب موال للسكان الأصليين ....

فأي جنسية لهذا الكاتب ؟

انها جنسية الكاتب الأديب البير كامو :...جنسية أدبية ..غير مرتبطة بوطن ...بل بعالم الأدب والفلسفة ...ذاك العالم الذي يحقق ما لم تحقق السياسة ....فهو عالم يحتضن المختلف والمغاير (49) وهكذا بدا لنا دون الثبات على رأي هذا ، وبمناسبة مرور خمسين سنة على وفاته طرحت قضية إعادة الاعتبار لهذا الأديب عن طريق تسيير قافلة تنطلق من باريس إلى الجزائر وفاء له واحتفاء به في هذه الذكرى ، ومع مرور الأيام لهذا الطرح بدأت أصوات المدافعين المتحمسين لكامو تخفت شيئا فشيئا إلى أن اختفت الفكرة تماما ، لأن الأمر أصبح يحيل فرنسا التي هي محل تجريم من قبل الرأي العام الجزائري ليمتد إلى شخص كامو . لقد عمقت هذه المناسبة من غربة صاحب ** الغريب ** ففضلا عن أنها نزعت عنه بقايا جزائريته التي حاول بعضهم بصدق نية أو بغيرها البحث فيها . إلاأن المناسبة لم تتحقق لفرنسا في استعادة كامو خاصة وأن أسرته رفضت نقل رفاته من الجزائر ليدفن في **البنتيون** مع عظماء فرنسا في قلب العاصمة الفرنسية باريس . . لقد اتضح الموقف...وطويت الصفحة.......

الهوامش

1 انظر ، أمونين ايمانويل ، مجلة البري ، البير كامو ودعاء المهابين ، ع 18 خاص عن البير كامو ، يناير 1950، ص 20 .

2- عبدالقادر مكاوي ، البير كامو، محاولة لدراسة فكره الفلسفي ، القاهرة ، دار المعارف ، ص 34 .

3- البير كامو ، الإنسان المتمرد ، ط1 ترجمه: نهاد رضا، بيروت ، منشورات عويدات ، 1963 ، ص.43

4- أنيس فهمي ، أدباء فازوا بجائزة نوبل ، ط 1 ، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية ، القاهرة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر بمؤسسة الأهرام ، شارع الجلاء ، ص 115 .

5- عبدالقادر مكاوي ، المرجع السابق ، ص 22 .

6- أنيس فهمي، المرجع السابق، ص 38.

7- مكّاوي عبد الغفّار ، البير كامو ، المرجع السّابق ، ص 22 .

8- أنيس فهمي، أدباء فازوا .... ، المرجع السّابق ، ص 38.
9- انظر ؛ المرجع السّابق ، ص 121 .
10- نقله ، المرجع نفسه ، ص121 .
11- كروكشانك جون ، ألبير كامو وأدب المرد ، ترجمة وتعليق: جلال العشري، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1986 ، ص 29 .

12- أمينة رشيد ، قصة الأدب الفرنسي ، ط 1 ، القاهرة ، دار شرقيات ، د . ت ، ص 37 .
13- تريشييه ، الأدب الفرنسي في القرن العشرين ، ترجمه : حامد طاهر ، القاهرة ، دار الكتب ، 1992 د .ت . ص 68 .
14- انظر ، تريشيه ، المرجع السابق ، ص 68.
15- انظر، المرجع السابق ، ص 192.
16- انظر ، أحمد عبد الكريم ، ليس دفاعا عن كامو ، جريدة الفجر : يومية جزائرية ، ع 2809 ، 3 جانفي 2010 ، ص 19 .
17- رمسيس يونان ، فلسفة البير كامو ، مجلة الثقافة ، ع 16 ، القاهرة، دار أخبار اليوم ، ص 21 .
18- فرانتس فانون ، معذبو الأرض ، ط 2 ترجمه ، د . جمال الأتاسي ، بيروت ، دار الطليعة ، 1966 ، ص 262 .
19- البير كامو ، الغريب ، ترجمه ، محمد غطاس ، ط 2 ، بيروت ، دار الآداب ، يناير ، 2004 ، ص 67.
20- المصدر نفسه.
21- الأخضر الزاوي ، دراسات في الأدب المقارن، صورة مدينة الجزائر العاصمة في الرواية العربية بعد الاستقلال وعند البر كامو، باتنة ، منشورات الجامعة، ص 97 -103
22- المرجع السابق ، ص 67 .
23- البير كامو الطاعون ، ترجمه : سهيل ادريس، ط 2 ، بيروت ، دار ألآداب، 1986 ، ص5 .
24- المرجع نفسه ، ص 14 – 15 .
25- المرجع نفسه ، ص 6.
26- المرجع نفسه ، ص 7 .
27- المرجع نفسه ، ص 19.
28- المرجع نفسه ، ص 49.
29- المرجع نفسه ، 49.
30- البير كامو ، الغريب ، سبق ذكره ، ص 124.
31- فرنسا العنصرية، مجلة الآداب، ع 1 ، بيروت ، دار الغد ، 1973 ، ص 87.
32- المرجع نفسه ص 87.
33- البير كامو أسطورة سيزيف ، ترجمها : أنيس زكي حسين ، بيروت ، لبنان ، 1941-1942 ،ص 324.

34- ادوارد الخياط ، من الصمت إلى التمرد ، دراسة ومحاورات في الأدب العالمي ، كتابات نقدية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، مطابع روز اليوسف الجديدة ، ص 92.
35- عبد الغفار مكاوي ، البير كامو ، سبق ذكره، ص 32.
36- منتديات المشهد والأساطير ، جدلية التأثير والتأثر : 15 -02- 2011 : http//www.almechhad.com
37- البير كامو ، أسطورة سيزيف ، ص 332.
38- عبدالمالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، الكويت ، عالم المعرفة، 1998 ، ص 76 .
39- ابراهيم خليل ، بنية النص الروائي ، الجزائر، ط 1 ، الدار العربية للعلوم ، 2010 ، ص 195 .
40- محمد يحياتن مفهوم التمرد عند البير كامو وموقفه من ثورة التحرير الجزائرية ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، 1984 ، ص 21 .
41- أحمد عبد الكريم ، بين تجريم كامو وتجريم فرنسا الاستعمارية ، جريدة الخبر الجزائرية ، الأحد 28 مارس 2010 ، 25.
42- نقله المرجع نفسه ، ص 25 .
43- انظر ، عبد المجيد عمراني ، جان بول سارتر والثورة الجزائرية 1954 – 1962 ، عين مليلة ، دار الهدى ، 2007 ، 139 – 147
44- جان بول سارتر ، نقله المرجع نفسه ، ص 170.
45- فرانتس فانون ، معذبو الأرض ، سبق ذكره .
46-حسونة المصباحي، البير كامو يكتب عن الجزائر، جريدة الشرق الأوسط،ع 9180 ،16 يناير 2004،ص 16.
47- المرجع نفسه ، ص 16 .
48- المرجع السابق، ص 16.
49- حميد عبدالقادر ، جريدة الخبر ، الأحد 21 فيفري 2010.

المصادر والمراجع

1. أحمد عبد الكريم : ليس دفاعا عن كامو ، جريدة الفجر ، يومية جزائرية ، ع 2809 ، 3 جانفي 2010 .
2. --------------: بين تجريم كامو وتجريم فرنسا الاستعمارية ، جريدة الخبر الجزائرية ، الأحد 28 مارس 2010 .
3. الأخضر الزاوي : دراسات في الأدب المقارن ، صورة الجزائر العاصمة بعد الاستقلال وعن البير كامو ، باتنة ، منشورات الجامعة ، ب.ت ..
4. البير كامو : الغريب ، ط2 ، ترجمه : محمد غطاس ، يناير 2004 .
5. -------- : الإنسان المتمرد ، ط 1 ، ترجمه : نهاد رضا ، بيروت ، منشورات عويدات ، 1963 .

6. -------- : الطاعون ، ط1 ، ترجمه : سهيل ادريس ، بيروت ، دار الآداب ، 1986 .
7. البير كامو : أسطورة سيزيف ، ترجمها : أنيس زكي حسين ، بيروت ، لبنان .
8. أنيس فهمي : أدباء فازوا بجائزة نوبل ، ط 1 ، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ، القاهرة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر بمؤسسة الأهرام ، شارع الجلاء .ب .ت .
9. أمينة رشيد : قصة الأدب الفرنسي ، ط 1 ، القاهرة ، دار شرقيات ، ب . ت .
10. ابرايم خليل : بنية النص الروائي ، ط 1 ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم ، 2010 .
11. أمونين أمانويل : مجلة البري ،البير :امو ودعاء المهابين ، ع 18 ، خاص عن البير كامو ، يناير 1950 .
12. ادوارد الخياط : من الصمت إلى التمرد ، دراسة محاورات في الأدب العالمي ، كتابات نقدية الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، مطابع روز اليوسف الجديدة ، ب . ت .
13. حميد عبدا لقادر : جريدة الخبر الجزائرية ، الأحد 21 فيفري 2010 .
14. تريشييه : الأدب الفرنسي في القرن العشرين ، ترجمه : حامد طاهر ، القاهرة ، دار الكتب ، 1992 .
15. فرانتس فانون : معذبو الأرض ن ط 2 ، ترجمه : د . جمال الأتاسي ، بيروت ، دار الطليعة ، 1966 .
16. كروكشانك جون : البيبر كامو وأدب التمرد ، ترجمة وتعليق : جلال العشري ، القاهرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1986 .
17. رمسيس يونان : فلسفة البير كامو ، مجلة الثقافة ، ع 16 ، القاهرة ، دار أخبار اليوم ، ب .ت .
18. حسونة الصباحي : البير كامو يكتب عن الجزائر ، جريدة الشرق الأوسط السعودية ، ع 9180 ، يناير 2004 .
19. عبدالقادر مكاوي : البير كامي محاولة لدراسة فكره الفلسفي ، القاهرة ، دار المعارف ب . ت .
20. عبدالمالك مرتاض : في نظرية الرواية ، الكويت ، عالم المعرفة ، 1998
21. عبدالمجيد عمراني : جان بول سارتر والثورة الجزائرية ، 1954 -1962 ، عين مليلة ، دار الهدى ، 2007 .
22. محمد يحياتن: مفهوم التمرد عند البير كامو وموقفه من الثورة . الجزائرية ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، 1984 .
23. مجلة الآداب الجامعية: فرنسا العنصرية، ع 1 ، بيروت ، دار الغد ، 1973 .
24. منتديات المشهد والأساطير: جدلية التأثير والتأثر، 15/ 02 / 2011 http://www.almachehad.com

في الشعرية البصرية
مفاهيم وتجليات

أ.وسيلة بوسيس
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية
جامعة جيجل
الجزائر

ملخص

إن الحديث عن الشعرية البصرية هو حديث عن التقاء الفنون مثل الشعر والرسم والموسيقى واستعارة بعضها من بعض للكثير من الأدوات والعناصر الفنية والتشكيلية. وفي الشعر يتجلى الاشتغال البصري في حدود معمار النص الشعري وهو اشتغال قديم يعود إلى العصر الأندلسي أين اهتم الشعراء ببنية المكان النصي واكتشفوا ما يتضمنه من قيم جمالية توازي جمالية الموسيقى الشعرية، وفي النقد المعاصر انتبه الكثير من النقاد إلى طرائق وأدوات صناعة التفضية في الشعر وجهود طراد الكبيسي وشربل داغر ومحمد نجيب التلاوي ومحمد بنيس ومحمد الماكري خير دليل على الدعوة إلى الاهتمام ببنية الفضاء واستنطاق ما تكتنزه من قيم وأسرار.

Résumé

Cet article aborde le thème de la poétique visuelle. Les effets visuels se manifestent dans la poésie au niveau de l'archi-texte, niveau si répandu dans la poésie ancienne, notamment dans celle de la période andalouse, durant laquelle les poètes ont donné une importance capitale à l'espace textuel. Les pistes de recherche ouvertes par les critiques contemporains, tels que T. Kobayssi, C. Dagher, M. N. Tilaoui, M. Bennis, M. ALMagueri méritent, à cet égard, une attention particulière.

مقدمة

يعتبر انفتاح النص على القارئ أحد الشروط الضرورية لكمال تحقق العملية الإبداعية التي تفيض عبرها اللغة خارجة من مركز وجودها بالقوة في الرصيد المعجمي إلى مركز الوجود بالفعل أين تتحقق كممارسة قولية متمظهرة شفاهيا في شكل أصوات مسموعة منطوقة، أو كتابيا في شكل وحدات خطية مرسومة بصرية.

يتأرجح النص الشعري بموجب هذه الممارسة بين العرض الشفوي والعرض الكتابي وتتغير بلاغته بناء على هذا التأرجح فتتخذ علامات اللغة الشعرية الشفوية والبصرية أشكالا وأبعادا متباينة في

الفضائين المنطوق /المسموع والمرئي/المكتوب، أين

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2012 .

تفصح الدوال اللغوية - عبر فعل الانتظام في النسق التعبيري الفني المنزاح عن أشكال أنساق التعبير العادية التواصلية - عن طاقاتها الدلالية الكامنة في موسيقى الصوت وفي تشكيل الصورة.

1- الشعر في مفترق الفنون :

الشعر/الرسم/الموسيقى ... تجاذبات وتنافرات :

اعتبر أرسطو قديما الرسم والنحت والموسيقى والرقص أشكالا شعرية لأن "الشعرية" في تصوره هي العالم الذي تلتقي عنده جميع الفنون والأجناس الأدبية وغير الأدبية فالشعرية موجودة في الطبيعة والكون والكائنات والأشياء ولذا نقول إنسان شاعري ومنظر شاعري وموسيقى شاعرية . وفي معرض حديثه عن المحاكاة باعتبارها تقليدا لما هو موجود في العالم المثالي الموازي لعالم المحسوسات قسم أرسطو الفنون إلى نوعين "فنون جميلة كالرسم والشعر والموسيقى، وفنون عملية كفن العمارة والنجارة" .(1)

تضم الشعرية إذن مجموع المفاهيم المتعلقة بالشعر، وتتجاوزها لتشمل أجناسا أدبية أخرى كالقصة والمسرحية والرواية..ويمتد بعضها إلى اشتمال الفنون غير الكلامية كالرقص والموسيقى والفنون البصرية ..هي إذن مفهوم متعالي وكلي يضم الشعر ويتعداه إلى غيره من أنماط التعبير، "فكل محاولة لاختزال دائرة الوظيفة الشعرية أو لقصر الشعر على الوظيفة الشعرية لا تؤدي إلا إلى تبسيط مفرط ومضلل " .(2)

ينتمي الشعر إلى دائرة الفنون الجميلة، ويحيا مؤثرا فيها ومتأثرا بها باعتباره وسيطا ناقلا لأصناف التجارب الحسية والشعورية "فالشعر يستنزل الوحي أحيانا من الرسم أو النحت أو الموسيقى، وقد تغدو الأعمال الفنية الأخرى موضوعات للشعر، شأنها شأن الأشخاص وموضوعات الطبيعة " .(3)

تتواشج الفنون الجميلة وتمتح أدواتها التعبيرية من عوالمها المشتركة شكلا ولونا وموسيقى، توحدها غاية الإبداع، وخلق الصور الموازية لما هو موجود في الطبيعة "فلئن كان الفنان والصانع كلاهما من رجال الفنون، إلا أن أولهما معني بالفنون الجميلة وثانيهما معني بالفنون المفيدة. فصانع القصائد، وصانع الصور وصانع التماثيل، وصانع الموسيقى فنانون يعالجون فنا جميلا، وصانع الأحذية وصانع الإطارات للصور، وصانع المناضد، وصانع القيتار فنانون يعالجون فنا مفيدا" .(4)

إذا وضعنا في الاعتبار كون النص الشعري عبارة عن نسيج مكون من صور شعرية وتأملنا قول الجاحظ في أن الشعر ضرب من النسج وجنس من التصوير* فهمنا نقطة التقاء الشعر بالرسم، فتصويرية الشعر هي محاكاة لسانية لتقنيات المتخيل التشكيلي وإيقاعيته هي مجاراة لضروب الفنون الموسيقية، وهذا التلاقح ضارب في القدم ارتبط بكينونة الإنسان البدائي منذ المرحلة الطوطمية، وبسفره الباحث عن أسرار التناغم والانسجام مع معطيات الطبيعة والكون وأسئلة الخوف والطمأنينة المتجلية في

استنطاق جدران الكهوف بالرسم والنحت واستنطاق الجسد بإيقاع رقصات النار والأساطير، "لكن الحقيقة أن القصيدة بدأت الرسم بالكلمات، فكانت الصور الشعرية الحسية بداية التقاء ضمني، وبداية تقارب غير نوعي عندما لبست الصورة الشعرية نسيج المجاز القولي، ودخلت في أبنية تشبيهية حسية أولا، ثم استعارية مفعمة بالحركة والألوان بفعل الكلمات والمخيلة، حيث التقط العربي صورا ولوحات حسية مرتبطة بالبيئة ارتباطا وثيقا، فالمكانية أفرزت عند الجاهلي صورا للديار والأطلال ورسمت النموذج الأعلى لجمال المرأة المعشوقة آنذاك" .(5)

ارتبط النص الشعري منذ القديم بالإنشاد، وعلاقة المتلقي به كانت علاقة سمعية ذلك أن المجال البصري كان غائبا ومهملا من طرف الدراسات النقدية القديمة فالوقفات التي وضعها الناسخون والكتبة لبيت الشعر هي في الحقيقة وقفات سمعية لم يكن الهدف من ورائها إقامة معنى ما أو التلميح لمقصدية ما، وإنما هي ضرب من الاشتغال الفضائي الخالي من فنيات التشكيل ذات البعد الجمالي.

غير أن الشعر خلق لنفسه أفضية وعوالم بصرية متنوعة في نزوعها إلى خلخلة البعد الخطي الواحد للغة، ذلك أن أدوات التعبير الفنية المختلفة كالشعر، الرسم والموسيقى قد وجدت - في توقها إلى خلق منافذ أو معابر فيما بينها - طرائق وآليات جديدة مكنتها من التمظهر في أشكال وصور خرقت قانون المألوف والمتعارف عليه وتجاوزت نواميس الجماليات القائمة"ولعل أقدم نص نعرفه في تاريخ الأدب والنقد الغربي عن تلك العلاقة الساحرة والغامضة بين الشعر والفنون التشكيلية هي العبارة المنسوبة إلى سيمونديس...التي يقول فيها إن الشعر صورة ناطقة أو رسم ناطق، وأن الرسم أو التصوير شعر صامت" .(6)

يشترك الرسم والشعر في تأثيث الفضاء وبنائه بالأدوات والعناصر التعبيرية التي تتوزع وتنتظم وفق مقصدية جمالية معينة فهما يشتركان في هذا المجال العضوي ذي البعد الفيزيائي/ الفضاء الذي يتكون ويتحقق بالشكل أو بالكلمة.

نزع الفلاسفة منذ القديم إلى البحث عن التقاطعات القائمة فيما بين الفنون فرصدوا الممارسات الفنية التي تلتقي فيما أسموه "بوحدة الفنون" ووجدوا أن بعضا من الأعمال الفنية مثل الرسم والشعر تستعير أدواتها من بعضها البعض، وتخلق هويتها من الانتماء إلى دائرة واحدة تشتغل إحداثياتها في مدار الجماليات الشكلية المسماة الشعرية البصرية اشتغالا تكامليا "فقد بدأت وحدة الفنون تحاول فرض ذاتها، عندما حاولت أن تتفاعل بداية من نظرية للفنون تبحث عن تأطير أهم الممارسات الفنية جميعا ألا وهما : الشعر والتصوير وتحولت هذه النظرة بالفعل في القرن الثامن عشر إلى موضوع مستقل تحت اسم علم الجمال l'esthétique حيث دمجت تلك النظرية نظرية الأدب وأدمجتها في نظرية عامة للفنون. ولعل إرهاصات هذا الاتجاه تعود إلى أزمنة أبعد من القرن الثامن عشر، لعله يعود إلى ليوناردو دافينشي(1452 - 1519) وحتى الانجليزي شفتسبري (1621-1683) إلا أنه لم يأخذ مكانا لائقا إلا على يد كل

من لسنج(1729-1781) وكانط (1724 – 1804) باعتبارهما أول من بدأ في ممارسة هذا العمل الجمالي الذي عمل على خلق ، بل وتعميق هذه النظرية التي انتشرت بعد جهودهما في الحديث والكتابة عن وحدة الأعمال الفنية والحق أنه بدون هذا الأساس ما كان يمكن لمصطلح الشعرية البصرية أن يرى النور" .(7)

يراوح التلقي البصري في شعر يستثمر عناصر الفضاء وأبعادها التشكيلية بين السباحة الذهنية التي تمتح أدواتها من فضاء الشعر وكلماته تارة ومن فضاء الرسم وألوانه تارة أخرى، فيلتحم الدليل الخطي بالدليل البصري ويساهمان معا في إنتاج دلالة تفيض معانيها عبر تلك الأكوان/الأفضية المتجاورة.

إن "أوجه التداخل بين الشعر والموسيقى والرقص والغناء عديدة من حيث إن كلا منها يعبر عن بعض الأبعاد الإنسانية العميقة، وعن توافقات وتناغمات كونية. هكذا يجد الباحث حديثا عن مكونات الموسيقى من صوت وبعد ونسق وجنس ولحن وتحويل وإيقاع ومقطع وزمان كما يجد حديثا عن الصوت والإيقاع والمقطع في الشعر ". (8)

ينفتح الشعر في أشكال إنتاجه (سمعيا وبصريا) على جماليات الفنون فيؤسس في ضوئها لجماليات التجاوز القائمة على مبدأ الخرق اللامشروط بقوانين أو أنساق محددة "فقد كانت للشعر منافذ متعددة للانفتاح على عوالم الفنون التشكيلية، محاكاة وتأثرا واستعادة لتمثل تقنياتها صوريا، وذهنيا، بوساطة اللغة. فإن كانت مظاهر محاكاة الآثار التشكيلية أو التأثر بتقنياتها بصورة ذهنية، بحيث لا يخرج الشعر عن مدار(ماهيته) الزمانية، لا تثير إشكالات على مستوى التلقي، فإن مظهر التمثل الصوري، ومحاولات خلق (بلاغة بصرية) مجاورة للشعر، كانت مثار قضايا مختلفة للدور الذي لعبته في خرق زمانية الشعر وفرض قراءة مكانية، نجد أن النقد لم يولها العناية الكافية ذلك أن النقاد كانوا يدرسون في كل مناسبة سوسيولوجية المضمون ولم يفكروا لحظة واحدة في رسم – ولو أولي – لسوسيولوجية الشكل "(9) والحق أن سوسيولوجية المضمون التي يقصدها عبد الله العروي هي مجموع أغراض الشعر ومعانيه التي تمت مدارستها والبحث عن الأنساق الثقافية والنفسية والانثروبولوجية وغيرها التي أطرتها منذ القديم، أما سوسيولوجية الشكل أي البحث في روافد التمظهر البصري للفضاء الشعري وعلاقتها بالتغير الحاصل على مستوى نظام التلقي البصري للشعر في الوقت الراهن بفعل الانفتاح على عوالم الفنون المجاورة كالفنون التشكيلية مثلا وكذلك بفعل التطور الحاصل في أدوات الاتصال والتواصل، فهو أمر أهمله النقد ولو يوله العناية الكافية، رغم مرور مائة سنة تقريبا على ذلك الإنجاز التاريخي الحاصل في النقد الألسني للأدب، الذي اضطلعت به الشكلانية الروسية (مطلع القرن العشرين) في ربطها الجسر بين الدرسين اللساني والأدبي وخلق إجراءات جديدة لمقاربة الظاهرة الأدبية، بالإضافة إلى تمهيدها الطريق للبحث في "الأدبية" باعتبارها رصدا للقوانين المجردة التي بموجبها يتحقق كشف الوجه المتغير من الأثر الأدبي الذي هو "الشكل"، ذلك أن المادة أو المضامين أو المعاني ثابتة وموجودة منذ القديم وهي مطروحة في الطريق كما يقول الجاحظ، وأن تغيرها – من زاوية نظر شكلانية

- خاضع لمنطق شكلي لا غير.

2- مقاربة "فضاء الشكل" في النقد العربي المعاصر:

اختلف الباحثون في رصد البدايات الأولى التي ظهر فيها الاشتغال على الفضاء في النص الشعري بمقاصد فنية وجمالية "فطراد الكبيسي يرى أن شعرنا العربي لم يعرف منذ تاريخ معرفتنا به نظاما كتابيا للنص غير نظام توازي الصدور والأعجاز ، بينهما بياض هو فاصلة الصمت اللازمة للنفس . ولعل أول خروج عن جغرافية النص هذا جاء من الأندلسيين عندما استحدثوا الموشح....وذهب بعضهم إلى بناء موشحته على شكل شجرة أو وردة فكانت الموشحة عالما يعج بحضور الطبيعة ، وبالكائن الإنساني...وكأن المبدع الأندلسي أراد الارتماء في أحضان الطبيعة ودخول النص الشعري في إهاب شجرة أو وردة".(10)

حاول كثير من الدارسين المحدثين التنقيب في الطبقات الأركيولوجية للشعر العربي باحثين عن بدايات التشكيل وعن مظاهره وبيئته فهذا"طراد الكبيسي يتفق مع محمد بنيس حين يرى أن البداية أندلسية مغربية، وجاء بول شاوول ليعمق هذا الاجتهاد ويجعل البداية أندلسية على يد الوزير لسان الدين محمد بن عبد الله السليمان ، وقال: إن البداية ظهور المخلع..والعرب قد مارسوه بشكل أكثر تركيبا وأكثر تلاعبا منذ القرن السابع الهجري وربما قبل ذلك...وأول مخلعة في الشعر ظهرت في الأندلس على يد الوزير لسان الدين محمد بن عبد الله السليماني في الأندلس".(11)

غير أن الحفر الأعمق في أبعد الطبقات في تاريخ الكتابة الشعرية البصرية يقودنا إلى غاية العهد الإغريقي " فالشعر البصري لم يكن ابتكارا من ابتكارات فترة الحداثة، بل إن له جذوره القديمة لدى الشاعر الإغريقي سيمياس(300 ق.م) وقد ازدهر هذا الشعر بعد ذلك عندما كانت المشجرات – كما في تلك القصائد التي يمكن أن تكون قراءاتها عموديا مساوية لقراءاتها أفقيا- شكلا منفصلا وشائعا لدى الشعراء ذوي التوجهات الدينية المعادية للأيقونات، ثم عاد هذا الشعر خلال عصور النهضة والباروك عندما لعب شعراء وكتاب أمثال فيلون ورابليه بإمكاناته الإبداعية.أما خلال القرن الثامن عشر فقد تراجعت مكانته بوصفه نوعا من العبث إذ قورن بالفن الراقي أو العالي القيمة، لكنه لم يختف تماما، ثم عاد بشكل قوي مع مالارميه في نهاية القرن التاسع عشر." (12)

يراوح الشعر بموجب هذه الرؤية بين النسق اللغوي الذي تنتظم فيه الوحدات الخطية للغة بتلك الطرق المخصوصة التي تجعل كل بناء في منظومة الأصوات أو المعجم أو التركيب أو الدلالة بناء مفارقا ومائزا، وبين أنساق التعبير الأخرى البصرية على وجه الخصوص التي تقترح جملة من الوسائط التي تشتغل بمثابة إبدالات تراهن على تأثيث بيت الشعرية بروح المرونة والحرية؛ تلك التي تهب النص الشعري قدرة على التأليف بين المختلف وعلى صنع العوالم الجديدة التي تستعير آلياتها وتمظهراتها من فعل التلاقح بين ما هو لغوي خطي، وما هو بصري تشكيلي "فالخطاب البصري

ليس نصا يضاف إلى رسم كما أن البيت الشعري ليس مقطعا صوتيا ينضم إلى سطر من الحروف، بل هو جسد كلي متكامل يسهم في ضخ المعنى . إننا أمام لون جديد من الرسائل التي تفيد من الهندسة المعمارية والرسم والفنون التشكيلية وغيرها، حتى لكأن النص الشعري لوحة تشكيلية ترسلها الأشكال والخطوط والألوان، أو لنقل هو صورة بصرية يتوارى فيها المدلول وراء هيمنة الدال ومركزية العلامة. "(13)

لم تحظ الشعرية البصرية العربية باهتمام كبير من لدن النقد العربي، ربما لحداثة الاهتمام بموضوع الفضاء الشعري عموما، أو لأن الشعر التشكيلي لم يستوف بعد الأدوات وشروط الخلق الجمالية التي يصنع بموجبها تجارب مائزة قابلة لأن تكون موضوعا لدراسة متكاملة، إضافة إلى كون الشعرية العربية منذ مراحلها الأولى التي تعود إلى العصر الجاهلي قد حفلت بالإنشاد وبالإيقاع الصوتي فكانت الكتابة أو التمثيل الخطي اهتماما عرضيا لاحقا.

وتعتبر دراسة محمد بنيس " ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب " الصادرة سنة 1979، مرجعا يستند إليه كل منشغل بهذا الموضوع في العصر الحديث لأنها أولت الشعرية البصرية اهتماما خاصا وعملت على موضعتها في مركز الاهتمام، فكانت بمثابة النداء الداعي إلى رد الاعتبار إلى ما أسماه مؤلفه بـ"بنية المكان، والعمل على استثمار المعطى البصري في الكتابة والتلقي، كما أقر من خلالها إقرارا بينا أن إغفال هذا العنصر"يعبر بوضوح عن تحكم التصور التقليدي في قراءة النص الشعري خاصة وأن أهمية المكان ذات دلالة لا يمكن اعتبارها جانبا هامشيا، أو ترفا فكريا" .(14)

أسس محمد بنيس حجته في الدعوة إلى الاعتراف بالإبداع على مستوى الفضاء البصري على استراتيجيات تستند أقواها على مكاشفة التراث الشعري العربي ومساءلة نماذجه البصرية عن مهارة التوفيق بين المبنى والمعنى، وعن تلك البلاغة المتفردة في صنعة الشكل الشعري التي هي أبعد ما يكون عن الجماليات الفجة، الخاوية من المعنى، وأقرب ما يكون إلى الوعي الفني المحتكم لقانون الانسجام بين الرؤية والرؤيا.

يرتبط الحديث عن بنية المكان في دراسة بنيس بظاهرة الشعر المعاصر غير أنه ينزع إلى إثبات الفنيات القائمة في حدود هذه البنية كما تمظهرت في التراث الشعري العربي (الأندلسي على وجه التحديد)، مثلما يشير إلى كلف النقاد بالتنويعات التشكيلية البصرية، يقول : "لقد انتبه بعض النقاد العرب القدماء وخاصة المتأخرين منهم، لأهمية المكان في تشكيل النص الشعري، ونجد النقاد المغاربة والأندلسيين يفطنون لهذا المجال، ويدخلونه ضمن أبواب البديع منذ القرنين السادس والسابع".(15)

أوضح بنيس الأبعاد الجمالية التشكيلية المتمظهرة في أفضية النصوص الشعرية التراثية، فأشار إلى تشكيلات أحمد بن محمد البلوري القضاعي الهندسية، وإلى أشعار أبي الطيب صالح الرندي (ت 767هـ)* صاحب النونية الشهيرة في رثاء الأندلس الذي أورد لنفسه في كتاب : " الوافي في نظم القوافي " قصيدة على شكل خاتم في

الباب السابع و الثلاثين من أبواب البديع وأبياتا في شكل مربع في باب القلب تقرأ عرضا كما تقرأ طولا " .(16)

ومن مظاهر التشكيلات البصرية التي طالعنا بها التراث الشعري العربي ما أبدعه الخطاطون الذين نهلوا أدواتهم من ميراث الثقافة الإسلامية، أولئك " كانوا يفتنون في تخطيط القصائد والدواوين وبالأخص عند أولئك الذين كان لهم ولع بالخط كفن وعنصر أساسي من عناصر التشكيل العربي الإسلامي ". (17)

إنهم بهذا الصنيع قد ساهموا في خلق مركزية للمكان، عن طريق منحه الحيوية والحركية اللازمتين من أجل الدخول في الديمومة والاستمرارية، والانخراط في فعل إنتاجية غير مرهون بلحظة زمنية محددة." فهؤلاء الخطاطون الخالقون لرافد من روافد التشكيل العربي الإسلامي، هم الذين انتبهوا أكثر من غيرهم لخاصية المكان في النص الشعري، فوافقوا بين سيمترية المكان وسيمترية الزمان وزاوجوا بين الوسيلة والغاية، وجعلوا النص وسيلة عندما استعانوا به في تشكيل إبداعاتهم، وغاية عندما حولوه إلى مجال لأبحاثهم التشكيلية - فيما بعد –". (18)

دعت المقاربة التي وضع أسسها محمد بنيس في كتاب ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب والتي نلاحظ أنها مكرورة معادة في "بيان الكتابة" (19) ، إلى ضرورة الكشف عن الطاقات الدلالية الكامنة في مظاهر التشكيل في التراث الشعري المغربي وبيان قيمتها.

في هذا البيان يركز محمد بنيس على ضرورة تجاوز ما أسماه بـ"بنية الزمان" التي ظلت مسيطرة لوقت طويل على الشعر العربي، كما يدعو إلى خلق بلاغة جديدة تعوض منظومة القيم الجمالية القديمة، تقوم بالأساس على استثمار الإمكانات التي يحفل بها النص الشعري الذي يراهن على "بنية المكان"، لأجل تأسيس ضوابط كتابة جديدة تكون قائمة على ما أسماه بنيس ب"بنية التأسيس والمواجهة" التي تكون في مقابل "بنية السقوط والانتظار". يقوم جوهر السؤال في البيان على دعوة صريحة إلى خلخلة "بنية" قائمة وتشييد أخرى، أي إعادة النظر في جملة الثوابت التي أسست بيت الشعرية العربية وما يرتبط بها من ممارسات إنتاجا وتلقيا يقول في هذا الصدد : "أما بنية المكان فهي التي تجاهلها أو جهلها نقاد الشعر المعاصر في عموم العالم العربي، وقد أسرهم الإيقاع، وما ذلك إلا نتيجة انحيازهم للكلام، وإلغائهم الكتابة، وهم في موقفهم هذا على عكس بعض الشعراء والنقاد الأندلسيين والمغاربة القدماء (...) الذين جعلوا من البعد الخطي بعدا بلاغيا يفتح النص على البصر بعد أن اكتفى بالسمع زمنا طويلا ". (20)

يقوم هذا البعد الخطي على التشكيل الأيقوني الذي يدعو بنيس إلى استثمار ما يمتلكه من طاقات التدليل من أجل بناء نص جديد، واعد ومغاير، وهو إضافة إلى هذا يدعو إلى الأخذ ببعض الأدوات العملية التي تدخل في تركيب "بنية المكان "هذه مثل :

1- لعبة البياض/ السواد : ضرورة تأمل الفراغ القائم في حدود النص الشعري المكتوب، الذي تقدمه الذات الشاعرة سابحا في بحر دواله الخطية البصرية مشيرا إلى أن عدم الاحتفال بالفراغ "سقوط في الكتابة المملوءة التي لا تترك مجالا لممارسة حدود الرغبة، إذ أن كل كتابة مملوءة هي كتابة مسطرة لحد واحد يدعي تملك الحقيقة ".(21)

2- عنصر الخط : يدعو بنيس في هذا الصدد إلى تأمل الإمكانات الجمالية التي ينطوي عنصر الخط عليها، وهو هنا يشير إلى ضرورة العودة إلى الخط المغربي بكل ما يحمله من خصوصية تاريخية وحضارية يقول :"حان الوقت لنمنح النص ابتهاجه، ونسترد ملكيتنا للخط المغربي". (22)

كما يصر على تجاوز الخط المطبعي لأنه كما يقول " عادة ما يلغى النص كجسد حروف باردة تسقط على الأوراق/البياض، يتحكم فيها سفر من اليمين إلى اليسار يختزن النص في معنى، و المعنى في كلام، يمحو نشوة القراءة، وتعدد الدلالة اتجاه واحد أوحد يخضع لأمر متعال، و يستكين لنمطية الحرف وتكراريته واستهلاكيته، فيما لا ينجو من تشويش الأخطاء، أو تهميش التصفيف والإخراج شيء ما يظل غائبا، إنه الجسد المترنح في ظل الحضرة ".(23)

ينبذ النص الشعري في ضوء هذا التصور التنظيري أحادية الدلالة الناتجة من فعل الكتابة المحتكمة إلى الخط المطبعي، ويدعو إلى خلق ثنائي حميمي الشعر/ خط الشاعر، تتقد بموجب لحمته الإثنينية نشوة القراءة، وينفتح المعنى على ممكن الدلالة، ومطلق الإيحاء.

يعتد الناقد طراد الكبيسي* من جهته بالنصوص الشعرية التراثية في بعدها التشكيلي البصري ويحتفي بها في دراسته "الشعر والكتابة / القصيدة البصرية " من خلال الحفر في عمق الظاهرة الشعرية التي تنوب فيها منظومة الدلائل البصرية عن منظومة الدلائل اللفظية في مناخات شعرية متعددة سواء في الشعر الغربي أو في الشعر العربي الحديث أو القديم، يقول: " إننا نفاجأ ونحن في احتفالية " ما صنعه الدادائيون والسورياليون وسواهم من شعراء الغرب، وما يصنعه بعض الشعراء العرب (..) أقول نفاجأ هنا بالعراق بشعراء من القرنين الثاني والثالث عشر، قد سبقوا كل هؤلاء كما سبقهم الوشاحون الأندلسيون في كتابة القصيدة التي تجمع بين اللغة والصورة، أي ما نسميه اليوم بالقصيدة البصرية ".(24)

ويضيف في نبرة ترد الاعتبار إلى قيمة التشكيلات البصرية التي صاحبت الشعر في التراث العربي والتي كثيرا ما تعرضت للسخرية: " إن هذه النماذج وهي ليست غير عينات تستدعينا حقا إلى إعادة النظر في تراثنا الثقافي والفني، هذا التراث الذي كثيرا ما تعرض للسخرية والهزء والنعت بالظلمة، فإذا كان للقصيدة البصرية الأوروبية والعربية المعاصرة قيمة جمالية ودلالية، فإن لهذا التراث (المشجرات) قيمة دون شك، وإذا كانت المشجرات لعبا وعبثا صبيانيا كما قيل فيها، فلماذا لا

تكون القصيدة البصرية المعاصرة لعبا وعبثا هي الأخرى ". (25)

ينزع طراد الكبيسي بهذا الإقرار إلى دعوة النقد إلى موضعة القصيدة الشعرية البصرية التراثية من جديد في حقل الاهتمام، معتبرا أن الشعر المعاصر قد تخطى حدود التمظهرات الشكلية البصرية في خلخلته للبناء الشكلي المتعارف عليه مفصحا عن وجود بدائل في بنيات الدلالة أي فيما وراء الشكل، تخرق أفق التوقع وتؤسس سقفا جديدا للتلقي مثلما اعترف بذلك النقاد العرب المعاصرون والغربيون على وجه التحديد.

يشكل من جهة أخرى كتاب "القصيدة التشكيلية في الشعر العربي" لمحمد نجيب التلاوي الصادر عن الهيئة العامة للكتاب سنة 1998 من الدراسات المعاصرة التي عنت بالشعرية البصرية العربية والغربية وبحثت مختلف قضاياها قديما وحديثا وإن كانت دراسات شربل داغر وطراد الكبيسي وغيرهما مهمة وجوهرية في هذا السياق، يقول التلاوي:"مارست القصيدة العربية رياضة التحولات الشكلية بعد ثبات عميق مع الشكل التقليدي لعمود الشعر، والذي انطلق من جمالية فطرية تعلن عن جمالية مبدأ التماثل الثنائي بين الشطرين بشكل أفقي يحتفظ بمساحة تمثل النفس الواجب بين الشطرين لإجادة الإلقاء ولإبراز الموسيقى الشعرية بشكل أفضل . لقد وجدت محاولات فردية لم يكتب لها الانتشار ..حتى كانت الموشحة، ثم محاولات التشكيل الشعري العربي بعد السقوط العباسي، والذي كثر بخاصة عند الفاطميين ورجالات الطرق الصوفية. وفي العصر الحديث كان إحياء الشكل المقطعي ...والشعر المرسل ومحاولات المهجريين الشكلية ...ثم الشعر الحر الذي مثل انطلاقة شكلية ساعدت ظاهرة التشكيل الشعري ....ثم محاولات قصيدة النثر – التي نتحفظ عليها - وكانت الدراسات التي تناولت الظاهرة محدودة للغاية ...ومنها ما تناول الظاهرة بشكل عرضي مثل(بكري شيخ أمين / الرافعي/ محمد كامل حسين/ عبد الحميد جيدة /عبده بدوي..) ومنهم من تناولها في بحوث قصيرة جدا أو مقالات مثل (طراد الكبيسي/بول شاؤول/منير العكش)..ومنهم من تناولها في عمل مطول مثل (شربل داغر)...وكلهم أطلقوا التسميات وعيونهم على التشكيل العربي بخاصة" .(26)

غير أن كتاب محمد الماكري " الشكل والخطاب ": مدخل لتحليل ظاهراتي " (27) قد خالف في طرحه تنظيرا، وتطبيقا ما ورد لدى غيره من الباحثين إذ أفرد لظاهرة الاشتغال الفضائي في الشعر العربي عموما والمغربي المعاصر على وجه الخصوص دراسة ظاهراتية استقت أدواتها الإجرائية من حقول معرفية تختلف في مرجعياتها الابستيمولوجية وأجهزتها الاصطلاحية، إلا أنها تلتقي عند مقاربة النص الشعري كبنية خطية وجشطالت (شكل بصري)، بعد أن ظل هذا الموضوع مهملا، وظلت المواكبة النقدية* للقصيدة البصرية محصورة في كتب قليلة أو مقالات لا تتعدى في تناولها حدود الاشارة إلى الموضوع وفي أحسن الأحوال حدود الوصف وعرض الانطباعات و التأويلات الذاتية وهي تعتمد في الغالب على المنهج التحليلي والموضوعي الذي حتى وإن طوق الظاهرة / موضوع الدرس من كافة جوانبها لا

يذهب في الاتجاه العمودي التفكيكي الكاشف عن أدق دقائق التفاصيل، ذلك أنه لايستند إلى جهاز نظري مدروس يربط خصوصية الظاهرة الشعرية في بعدها البصري بما تحيل إليه روافد البحث النظرية والتطبيقية من عمليات الوصف والتحليل والتأويل المتماشية مع هذه الخصوصية. وتتجلى قيمة كتاب محمد الماكري في كونه يقترح حقولا ثلاثة هي: السيميوطيقا والغرافيستيك (علم دلالة البنيات الخطية) والبلاغة البصرية من أجل خلق توليفة من الأدوات الإجرائية الكفيلة باستنطاق الأثر الشعري واختراق عوالمه المخفية في طيات الوعي الظاهراتي.

يستند طرح محمد الماكري على أرضية علمية مركبة من التحليل السيميوطيقي (وجهة نظر ش.س.بيرس وتثليثات العلامة لديه) ومن تحليل الكتابة الشعرية من المنظور الغرافيستيكي القائم على كشف طرق التدليل على المستوى التوزيعي والتركيبي الذي تشغله الوحدات الخطية للأنظمة المكتوبة الموزعة في فضاء بصري معين، (وجهة نظر طاجان ودولاج) كما يستثمر قوانين الانزياح المتعلقة بالأنظمة التعبيرية غير اللغوية للكشف عن بلاغة ممكنة في الخطاب البصري (وجهة نظر بيروتيت وكوكيلا ورولان بارت ..وغيرهما) .يقول الماكري : "لم يعد غريبا أن نقرأ أو نسمع عن الدور الذي بدأت تشغله مباحث ونظريات قد تبدو بعيدة عن المجال الأدبي كالنظريات الإعلامية، والهندسية، والبيولوجية، والذكاء الاصطناعي والنظريات السيميوطيقية المتأسسة على سند نظري ، منطقي ورياضي في معالجة المعطيات النصية ". (28)

كما أشار محمد الماكري بايجاز إلى جملة الشروط التاريخية والتقنية التي ترعرع في حضنها الشعر البصري بملامحه المتنوعة في الغرب (الشعر المجسم، والشعر الميكانيكي، والشعر المشهدي...)، وتتجلى أساسا في التطور الهائل الذي عرفته وسائل الاتصال الجماهيري عامة ومجال الاتصال الأدبي خاصة والذي احتلت معه القناة البصرية مقدمة الاهتمام في الإدراك والتواصل، وأبرز أن الهدف من دراسته هو اختراق الصمت الذي لازم التجربة الشعرية الفضائية العربية واستثمار مبادئ التحليل الظاهراتي الذي يعتبر أكثر مناهج التحليل النقدية موائمة لرصد تمظهرات الأشكال البصرية الشعرية وتفسير تشكيل الأفضية المفضلة خطيا وإيقاعيا في الشعر المعاصر مع ربطها بأسئلة الوعي الظاهراتية المتعلقة باستراتيجيات الإنتاج والتلقي، وهي أسئلة تنأى عن المعالجة السطحية والمبتسرة التي صادفناها في المقاربات والأعمال النقدية السابقة التي عالجت هذا الموضوع وإنما تحفر في عمق الظاهرة الشعرية البصرية من حيث البناء أي التشكل (في المرحلة الأولى) في وعي الشاعر ثم من حيث التشكيل أي التموضع في فضاء مبنين (في المرحلة الثانية) حيث تشتغل الأشكال في رحلة احتلال المواقع على الفضاء كمحفزات، يساعدها الحدس الذي يعمل بمثابة وسيط فاعل للذات المتلقية من أجل خلق وعي قراءة منظم سيكولوجيا وبلاغيا وسيميائيا . يقول الماكري : "لقد كان الاختيار الجشطالتي ملحا، بالنظر للأهمية التي أولتها نظرية الأشكال كفلسفة وكسيكولوجيا للإدراكات الحسية، والبصرية منها على وجه

الخصوص. هذا إضافة إلى كون الاقتراحات الجشطالتية مرتكز العديد من الاتجاهات البلاغية والسيميوطيقية المهتمة بالمعطيات البصرية في مجال الفنون التشكيلية والإعلان التجاري والملصق السياسي ...وحقل التواصل السمعي البصري" .(29)

وقف الماكري مليا عند الاشتغال الفضائي للنص الشعري المغربي المعاصر في بعض نماذجه (أحمد بلبداوي، محمد بنيس، محمد الميموني...) كاشفا عن مضمون الشكل، وعن السنن البصري التشكيلي القائم في حدود الإنجاز الشعري المفارق في شكله لنمطية الإنجاز المعهودة، كما أشار إلى وجود هذه الظاهرة في التراث العربي القديم من خلال الحديث عن الشكل النموذج في الشعر العربي وعن دلالته بوصفه علامة، مرورا ببعض التنويعات الشكلية اللاحقة عليه كالقواديسي والمسمط والموشح، وانتهاء ببعض الأشكال الفضائية الدالة في التراث الشعري العربي كالقلب والتفصيل والتختيم، وهذه الأشكال وإن انقرضت من مساحة التداول تظل أشكال أخرى تعلن عن هويتها البصرية التي تستوجب نمطا خاصا من التلقي والتأويل ومن أدوات الاستنطاق التي تكشف عن شعريتها البصرية.

الإحالات

1- عزيز الماضي، شكري: في نظرية الأدب. دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع .بيروت.ص33

2- ياكبسون، رومان : قضايا الشعرية . ترجمة محمد الولي ومبارك حنون .دار توبقال للنشر . ط1 . 1988 .ص 31

3- ويلك، رينيه ووارين، أوستين :نظرية الأدب . ترجمة، محي الدين صبحي .مراجعة حسام الدين الخطيب . الشركة الشريفية للتوزيع والصحف . الدار البيضاء . المغرب. ط3 .1985. ص131

4- تشارلتن، هـ .ب : فنون الأدب . تعريب وشرح : زكي نجيب محمود .مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . ط2 . 1959 ص 112

* : الجاحظ :أبو عمرو عثمان بن بحر : البيان والتبيين دار الكتب العلمية .بيروت .ج1 ط2 . 2003 .ص 64

5- التلاوي محمد نجيب:القصيدة التشكيلية في الشعر العربي.الهيئة المصرية العامة اللكتاب 1998(د.ط) ص56-57.

7- فرانكلين روجرز:الشعر والرسم.ترجمة مي مظفر.دار المأمون للترجمة.بغداد1990ص30

8- مجموعة من المؤلفين:في الشعرية البصرية.منشورات دار الثقافة والإعلام- الشارقة.1997.ص145

9- مفتاح ،محمد : الشعر وتناغم الكون . شركة النشر والتوزيع.المدارس. ط1 .2002. ص

51
10- العروي، عبد الله : الإيديولوجية العربية .ص268 . نقلا عن . شغيدل ، كريم : الشعر والفنون .دار الكتب الوطنية , بنغازي . ط1 . 2002 . ص 14
11- التلاوي محمد نجيب:القصيدة التشكيلية في الشعر العربي. ص28.
12- المرجع نفسه.الصفحة ذاتها.
13- عبد الحميد شاكر:الصورة في الأدب ضمن:عصر الصورة. السلبيات الإيجابيات.عالم المعرفة.ع 311.المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.الكويت.يناير2005 ص175.
14- عبد الحميد شاكر:المرجع السابق.ص178
15- بنيس محمد، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، دار العودة، ط1، 1979، ص 95.
16- م . نفسه، ص 95.
* هو صالح بن أبي الحسن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف، يكنى بأبي الطيب وأبي البقاء، كان فقيها حافظا متفننا في النظم والنثر، وله مقامات ومختصر في الفرائض، وكتاب اسمه الوافي (أو الكافي) في نظم القوافي، انظر :
- الزركلي : الأعلام ،ج .8.دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ،ط5 1980 ص 254
- المراكشي، ابن عبد الملك : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة . القسم الثاني، تحقيق : إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان (د.ط) .(د.ت) ص 136
17- م.نفسه،ص96-97.
18- بنيس، محمد : ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، ص98
19- بنيس محمد، بيان الكتابة، مجلة الثقافة الجديدة، ع : 19 . 1981
20- بنيس، محمد : بيان الكتابة .ص45
21- م . نفسه : ص 46
22- م . نفسه : ص47
23- بنيس، محمد، بيان الكتابة، ص ص : 46 – 47 .
24- نفسه، ص : 48 .
* - الكبيسي، طراد : الشعر و الكتابة / القصيدة البصرية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1986
25- م . نفسه .ص . 32 .
26- نفسه، ص : 38 .
27- محمد نجيب التلاوي :القصيدة التشكيلية في الشعر العربي:ص 16
28- الماكري محمد، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز العربي، ط 1، 1991 .
* :يمكن تصنيف هذه المواكبة القليلة إلى ثلاثة أنماط :
- نمط رافض للاتجاه من الأساس، يرى فيه عودة بالممارسة إلى عصور الانحطاط، وانغلاقا يؤشر على موت حضاري، وتقليدا ساذجا لتجارب الغربيين(انظر:منيرالعكش: أسئلة الشعر في حركة الخلق وكمال الحداثة وموتها1979) أو يرى فيه انفصالا بالكتابة، عن التاريخ ودورانا حول الذات(نجيب العوفي: إثبات الكتابة ونفي التاريخ . 1981)
- نمط متحمس في سذاجة واتباع غير مشروط، وتندرج في إطاره بعض المتابعات الصحفية لصدور بعض الأعمال الشعرية .

- نمط حاول الاقتراب من المظهر الفضائي في صورة تأريخ وعرض تصنيفي(طراد الكبيسي . الشعر والكتابة. القصيدة البصرية.1987) أو حاول صياغة مفاهيم إجرائية لمقاربة المظهر الفضائي في النصوص باعتباره عنصرا ثابتا انطلاقا من خلفية سيميوطيقية (محمد مفتاح : دينامية النص.1987) انظر : الماكري ، محمد : الشكل والخطاب. ص ص8-9.

29- م . نفسه ، ص6 .

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2012 .

مجلة العلوم الإنسانية عدد 38 – جوان 2012، ص.ص.53- 63

معوقات التنمية بالمجتمعات النامية

ملخص

تمثل معوقات التنمية الشاملة للمجتمعات النامية تحدّيا كبيرا أمام محاولة التقدم والتحديث، بالرغم من تعدد النظريات التي جاءت في إطار النسق المعرفي السوسيولوجي من أجل تحديد عناصر ومقومات التنمية بالمجتمعات المتخلفة إلاّ أن معظمها يسودها نوع من الغموض والتباين في كثير من الحالات، وخاصة فيما يتعلق بتحديد المعوقات التي تواجه العملية التنموية بالمجتمع النامي.

وفي ضوء ذلك أصبحت هذه الأخيرة موضوعا استقطب الكثير من الدارسين في حقل علم اجتماع التنمية، وهذا ضمن إطار تكاملي باعتبار أن التنمية هي عملية اقتصادية اجتماعية هدفها هو حل المشكلات التي تواجه الإنسان من خلال مجالات متعددة ومن هنا تتضح، أن هذه المشكلات قد تصنف معظمها ضمن معوقات التنمية.

وبوجه عام تعدّ عملية التنمية قضية معقدة ومتشابكة الجوانب، تختلف معوقاتها في عديد من الأبعاد المتداخلة التي لها خصائص مختلفة ولكنها مترابطة ومتداخلة تعمل بعضها من خلال بعض ويؤثر بعضها في البعض، مما يسمح بالتأكيد على أن معوقات التنمية أو تحديات التقدم ومظاهر التخلف متعددة ومتباينة تبعا لظروف كل مجتمع وخصائصه وإمكانياته. (1)

وانطلاقا من أن التنمية يجب أن تنبع من الواقع الاجتماعي لا أن تستمد من ثقافات مختلفة على اعتبار أن أي مشروع تنمية في مجتمع ما يهتم باستخدام الموارد المالية والبشرية وغيرها لتحقيق الأهداف المرسومة.

د. السعيد فكرون

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة المسيلة
الجزائر

مقدمة

وإن كنّا نود التأكيد على أن معوقات التنمية ليست على درجة واحدة من الأهمية والتأثير في عملية التنمية وتختلف درجة حدتها وشدتها وتعقيدها من واقع اجتماعي لآخر باختلاف الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، لكن يبقى لها وزن ودور كبيران فيما يتعلق بدرجة تأثيرها (يمكن أن يكون ايجابيا أو هامشيا)، فقد يصل البعض منها إلى حد إعاقة كاملة لعملية

Résumé

Le présent article traite des contraintes du développement auxquelles les pays du tiers-monde sont soumis dans leurs efforts pour réaliser le progrès et la prospérité et ce, en mobilisant les théories qui prévalent, en la matière, en sociologie du développement.

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر2012.

التنمية، وقد يكون لبعضها مجرد دور المساهمة مع غيرها في هذه الإعاقة وبدرجة هامشية.

وعموما يمكن أن نذكر أهم معوقات التنمية التي واجهت وتواجه عملية التنمية ضمن كافة الأبعاد الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية، الثقافية، الإدارية وغيرها... حيث قد تم ترتيبها وفق درجة تأثيرها.

1 أهم معوقات التنمية من الناحية الاجتماعية

أولا : ارتفاع معدلات النمو الديمغرافي ونقص الموارد الإنتاجية.

حيث تعاني معظم المجتمعات النامية من ارتفاع في مستوى نموها السكاني وبالمقابل نجد هناك انكماشا أو ركودا في مستوى النمو الاقتصادي وهو أمر تكون له آثاره السلبية على التنمية.

ومشكلة الانفجار السكاني تعدّ من أهم ما يجابه المجتمعات التي هي في طور التنمية في الوقت الحاضر، إلا أن الأساليب والأدوات المتاحة لحل هذه المشكلة مازالت ضعيفة لأنها تجابه تحدّيا ضخما من القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية، إضافة إلى ذلك فإن النمو السكاني يعتبر بمثابة عائق محلي في وجه التنمية ولو أنّه أقل خطورة من الانفجار السكاني.

وترتبت عن هذه الزيادة السكانية آثار سلبية على التنمية حيث ظهرت هذه الآثار في :

1. - أنّ الزيادة في نسبة النمو الديمغرافي يؤدي بالضرورة إلى التقلص في مستوى الدخل القومي.

2. - أنّ الخدمات الاجتماعية من خدمات صحية ومواصلات ... الخ. تتأثر تأثرا مباشرا بالارتفاع في الحجم السكاني، ذلك انه يفرض على الدولة استخدام موارد إنمائية جديدة، مما يكلفها اكثر ويضعف قدراتها الاقتصادية.

3. - أنّ كل زيادة في السكان تستهلك الزيادة في الإنتاج، وتستنزف بذلك كل عائد للجهد البشري المبذول.

4. - أنّ أي ارتفاع في مستوى النمو الديمغرافي يفرض على الدولة في كل الحالات من إنفاق جزء معتبر من مواردها من أجل تغطية الاحتياجات المتعددة الناتجة عن هذا الارتفاع. ممّا يرهق عائدات المجتمع ويقلّص من حجم الاستثمار المنتج الذي هو الأساس في تحريك عجلة التنمية.

5. - أنّ الزيادة في السكان يؤدي إلى دخول يد عاملة جديدة في سوق العمل، وبالتالي ارتفاع نسبة طالبي العمل.

6. - أنّ الزيادة السكانية تفرض على المجتمعات النامية زيادة نسب الإعالة في المجتمع، مما يزيد من حجم الأعباء الملقاة على الفئات العصرية المنتجة.

7. - أنّ الزيادة السكانية تفرض أيضا سياسة بيئية تتماشى والنمو الديمغرافي بشكل عام.

8. - سوء توزيع السكان بين المناطق وهو ما يشار إليه بخلل النسق الايكولوجي، والمقصود به أن المجتمعات النامية تعيش توزيعا غير عادل للسكان، وحتى في الخدمات بين المناطق، وخاصة بين الريف والمدينة.

ولمّا كانت المدن هي مركز التحضر والتقدم الاقتصادي والنمو الاجتماعي والتفوق الحضري فإنه من الممكن القول بأنه كلما ارتفعت نسبة التحضر في مجتمع ما زادت درجة تقدّمه ومعدّلات نموه والعكس صحيح.

وبالإضافة إلى انخفاض درجة التحضر ومعدلات النمو في المجتمعات المتخلفة، فإنّ هناك ظاهرة أخرى تسود هذه المجتمعات المتخلفة ويطلق عليها اسم الثنائية الإقليمية ويقصد بها وجود هوة كبيرة تتسع باستمرار بين المناطق الحضرية والمناطق الريفية في داخل المجتمع الواحد وينتج عنها عدم التكافل الإقليمي.

وتستخدم ظاهرة الثنائية الإقليمية أو عدم التكامل الإقليمي بوصفه مقياسا يشير إلى التخلف فالدفعة القوية وزيادة الاهتمام بالتركيز على تطوير مناطق معينة بالمجتمع وعدم توجيه الاهتمام والعناية اللازمة لمناطق أخرى قد تكون أقل نموا، وهذا الوضع هو متكرر في كثير من المجتمعات النامية (2)

***ثانيا* : انتشار الأمية وتقلص في مستويات التعليم :**

نحن نعرف بأنّ تقدم المجتمعات تقاس بمستويات التعليم فكلما كانت نسبة الأمية بالمجتمع ضعيفة كلما كانت هناك إمكانية أكثر في تحقيق أهداف العملية التنموية، وذلك لما التعليم من أهمية باعتبار أن العملية التعليمية هي بالأساس عملية اجتماعية، وبالتالي فإن ارتفاع نسبة التعليم لكل المستويات يسمح بالزيادة في مشاركة الأفراد في مشروعات التنمية بالمجتمع، وبالتالي ارتفاع في مستوى النمو.

والحقيقة أن المجتمعات النامية تعيش أوضاعا نسبية في مجال التعليم سواء على مستوى البرمجة أم التنفيذ أم ضمن الإطار التعليمي ككل، وعليه يمكن ذكر بعض الخصائص التي يتصف بها النظام التعليمي بالمجتمعات النامية والذي يشكل محتوى ومقومات هذه العملية.

أ. - ارتفاع في معدلات الأمية، حيث تشير الإحصاءات إلى أن المجتمعات العربية والإفريقية تعيش تخلفا تعليميا واضحا وكبيرا، حيث تتراوح نسبة ....

ب. - الذين يعرفون القراءة والكتابة حوالي 27 %، وهي نسبة قليلة بمقارنتها بالمعدل العام في العالم، والذي يبلغ حوالي66 %، وأنّه كلما كان معدل الأمية مرتفعا كلما ضعف مستوى الإدماج في العملية التنموية.

ج. - انخفاض في مستوى الإنفاق العام على التعليم والبحث العلمي في الدول النامية بحيث يبلغ % 5 من الدخل القومي، بينما في المجتمعات المتقدمة فيتراوح ما بين 8% و 10 %.

د. - التفاوت في التعليم بين الإناث والذكور في المجتمعات النامية.

ه. - إنّ معدلات انتشار التعليم يختلف بين المناطق الريفية والحضرية في المجتمع الواحد، فنجد التعليم (وسائل وإمكانيات) منتشرة بنسبة عالية في المناطق الحضرية بينما نجد الريف يعيش حرمانا كبيرا من هذه الخدمات.

و. - تعيش البلدان النامية عجزا كبيرا في الوسائل والإمكانيات أو البرامج والهياكل التعليمية (التأطير والوسائل التربوية – المناهج التعليمية – المباني ...الخ)

إن الأمية وضعف مستويات التعليم يعد بحق إحدى التحديات التي تواجه المجتمعات النامية في تحقيق نمو متكامل وشامل، وذلك للأسباب التالية كما يراها الدكتور "علي لطفي" في كتابه التنمية الاقتصادية.

*- أن الشخص الأمي يفشل في إدراك أهمية التنمية في مجتمعه ومتطلباتها المتعددة والمتباينة وبالتالي دورها في مقاومة التخلف.

*- أن عدم الإقبال على التعليم الفني والمهني يؤدي إلى نقص طاقات المتخصصين في المجال التصنيعي وهو أحد الأعمدة الأساسية في تنمية المجتمع.

*- يرتبط التعليم بالمستوى الصحي، فكلّما ارتفعت نسبة الأميين في المجتمع كلما انخفض المستوى الصحي، ومما لاشك فيه أن الفرد الأمي لا يعي المبادئ الصحية مما يسهل انتشار الأمراض، ومن ثم ارتفاع معدل الوفيات، وهو ما يفرض على الدول توجيه جزء من ميزانيتها لمحاربة الأوبئة والأمراض المتنقلة وعلاج المواطنين، وهذه الموارد كان من الضروري توجيهها لعملية التنمية.

ثالثا : انخفاض المستوى الصحي مع سوء التغذية بالمجتمع:

إن الوضع الصحي في كثير من البلدان النامية ضعيف جدا ذلك أن المنظومة الصحية بهذه البلدان إذا ما قورنت بالبلدان المتقدمة نجدها منخفضة سواء على مستوى الوسائل المادية المتوفرة، أم الإمكانيات البشرية الموجهة لهذا القطاع، ويتميز المستوى الصحي بالمجتمعات النامية بجملة من الخصائص نذكر منها : (3)

أ. - إرتفاع في معدلات الوفيات، وهذا نظرا لقلة الأدوية وضعف العناية الصحية.

ب. - يقل متوسط طول العمر في الدول النامية عنها في الدول المتقدمة.

ج. - عجز المجتمعات النامية في تحقيق توازن في التغذية، مما يؤدي إلى نقص في السعرات الكافية للفرد، والذي يترتب عن هذه الحالة ضعف صحي عام يؤثر تأثيرا سلبيا على الإنتاج، كما نجد الأمراض المزمنة والأوبئة منتشرة بكثرة.

د. - ضعف المنظومة الصحية بشكل عام في الدول النامية، حيث يتمثل أساسا في نقص الأطباء والممرضين والأدوية، والوسائل وضعف البنية التحتية بمقارنتها بالنمو الديمغرافي الذي تعيشه هذه المجتمعات سنويا.

ه. - تعاني المجتمعات النامية من عدم انتشار الوعي الصحي بين فئات المجتمع، مما ساعد في انتشار الأمراض وانتقالها بسهولة بين أفراد المجتمع الواحد.

و. - إنّ الظروف الصحية للمساكن، ونوعية المياه الصالحة للشرب وأنظمة صرف المياه الموجهة للسكان غير كافية، وفي وضع مأساوي مما زاد في انتشار الأمراض والأوبئة واتساعها.

***رابعا* : انتشار ظاهرة تشغيل الأطفال وعدم إدماج المرأة في نظام الشغل بشكل واسع:**

تنتشر بين الدول النامية ظاهرة عمل الأطفال خاصة في المناطق الريفية ويعود هذا إلى عدة أسباب، منها ضعف مستوى الدخل الأسرى، ارتفاع في مستوى حاجيات الأسر، وعدم التوزيع العادل للدخل القومي وضعف النظام التربوي والتعليمي...الخ.

إضافة إلى ذلك عدم توفر هذه المجتمعات على منظومة قانونية تمنع تشغيل الأطفال.

وينجم في نظر الكثير من الدارسين في حقل علم اجتماع التنمية عن تشغيل الأطفال آثار سلبية معوقة للتنمية نذكر منها:

حرمان هؤلاء الأطفال من الالتحاق بمعاهد التعليم والتكوين، وهو ما يؤثر سلبا على المستوى التعليمي لهذه الفئة، فضلا عن إصابة كثير من الأطفال بأمراض مهنية وضعف عام وتعرضهم للخطر والحوادث المختلفة...الخ. وهو ما يؤثر سلبا على عملية التنمية. (4).

خامسا : انتشار عادات وتقاليد سلبية مرتبطة خاصة بالنظام الاستهلاكي.

تنتشر بين المجتمعات النامية عادات ومظاهر إضافية لا تسهم في دفع عملية التنمية نحو الأفضل، ومنها عادات الإنفاق البذخي وصور التبذير خاصة أثناء المناسبات الخاصة بالزواج والوفاة والمناسبات الدينية، والإسراف في استهلاك المياه والطاقة والكماليات...الخ.

التنمية من الناحية الاقتصادية:

تعدّ ظاهرة البطالة من أهم المعوقات التي تواجه المجتمعات النامية في تنميتها، ذلك أن انتشار البطالة وبشكل واسع بين الأفراد يقلص من اشتراك نسبة عالية في عملية التنمية، وبالتالي يؤثر ذلك في الإنتاج الكلي للمجتمع من جهة، وفي ارتفاع مستوى النفقات الموجهة للمجتمع (الخدمات) من جهة أخرى، وهذا يعود بالضرورة إلى تقاسم دخل واحد من قبل مجموعة من الأفراد مما ينتج عنه انخفاض في مستوى الدخل الفردي وتقليل معدل توفير رأس المال، وبالتالي التقليل من مستوى الاستثمار، وهي عناصر تؤثر إلى حد كبير في عملية التنمية.

أولا : انتشار مستويات عالية من البطالة بالمجتمع.

أ- البطالة الكلية: "chômage total" يخص هذا النوع عدد من السكان بصورة مباشرة بحيث لا يعملون كلية.

ب- البطالة الموسمية: ويكون فيها عدد من أفراد المجتمع في حالة بطالة جزئية أثناء السنة، وينتشر هذا النوع في القطاع الزراعي.

ج- البطالة المقنعة: وهي الزيادة في قوة العمل التي لا يقابلها زيادة في الإنتاج.

ثانيا : ضعف البنيان الصناعي :

تعد الصناعة أحد مقومات التنمية في المجتمع باعتبارها أحد مجالات الأنشطة الاقتصادية الأساسية، وذلك بخلاف كل من النشاط الفلاحي والخدمي، وتعاني الدول النامية عجزا كبيرا في التصنيع بحيث أن بنيانها الصناعي من حيث الإنتاج الصناعي (التكنولوجيا) أو تشغيل اليد العاملة ضعيفا.

فبينما تبلغ نسبة العاملين في المجالات الصناعية في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية على التوالي 10 %، و 11 %، و 17 % من مجموع سكانها فإنّ النسبة في أمريكا الشمالية هي 37 % وفي أوربا 42 % . (5)

أضف إلى ذلك فإنّ معظم المشتغلين في قطاع الصناعة يعملون في الصناعات الخفيفة مثل الغزل والنسيج ...الخ عكس أكبر المشتغلين منهم في نفس القطاع بالدول الصناعية المتقدمة حيث نجد أكثر عدد من العمال موجودين بالصناعات الثقيلة.

ثالثا : ضعف البنيان الزراعي:

يتصف البنيان الزراعي بالدول النامية بالضعف والفوضى سواء من حيث الحجم الإنتاجي والتشغيل أم من حيث طبيعة الملكية وطرق استغلال الأراضي الصالحة للزراعة ...الخ.

وعموما نجد أن القطاع الزراعي بالدول النامية يعيش نقائص عديدة منها:

أ-عدم استخدام المكننة المتطورة في استغلال الأراضي.

ب-ارتفاع نسبة اليد العاملة في هذا القطاع مقارنتها بالمساحات الفلاحية المستغلة، بمعنى عدم التكافؤ بين العمالة والمساحات الزراعية (من حيث الإنتاج والتوظيف).

ج- عدم توفر نظام معين يسمح بتوزيع عادل للملكية الزراعية مما أدى بالضرورة إلى بروز طبقتين (طبقة الأغنياء، طبقة الفقراء)، هذا الوضع أسهم في ضعف توزيع الدخل القومي بطريقة عادلة وبالتالي انخفاض الإنفاق بالشكل الذي لم يساعد فئة واسعة من المجتمع النامي على الادّخار .

د- عدم فعالية الإصلاحات التي أتبعت في القطاع الزراعي، وخاصة فيما يتعلق بمحاربة الأمراض والآفات الزراعية، وطرق ووسائل الري، ونوعية البذور، طبيعة الملكية، هجرة اليد العاملة الريفية ...الخ

هـ- سيادة الإنتاج الواحد، حيث يعتمد الدخل القومي في البلدان النامية على سلعة أو مادة واحدة من المنتجات الموجهة للتصدير، وهو ما يؤدي إلى أن تصبح اقتصادياتها عرضة لتقلبات عنيفة قد تسببها العوامل البيئية الطبيعية غير المواتية. فضلا عن السياسة الاقتصادية الصناعية التي تجعل اقتصادها تحت رحمة الأسواق العالمية وما يصيبها من كساد أو رواج. (6)

رابعا : عدم القدرة على خلق مصادر جديدة للثروة:

من بين الصعوبات التي تواجه الدول النامية عدم القدرة على خلق ثروات بديلة باستطاعتها تعويض المنتجات الأولية المصدّرة، وهذا في حالة انخفاض أسعارها بالسوق، ويرجع هذا في نظر الدكتور"علي لطفـي" في كتابه "التنمية الاقتصادية" إلى :

1- عدم اتّباع الأسلوب العلمي في مجال الاستقلال الاقتصادي لموارد الطبيعة.
2- عدم توافر العناصر الفنية الخبيرة والمدّربة في هذه المجالات.
3- ارتفاع تكاليف الإنتاج والعمليات الاستخراجية.
4- عدم توافر عناصر إنتاج أخرى لازمة لاستغلال تلك الموارد.
5- ضيق السوق المحلي وعدم قدرته على استغلال تلك الثروات مع صعوبة تصديرها إلى الخارج.
6- سوء إدارة الوحدات الإنتاجية التي تتولى استغلال الموارد الطبيعية بوجه عام.

خامسا : نقص رؤوس الأموال الموجهة للاستثمار:

وتعدّ من أهم المشكلات التي تعيشها المجتمعات النامية، والتي لم تسمح بتحقيق تنمية واقعية ومستمرة، ومن بين عواملها نجد:

أ. - نقص الادّخار سواء الادخار الفردي أم القومي، وقد أدّى هذا إلى نقص في رؤوس الأموال الموجهة للاستثمارات، فبينما تصل نسبة الادخار إلى الدّخل الكلي في البلدان المتقدمة إلى 15 %، و 20 % إنّها لا تتعدى نسبة 5 % في البلدان النامية. إضافة إلى ذلك فإن نقص الادّخار ينتج عنه انخفاض في القوة الإنتاجية في المجتمع، وانخفاض مستوى الدخول، وبالتالي ضعف القوة الشرائية.

ب. - نقص المؤسسات الادّخارية والمالية النقدية، حيث تعاني المجتمعات النامية من عجز كبير في المؤسسات النقدية المالية كالبنوك الادخارية وصناديق التوفير، والبنوك ...الخ.

ج.- الاكتناز حيث تمثل نسبة الاكتناز إلى حوالي 10 % من الدخل القومي في بعض البلدان النامية، وهي نسبة عالية ولها آثارها السلبية على التنمية.

د. - هروب رؤوس الأموال نحو الخارج، إذ تعيش الدول النامية هجرة كبيرة في رؤوس الأموال نحو الخارج، حيث يفضل أصحاب رؤوس الأموال بالمجتمعات النامية توظيفها بالبلدان المتقدمة وهذا لاعتبارات عديدة.

ه. - الاستثمار غير المنتج حيث نجد معظم أصحاب رؤوس الأموال بالبلدان النامية يوظفون أموالهم في مجالات غير منتجة، لا تحقق زيادة في الإنتاج، وبالتالي لا تساعد في خلق مصادر استثمارات جديدة.

و. - محاكاة نمط الإنفاق الاستهلاكي ويقصد به اقتناء المواد والمنتجات الكمالية التي تضعف الادخار.

ز. - تضخم النفقات الإدارية في الدول حيث نجد الدول النامية تنفق أموالا ضخمة من مجموع إجراءات ميزانية الدولة في نفقات غير رشيدة.

ح.- انخفاض متوسط الدخل الفردي والقوة الشرائية وفي هذا الصدد يرى "الدكتور محمد شفيق" في كتابه الموسوم بـ"التنمية الاجتماعية" أن نسبة متوسط الدخل الفردي في الدول النامية إلى الدول المتقدمة يمثل الـ: 15/1 تقريبا، وهذا لا ينطبق على الدول

البترولية الذي تزداد في بعضها نسبة متوسط الدخل الفردي فيها ثلاثة أو أربعة أضعاف في بعض الدول المتقدمة.

لكن لا يعني هذا أن الدول البترولية أكثر تقدما من الدول الصناعية، إنما يرجع ذلك إلى أثر الزيادة المفاجئة الكبيرة في أسعار البترول والتي حصلت ابتداء من عام 1974 وليس لتحقيقها تنمية اقتصادية حقيقية. (7)

ويعود سبب الانخفاض في متوسط الدخل إلى نقص في مستوى الادّخار، وبالتالي انخفاض حجم رؤوس الأموال الموجهة نحو الاستثمار.

هذا إذا علمنا أن نصيب البلدان النامية من الإنتاج العالمي يمثل 20 %، ونصيبها من الإنتاج الصناعي لا يتجاوز 5 %، ونصيبها من الدخل القومي للتجارة الخارجية يقدر بـ 25 %، بينما نجد 75 % بيد الدول الصناعية.

ويمثل هذا التوزيع غير العادل في الدخل الكلي العالمي صعوبات جوهرية ومهمة في انتقال اقتصاديات دول العالم النامي من مرحلة الانكماش والضعف إلى مرحلة الحركة والتطور والنمو.

3- أهم معوقات التنمية من الناحية الإدارية.

تتمثل هذه المعوقات في كون المشكلة الإدارية في المجتمعات النامية لا تساعد في تحقيق تنمية متوازنة، وتظهر هذه المعوقات الإدارية في المجتمع النامي في جملة من النقاط منها:

أ. - الاعتماد على الأساليب الإدارية التقليدية سواء في توزيع التخصصات أم في توزيع المهام وعدم توظيف الأساليب والطرق الإدارية الحديثة.

ب. - البطء الشديد في اتخاذ الاجراءات والقرارات اللازمة في تسيير الموارد البشرية والمالية والتهرب من تحمل المسؤولية مع تفشي ظاهرة البيروقراطية.

ج. - مركزية النشر.

د. - عدم واقعية الأهداف التي تحدد ضمن إستراتيجيات مختلفة سواء في المجال التعليمي أو الصناعي أو الزراعي الخ.... مع رفع شعارات لا تتماشى والأهداف المرسومة. " مما يضطر المسؤولين في البلدان النامية إلى تسطير برامج إنمائية خيالية مثل إفتتاح خطوط جوية مردوديتها تكون محدودة، أو إنشاء مصانع ذات إنتاج متخصص تتطلب موارد مالية عالية تكون الدولة عاجزة عن تحقيقها مما يؤدي إلى إهدار الموارد الطبيعية والطاقات البشرية واستنزاف القدرات الاقتصادية لتلك الدول. (8)

ه. - عدم تتبع نظام واضح في كثير من الميادين خاصة الميدان التجاري يهدف أساسا إلى ضبط المعاملات الناتجة عن توزيع المنتجات، الضرائب، الأسعار ...الخ .

و. - تسرب العمالة الماهرة المتخصصة في كثير من القطاعات والميادين الإنتاجية التي تعدّ أساسية إلى خارج المجتمع.

ز. - ضعف كبير في مستوى الخدمات المتعددة المقدمة لأفراد المجتمع مع تعرضهم إلى معاناة في كثير من مجالات الحياة: نقص الكهرباء الغاز، المياه،...الخ، مما يؤثر سلبا في تنمية المجتمع.

ح. - عدم نزاهة المسؤولين وعدم صلاحيتهم في تسيير الشؤون العامة للمجتمع، مع بروز انحرافات كثيرة لدى القيادة والحكام.

ط. - الاعتماد على الجهوية والمحسوبية في التعيينات بعيدا عن القدرة والتخصص والكفاءة.

إن عدم وجود سياسة واضحة تعمل على متابعة المشاريع الواجب إنجازها وتقييمها، وبالتالي غياب القانون في كثير من الحالات مع التستر على الأخطاء الإدارية والمالية، وعدم تنفيذ القواعد الإدارية المعمول بها في تسيير الشؤون العامة للمجتمع النامي كل هذا لا يسمح بتحقيق تنمية واسعة ومستمرة بالمجتمعات النامية . (9)

4 - المعوقات من الناحية السياسية:

من أهم المعوقات في المجال السياسي يمكن ذكر ما يلي:

أولا : التبعية السياسية إذ نجد الدول المتقدمة تمارس ضغوطا واضحة على الدول النامية حتى تصبح موالية لها، وقد يؤدي هذا الضغط في بعض الأحيان إلى حدوث ثورات واضطرابات داخل هذه البلدان النامية.

وما المساعدات (الاقتصادية، العسكرية والتكنولوجية) التي تتشدق بها الدول الصناعية للدول النامية إلا عاملا من العوامل التي تبقى على تبعية هذه الدول لها ولنظامها الاقتصادي والسياسي.

أضف إلى ذلك فإن الكثير من الاتفاقيات الاقتصادية تكون مشروطة بمقابل معين كالحصول على قواعد عسكرية أو تسهيلات على أراضيها أو الحصول على تأييد لمواقف سياسية معينة...الخ.

ثانيا: أن الوضع الاستعماري الذي عايشته معظم البلدان النامية بقيت آثاره السلبية إلى حد الآن، مما يصبح متغيرا جوهريا في بناء أي خطة تنموية يجب اتخاذها.

ثالثا : أن المجتمعات النامية تشتهر بعدم الاستقرار السياسي، وهذا من حيث انتشار الحروب الأهلية والاضطرابات العرقية التي تعد عاملا يؤثر سلبا في تنمية المجتمع.

رابعا : أن جل المجتمعات النامية تفتقر إلى حد كبير لنظام ديمقراطي يسمح بمشاركة سياسية مهمة تفتح المجال أمام كل أفراد المجتمع من أجل التداول على الحكم.

خامسا : عموما نجد القوة الاقتصادية والسياسية بالمجتمعات النامية متمركزة في طبقة اجتماعية واحدة هذا إن لم نقل في يد أسرة أو جماعة واحدة حاكمة وهذا ما يؤدي بالضرورة إلى احتكار السلطة وبالتالي اللاعدالة في توزيعها.

سادسا: ضعف الوعي السياسي لدى الفرد بالمجتمعات النامية ويظهر هذا جليا في ضعف المشاركة السياسية وتدني الثقافة السياسية بالمجتمع.

سابعا : تأثير العلاقات غير الرسمية (من عادات وتقاليد وأعراف والروابط التقليدية القبلية) على النظم السياسية، ومنه على عملية اتخاذ القرارات السياسية اللازمة لأي

عملية تنموية بالمجتمع.

خاتمة

إذا كانت المجتمعات النامية قد واجهت تحديات فرضها التطور التاريخي المرتبط بالاستعمار، فبعد نيلها الاستقلال السياسي نجدها قد واجهت تحديات أكبر وأعظم من إحداث التغيير والتحول باتجاه أوضاع جديدة ومستقرة.

فمن وضعية الاختيار بين النماذج والأساليب التنموية المطروحة (إن كانت هناك حقيقة حرية الاختيار لهذه المجتمعات)، إلى وضعية الصراع ومواجهة المشكلات والعوائق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية، والتي بدون شك أثرت إلى حد كبير في السياسة التنموية، وبالتالي لم تسهل في بعث هذه العملية على أسس سليمة ودائمة.

فبالرغم من حدة وتناقض وتعدد المعوقات التي واجهت تنمية المجتمعات النامية، إلا أن هذه الأخيرة قد حاولت في كثير من المراحل مواجهة كل من الأوضاع الداخلية والوقائع العالمية التي لم تكن تقبل الضعفاء، حقيقة أن تخطي هذه العقبات قد كلف المجتمعات النامية كثيرا.

المراجع

1- محمد شفيق: التنمية الاجتماعية دراسات في قضايا التنمية ومشكلات المجتمع، مصر، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، 1999.
2- عبد الباسط محمد حسن : التنمية الاجتماعية ط 4، القاهرة، مكتبة وهبة، 1982، ص ص 56، 58.
3- علي لطفي : التنمية الاقتصادية، دراسة تحليلية، القاهرة، مكتبة عين شمس، 1980، ص ص 76، 79.
4- محمد شفيق: مرجع سابق، ص 58.
5- علي لطفي :مرجع سابق، ص 37.
6- محمد شفيق: مرجع سابق، ص 72.
7- نفس المرجع، ص 72.
8- محمد صلاح بسيوني:التحديات الاجتماعية لتخطيط التنمية، دراسة مقارنة على نماذج من المجتمعات المحلية المخططة في بعض الدول الإفريقية، الإسكندرية، 1977، ص ص 88، 90.
9- احمد مجدي حجازي وشادية قناوي: التنمية ومشكلات التخلف في المجتمع المصري، القاهرة، دار الكتاب للنشر والتوزيع، 1987، ص 197.

واقع البحث العلمي في الوطن العربي في ظل الفجوة المعرفية العالمية

أ. شريفة معدن
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة أم البواقي
الجزائر

ملخص

تزايدت النداءات خلال السنوات الأخيرة بضرورة الاهتمام بالتعليم وجودته في جميع مراحله، باعتباره مصدر الطاقة البشرية ومكون فعال لرأس المال البشري الاجتماعي والفكري والثقافي للفرد، والكفاءات والكوادر العلمية التي من خلالها يمكن لأي مجتمع أن يلج إلى مجتمع المعرفة بنجاح.

فالعالم اليوم حسب آخر التقارير العالمية يشهد نموا اقتصاديا، فريدا من نوعه، نتيجة النمو السريع للتكنولوجيا الرقمية الجديدة، والتطور الهائل في البحث العلمي والابتكار، أديا إلى بزوغ عدد من البلدان الكبيرة على الساحة العالمية وبصورة متميزة، وتربع العديد من الدول على عرش التقدم والتطور كالولايات المتحدة الأمريكية واليابان، السويد والصين وغيرها. هذا التطور والتميز أضاف فجوة معرفية إلى الشرخ الرقمي، بين العالم المتقدم والعالم النامي خاصة الدول العربية، التي رغم محاولات اللحاق بالركب، من خلال وضع استراتيجيات طموحة خاصة بالعلوم والتكنولوجيا وبالبحث العلمي، إلا أنها لا تزال بعيدة جدا عن مؤشرات التطور والتقدم العلمي، والاستثمار في المورد البشري.

فما محل العالم العربي من هذا التقدم العلمي والتطور الاقتصادي الذي أحدثته المعرفة العلمية؟ وما هو واقع البحث العلمي في الوطن العربي؟ وما هي سبل تفعيل دوره للنهوض بالمجتمع العربي في ظل تحديات مجتمع المعرفة؟

Abstract

The claim for equality in education has increased in the last few years as it is considered as the source of human power, an effective constituent of the individual's social, cultural and ideological capital and the scientific competencies through which society may realize knowledge successfully.

مقدمة

تشهد مجتمعات اليوم تطورا كبيرا وسريعا، تجاوز التطور الذي أحدثته الثورة الصناعية منذ أكثر من قرن من الزمن، فالمجتمعات الحديثة تعددت تسمياتها بتعدد المفكرين الذين تناولوا بالتحليل والتفسير تطورها وسيرورتها.فأطلق عليها عالم الاتصال الشهير "مارشال ماك لوهان" اسم القرية العالمية،أو العهد التكنولوجي، وسماها "ألفن توفلر" الأمريكي مجتمعات الموجة الثالثة،

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2012

According to recent reports, the According to recent reports, the world nowadays witnesses a unique economic growth as a result of the rapid growth of technology, scientific research and inventions which led to the emergence of a few great countries in the world in a unique way. This development and growth widened a knowledge gap between the developed and the developing countries, especially the Arab countries, which even tried to catch up the path through setting ambitious strategies concerning sciences, technology and scientific research. However, they are still far from the indicators of scientific growth and the human investment. So, what is the place of the Arab world in that scientific growth and economic development resulted from the scientific knowledge? What is the status of scientific research in the Arab world? What are the ways to activate scientific research to develop and promote the Arab society under the challenges of knowledge? This study attempts to answer these questions.

أما "مانويل كاستيل" الاسباني فأطلق عليها اسم مجتمعات الشبكات. ومهما تباينت التسميات فإنها تصب في سياق واحد أطلق عليه عالميا اسم "مجتمعات المعرفة"، هذه الأخيرة التي تلعب فيها تكنولوجيات الإعلام والاتصال دورا مهما وبارزا.

فمنذ أكثر من عشرين سنة عرفت تكنولوجيات الإعلام والاتصال تطورا سريعا،أدت إلى إحداث انقلاب في العالم، وأدى تطبيقها وانتشارها إلى تغيرات جوهرية في أساليب الحياة والعمل والصناعة والتجارة والاتصالات والإدارة وفي العديد من المجالات، حيث يقول "السيد يس" في كتابه "المعلوماتية وحضارة العولمة" هناك توقعات بأن تكنولوجيات الإعلام والاتصال ستنفذ إلى كل مجالات الحياة وستصبح مع مرور الزمن الأداة الرئيسية للتغير الاجتماعي.

فمثلما انتقلت المجتمعات من زراعية إلى صناعية في العصر الصناعي، يتحرك العالم اليوم والناس خصوصا، من القوة العضلية إلى القوة العقلية، في مجتمع جديد وفي إطار نظام عالمي مبني على المعلومة. فالعالم يتغير تغيرات كبرى، والثورة العلمية تشق طريقها لتشكل مجتمعات إنسانية غير مسبوقة، تحكمها قيم جديدة وأساليب حياة مستحدثة، لم يشهدها القرن العشرين من قبل.

إذن فمجتمعات اليوم تعيش عصر التحولات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، وعصر تفجر المعلوماتية وانعكاساتها في كافة مجالات الحياة. ولاسيما في مجال البحث العلمي، الذي أصبح من أهم عوامل التقدم والنمو الاقتصادي،جعل العالم يقفز درجات هائلة في التقدم والنمو بسرعات غير مسبوقة.

ولهذا كانت ضرورة الاهتمام بالتعليم وبجودته في مختلف مراحله، نظرا لأهميته البالغة في تكوين المورد البشري القادر على صناعة المعرفة واستثمارها من أجل تحقيق الانتعاش الاقتصادي. فكانت المبادرات من أجل إصلاح النظم التربوية والتعليمية، وإعادة صياغة الخطط التنموية واستراتيجيات التطوير لتتماشى مع متطلبات العصر الجديد، فتحول الاعتماد من الثروات الطبيعية في صناعة اقتصاد الأمم إلى الثروات البشرية والقدرات الفكرية والعقلية، التي تعد محور اقتصاد المعرفة الجديد.

فتسارعت الجهود العالمية لبناء القاعدة التكنولوجية والمعرفية القوية، بتعزيز دور العلم والتعليم وتفعيل البحث العلمي، من خلال رفع نسبة الإنفاق على هذا القطاع، والاهتمام بتكوين المورد البشري وتأهيله وفق أسس تكنولوجية علمية حديثة، لاستثماره في مجال البحث والتطوير. فاشتد التنافس العالمي وتزايد السباق إلى السيطرة المعرفية.وتأكد أنها السبيل الوحيد للوجود على الخارطة السياسية والاقتصادية العالمية.

ففي ظل هذه المعطيات الجديدة ما هو محل العالم العربي من هذا النمو الاقتصادي المتسارع؟ وما هو واقع البحث العلمي في الوطن العربي في ظل الفجوة المعرفية العالمية؟

أولا: الموارد البشرية ثروة حقيقة للأمم :

إن إدراك الحاجة إلى تقويم القيمة الاقتصادية للإنسان تعود إلى الفكر الاقتصادي في مراحله المبكرة، ففي سنة 1766 اعتبر آدم سميث (A. Smith)، أن مهارات العمال هي القوة المهيمنة على عملية النمو الاقتصادي. فأكد على أوجه الشبه بين الاستثمار في رأس المال المادي ورأس المال البشري، مبينا بأن العامل المتعلم يشبه الآلة الثمينة. وبعد قرن من الزمن جاء(A. Marshall) ليعتبر التعليم استثمارا في الناس،موضحا وجه التشابه بين هذا النوع من الاستثمار وبين الاستثمار في الآلة، فحسب قوله أن «العامل يبيع عمله،ولكنه يبقى هو نفسه ملكا لنفسه"(بدران،2000،ص31).

غير أن قبول التعليم دوليا كاستثمار في رأس المال البشري، وتشبيهه بالاستثمار في رأس المال المادي،لم يؤد إلى أي تطبيق جدي لتقنيات تقويم الاستثمارات والنفقات في التعليم حتى الستينات. أي بعد جهود المفكرين الاقتصاديين وبلورة نظرية رأس المال البشري. والتي ترجع أساسا إلى أعمال كل من (E.Denison)،(T.W.Schultz)،(J.Mincer)،(G.Becker)...منذ ثلاثين سنة،حيث نجد نقطة البداية في أعمال الاقتصادي دينسن(1962)، الذي قام بتحليل معدلات النمو الاقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية، واستخلص أن ارتفاع كمية العمل والوسائل الداخلة في عملية الإنتاج،لا تفسر سوى نصف معدلات النمو المحققة (بدران،2000،ص34).

ويعتبر شولتز (1961) من الأوائل الذين اقترحوا مفهوم "التكوين والتعليم" كعامل يفسر هذا الفارق. وقد اعتبرت هذه النظرية أن التكوين والتعليم هو استثمار بكل المقاييس ويساعد بكل سهولة الفرد على الاندماج في سوق العمل.

كما وجد كل من الاقتصاديين Lee&Barro (1994-2000)،بدراستهما لمحددات النمو الاقتصادي في عدد كبير من دول العالم للفترة بين 1960 و 1995) (Kamanzi,2007,p98، أن من محددات النمو المهمة مخزون رأس المال البشري الأولي في البلدان وخصائص سكانها،فقد تبين أن النمو مرتبط ايجابيا بالمستوى الأولي لمتوسط سنوات التحصيل المدرسي من المستويين الثانوي والعالي للذكور البالغين.وفسر ذلك بان العمال ذوي التعليم الأعلى مكملون للتقانات الجديدة،يؤدون

دورا مهما في نشر التقانات.

وبهذا تخلص نظرية الرأس المال البشري إلى فكرة مفادها، أن الكفاءات المكتسبة من النظام التعليمي،مدرسة كانت أو ثانوية أو جامعة ترفع إنتاجية الأفراد، وبالتالي تزيد من الدخل المكتسب من العمل، بعبارة أخرى فإنها تعد شكلا من رأس المال البشري، فالتربية والتعليم إذن تعتبرهما كاستثمار في الرأس المال البشري.

بناء على هذه المعطيات ظهرت ضرورة الاعتماد على نهج جديد يضع الإنسان في صلب الاقتصاد والتنمية البشرية. هذه الأخيرة التي توسع خيارات البشر وتكرس حقهم في الصحة والتعليم وفي الحياة المديدة، وضمان الحريات السياسية، وحقوق الإنسان وهذا يذكر بما قاله "آدم سميث" عن "القدرة على الحياة من غير خجل" (Kamanzi,2007,p94)، مما لاقى هذا النهج الجديد الاستحسان لدى الحكومات ومنظمات المجتمع المدني والباحثين ووسائل الإعلام،وهو دليل على الأثر العميق الذي أحدثه هذا النهج الجديد في الأوساط المعنية بالتنمية وخارجها.

شكل رقم (01) يوضح مختلف الارتباطات بين مظاهر رأس المال البشري

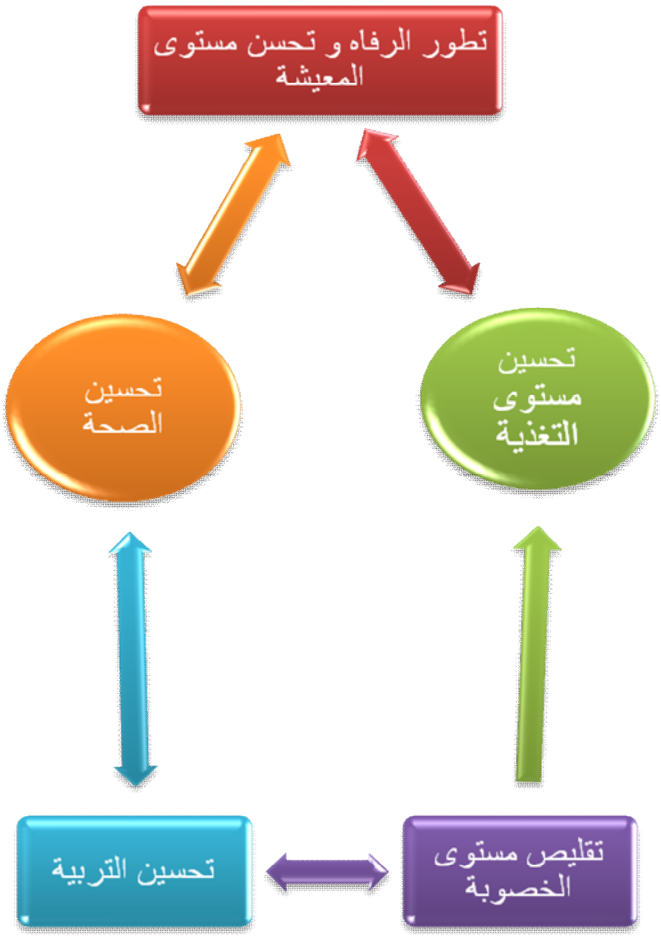

فالتنمية البشرية تعني إدامة النتائج الايجابية وتثبيتها عبر الزمن.كما تعني مكافحة الأنماط والممارسات التي تفقر البشر، وترسخ القمع وتكرس الإجحاف الهيكلي. وبهذا

يصبح تطبيق مبادئ عامة مثل الإنصاف والاستدامة، واحترام حقوق الإنسان ضرورة ملحة.

التعليم ومهمة تأهيل الموارد البشرية:

يعتبر التعليم الركيزة الأساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة، فهو مصدر العنصر البشري المتعلم والمتكون تكوينا متميزا، له دوره المهم في النهضة والتطور المادي للمجتمع، وتفعيل ديناميكية التنمية الاجتماعية والاقتصادية.في ظل نمط مجتمعي جديد تلعب فيه المعرفة والعلم والبحث العلمي الدور الأساس، وتأخذ الأولوية في الاهتمام والتمويل والتخطيط. لذلك فسياسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية الناجحة هي التي تقوم على حسن استغلال والاستثمار في العنصر البشري في المجتمع. فقد يكون كما قال "مالك بن نبي" العنصر المؤسس للحضارة أو يكون سببا لانهيارها وانحطاطها.

ولا تقتصر أهمية التعليم من منظور التنمية البشرية المستدامة على كونه يؤدي إلى تحسين نوعية عنصر العمل وزيادة إنتاجيته فحسب، وإنما هو حق من حقوق الإنسان الأساسية وهو غاية في حد ذاته،وإشباع يحتاج إليه البشر لتمكينهم من ممارسة حياتهم وأدوارهم الإنسانية المختلفة على نحو أفضل.

وهو من العوامل المهمة لمكافحة الفقر من خلال منح الناس مهارات تزيد من قدرتهم على الكسب والحصول على فرص عمل أفضل، فيزود الفرد بالقدرة على التواصل والانتماء الفعال للمجتمع ومقاومة التهميش والعزل، وعلى العموم فالتعليم يمثل احد مظاهر تكوين وتراكم رأس المال البشري،الذي يعتبر من ركائز الاستدامة في التنمية البشرية.

من هنا ينبع الاهتمام الفائق بالتعليم وجودته في جميع مراحله، باعتباره مصدر الطاقة البشرية ومكون فعال لرأس المال البشري الاجتماعي والفكري والثقافي للفرد. والكفاءات والكوادر العلمية التي من خلالها يمكن لأي مجتمع أن يلج إلى مجتمع المعرفة بنجاح. فتزايدت النداءات العالمية بضرورة ضمان جودة التعليم في مختلف مستوياته، وصدرت العديد من التقارير العالمية تتضمن شعارات من أهمها " التعليم مدى الحياة"، "التعليم:الكنز المخبوء بداخله"،محاولة العمل على تجسيدها على أرض الواقع باعتبارها النهج الأمثل من أجل تحقيق النمو الاقتصادي والرقي الحضاري للشعوب.

فأصبحت النظرة العالمية للتعليم نظرة متكاملة وشاملة، قائمة على تعليم مستمر طوال العمر، يرتكز على أربعة دعائم أساسية هي:

- ⇦ تعلم لتعرف
- ⇦ تعلم لتعمل
- ⇦ تعلم لتعيش مع الآخرين
- ⇦ تعلم لتكون

شكل قم (02) النظرة العالمية للتعليم في مجتمع المعرفة

فبالعلم اليوم نكون أو لا نكون، نظرا للدور المتنامي للمعرفة، في ظل معطيات سياسية واقتصادية، واجتماعية جديدة، قائمة على الاستثمار في المعرفة والبحث العلمي وفي رأس المال الفكري. أدت إلى نمو اقتصادي، فريد من نوعه، نتيجة النمو السريع للتكنولوجيا الرقمية الجديدة، والتطور الهائل في البحث العلمي والابتكار، اللذان أديا إلى بزوغ عدد من البلدان الكبيرة على الساحة العالمية وبصورة متميزة، وتحقيق معجزات في نمو الدخل مثل اندونيسيا، كوريا الجنوبية وغيرها، وتربع العديد من الدول على عرش التقدم والتطور كالولايات المتحدة الأمريكية واليابان، السويد والصين وغيرها.

هذا النمو والتطور الاقتصادي لم يتأت لهذه الدول، إلا من خلال قاعدة علمية

وتكنولوجية قوية، ترتكز على الاستثمار في التعليم والبحث العلمي، باستخدام التكنولوجيا الحديثة. فشهدت الثلاثين سنة الأخيرة تطورا للعديد من اقتصاديات الدول، استحوذت فيه كل من الولايات المتحدة الأمريكية، الصين واليابان المراتب الثلاثة على التوالي خلال الفترة (1975،2005). والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول رقم (01) يوضح تطور العشرة اقتصاديات الأولى عالميا خلال ثلاثين سنة

الدول	1975	1980	1990	2000	2005
الولايات المتحدة الأمريكية	21,8	21,5	21,4	21,2	20,3
الصين	2,8	3,1	5,5	11,0	14,1
اليابان	8,2	8,3	8,8	7,4	6,5
الهند	3,6	3,4	4,4	5,4	6,3
ألمانيا	5,8	5,6	5,0	4,6	4,0
المملكة المتحدة	4,4	4,1	3,8	3,5	3,2
فرنسا	4,2	4,0	3,8	3,4	3,0
ايطاليا	4,0	4,1	3,7	3,2	2,7
البرازيل	3,0	3,5	2,9	2,8	2,7
الاتحاد الروسي	-	-	4,6	2,3	2,6

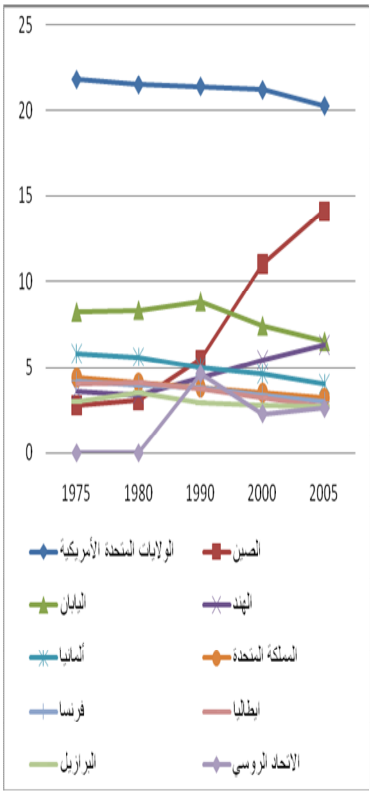

<u>**المصدر: تقرير منظمة التعاون الدولية، 2007**</u>

هذا التطور الاقتصادي المتميز والمبني على أسس تكنولوجية والاستثمار في المورد البشري، أضاف فجوة معرفية إلى الشرخ الرقمي، بين العالم المتقدم والعالم النامي خاصة الدول العربية، التي رغم محاولات اللحاق بالركب، من خلال وضع استراتيجيات طموحة خاصة بالعلوم والتكنولوجيا وبالبحث العلمي، إلا أنها لا تزال بعيدة جدا عن مؤشرات التطور والتقدم العلمي، والاستثمار في المورد البشري.

أولا:من ثورة تكنولوجية إلى ثورة معرفية، ما محل العالم العربي؟

يشير آخر تقرير أنجزه الاتحاد الدولي للاتصالات بعنوان Mesurer la société de (l' information) الذي أصدرته خلال هذه السنة (2011)، بأن العالم المتقدم يقفز درجات هائلة في مجال تكنولوجيات الإعلام والاتصال(الهاتف النقال،الهاتف الثابت، الانترنت). وفي مجال توظيفها في مختلف مجالات الحياة التعليمية والتجارية والإدارية وغيرها.

ونظرا لما أحدثته الانترنت من تحولات منذ ظهورها قبل أكثر من أربعين سنة، فقد سعت مختلف دول العالم إلى استخدامها باعتبارها أحد أهم وسائل الإعلام والاتصال التي عرفها العصر الحديث، فساعدت على تشكيل ما عرفه عالم الاجتماع الاسباني M.Castells بمجتمع الشبكات (La société en réseaux)، فنفذت إلى مختلف المجالات السياسية،الاقتصادية،الاجتماعية والتعليمية. وأصبحت سمة مجتمع المعرفة الجديد. فبرز ما يسمى بالتجارة الالكترونية، التعليم الالكتروني، الصحة الالكترونية، فسادت صفة الافتراضية جميع القطاعات، وبدأت المجتمعات تتحول إلى المجتمع لا ورقي بفضل التواصل الالكتروني.

ولهذا تزايد الاهتمام بضرورة تشجيع استعمال الانترنت من قبل الشعوب، هذا الأخير الذي أحدث تفاوتا كبيرا بين دول العالم، من حيث استخدامها وتوظيفها، فاحتلت الدول المتقدمة المراتب الأولى في هذا المجال، وبقيت الدول النامية عموما والدول العربية على وجه الخصوص تواجه التحديات الكبرى لهذه الوسيلة. وفيما يلي عرض لعدد مستخدمي الانترنت في مجموع الدول العربية مقارنة مع العالم المتقدم.

جدول رقم (02) يوضح عدد مستخدمي الانترنت لكل مائة نسمة خلال سنة 2008

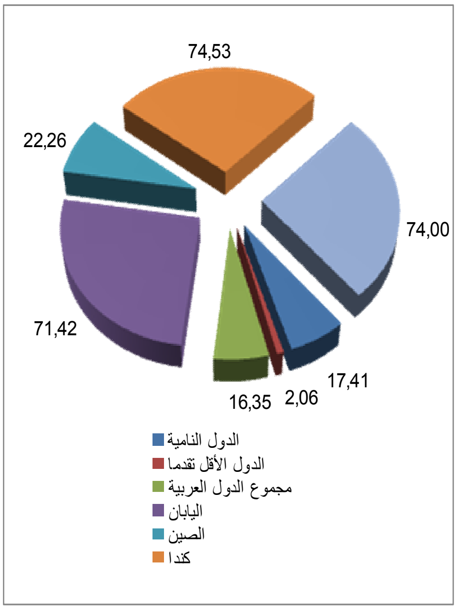

73

مناطق العالم وبعض الدول المتقدمة	عدد مستخدمي الانترنت لكل مائة نسمة(%)
الدول المتقدمة	62.09
الدول النامية	17.41
الدول الأقل تقدما	2.06
مجموع الدول العربية	16.35
اليابان	71.42
الصين	22.26
كندا	74.53
الولايات المتحدة الأمريكية	74.00

المصدر:تقرير اليونسكو عن العلوم لعام 2010

والواضح أن العالم العربي يشهد فجوة رقمية كبيرة بينه وبين العالم المتقدم، في مجال استخدام الانترنت، ففي الوقت الذي بلغت فيه نسبة مستخدمي الانترنت في الولايات المتحدة الأمريكية 74%، كندا 74.53% واليابان 71.42%، نجد أن مجموع الدول العربية سجلت خلال سنة 2008 ما يقارب 16.35% وهي نسبة ضعيفة جدا مقارنة مع الوضع العالمي للانترنت ومستخدميها.

كما قام الاتحاد الدولي للاتصالات خلال سنة 2011، بتصنيف دول العالم وفق مؤشر تطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال. في تقرير عنونه ب"قياس مجتمع المعلومات"، فاحتلت الدول التي تتميز بنمو اقتصادي قوى المراتب الأولى، خاصة منها بعض الدول الأسيوية العملاقة والتي استطاعت في فترة وجيزة أن تلحق بالركب العالمي، بفضل سياسة تقوم على التطوير العلمي والتكنولوجي. كجمهورية كوريا الجنوبية التي أحدثت معجزة اقتصادية، كذلك الأمر بالنسبة لكل من الصين و سنغافورة.

وبالنسبة للعالم العربي فنجده يترتب بعيدا جدا، ماعدا دول الخليج التي حققت خلال السنوات الأخيرة نقلة نوعية في مجال تطور استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة، ومن خلال الجدول التالي نستعرض الدول الخمسة الأولى لكل منطقة في العالم كما ورد في تقرير الاتحاد الدولي للاتصالات.

جدول رقم (03) يوضح الدول الخمسة الأولى من كل منطقة في العالم وترتيبها عالميا في مجال تكنولوجيات الإعلام والاتصال خلال سنة 2010

أوروبا	الترتيب العالمي	أسيا	الترتيب العالمي	أمريكا	الترتيب العالمي	إفريقيا	الترتيب العالم	العالم العربي	الترتيب العالمي
السويد	2	جمهورية كوريا	1	و.م الأمريكية	17	موريس	69	الإمارات العربية المتحدة	32
ايرلندا	3	هونغ كونغ	6	كندا	26	سيشيل	71	قطر	44
الدنمارك	4	نيوزلندا	12	باربدوس	41	جنوب إفريقيا	97	البحرين	45
فنلندا	5	اليابان	13	أورغواي	54	الرأس الأخضر	104	العربية السعودية	46
لوكسمبورغ	7	استراليا	14	الشيلي	55	بوتسوانا	109	عمان	60

المصدر: الاتحاد الدولي للاتصالات، 2011

وبالرجوع إلى الترتيب العالمي العام نلاحظ ما أحدثته جمهورية كوريا، من نقلة نوعية ومتميزة في مجال التكنولوجيا الحديثة واستخداماتها، حيث احتلت المرتبة الأولى عالميا خلال سنة2010، تليها كل من السويد، ايرلندا، الدانمرك، الصين، لوكسمبورغ، سويسرا، هولندا، المملكة المتحدة، نيوزيلندا واليابان.

وبالنسبة للعالم العربي نجد أن دول الخليج تحتل مرتبة مميزة مقارنة مع الدول المتقدمة، حيث تأتي الإمارات العربية المتحدة في المرتبة 32 عالميا، وتحتل كل من قطر، البحرين، والعربية السعودية المراتب التالية على التوالي 46،45،44.ثم تأتي سلطنة عمان في المرتبة 60 عالميا(UTI,2011,p7).

وهذا ما يبرز أن الشرخ الرقمي ليس بين العالم العربي والعالم المتقدم فحسب، وإنما بين العالم العربي فيما بينه، ففي الوقت الذي تتقدم فيه دول الخليج درجات تتراجع باقي الدول العربية دراجات أخرى، حيث تحتل الأردن المرتبة 73 عالميا،لبنان المرتبة 79،تونس المرتبة 84،المغرب المرتبة 90،مصر المرتبة 91،الجزائر المرتبة 103 واليمن المرتبة 127.

وكما تميزت جمهورية كوريا في مجال التطور التكنولوجي، استطاعت في فترة وجيزة أن تؤسس قاعدة علمية قوية، بوضع العلوم والتكنولوجيا والابتكار في صميم التقدم الاقتصادي، بالإضافة إلى كل من الولايات المتحدة الأمريكية التي رغم الضربة الموجعة التي تلقاها الاقتصاد الأمريكي، إلا أن الجامعات ومراكز البحث تحصل على تمويل سخي من المؤسسات العامة والخاصة،من اجل دعم البحث العلمي والتطوير. كذلك هو الحال في كل من الهند، الصين، الاتحاد الروسي، اليابان وغيرها. مما جعلها تحتل المراتب الأولى عالميا في مجال التطور الاقتصادي.

وفي ظل هذا التنافس العالمي، لا يزال العالم العربي رغم السياسات

والاستراتيجيات الخاصة بالعلوم والتكنولوجيا التي وضعتها. كتلك التي تبنتها العربية السعودية سنة 2003، ودولة قطر سنة 2006 من خلال زيادة نسبة الإنفاق المحلي الإجمالي على البحث والتطوير إلى 2.8% بعدما كان 0.33%. يشهد تخلفا رقما ومعرفيا كبيرا جدا سيجعل من الصعوبة اللحاق بالركب إذا لم تتخذ سياسات هذه الدول التدابير اللازمة لمواجهة تحديات مجتمع المعرفة الجديد، الذي لن يسمح لأي دولة أو مجتمع كان،البقاء على هامش التنافس العلمي والاقتصادي العالمي فإما أن نكون أو لا نكون.

ثانيا: أي واقع للبحث العلمي في الوطن العربي مقارنة مع العالم المتقدم؟

إن الحديث عن واقع البحث العلمي في الوطن العربي، يعني مناقشة أسباب التخلف العربي عن ركب الحضارة والنهضة العلمية المتلاحقة في دول العالم المتقدم. ففي الوقت الذي يحقق فيه العالم من حولنا قفزات نوعية ومتميزة في مجال الإنفاق على البحث العلمي وبراءات الاختراع والاستثمار في المعرفة العلمية، يتراجع البحث العلمي في العالم العربي عاما بعد آخر،وان تقدم خطوة فانه لا يواكب مئات الخطوات التي يجتازها الغرب يوما بعد يوم في مجال البحث والتطوير.

فالعالم اليوم يشهد تنافسا محموما للوصول إلى أكبر قدر ممكن من المعرفة الدقيقة المتميزة، التي تكفل الرفاهية والازدهار للإنسان وتحقق التنمية الاجتماعية والاقتصادية،وبالتالي تضمن له التفوق على غيره. لقد أدركت العديد من دول العالم اليوم أن بناء قاعدة علمية وتكنولوجية قوية، يعني الوجود على الخارطة السياسية والاقتصادية العالمية، فلا يمكن أن يحدث انتعاشا اقتصاديا إلا من خلال نهضة علمية متميزة. ولهذا حضي التعليم العالي على وجه العموم والبحث العلمي والتطوير خصوصا، بأهمية بالغة خلال السنوات الأخيرة من قبل العالم المتقدم وحتى بعض الدول الفتية التي استطاعت أن تحقق اقتصادا قويا مبني على المعرفة، بفضل حسن استثمارها في المعرفة.

فأي وضع يحتله العالم العربي في هذه الثورة العلمية والمعرفية العالمية؟ وأي واقع للبحث العلمي العربي في ظل التنافس المعرفي العالمي؟

وللإجابة على هذا السؤال سوف نناقش هذا الواقع من خلال ثلاث مؤشرات أساسية، حسب أحدث التقارير الإحصائية العالمية.

الإنفاق على البحث العلمي:

بلغت نسبة الإنفاق العالمية على أنشطة البحث العلمي والتطوير 1.7% من الناتج المحلي الإجمالي خلال سنة 2007، ما تعادل 1146مليار دولار أمريكي وظلت هذه النسبة ثابتة منذ عام 2002 (اليونسكو،2010،ص9).

وقد أكدت دراسات اليونسكو أن نسبة الإنفاق على البحث العلمي من الناتج المحلي الإجمالي في الدول العربية، متدنية جدا مقارنة مع مثيلاتها في الدول المتقدمة، فالناتج المحلي الإجمالي في الدول العربية المسجل في مجموع الدول العربية خلال سنة 2007 قدر بحوالي 23868 مليار دولار أمريكي خصصت منه 0.4% للبحث العلمي، أي ما يعادل 4.7 مليار دولار أمريكي. بينما نجد الدول المتقدمة قد خصصت 2.3% للإنفاق على البحث العلمي،ما يعادل 873.2 مليار دولار أمريكي.فالولايات المتحدة الأمريكية وحدها تنفق ما يقارب 373.1 مليار دولار أمريكي، أي ما يعادل النسبة 2.7% من الناتج المحلي الإجمالي الذي قدر خلال سنة 2007 حوالي 13741.16 مليار دولار(اليونسكو،2010،ص14).

أما في اليابان فقد قدرت نسبة الإنفاق على البحث العلمي خلال نفس السنة 3.2%، أي ما يعادل 147.9 مليار دولار أمريكي، وفي الصين بلغت النسبة 1.1% ما يعادل 102.4 مليار دولار، أما كندا فتنفق على البحث الغلمي حوالي 24.1 مليار دولار أمريكي، أي ما يعادل 2.1% من الناتج المحلي الإجمالي(اليونسكو،2010،ص20).

والملفت للانتباه ما أحرزته جمهورية كوريا التي بلغت حصتها من الإنفاق المحلي الإجمالي على البحث والتطوير ضعف حصتها في الناتج المحلي الإجمالي العالمي، كما يتوقع أن ترتفع هذه النسبة إلى 5% بحلول سنة 2012.

والجدول التالي، يوضح نسب الإنفاق المحلي الإجمالي عل البحث العلمي، في مجموع الدول العربية مقارنة مع الدول المتقدمة:

الجدول رقم (04) يوضح الإنفاق المحلي الإجمالي على البحث العلمي و التطوير على المستوى العالمي لعام 2007

مناطق العالم مع بعض الدول المتقدمة	الإنفاق المحلي الإجمالي على البحث و التطوير المليارات الدولارات الأمريكية	الإنفاق الإجمالي العالمي على البحث والتطوير في العالم (%)	الإنفاق المحلي الإجمالي على البحث والتطوير كنسبة مئوية من الناتج الإجمالي
البلدان المتقدمة	873,2	76,2	2,3
البلدان النامية	271,0	23,7	1
أقل البلدان نموا	1,5	0,1	0,2
مجموع الدول العربية	4,7	0,4	0,2
اليابان	147,9	12,9	3,4
الصين	102,4	8,9	1,4
كندا	24,1	2,1	1,9
الولايات المتحدة الأمريكية	373,1	32,6	2,7

المصدر : تقرير اليونسكو عن العلوم لعام2010

والملاحظ أن نسبة الإنفاق العربي على البحث العلمي 0.2%، ما يعادل 4.7 مليار دولار، وهي نسبة ضعيفة جدا، مقارنة مع ما تنفقه معظم الدول المتقدمة، فاليابان تنفق ما يقارب 147.9 مليار دولار بنسبة 3.4%، أما الولايات المتحدة الأمريكية فتنفق نسبة 2.7%، ما يقارب 373.1 مليار دولار، وتقدر نسبتها من الإنفاق على البحث العلمي 32.6% من مجموع الإنفاق العالمي.

رأس المال البشري وعدد الباحثين:

يعد توافر الرأس المال البشري الفكري المدرب والمكون تكوينا علميا جيدا، من الأولويات ذات الصلة المباشرة بتطور البحث العلمي. فقد باتت الصين على وشك التفوق على الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي من حيث العدد الإجمالي للباحثين حيث يضم كل من هذه العمالقة ما يقارب 20% من عدد الباحثين في العالم(اليونسكو،2010،ص14)، وبإضافة حصة اليابان 10%، وروسيا 7% يتجلى التركيز الهائل للباحثين على المستوى العالمي. فالدول الخمس الكبرى التي تضم حوالي 35% من سكان العالم بها ثلاثة أرباع الباحثين، ورغم أن الدول النامية ارتفع عدد الباحثين بها من 30% خلال سنة 2002 إلى 38% سنة2007، فان الصين حققت بمفردها ثلثي هذا الارتفاع(اليونسكو،2010،ص18).

والجدول التالي يوضح توزيع عدد الباحثين في العالم خلال إحصائيات 2007:

جدول رقم (05) يوضح توزيع عدد الباحثين في العالم خلال سنة 2007

مناطق العالم مع بعض الدول المتقدمة	عدد الباحثين	الحصة من عدد الباحثين في العالم (%)	الباحثون لكل مليون نسمة	الإنفاق المحلي الإجمالي على البحث والتطوير لكل باحث (بآلاف الدولارات الأمريكية)
البلدان المتقدمة	4478,3	62,1	3655,8	195,0
البلدان النامية	2696,7	37,4	580,3	100,0
أقل البلدان نموا	34,7	0,5	43,4	43,8
مجموع الدول العربية	122,8	1,7	373,2	38,4
اليابان	7100	9,8	5593	208,4
الصين	1423,4	19,7	1070,9	72,0
كندا	139,0	1,9	4260,4	170,7
الولايات المتحدة الأمريكية	1425,6	20,0	4663,3	243,9

المصدر : تقرير اليونسكو عن العلوم لعام 2010

يتبن من الجدول أعلاه أن عدد الباحثين في مجموع الدول العربية، بلغ خلال سنة 2007 حوالي 122.8 ألف باحث بنسبة 1.7 % من مجموع عدد الباحثين في العالم. وهي نسبة ضعيفة جدا مقارنة مع مجموع الكوادر العلمية المعول عليها في العالم المتقدم لتطوير البحث العلمي.

و تشير التقارير العالمية أن العالم العربي لا يعاني فقط من ضعف نسبة الباحثين، وإنما يواجه مشكلة أخرى تتمثل في ضعف تكوين وتأهيل هذه الكوادر،مما ترتب عليه ضعف في البحث العلمي في الوطن العربي(Cervellini,2008,p46).

المنشورات العلمية:

تحتل الولايات المتحدة الأمريكية المرتبة الأولى في العالم من حيث الإنتاج العلمي، حيث بلغت حصتها من المجموع العالمي للمنشورات العلمية خلال سنة 2008 حوالي 27.7%، أما حصة الاتحاد الأوروبي قدرت بحوالي 36.5%، في المقابل ارتفعت حصة الصين لتسجل خلال نفس السنة ما يقارب 10.6% من المجموع العالمي(اليونسكو،2010،ص21)، مما يضعه في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية.

وفيما يخص مجموعة البلدان المؤلفة من اليابان، جمهورية كوريا،البرازيل،الاتحاد

الروسي والهند، فان حصتها من المجموع العالمي للمنشورات شهدت ارتفاعا ملفتا للانتباه، حيث بلغت حصتها خلال سنة 2008على الترتيب 7.6%، 3.3%،2.7%، 2.7%، 3.3%.من المجموع العالمي للمنشورات العلمية(اليونسكو،2010،ص21).

أما مجموع الدول العربية بلغت حصتها من المنشورات العلمية العالمية 1.4% وهو نمو بطيء جدا مقارنة مع ما هو مسجل في العالم. والجدول التالي يوضح التفاوت المسجل بين العالم العربي والعالم المتقدم في مجال النشر العلمي:

جدول رقم (06) يوضح حصص بلدان العالم من المجموع العالمي للمنشورات العلمية لعام 2008

مناطق العالم و بعض الدول المتقدمة	مجموع المنشورات العلمية	الحصة من المجموع العالمي للمنشورات (%)
الدول المتقدمة	742256	75,3
الدول النامية	315742	32,0
أقل الدول نموا	3766	0,4
مجموع الدول العربية	13574	1,4
اليابان	74618	7,6
الصين	104968	10,6
كندا	43539	4,4
الولايات المتحدة الأمريكية	272879	27,7

المصدر : تقرير اليونسكو عن العلوم لعام 2010

تبرز من الجدول أعلاه سيطرة الدول المتقدمة على الإنتاج المعرفي والعلمي، حيث بلغت حصتها من مجموع المنشورات العلمية خلال سنة 2008،ما يقارب 75.3%، أما الدول النامية فبلغت حصتها 32.0%، سجلت منها الدول العربية حوالي 1.4%.

الإنتاج العلمي وبراءات الاختراع:

تحتل الولايات المتحدة الأمريكية موقع الصدارة، في مجال الإنتاج العلمي وبراءات الاختراع، حيث بلغت حصتها في المكتب الأمريكي لبراءات الاختراع والعلامات التجارية سنة 2007 ما يقارب 52.2% من المجموع العالمي، و حوالي 41.8% من

المجموع العالمي لبراءات الاختراع المسجلة في المجموعة الثلاثية(اليونسكو،2010،ص26)، كذلك تعد كل من اليابان، ألمانيا،جمهورية كوريا من دول العالم التي ترتفع حصتها من مجموع براءات الاختراع المسجلة في كل من المكتب الأمريكي والمجموعة الثلاثية.

وفيما يتعلق بمجموع الدول العربية فبلغت حصتها المسجلة في المكتب الأمريكي لبراءات الاختراع والعلامات التجارية سنة 2007 حوالي 0.1% من المجموع العالمي وهي نفس الحصة المسجل في المجموعة الثلاثية خلال سنة 2006، مقابل 90.15% في الدول المتقدمة سجلتها في المكتب الأمريكي، و حوالي 96.5% مسجلة في المجموعة الثلاثية.

بناء على هذه المعطيات يتبين بعد الاهتمام العربي بالبحث العلمي، ففي الوقت الذي تنفق فيه إسرائيل ما يقارب 4.8 %من مجموع الناتج المحلي الإجمالي أي ما يعادل 1321.3 مليار دولار، وتنفق اليابان 3.4% من مجموع الناتج المحلي الإجمالي أي ما يعادل 1161.3 مليار دولار، وجمهورية كوريا التي لفت نموها الاقتصادي انتباه العالم، بفضل سياسة البحث العلمي المتبعة حيث تنفق ما يقارب 861.9 مليار دولار أي بنسبة 3.2% من مجموع الناتج المحلي الإجمالي. نجد العالم العربي لا ينفق إلا 0.2% أي ما يعادل 14.3 مليار دولار.

هذا من ناحية الإنفاق، أما من ناحية المورد البشري نجد أن العالم العربي يضم نسبة ضعيفة جدا من عدد الباحثين مقارنة مع الدول المتقدمة، فما تضمه اليابان يساوي ستة أضعاف ما تضمه مجموع الدول العربية، وما تضمه الولايات المتحدة الأمريكية يقارب العشرة أضعاف ما يضمه العالم العربي من عدد الباحثين.

وقبل أن نتساءل عن التدابير اللازمة اتخاذها في ظل هذه المعطيات المخيفة، حول واقع البحث العلمي في الوطن العربي، نحاول الوقوف عن أهم أسباب هذا الوضع وعند أهم المعوقات التي حالت دون تحقيق تطور علمي ومعرفي مساو لما هو حاصل في العالم المتقدم.

ثالثا: معوقات البحث العلمي في الوطن العربي:

حققت الدول المتقدمة نتائج باهرة جراء الاهتمام بالبحث العلمي، بوضع الخطط الاستراتيجة والسياسات الواضحة، لدعم أنشطة البحث العلمي والتطوير، بتوفير الأموال والأدوات والتجهيز الآلي، وبناء المعاهد والمخابر، وتجنيد رأس مال بشري فكري متميز، تم إعداده وتكوينه وفق نظام تربوي قوي يقوم على التفكير الحر والمبدع.فكان المردود قوي جدا من حيث النمو الاقتصادي والسيطرة المعرفية والتقنية.

فسياسة الدول المتقدمة في البحث العلمي تعتمد أساسا على الإنفاق بسخاء على مؤسساته، وتوفير البنية التحتية الحديثة من تجهيز آلي، وتكوين الكفاءات والقدرات العلمية من باحثين ومساعدي باحثين، وتشجيع التواصل العلمي والعمل الجماعي

ضمن فرق بحثية تتمتع بالحرية الأكاديمية والفكرية والإبداعية (Doray et Belanger,2005,p15).

في هذا الوقت بالذات نجد البحث العلمي في الوطن العربي يعاني جملة من المعوقات، جعلته يترتب بعيدا جدا عن مجال التنافس المعرفي والعلمي العالمي، ويوصف بالأضعف من ناحية إنتاجيته العلمية وطاقاته البشرية القائمة به، ولا تزال مؤسسات التعليم العالي في الوطن العربي غير متواجدة على الخارطة العلمية العالمية.

وكمحاولة لتحديد أهم معوقات تطور البحث العلمي بالوطن العربي، نلخص جملة هذه المشكلات في عنصرين أساسيين هما:

- معوقات تتعلق بالمورد البشري
- معوقات تتعلق بالإنفاق المادي

فقد أكدت الدراسات أنه من اجل بناء قاعدة علمية قوية، لا بد من توفر دعامتين أساسيتين هما رأس المال البشري الذي يتمتع بقدرات فكرية وعلمية، ورأس المال المادي الذي يوفر المصادر المادية من أجل القيام بالنشاط الفكري (Doray et Belanger,2005,p19).

- **معوقات تتعلق بالمورد البشري:**

سبق التأكيد على أهمية رأس المال البشري، في تطوير البحث العلمي، كما سبقت الإشارة إلى نسبة الباحثين الضعيفة التي تضمها الدول العربية، التي ترجع إلى عدم الاهتمام بهذه الكوادر من جهة والى هروب النخبة العربية إلى الخارج من جهة أخرى. ويمكن أن نلخص جملة المعوقات المتعلقة بالموارد البشرية فيما يلي:

- قلة عدد الباحثين والمختصين وندرة تكوين فرق بحثية متكاملة، وإهمال التكوين المستمر لهم.
- إهمال تكوين الباحثين في اللغات الأجنبية وفي مجال استعمال التكنولوجيات الحديثة.
- تدني الاهتمام بالباحث العربي وعدم توفير جو علمي بعيد عن البيروقراطية والتهميش.
- عدم التخطيط الجيد للبعثات العلمية والإيفاد إلى الخارج رغم التكاليف الكبيرة التي تتحملها الدول العربية في هذا الصدد.
- عدم توافر المناخ العلمي المحفز والمشجع على البحث العلمي واستثمار القدرات الإبداعية والابتكار للأفراد
- عدم وجود حركة أكاديمية كافية كتلك التي يتمتع بها البحث العلمي في الغرب.

إلى جانب الموارد البشرية المؤهلة، يعد العنصر المادي من العوامل المساعدة على النهوض بالبحث العلمي في الوطن العربي، ولهذا نجده من أهم معوقات النهضة العلمية والفكرية، وتتجلى مظاهره فيما يلي:

- **معوقات تتعلق بالإنفاق المادي:**

⇦ غياب سياسات واستراتيجيات علمية واضحة تتضمن تحديد الأهداف والأولويات والمراكز البحثية اللازمة، وتوفر الإمكانيات المادية الضرورية.

⇦ عدم تخصيص ميزانية مستقلة ومشجعة للبحوث العلمية في الجامعات.

⇦ غياب القطاع الخاص عن المساهمة، إذ يعد القطاع الحكومي الممول الرئيس لنظم البحث العلمي في الدول العربية، بإسهام يبلغ حوالي 80% من مجموع التمويل المخصص للبحوث والتطوير مقارنة مع الدول المتقدمة التي تبلغ حصة القطاع الخاص فيها حوالي 70% في اليابان وما يقارب 52% في الولايات المتحدة.

⇦ الفساد المالي والإداري في مؤسسات البحث العلمي.

إن عملية البحث العلمي في الوطن العربي تفتقد إلي سياسة تخطيط ومتابعة شاملتين،هذا من جهة ومن جهة أخرى فان البحث العلمي في الوطن العربي فردي وهذا لا يمكن أن يحدث تأثيرا بارزا، فمن اجل إحداث تأثير اقتصادي عالمي وتأثير علمي على المستوى العالمي في العالم اليوم، لا بد من وجود العمل الجماعي بين الباحثين. وتقدير الأساتذة المتميزين والشباب الجدد الذين لديهم مستقبل في الجامعة والبحث العلمي.

رابعا: المقترحات والتوصيات:

استنادا إلى ما تم ذكره حول واقع البحث العلمي والتطوير، في العالم العربي والى جملة المعوقات التي تقف أمام النهوض بهذا القطاع من اجل تحقيق التنمية والنمو الاقتصادي والاجتماعي، نقترح جملة من الحلول التي من شأنها

⇦ وضع إستراتيجية واضحة للبحث العلمي والتطوير، مع ضرورة إنشاء وزارة أو إدارة مهمتها الإشراف على عملية البحث العلمي في دول العالم العربي.

⇦ دعم مؤسسات البحث العلمي عن طريق زيادة النسبة المخصصة من الدخل الوطني للبحث العلمي والتطوير، بناء المنشآت والمعامل، توفير الأدوات، تأهيل الكوادر البشرية، خلق الحوافز المادية والمعنوية التي تجعل من الإنتاج الفكري عملا يستحق المعاناة والجهد المتواصل.

⇦ تشجيع القطاع الخاص للمساهمة في دعم البحث العلمي وزيادة الاستثمار فيه بسبب دوره الكبير في تحقيق الربح للمؤسسات التي يعتمد عليها.

⇦ توفير المناخ العلمي للتفاعل بين الباحثين، من خلال العمل الجماعي، حرية الإبداع و حرية الفكر.

⇦ الاهتمام بالطاقات الشابة من خريجي الجامعات، من خلال تأهيلهم وتكوينهم التكوين المتميز ودمجهم في مراكز البحوث كباحثين ومساعدي باحثين.

⇦ ترجمة الأبحاث والمصادر العلمية الأجنبية إلى اللغة العربية والتعاون مع العلماء العرب في الخارج من أجل تعريب أعمالهم وأبحاثهم.

⇦ وقف هجرة العقول العربية إلى الخارج من خلال الاهتمام بالباحث العربي وتحسين وضعه المادي ومستوى معيشته و تأمين مطالبه اللازمة لانجاز بحوثه في بلده.

⇦ تشجيع التعاون مع المؤسسات المحلية والدولية، واستقطاب النخبة من الباحثين من أجل رفع السمعة العالمية للجامعة.

خاتمة

تعتبر التحديات التي تفرضها مجتمعات المعرفة اليوم أقوى بكثير من تلك التحديات التي فرضتها الثورة الصناعية بالأمس، ذلك لأنها ثورة مزدوجة معرفية وتكنولوجية، تشكل فيها المعرفة أهم المكونات التي يتضمنها أي عمل وأي نشاط. فالقاعدة العلمية القوية تعني الوجود على الخارطة العالمية سواء السياسية أو الاقتصادية.

ولا يمكن أن تبنى هذه القاعدة إلا من خلال البحث العلمي، فهو القادر على صناعة الحياة وتحقيق التطور والنهوض بالمجتمع. لذا أصبح يحتل موقع الصدارة في الاهتمام في خطابات السياسيين والإعلاميين والاقتصاديين، نظرا لأهميته في اقتصاد المعرفة الجديد الذي تلعب فيه المعارف الدور الأساس.

فلا بد على العالم العربي إذن، أن يعيد حساباته في كل المجالات، التعليمية والعلمية والسياسية والفكرية لأن الهوة المعرفية والتكنولوجية بينها وبين العالم المتقدم،إن اتسعت أكثر سوف يصبح من الصعب جدا أن تلحق بالركب، فلا بد من نهضة علمية وفق خطة تنموية مدروسة بدقة، وهذه الخطة ليست على مستوى الحكومات فقط وإنما على مستوى الأفراد أيضا.

ليست المادة وحدها كافية لدعم البحث العلمي في الوطن العربي، ولكن من الضروري إعادة النظر في سياسة التعليم والتكوين، من خلال وضع نظام تربوي قوي ومتطور يعمل على إعداد قوى عاملة مرنة متكاملة الإعداد، فائقة المهارات، قابلة للتوظيف وللتعليم المستمر والتعليم الذاتي والتدريب، وقادرة على البحث والتطوير واكتشاف المعرفة وإثرائها واستخدامها في توليد معارف جديدة، ولا بد من وجود مناخ معين ومقومات تعليمية فيها أسس علمية حتى يتمكن من بناء قاعدة علمية قوية في البلاد العربية، تساعد على النهوض بهذه المجتمعات التي لا تزال تصنف ضمن البلدان الفقيرة والمتخلفة.

هذه المجتمعات التي كانت بالأمس من صناع الحضارات، كالحضارة المصرية وحضارة العراق القديمة وحضارة المسلمين العرب، التي كان لها أثرها البارز على الحضارة الغربية المستحدثة اليوم. فحضارة اليوم هي حضارة قائمة على العقل، والعقل ليس حكرا على أحد. فليس من المستحيل إحداث ثورة علمية واقتصادية في العالم العربي.

المراجع

الكتب:

1- عدنان بدران(2000): رأس المال البشري وإدارة الجودة: استراتيجيات لعصر العولمة،ط1،مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية،أبو ظبي.

2- Canisius Kamanzi(2007), l'influence du capital social sur la formation du capital humain chez les élèves résilients de milieu socioéconomique défavorisé, Revue des sciences de l'éducation, ERUDIT,vol 33,n 1, Montréal.

3-Carolina Canibano(2006),la gestion de la mobilité professionnelle des chercheurs :un défi pour les politiques de recherche et d'innovation, la revue pour l'histoire du CNRS, Madrid.

4- Cervellini Alvin(2008), les problèmes de la recherche scientifique dans les pays en développement, AIEA Bulletin, vol 25, N 2, Copenhague.

5- Kamel Touati(2008), les technologies de l'information et de la communication: une chance pour le développement du monde arabe, Lavoisier, vol 10,n 2,Paris.

6-Pierre Doray et Paul bélanger(2005)- société de la connaissance, éducation et formation des adultes – éducation et société –De Boeck Université

تقارير عالمية:

1- تقرير اليونسكو عن العلوم(2010): الوضع الحالي للعلوم في مختلف أنحاء العالم- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اليونسكو، فرنسا.

2-التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع(2005)،منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اليونسكو.

3- تقرير التنمية البشرية(2010): الثورة الحقيقية للأمم:مسارات إلى التنمية البشرية- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

4-Mesurer la société de l'information (2011), Union internationale des Télécommunications (UTI), Genève.

القيادة الإدارية ومهارات القائد للحكم الراشد في المؤسسات

أ. لطفي دمبري

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة أم البواقي
الجزائر

ملخص

القيادة الناجحة في الحكم الراشد ليست عملا سهلا، بل هي على جانب كبير من الصعوبـة، فالأمر يحتاج إلى حسن ابتداء وإلى حسن استمرار، وكلاهما يحتاج إلى التسلح بعشرات من المقومات والمهارات التي يجب أن تتوفر في القادة حتى يتمكنوا من التمييز بين ما ينبغي أن يكون وما يمكن أن يكون.

من هنا جاء هذا المقال ليتعرض لمفهوم القيادة بوصفه أحد أهم الدعائم الأساسية التي تقوم عليها أي عملية ترشيد للحكم في المؤسسات، حيث سنحاول تسليط الضوء على مفهوم القيادة الإدارية وجملة المهام والمهارات المطلوبة من القادة القيام والتحلي بها في ظل الحكم الراشد للمؤسسات.

Résumé

La notion de leadership est le pivot de tout processus de rationalisation de la gouvernance des organisations. Nous proposons, dans cet article, de clarifier cette notion davantage, en partant du principe que le leadership en matière de bonne gouvernance n'est pas une tâche facile, mais exige des compétences disponibles, immédiatement et en permanence, pour faire face aux grandes difficultés à résoudre.

مقدمة

لقد برزت القيادة الإدارية بوصفها وسيلة مهمة لتنظيم الجماعة منذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض وانقياده الغريزي إلى الحياة الجماعية، بعد اكتشافه ضرورة الاجتماع وحتمية تبادل الجهد لتسهيل أمور الحياة، هذه الجماعة التي تحتاج إلى تسيير وتنظيم جهودها من أجل الارتقاء بمستوى حياة أفرادها. من هذه الفكرة تكوّنت حاجة الإنسان للإدارة وتبلور مفهوم القيادة فأصبح ذا أهمية بالغة لجميع أوجه النشاط الإنساني الجماعي وحتى الفردي، فالإنسان بحاجة إلى إدارة شؤونه كفرد وشؤون أسرته كجماعة أولية. والمنشآت بمختلف نشاطها وبمختلف أحجامها أيضا، تحتاج إلى قيادة لتسيير شؤونهـا، تعدّها المسؤول الأول عن بلوغها أهدافها، فهي تعد أحد عوامل الإنتاج الرئيسة لكل منشأة

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر2012.

والتي من دونها لا يمكن فعل شيء، بالرغم من أنها ليست من الماديّات؛ بمعنى ليست لا مباني ولا وسائل ولا أموال، وإنما هي الجهد المطبق على تلك العناصر المادية لتنفيذ ما هو مطلوب منها على أكمل وجه، إما بإنتاج سلعة أو بأداء خدمات بأقل ما يمكن من تكاليف وجهد. فهي نشاط يعتمد على التفكير والعمل الذهني المرتبط بالشخصية الإدارية وبالجوانب والاتجاهات السلوكية الخاصة بتحفيز الجهود الجماعية نحو تحقيق هدف مشترك وذلك باستخدام الموارد المتاحة وفقًا لأسس ومفاهيم علمية.

والقيادة الإدارية التي تتصف بالنجاح هي، أكيد، تلك التي تُحسن استغلال المتاح لها من موارد، سواء مادية كانت أم بشرية، وتسخيرها للارتقاء بمستوى معيشة الأفراد عن طريق استغلال الموارد المحدودة غير المنظمة إلى مشاريع نافعة. فهي التي تعمل على تحديد الأهداف المطلوبة وتتخذ كافة القرارات اللازمة لبلوغها، نحو توفير عناصر الإنتاج المختلفة، ووضع الفرد المناسب في الوظيفة المناسبة، وتحفيز الأفراد والتنسيق بين جهودهم وتوجيههم، كما أنها تضع معايير قياس الكفاءة وتقييم الأداء لمتابعة ورقابة كافة الأنشطة.

والقيادة الناجحة ليست عملا سهلا، بل هي على جانب كبير من الصعوبة فالأمر يحتاج إلى حُسن ابتداء وإلى استمرار حَسن، وكلاهما يحتاج إلى عشرات من المقومات؛ بمعنى أن الداخل إلى مجال القيادة الإدارية لابد له من أن يتسلح بمهارات عديدة ومختلفة، حتى يستطيع التمييز بين ما ينبغي أن يكون وما يُمكن، فالغالب أن الأول متعذر بينما الثاني فممكن، فإذا رام المدير تحقيق الأول منهما سقط بدون الوصول إلى النتائج، بينما الثاني هو الذي يقتفيه القائد الناجح.

والقيادة الإدارية منذ بدايات القرن الماضي أولاها العلماء اهتماما كبيرا بوصفها إحدى أهم الدعائم المحورية التي تدور حولها كل معاني التسيير الرشيد في المؤسسات. وأفكار ماكس فيبر وفريديريك تايلو وهنري فايول وإلتون مايو خير دليل على ذلك، هؤلاء العلماء الذين يرجع لهم الفضل ـ في حقيقة الأمر ـ في إرساء دعائم التفكير والحكم الرشيد في إدارة شؤون المنظمات، الأمر الذي يمكن التماسه من خلال إجراء مقارنة بسيطة بين معايير الحكم الراشد للمؤسسات كما يحددها المختصون حاليا، ومبادئ وأساليب الإدارة التي نادى بها هؤلاء الرواد الأوائل، لنكتشف تقاربا واضحا لا يمكن تجاهله.

فمنذ هؤلاء الرواد الأوائل ـ لاسيما أعمال رواد المدرسة الكلاسيكية ومدرسة العلاقات الإنسانية ـ نلحظ أن كل المحاولات العلمية الجادة في ترشيد إدارة المنظمات؛ إنما هي في الأساس محاولة ترشيد القيادة الإدارية لتلك المنظمات عبر وضع مجموعة من القواعد واستحداث جملة من المهام القيادية التي تساعد على بلوغ أهداف المنظمة وتعظيم المنفعة من مواردها سواء المادية أم البشرية، باتّباع طرائق وأساليب جديدة في القيادة تبنى على متغيرات جديدة لم تكن تولى لها أهمية من قبل، في مقدمتها المهارة التخصصية في العمل، والمهارة الإنسانية في التعامل مع الآخرين؛ أي أن طرق الإدارة

التي كانت سائدة من قبل أصبحت لا تكفي، وإنما يتعدى الأمر إلى مجموعة جديدة من المهارات الإدارية والقيادية التي يتسنى من خلالها فقط تطبيق معايير الرشد المستحدثة.

ممّا سبق ذكره يمكن أن نقول أنه لفهم معنى الحكم الراشد في المنظمات، يتعيّن علينا التطرق إلى مفهوم القيادة والقادة كأحد الدعائم الأساسية التي تحمل لواء وشعار وأسلوب هذا الحكم، والتي تعمل على نشر وتطبيق مبادئه داخل المنظمات.

وقبل أن نخوض في معاني القيادة والقادة في ظل الحكم الراشد، حريٌ بنا، من دون أي شك، أن نتبيّن، أولا، مفهوم الحكم الراشد في المؤسسات، بوصفه نمطا تسيريّا حديث يلاقي رواجا واسعا بين أوساط عديد من الباحثين والمختصين والسياسيين وحتى الدول، وأهم المبادئ والمعايير التي ينادي بها، حتى نتمكن من استقراء المهارات القيادية وصفات القادة في ظِله.

1. مفهوم الحكم الراشد:

لقد تعددت التسميات التي تطلق على الحكم الراشد، فمنهم من يطلق عليه الحكم الرشيد ومنهم الحكم الصالح، ومنهم من يطلق عليه بالحاكمية، لكن كلها تقف عند معنى واحد مشترك.

فالحاكمية مفهوم يحمل في طياته جدلا واسعا واختلافا في الفهم قد يصل في بعض الأحيان إلى حد التناقض. لكن وبالرغم من الانتشار الواسع لهذا المصطلح يبقى يحمل في طياته حركية (ديناميكية) مشتركة في الاستخدام والتطبيق، فبالنسبة للمنتمين إلى مؤسسات القطاع العام والخاص، على السواء، يُؤخذ المفهوم كمصطلح، أول ما يدل عليه، إنما يدل على اللامركزية في عملية اتخاذ القرار، وضرورة مشاركة أطراف عديدة في العملية، كما يدعو إلى وضع وتبني مجموعة من القواعد والإجراءات في العمل تتصف بالمرونة، وتبنى أساسا على المشاركة بين أطراف مختلفة.
ويميّز العلماء بين نوعين من الحكم الراشد: حكم راشد على المستوى العام؛ أي على مستوى الدولة أو السياسة، وحكم راشد على مستوى المؤسسات. وهما وإن اختلفا في مستوى التطبيق نجدهما يتفقان، إلى حد ما، على مستوى التعريف.

وهذه محاولة في التفريق بين مفهوم الحكم الراشد على المستوى العام والحكم الراشد على مستوى المؤسسات:

1.1. مفهوم الحكم الراشد العام: إن الحكم الراشد أو الحاكمية هي مجموعة القواعد الطموحة الموجهة لإعانة ومساعدة المسيرين للالتزام بالتسيير الشفاف في إطار هدف المساءلة على أساس قاعدة واضحة المعالم وغير قابلة للانتقاد أحيانا، كون كل الأطراف الفاعلة، عبر النشاطات المتعددة، تسهم في ذلك أي في مجال التسيير.
- تعريف باكناسكو ولوكاليس Bagnasco et le Galles: الذي يرى أن الحكم الراشد هو ذلك النمط من الحكم الذي يسعى إلى تنسيق الأعوان والجماعات الاجتماعية

للوصول إلى الأهداف الخاصة المناقَشة والمعرَّفة بصفة جماعية في محيط وفضاءات غير مؤكدة ومجزأة.
- ويعرفه فرونسوا أكسافييه موريان Francois Xavier Merrien بأنه ذلك النمط الذي يتعلق بشكل جديد من التسيير الفعال.
- أما و. براندW. Brand : فيرى أنه مجموع مختلف الطرق أو الأساليب التي يقوم بها الأفراد والمؤسسات العمومية بتسيير أعمالهم بطريقة مستمرة يطبعها التعاون والتوفيق بين المصالح المختلفة.(1)

هذا عن مفهوم الحكم الراشد أو الحاكمية بصفة عامة، أما عن المفهوم داخل المؤسسات فيأخذ المعنى العام نفسه، إلا أنه يركز أكثر شيء على نظام الحكم وإجراءاته داخل حيز المؤسسة.

2.1. مفهوم الحكم الراشد في المؤسسة:

تعني حاكمية المؤسسة (le gouvernement d'entreprise) توزيع السلطات في المؤسسة، فهي أسلوب وطريقة الحكم والقيادة ونموذج التسيير في المؤسسات العمومية والخاصة على حد سواء، وأسلوب الحكم الرشيد (la bonne gouvernance) يشير إلى أشكال التنسيق والتشاور والمشاركة بين كل أصحاب المصالح في المؤسسة والشفافية في اتخاذ القرار. و هدف المؤسسة في هذا النموذج هو الدفاع وحماية مصالح كل "أصحاب المصالح" أي الأطراف المستفيدة وهي الأطراف التي تؤثر أو تتأثر بأهداف المؤسسة.(2)

كما يعرّف الحكم الراشد في المؤسسة كذلك بكونه مجموعة أساليب وقواعد اتخاذ القرار والإعلام والشفافية والمراقبة، التي تسمح باحترام وضمان مصالح أفراد المؤسسات وشركائهم. وهو مجموع الاجراءات والقواعد والقوانين التي تدخل مباشرة في التوجيه والتسيير والمراقبة، والذي يضم مجموع العلاقات بين الأطراف الفاعلين والمرتبطين بالمؤسسة وأهدافها. والفاعلون الأساسيون في المؤسسة هم:
1. المساهمون
2. الإدارة
3. مجلس الإدارة
4. الأطراف الأخرى كالأفراد والمموّلين والزبائن والمقرضين، وحتى البيئة المحيطة.(3)

أما الدكتور الطحاوي فيربط مفهوم الحكم الراشد بالقيادة ربطًا مباشرا فيقول عنه: "إنّه عملية ممارسة القيادة داخل المنظمة بشكل يعمل على تعظيم فرص المشاركة في عملية صنع واتخاذ القرارات داخل تلك المنظمة".(4)

من خلال هذا التعاريف يمكن أن نستخلص بأن مفهوم الحكم الراشد يرتبط بشكل وطيد مع مفهوم القيادة لأنه في حقيقة الأمر أسلوب للقيادة يهدف إلى تحقيق تغيير جذري في الإدارة على كافة المستويات.

2. مقومات (معايير)الحكم الراشد في المؤسسات:

وفق وثيقة للسياسات العامة لبرنامج الأمم المتحدة الإنماء **كانون الثاني/يناير 1997** بعنوان: الحكم الراشد لخدمة التنمية البشرية المستدامة، تتحدد معايير الحكم الراشد للمؤسسات كالآتي:

- **المشاركة**: ومعناها أن يكون لجميع الإطراف ذات المصلحة في المؤسسة الحق في المشاركة في صنع القرار، إما بشكل مباشر أو عن طريق وسائط شرعية. وتستند هذه العملية أساسا على حرية التعبير وإبداء الرأي(الديمقراطية).
- **حكم القانون**: أن تتسم الأطر القانونية بالعدالة وأن تصنف دون تحيز وينطبق ذلك بوجه الخصوص على القوانين التي تنظم العلاقات بين الإدارة والأفراد وباقي الشركاء في المؤسسة.
- **الشفافية**: تتأسس الشفافية على حرية تدفق المعلومات، فالعمليات والمعلومات يجب أن تكون متاحة لجميع أولئك المهتمين بها لتفهمها ومراقبتها .
- **حُسن الاستجابة**: بمعنى أن يستجيب حكم المؤسسة لجميع مطالب وحاجيات جميع من لهم مصلحة في تلك المؤسسة.
- **التوافق**: يعمل الحكم الراشد على التوفيق بين المصالح المختلفة للتوصل إلى توافق واسع يشكل أفضل مصلحة للجماعة.
- **المساواة أو الانصاف**: يعمل الحكم الراشد على إتاحة الفرصة أمام الجميع بشكل متساوٍ من أجل تحقيق رفاهيتهم وضمان حمايتهم بشكل منصف. والمساواة في بعض الأحيان قد لا تعني بالضرورة الإنصاف.
- **الفعالية والكفاءة**: وتعني التسيير العقلاني للموارد، سواء منها البشرية أم المادية، بشكل يضمن الحصول على أكبر استفادة ممكنة منها.
- **المحاسبة أو المساءلة**: ومفادها أن يكون صُنَّاع القرار مسؤولين أمام أصحاب المصلحة في المؤسسة وتحت رقابتهم.
- **الرؤيا الاستراتيجية**: معناه أن يتحلى القادة والمسيرون برؤيا طويلة المدى فيما يخص الحكم الراشد للمؤسسة والتنمية المستدامة للموارد البشرية.(5)

في ضوء ما سبق يحق لنا أن نطرح السؤال الآتي: ، إذا كان للحكم الراشد بالمؤسسة علاقة وطيدة بمفهوم القيادة، فما هي القيادة يا ترى؟

3. تعريف القيـادة:

يعدّ مفهوم القيادة من المفاهيم الإدارية التي لاقت ومازالت تلقى اهتماما واسعا بين أوساط الباحثين والمختصين المنتمين إلى دائرة العلوم الاجتماعية، لما يتميز به هذا المفهوم من أهمية على كل المستويات، هذه الأخيرة ـ الأهمية ـ التي اكتسبها نتاج

تركيبته الفريدة والمعقدة في الوقت نفسه، التي تمزج بين الأبعاد النفسية والاجتماعية والسياسية والقانونية وغيرها. الأمر الذي يجعل المحاولة في الإحاطة بجميع الأطروحات المتناولة لجميع جوانب المفهوم، أمرا فيه صعوبة نوعا ما، لتشابك المفهوم وعلاقاته واعتماداته الكثيرة والمتبادلة مع متغيرات كثيرة أخرى.

لكن هذا لا يمنع من أن نعرض، في هذا المقام، مجموعة من التعاريف المعطاة لهذا المفهوم ضمن حيز المؤسسة، لتتبيّن، على الأقل، لنا أهم المقومات الأساسية التي تقوم عليها القيادة الإدارية في المؤسسات في ظل الحكم الراشد.

تعرف القيادة على أنها النشاط الذي يمارسه القائد الإداري في مجال اتخاذ القرار وإصدار الأوامر والإشراف على الآخرين باستخدام السلطة الرسمية، وعن طريق التأثير والاستمالة بقصد تحقيق هدف معين." وفي السياق نفسه يعرفها عبد الغفار حنفي بأنها النشاط الذي يمارسه شخص ما للتأثير في النّاس وجعلهم يتعاونون لتحقيق هدف يرغبون في تحقيقه"[6]

وتعرف، أيضا، على أنّها العمليّة التي يتم من خلالها التأثير على سلوك الأفراد والجماعات وذلك من أجل دفعهم للعمل برغبة واضحة لتحقيق أهداف محددة.[7]

ويعرفها السيد عليوة: على أنها نوع من القدرة أو المهارة في التأثير على المرؤوسين، بحيث يرغبون في أداء وإنجاز ما يحدده القائد"[8]، ولا يذهب سيد الهواري بعيدا عن هذا الطرح عندما يعرفها على أنّها: التأثير الشخصي بواسطة الاتصال لتحقيق الأهداف[9]. ويستمر الطرح نفسه مع إيهاب صبيح عندما يصفها بأنّها: فن التأثير وحث المرؤوسين على أداء واجباتهم برغبة وحماسة بغية تحقيق أهداف الجماعة.[10] أو القدرة الفائقة على توجيه وتنسيق الرقابة على الآخرين بقصد تحقيق الهدف العام للمنظمة.[11]

إذا كانت مجمل التعاريف تركز على فكرة التأثير، يرى جابر عوض أن القيادة عبارة عن عملية تفاعل ديناميكي بين القائد ومجموعة العمل في موقف معين يقوم خلالها القائد بتوجيه سلوك مرؤوسيه لتحقيق الأهداف المحددة.[12]

في قراءة احصائية سريعة للتعاريف السابقة نلاحظ أن متغير التأثير هو الذي استأثر بأكبر نسبة بين المتغيرات الأخرى في تعريف مفهوم القيادة، الأمر الذي يجعلنا نستخلص أن فكرة القيادة تُبنى أساسا على متغير التأثير، هذا الأخير الذي يعتمد على الصفات الشخصية والإنسانية للقائد أكثر من أي شيء آخر من أجل بلوغ الأهداف المنشودة.

المتغير	التكرار	النسبة %

اشراف	01	12.5
تأثير	05	62.5
تفاعل	01	12.5
توجيه	01	12.5
المجموع	**08**	**100 %**

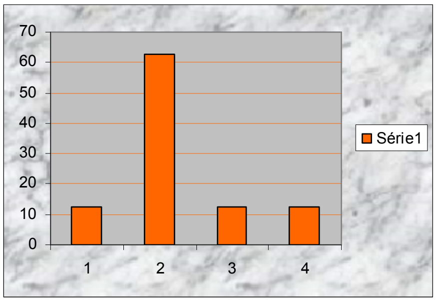

القيادة الإدارية، إذن، هي عملية إنسانية بالأساس تعتمد على التوجيه، والتأثير والتفاعل، والتواصل بين القائد وتابعيه من أجل حفزهم وتمكينهم من تحقيق أهداف المنظمة باستثمار الفرص المتاحة لهم، والتعامل الإيجابي مع المخاطر والتهديدات المحيطة بها.

1.3. متطلبات القيادة: متطلبات القيادة بعد هذا العرض تتلخص في:

أ. **التأثير:** القدرة على إحداث تغيير ما أو إيجاد قناعة ما.

ب.**النفوذ:** القدرة على إحداث أمر أو منعه، وهو مرتبط بالقدرات الذاتية وليس بالمركز الوظيفي.

ج.**السلطة القانونية:** وهي الحق المعطى للقائد في أن يتصرف ويُطاع.

2.3.عناصر القيادة:

من خلال التعاريف المعطاة آنفا نجد أن القيادة تحتوي على ثلاثة عناصر أساسية هي:

1. وجود مجموعة من الأفراد.
2. الإتفاق على أهداف للمجموعة تسعى للوصول إليها.
3. وجود قائد من المجموعة ذي تأثير وفكر إداري وقرار صائب وقدرة على التأثير الإيجابي في سلوك المجموعة.

3.3.الفرق بين القيادة والإدارة:

يخلط الكثيرون بين مصطلحي القيادة والإدارة ويعدّونهما وجهين لعملة واحدة. لكن المصطلحين مختلفان تماماً في الحقيقة، فالقائد يمكن أن يكون مديراً أيضاً ولكن ليس كل مدير يصلح لأن يكون قائداً.

فما هو الفرق بين القيادة والإدارة ؟ وما الفرق بين القائد والمدير؟

- **القيـادة**: تركز على العلاقات الإنسانية وتهتم بالمستقبل. ومن هنا تحرص على عدم الخوض إلاّ في المهم من الأمور. وتهتم القيادة بالرؤية والتوجهات الاستراتيجية وتمارس أسلوب القدوة والتدريب.
- **الإدارة**: تركز، على النقيض من القيادة، على الإنجاز والأداء في الوقت الحاضر، ومن هنا فهي تركز على المعايير وحل المشكلات وإتقان الأداء والاهتمام باللوائح والنظم واستعمال السلطة. كما تهتم بالنتائج الآنية.(13)

و عليه فإن:

- **المديـر**: هو من يمتلك مهارات للقيام بمجموعة وظائف إدارية مهمة مثل التخطيط واتخاذ القرارات، لكنه لا يتعامل مع السلوك الإنساني باعتباره العامل الأهم في منظومة الأداء الانسانية.
- **القائد**: هو الذي يملك سلطة التأثير في سلوك البشر حتى من دون اتصال مباشر، وهو يمتلك المهارات الإدارية أيضا، ولكنها تأتي في المرتبة الثانية من الأهمية في هيكل قدراته.

و في إدارة الحكم الراشد كلا الأمرين مهم، فالقيادة بدون إدارة تجعل المنظمة تعيش في عالم التخطيط للمستقبل، مع إهمال الإنجاز الفوري الذي تحتاج إليه للوصول إلى الأهداف المستقبلية، والإدارة وحدها تجعل المنظمة لا ترى سوى مشكلاتها اليومية بما لا يترك مجالا للتفكير والتخطيط للغد، وفي غمرة اهتمامها الطاغي بالإنتاج والإتقان والجودة تنسى أنها تتعامل مع بشر لهم أحاسيسهم وحقوقهم واحتياجاتهم. إذن، التكامل في هذا المقام أمر مشروع بين القيادة والإدارة.

4.3.أهمية القيادة في المؤسسة: تكمن أهمية القيادة في المؤسسة في:

1) أنها همزة وصل بين العاملين وبين خطط المؤسسة وتصوراتها المستقبلية.
2) أنها البوتقة التي تنصهر داخلها كافة المفاهيم والاستراتيجيات والسياسات.
3) تدعيم القوى الايجابية في المؤسسة وتقليص الجوانب السلبية قدر الإمكان.
4) السيطرة على مشكلات العمل وحلّها، وحسم الخلافات والترجيح بين الآراء.
5) تنمية وتدريب ورعاية الأفراد باعتبارهم أهم مورد للمؤسسة، كما أن الأفراد يتخذون من القائد قدوة لهم.
6) مواكبة المتغيرات المحيطة وتوظيفها لخدمة المؤسسة.
7) تسهل للمؤسسة تحقيق الأهداف المرسومة.(14)

4. مهارات القائد في ظل الحكم الراشد:

"جيش من الأرانب يقوده أسد، أفضل من جيش من أسود يقوده أرنب" مقولة شهيرة للقائد الفرنسي نابليون تحمل في طياتها معاني قوية تمجد القيادة وصفات القادة، لأن مهارات القائد وصفاته قد تغطي على نواحي ضعف كبيرة قد توجد لدى المرؤوسين.

بحُسن التوجيه والتخطيط والرؤيا الثاقبة ومهارات اكتشاف أوجه الضعف ومعالجتها، كلها صفات قد تغطي على ضعف المرؤوسين، بينما نقص الخبرة وعدم وجود رؤى استراتيجية وضيق الأفق والصدر، قد يحولوا، في معظم الأحيان، بين القادة وتحقيق الأهداف، حتى وان كانت الوسائل متاحة والمرؤوسين أكفاء. وبما أن الأمر كذلك، فإن تطبيق معايير الحكم الراشد في المؤسسات يفرض وجود قادة إداريين على درجة كبيرة من المهارة في نواحي مختلفة، قادرين على التأثير الايجابي في الآخرين لبلوغ الأهداف المنشودة.

ويمكن أن نفرق هنا بين ثلاثة أنواع من المهارات التي يجب أن تتوفر في القائد الإداري، وهي: **مهارات فكرية، مهارات إنسانية، مهارات تقنيـة**.

1.4. المهارات الفكرية: وتتلخص في:
- مهارة إدراك المواقف ورصد المتغيرات.
- مهارة إدارة المعلومات والتعامل مع المتغيرات.
- مهارة الاستنتاج واستقراء المؤشرات.
- مهارة تحليل المشكلات والكشف عن الأسباب.
- مهارة بناء الاستراتيجيات وتنمية السياسات.
- مهارة التخطيط الاستراتيجي واتخاذ القرارات.
- مهارة التفاوض.

2.4. المهارات التقنية: وتكمن في:
- مهارة إدارة واستثمار الوقت.
- مهارة إدارة الاجتماعات.
- مهارة إدارة وتطوير تقنيات العمل.
- مهارة استخدام الحاسبات الآلية وتقنية المعلومات.

3.4. المهارات الإنسانية: ومنها:
- مهارة اختيار المساعدين.
- مهارة تنسيق عمل المساعدين.
- مهارة إرشاد المساعدين.
- مهارة تنمية وتطوير المساعدين.
- مهارة حفز وتشجيع المساعدين
- مهارة تمكين المساعدين.
- مهارات الاتصال.
- مهارة بناء فرق العمل المتعاونة.[15]

جميع هذه المهارات تتفاعل فيما بينها وتتقاطع لتشكل كلاً متكاملاً من المهارات التي يجب أن يتحلى بها المدير القائد، ولا تقل إحداهما أهمية عن البقية، كما أنّ جميع هذه المهارات قابلة للتعلم.

5. صفات القائد في ظل الحكم الراشد:

إن الحديث عن المهارات المكتسبة يجعلنا لا نتجاهل فكرة السِّمات أو الصفات الشخصية للقادة وأثرها البالغ الأهمية في العملية القيادية، فإلى جانب المهارات المذكورة، آنفا، يُقرُّ كثيرٌ من العملاء والمختصين بأن هناك صفات شخصية في القادة تفرضها طبيعة معايير الحكم الراشد، تتلخص كالآتي:

1. الذكاء وسرعة البديهة.
2. الثقة بالنفس وطلاقة اللسان.
3. السمعة الطيبة والأمانة والأخلاق الحسنة.
4. النضج العاطفي.
5. وجود الدافع الذاتي للعمل والإنجاز.
6. الإلمام الكامل بالعلاقات الإنسانية.
7. الهدوء والاتزان في معالجة الأمور والرزانة والتعقل عند اتخاذ القرارات.
8. القوة البدنية والسلامة الصحية.
9. التضحية: يضحي برغباته واحتياجاته الشخصية لتحقيق الصالح العام.
10. الحزم والثقة في اتخاذ القرارات المستعجلة والاستعداد للعمل بها.
11. الطاقة والنشاط: الحماس، الرغبة في العمل، والمبادرة.
12. المرونة وسعة الأفق.
13. القدرة على ضبط النفس عند اللزوم.
14. المظهر الحسن.
15. السرعة في اختيار البدائل المناسبة.
16. إحترام النفس واحترام الغير.
17. الإيجابية في العمل.
18. القدرة على الابتكار وحسن التصرف.
19. أن تتسم علاقاته مع زملائه ورؤسائه ومرؤوسيه بالتعاون.(16)
20. السرعة في اختيار البدائل المناسبة.
21. الاستعداد الطبيعي لتحمل المسؤولية.
22. الالتزام بالبحث عن طرق أفضل للأداء.
23. الشجاعة في مواجهة مراكز القوة والتقاليد الإدارية الجامدة.
24. المبادرة في الخروج من الطرق المألوفة للأداء.
25. الحماس الشخصي للتغيير والقدرة على حفز الآخرين مع التزام الهدوء.
26. الاهتمام بالموارد البشرية والإصرار على تمكينهم من الأداء.(17)
27. توخي العدالة في مواجهـة المرؤوسين.

6. المهام الأساسية للقائد في الحكم الراشد:

إنّ أحوج ما تحتاجه إدارة الحكم الراشد هم القادة الرسميون الذي يجمعون بين السلطة الرسمية وغير الرسمية؛ أي إلى جانب قدراتهم على التأثير في العاملين وقوة التفكير وسعة الأفق ورحابة الصدر، صلاحيات وظيفة رسمية تُخوِّل لهم شيئا من السلطة، وتعطي لعملهم القيادي معنى أكثر وضوحا.

وتنقسم مهام القائد في الغالب إلى قسمين:

1.6. مهام رسمية تنظيمية:

وتتلخص في مراعاة تنفيذ مبادئ التنظيم الإداري في المنظمة لكي تسير الأمور بانضباط وجدية، وأبرز هذه المهام ما يلي:

1) **التخطيط:** أي رسم السياسات ووضع الإستراتيجيات وتحديد الأهداف البعيدة والقريبة ووضع الخطط الموصلة إليها، وتحديد الموارد والإمكانات المادية والبشرية في ذلك كله. ولكي يتمكن القائد من إنجاز مهامه بشكل فاعل وناجح عليه أن يقوم بتوضيح أهداف المنظمة للعاملين معه، والاستماع إلى آرائهم حول القضايا، والتعرف إلى أهدافهم الشخصية، وليس الحصول على تعهداتهم والتزاماتهم بالمشاركة في إنجاز الأدوار والخطط فقط، فالقيادة الناجحة والفاعلة تقوم على القناعات الشخصية للأفراد وتحظى بالتعاطف والتعاون بإرادة ورضا وهذا لا يتحقق في الغالب، إلاّ إذا شعر الأفراد أن في إنجاز خطط المنظمة وتحقيق أهدافها تحقيقاً لأهدافهم وطموحاتهم أيضاً، ولو تلك الطموحات الذاتية التي يجب أن يشعر فيها الكثير من الأفراد بالاحترام والتقدير والاعتناء برأيهم والاهتمام بدورهم .

2) **التنظيم:** أي تقسيم العمل وتوزيع المسؤوليات والوظائف بين الأفراد وتوزيع العاملين عليها حسب الكفاءات والخبرات والقدرات والطموحات. ولا يكون التوزيع ناجحاً إلاّ إذا وُضع الرجل المناسب في مكانه المناسب، وهذا ما يفرض عليه أن يراعي الخبرة والتخصص والقدرة والفاعلية في الأفراد، ولعلّ أنجح أسلوب وأبقاه لضمان التنظيم الأقوى، هو التوزيع على أساس اللّجان أو الهيئات والجماعات المستقلة التي تحظى بصلاحية التفكير والتخطيط في مهامها حسب نظام شورى مفتوح، ويبقى للمدير دور الاستشارة، لأنّه في هذا، يضمن تفرغاً كبيراً للإدارة للأهم ويضمن للأفراد طموحاتهم واحترام آرائهم، فهذا الأسلوب يؤدي دوراً كبيراً في دفع العاملين إلى المشاركة في العمل بحماس وقناعة ويضمن التزامهم في تحقيق الأهداف، وبهذا يكفي نفسه المزيد من الرقابة والقلق من التسيب والانفلات .

3) **التنسيق بين أطراف العمل وأجنحته وتوجيه الجميع للمسير باتجاه هدف المنظمة الأول والحث على الأداء بأعلى مستوى من الكفاءة والفاعلية:** وهنا لابد للمدير من العمل على تذليل العقبات التي تقف أمام التنسيق وتمنع من تحققه أو تعرقل نجاحه، من النزاعات الشخصية بين الأفراد، أو عدم قناعة البعض الآخر المؤمن بالفردية، أو الذي يصعب عليه تجاوزها للقبول بالجماعية والتنسيق، وغير ذلك من

الموانع والعراقيل التي تواجه التنسيق والتعاون، وهذا ما يتطلب منه الاتصال الدائم مع العاملين وشرح أهداف المنظمة لهم وتذكيرهم بها باستمرار لشحذ هممهم وتحفيزهم للتعاون، وبعبارة مختصرة، عليه أن يعمل دائماً لخلق روح الفريق المتكامل والمتعامل المتحد الأهداف والطموحات .

4) **تشكيل شبكة من الاتصالات العمودية والأفقية:** وذلك لنقل المعلومات والأفكار والقرارات والاطّلاع على مجريات الأمور وتذليل الصعوبات أو معرفتها ليكون الجميع في أجواء العمل وتفهم حاجاته ومتطلباته .

5) **المتابعة والإشراف:** فنجاح واستمرار الكثير من الأعمال يعود على مهمة المتابعة التي يقوم بها المدير مباشرة أو بوساطة المهام والخطط، كما تعد المتابعة المستمرة وسيلة للثواب والعقاب وأداة للإصلاح والتقويم والتطوير، وأيضاً تعد مهمة كبيرة لاكتشاف الطاقات الكبيرة من تلك الخاملة، لتحفيز الخامل، وترقية الكفؤ المتحمس إلى غير ذلك من فوائد جمة، فمهمة المتابعة المتواصلة من المدير تُعد من أكثر المهام تأثيراً على الإنجاز وتحقيقاً للنجاحات.(18)

2.6. مهام غير رسمية:

تعتمد بشكل كبير على شخصيته (القائد) وآفاقه وأسلوبه الشخصي في التعامل مع الآخرين، إلاّ أن لها الدور الكبير في تحقيق أهداف المنظمة وتطوير العاملين وتماسكهم، ومن هذه المهام:

1) **الاهتمام بالجماعات غير الرسمية**: وهي عبارة عن جماعات تتكون بشكل طبيعي، وفي كل جماعة مصالح مشتركة تجمعهم بشكل اختياري أو مخطط، فيعملون على فرض سياسة تخدم أهدافهم بعيداً عن شكل الإدارة الرسمي كجماعات الاختصاص العلمي، أو الانتماء الإقليمي، أو الديني أو غير ذلك.. وهنا يتوجب على القائد الاهتمام بهذه الجماعات وإقامة اتصالات جيّدة معهم، بهدف الاقتراب منهم والتعرف على مشكلاتهم وأفكارهم من الداخل لتذليل الصعوبات وتحقيق ما يمكن تحقيقه بما لا يضر بمصالح المنظمة بل ويَصُبُ في خدمتها.

2) **الاتصال مع الجماعات المختلفة في المنظمة**: بحيث يكسر الحاجز بين الطابع الرسمي الذي يفرضه العمل وغير الرسمي الذي يفرضه الشعور أو الطموح أو المصلحة المشتركة، مما يجعل المدير متفهماً لمطالبهم، وبذلك يحتويهم نفسياً وفكرياً ويبعد عنهم المضايقات، كما يقرّب وجهات النظر معهم من خلال شرح رؤيته بلا نقل من الغير، كما يمنع من الحدس والتحليلات البعيدة عن الواقع فيَحُولُ دون الانقسامات والاضطرابات التي قد تحدث جرّاءَ هذا الخلاف، وبهذا يكون قد ضمن الوحدة والتفاهم وتحقيق النجاح للجميع .

3) **المشاركة**: وقد بات أنموذج الإدارة التشاركية حقيقة مفروضة على واقع المنظمات إذا أرادت الانتصار في المجالات المختلفة، وتتمثل القيادة التشاركية في إقامة

العلاقات الإنسانية الطيبة بين القائد والعاملين معه واحتوائهم عاطفياً وتحسيسهم بأهميتهم وموقعهم من قلب القائد ورعايته، فيجعلهم دائماً في ظله وكنفه ينعمون بالراحة والطمأنينة والثقة به، وبهذا يمنع من وجود أفراد يسبحون خارج فضاء المنظمة، وإن وجد منهم، فإن أسلوبه الحكيم هذا، من شأنه أن يحتويهم ويرجعهم إلى الأجواء .

4) **مشاركة العاملين في اتخاذ القرارات الإدارية وبحث مشكلات العمل ومعالجتها ووضع الحلول الناجحة لها بروح جماعية متوحدة:** فمن الخطأ أن يتصور بعض المدراء أن مشاركة المدير للعاملين معه في الرأي والقرار يقلل من شأن المدير القائد أو ينزل من مستواه، بل الروح الجماعية المتفتحة ترفع من شأن المدير وتعطيه قوة فوق قوته وتضفي عليه احتراما وتقديراً قد لا يحصل عليه إلاّ بهذا الأسلوب، كما تُعد من أبرز عوامل نجاحه في القيادة وتأثيره على الأفراد وحفظ تماسك المنظمة وتحقيق أهدافها .

5) **درجة الرعاية التي يبديها المدير تجاه القيم والمثل الإنسانية والأخلاقية في التعامل:** كقيمة الوفاء والستر على النواقص والعثرات والعفو والصفح والسماحة والكرم وغيرها.. من صفات إنسانية نبيلة تجعله قدوة وأسوة يحتذيها الجميع، فيسعى لتقمص شخصيتها وبذلك يُحوِّل المدير منظمته إلى مدرسة للتربية والتهذيب والتعليم وهي تمارس أدوارها اليومية في العمل .

6) **مهارة تبصر الأهداف العامة للمنظمة وربطها بأهداف المجتمع ومعالجة المشكلات الإدارية في إطار الأعراف العامة:** وهذا يتطلب منه معرفة جيدة بالسياسة العامة للدولة، وتفهم كافي للاتجاهات السياسية وتبصرها والقدرة على التعامل معها بحكمة، ليكون أقدر على التوفيق بين الضغوط العامة واتجاهات المجتمع والدولة وبين نشاط المنظمة، مع إعطاء الأهمية للصالح العام .

7) **المهارة في تنظيم الوقت وإدارته:** وذلك من خلال تحديد المهمّات المطلوب إنجازها وتحديد الأولويات وتتابعها الإنجازي على مراحل الزمن، وتلافي الأوقات المهدورة.[19]

خاتمة

إن قيادة الحكم الراشد، في حقيقة الأمر، تنبع من الجماعة وتكتسب سلطتها وشرعيتها من رضا الأفراد الذين يخضعون بملء إرادتهم وقناعتهم للقائد فهم أنصار له في أفكاره وأهدافه. وطبعاً هذا لا يعني أن الأفراد لا يحققون شيئاً من هذه النصرة، بل إنّهم يجدون في الالتزام بالقائد خدمة لأهدافهم وتحقيقاً لأفكارهم ورؤاهم وتلبية لطموحاتهم.. ومن هنا فإن القيادة الإدارية لا تبنى من فراغ، بل يتوجب تواجد أتباع وأنصار يعملون مع القائد ويتبنون أفكاره ورؤاه، وبالتالي يصح، أن نقول، بأنهم هم صانعوا قيادته، لذلك فإن تفاعلهم معه واستجابتهم إليه أمر ضروري لا بد منه، حتى تتجسد القيادة على الواقع وفق مبدأ توزيع الأدوار، إذ يكون هو النجم الطالع في

الجماعة وهم يطوفون حوله ويحققون له سلطته ونفوذه وتأثيره في تسيير عجلة العمل إلى الأمام.

وتشتد الحاجة إلى مثل هكذا نمط من الإدارة لدى الأزمات والمخاطر، وحينما تظهر المؤسسة عاجزة عن إيجاد الحلول المناسبة لأزماتها الداخلية أو الخارجية. لذلك يجمع القائد الإداري في هذه الظروف بين قدرات القيادة وضوابط المدير، فيكون هو القائد والمدير ويمارس السلطة بالإقناع والرضا ويتجاوز السلطات الرسمية والمناصب والروتين المفروض حسب السلم الإداري العام الذي تفرضه الرئاسة الإدارية وقوانينها وأنظمتها.

الهوامش

1- الأخضر عزي: الحكم الرشيد وخوصصة المؤسسات إشارة إلى واقع الاقتصاد الوطني والمؤسسة الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية الالكترونية، عدد مارس 2006.

2- http: //fr.wikipedia.org/wiki/Gouvernance_d%27entreprise.20/11/2007.14: 30

3- http: //fr.wikipedia.org/wiki/Gouvernance_d%27entreprise21/11/2007

4- د. الطحاوي: المجتمع المدني والحكم الراشد، مداخلة في ملتقى الحكم الرشيد واستراتيجيات التغيير في العالم النامي، جامعة سطيف، ص 172.

5- وثيقة للسياسات العامة لبرنامج الأمم المتحدة الإنماء كانون الثاني/يناير 1997 بعنوان: الحكم الراشد لخدمة التنمية البشرية المستدامة، ص 9.

6- عبد الغفار حنفي: السلوك التنظيمي وإدارة الموارد البشرية، دار الجامعة، الاسكندرية، 2002، ص.514.

7- رضا صاحب أبو حمد آل علي وسنان كاظم الموسوي: الإدارة ـ لمحات معاصرة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الأردن،2001. ص 431.

8- السيد عليوة: تنمية المهارات القيادية للمديرين الجدد، مصر، 2001، ص48.

9- سيد الهواري: الإدارة والاسس العلمية، مكتبة عين شمس، 1976، ص .329

10- ايهاب صبيح، محمد رزيق: الإدارة والأسس والوظائف، دار الانس، سوريا، 2001، ص 151.

11- نفس المرجع ص 152.

12- جابر عوض سيد، أبو الحسن عبد الموجود، المتغيرات الإدارية في منظمات الرعاية الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2004، ص326.

13- نقلا عن موقع د. طارق محمد السويدان http: //www.suwaidan.com

14- أحمد بن عبد المحسن العساف http: //www.saaid.net/Doat/assaf/3.htm

15- علي السلمي http: //www.alisalmi.org

16- عليوة: المرجع السابق، ص .53

17- علي السلمي: المرجع السابق.

18- http: //www.alnoor.info/Learn/topicbody.asp?TopicID=177&SectionID=38

19- المرجع نفسه.

مجلة العلوم الإنسانية —— عدد 38 - ديسمبر 2012، ص.ص.103- 118 ——

انتقاء الأخبار في وسائل الإعلام: خدمة هادفة للجمهور أم إستراتيجية للتلاعب بالعقول ؟

ملخص

يعالج هذا المقال نظرية ترتيب الأولويات أو وضع الأجندة و هي إحدى نظريات الإعلام التي حظيت باهتمام الباحثين منذ مطلع السبعينيات من القرن الماضي و لا تزال . و يعبر عن ذلك الاهتمام عدد البحوث التي تقدر بالمئات ما أفضى إلى توسيع مفهوم ترتيب الأولويات نفسه وإلى مسارات جديدة في البحث حول الطرف الذي يضع أجندة وسائل الإعلام : هل هي المؤسسات الإعلامية أم رجال السياسة و جماعات الضغط أم الجمهور ؟ تلك هي بعض الإشكالات التي لا تزال محل دراسة و تحليل لتحديد مدى تداخل هذه الأجندات وهو ما نحاول تسليط الضوء عليه من خلال هذا المقال.

أ. ليلى بولكعيبات جامعة قسنطينة -3
الجزائر

Résumé

Cet article porte sur la théorie de l’ agenda–fonction qui est devenue depuis plus de trente ans l’une des théories les plus utilisées par les chercheurs comme feuille de route pour les aider à interpréter le contenu des mass-médias et de déterminer les objectifs non déclarés de ceux qui trient l’information avant de la livrer au public. Les médias sont-ils vraiment des médiateurs neutres qui n’interviennent que dans l’intérêt du récepteur pour l’aider, à éclairer son chemin sans vouloir le manipuler ?

تعد نظرية "ترتيب الأولويات" أو " وضع الأجندة agenda setting " واحدة من أهم الأطر النظرية الإعلامية التي ركزت على اهتمام وسائل الإعلام والجمهور في النصف الثاني من القرن العشرين.

1- مفهوم وضع الأجندة :

ركزت بحوث الإعلام الجماهيري في النصف الأول من القرن العشرين على فرضية تزعم أن وسائل الإعلام تمارس تأثيرا مطلقا على المتلقين. وهذه الفكرة وجدت في النجاح الذي أحرزته الدعاية الألمانية خصوصا خلال الحكم النازي في الثلاثينيات من القرن الماضي حجة قوية استندت اليها .غير أن هذه النظرة المتسمة بالغلو تراجعت مع ظهور نتائج أبحاث " لازاسفيلد Lazarsfield " التي أعادت الاعتبار للمجتمع وأكدت أن تأثير وسائل الإعلام ليس مطلقا لينتقل الاهتمام بعدها نحو محتوى الرسالة . كان ذلك خلال السبعينيات

من القرن الماضي ومن جملة ذلك دراسات وضع

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر2012

الأجندة أو ما يعرف بترتيب أولويات الاهتمام لدى المتلقين أو الجمهور.
وأكدت هذه الدراسات أن وسائل الإعلام هي من يتولى أمر تحديد المواضيع التي يتعين على الجمهور التفكير فيها. وتهتم بحوث وضع الأجندة بدراسة العلاقة التبادلية بين وسائل الإعلام والجماهير التي تتعرض لتلك الوسائل
في تحديد أولويات مختلف القضايا " التي ستجري مناقشتها في المجتمع . وتدخل نظرية وضع الأجندة تحت سقف " نظريات التأثير المحدود " لوسائل الإعلام" (1).

وبحسب هذه النظرية، فإن وسائل الاتصال الجماهيري هي التي تنتقي المواضيع وتميز بينها من حيث الحجم والمكان فتوحي بذلك للمتلقين على أن ذلك هو الأهم وأنه يتعين عليهم إعادة ترتيب ما يدور في أذهانهم بما ينسجم مع ما تقدمه الصحافة. وهكذا، فإن الموضوعات التي يراها المحررون ذات أهمية هي التي يتم نشرها حتى ولو كان ذلك مخالف للحقيقة. إن مجرد النشر في حد ذاته (سواء من خلال الصحافة أو الإذاعة أو التلفزيون) يعطي أهمية مضاعفة لتلك الموضوعات ؛ بحيث يراها الجمهور ذات أهمية تفوق عداها من الموضوعات. وتعد نظرية الأجندة من أهم المداخل النظرية التي تستخدم لتحليل تأثير وسائل الإعلام خاصة في مجال السياسة. ويشير الباحثون في مجال الإعلام إلى أن وسائل الإعلام تعد المسرح السياسي للمناظرات الجارية ، ويرون أن هناك بعض الدلائل بأن المناقشات الخاصة حول المسائل السياسية تأخذ مؤشراتها من عرض وسائل الإعلام لهذه المسائل، إذ أن الناس يتحدثون في السياسية مسايرين في ذلك الخطوط التي ترسمها وسائل الإعلام. فوسائل الإعلام بهذا المعنى ترشد وتعلم الجمهور حول مّا يتحدثون بشأنه. وتبعا لهذا النموذج ؛فإن الجمهور لا يتعلم من وسائل الإعلام المسائل العامة والأمور الأخرى، ولكنه يتعلم كذلك درجة أهمية هذه المسائل .

وبمعنى آخر، فإن الإعلاميين يلعبون دورا هاما في تشكيل حياتنا الاجتماعية، حينما يمارسون دورهم في اختيار وعرض الأخبار علينا وترتيب الأولويات فيها. إن وسائل الإعلام تقوم بتحديد المسائل الهامة لنا. وبكلمات أخرى، فإن الأولويات التي تفرضها وسائل الإعلام تكون هي نفسها لدى الجمهور، ذلك أن وسائل الإعلام هي من يقوم بوضع الأجندة. وعليه، فإن وظيفة وضع الأجندة للاتصال الجماهيري تتمثل في قدرتها على تغيير المعرفة عند الأفراد و بناء تفكيرهم، وهنا يكمن أهم تأثير لوسائل الاتصال، وهو مقدرتها على إعادة ترتيب العالم وتنظيمه عقليا لنا. (2)

وترجع الجذور الفكرية لدراسات وضع الأجندة إلى ما كتبه ليبمان Lippmann عام 1922 عن دور وسائل الإعلام حول الصلة بين الأحداث التي تقع في العالم الخارجي و الصور التي تنشأ في أذهاننا عن هذه الأحداث، وبعد أربعين سنة من هذا التاريخ ، أي في عام 1963 كتب كوهين Cohen يقول " إن الصحافة قد لا تنجح معظم الوقت في التأثير في اتجاهات الناس ولكنها تؤثر بقوة في تحديد نوعية القضايا التي يهتمون بها ، لقد عبر ليبمان وكوهين ببساطة عن المعنى الذي انبثقت منه دراسات

وضع الأجندة بعد أول دراسة إمبريقية تحمل هذا المصطلح العلمي الجديد عام 1972 " .(3)

ومن ناحية أخرى حاول بعض الباحثين صياغة تعريف الأجندة كما فعل كل من لينغر و سـيمون Lyengar & Simon بقولهما أن " وضع الأجندة يمكن تعريفها بأنها قدرة المواد الإخبارية التي تبثها وسائل الإعلام المختلفة على معرفة وتحديد القضايا المهمة خلال فترة زمنية معينة (4) ، وهو ما فعله أيضا ماكويل Mcquail الذي نظر إلى مفعول وضع الأجندة على الجمهور من خلال تزايد الاهتمام المشترك بين الجمهور و وسائل الاعلام ؛ حيث يعرف وضع الأجندة على النحو الآتي:
" هي عبارة عن تلك العملية التي تؤثر من خلالها وسائل الإعلام (سواء بصورة مقصودة أم غير مقصودة) في جمهورها من خلال ما تعرضه له من قضايا أو أحداث إخبارية و بروزها ضمن مضامينها المختلفة، وهو ما يفرض أن تزايد اهتمام هذه الوسائل بتلك القضايا والأحداث يجعلها مهمة وبالتالي تتزايد أهميتها لدى هذا الجمهور " . (5)

وورد في معجم " lexique d'information communication " أن مفهوم ترتيب الأولويات (الأجندة) عبارة عن تأويل أو فرضية وفقها تؤثر المؤسسات الإعلامية الكبيرة على الرأي أو المسؤولين عندما تعلمهم بما هم بصدد التفكير فيه مما يؤثر فيهم عندما تلمح لهم بصورة فجائية حول ما يجب عليهم التفكير فيه. فوسائل الإعلام تقوم دون علمنا بانتقاء المواضيع الجاري بشأنها الحديث ، لكنها أيضا تقوم بترتيب أولويات هذه المواضيع. إن السؤال المطروح حول هذا التأويل هو معرفة، أي من الأجندات عائد لوسائل الإعلام، وللمواطنين وللفاعلين السياسيين، بحيث يجر الاثنين الآخرين، وفي أي اتجاه وهل ذلك يحدث بشكل متزامن؟ ". (6)

وفي ضوء ذلك، ينظر الباحثون إلى « الصحف على أنها صفحات أو مواقع على الصفحات تتباين في أهميتها، ولا يمكن لصحيفة ما أن تحدد مستوى واحد من الأهمية لكل الصفحات أو المواقع، بالإضافة إلى أنها لا يمكن أن تمنح مساحات أو مواقع ذات أهمية واحدة لكل الأخبار أو القضايا المتباينة في الأهمية سواء بتأثير السياسات العامة أو الخاصة بالجريدة على سبيل المثال، ولذلك أصبح لزاما أن تقوم الصحف ووسائل الإعلام بتنظيم عرض المواد الإخبارية والقضايا والموضوعات في ترتيب يشير إلى أهمية هذه المواد في علاقتها ببعضها وتتبنى الوسيلة هذا الترتيب بحيث يعبر عن سياستها أو اتجاهها من هذه المواد المنشورة أو المذاعة .

وهذه العملية يطلق عليها ترتيب أولويات الاهتمام للوسيلة الإعلامية أو باختصار وضع أجندة تتم بناء على قرارات عديدة تتأثر بالسياسات العامة والسياسات التحريرية والنظم الفنية ". (7)

وقد حاول بعض الباحثين توسيع نطاق توظيف هذا المفهوم بالنظر إليه كعملية تفاعلية ،و في ضوء ذلك التحليل بات ينظر إلى عملية وضع الأجندة من خلال

ثلاثة اتجاهات بحثية متميزة هي (8):

الاتجاه الأول : وضع أجندة الجمهور Public agenda setting وتتخذ من أولويات اهتمام الجمهور متغيرا تابعا لها ، و قد بدأ هذا الاتجاه البحثي على يد " ماكومبس " و" شو " عام 1972.

الاتجاه الثاني : وضع أجندة السياسة العامة Policy Agenda setting وتتخذ من أولويات اهتمام صانعي القرار متغيرا تابعا ، بينما تمثل أولويات اهتمام وسائل الإعلام متغيرا مستقلا .

الاتجاه الثالث : وضع أجندة وسائل الإعلام Media agenda setting وتتخذ من أولويات قضايا وسائل الإعلام متغيرا تابعا .

و يمثل نموذج ليهلي Leighley تجسيدا واعيا بأبعاد توسيع مفهوم و عملية وضع الأجندة والذي يبرز ثلاثة أنواع لوضع الأجندة هي: أجندة وسائل الإعلام و وضع الأجندة التنظيمية أو المؤسسية وأجندة الجمهور العام . (9)

و يطرح " ماكويل " افتراضات نظرية وضع الأجندة في ضوء مفهوم وضع الأجندة الموسع و إبراز تعقده كعملية اتصال جماهيري كالآتي :

- يثور الجدل العام حول بروز القضايا (أجندة ما يحدث) .

- تتولد هذه الأجندة من الرأي العام و اقتراحات الصفوة السياسية .

- تؤدي هذه الاهتمامات المنافسة إلى بروز قضاياها .

- تنتقي وسائل الإعلام قضايا معينة لتركز عليها أو العكس وفقا لمجموعة من الضغوط خاصة المتعلقة منها باهتمامات الصفوة و الرأي العام والأحداث التي تقع في العالم الحقيقي.

- يؤدي ذلك إلى أن مخرجات هذه الوسائل تتسبب في شهرة و بروز الاهتمام بهذه القضايا، مما يؤثر في إدراك جمهورها للأجندة الحالية إضافة إلى وجود تأثيرات أخرى تتعلق بإبداء الآراء و تقويم ما حدث في المشهد السياسي .

- تتصف هذه التأثيرات الخاصة بعملية وضع الأجندة بأنها قصيرة المدى .

وقد ظهرت محاولة ثالثة كانت أكثر شمولا لتوسيع مفهوم الأجندة، حيث تنبه بعض الباحثين إلى أن ترتيب الأولويات قد لا يرتبط فقط بقضايا لكنه ربما يشمل أفكارا معينة، أو شخصيات بارزة أو قيم اجتماعية ، وغيرها من أجندة الأشياء . ويؤكد التوجه المعاصر في صياغة هذا المفهوم على أن وضع الأجندة عبارة عن تحديد وسائل الإعلام لما يجب أن يفكر فيه الجمهور، بحيث يشمل أحداثا أو قضايا أو أفكارا أو قيما اجتماعية .

2- نظرية تتمتع بالمرونة :

يعتبر " ماك كومبس و شاو Mc Combs et Show "أول من حاول فحص على المستوى الإمبريقي ، هذا الجانب الجديد من وسائل الإعلام بتحليل الانتخابات الرئاسية الأمريكية لعام 1968 .فمن بين الناخبين المترددين ، توجد علاقات هامة بين الأسئلة التي طرحتها وسائل الإعلام والمسائل التي يعتبرها الناخبون عناصر مفتاحية للانتخابات الرئاسية .

ففي النموذج الذي قدماه عام 1972 ، ظهر أن الناشرين يلعبون دورا مهما في تكوين الحقيقة الاجتماعية، وذلك عن طريق اختيار و ترتيب المعلومات . وهم بوجه عام يضعون أجندة تنظم عالمنا . ويذهب " بونيو Bougnoux " إلى القول بـ" أن وسائل الإعلام المهيمنة فرضت نموذجها في رؤية الأشياء، وهي بذلك تتناقض مع الآراء التي تدخل ضمن الصور الجاهزة والمحكيات ". (10)

هذه التحاليل انتقلت في ما بعد إلى حقل التلفزيون وخلصت إلى الأهمية الأساسية لوسائل الإعلام في لعبة الانتخابات . وفي العام 1976 ، استعمل المؤلفان قضية " واترغيت Watergate " لتجسيد نظريتهما ، للتدليل على عدم وجود تأثير قوي لوسائل الإعلام .

ويرى " جون لوهيس Jean Lohisse " أنه إذا كان مفهوم ترتيب الأولويات قد تم إقراره دون إخفاق ليسمح بتعميم النموذج، إلا أنه كنظرية صلبة حول دور وسائل الإعلام لا يزال في حاجة إلى تطوير . (11)

و دائما عندما يثير الباحثون آراء حول نشأة هذه النظرية يتبادر إلى أذهانهم سؤالا حول المسألة وهو : هل كان " شو وماكومبس " أول من صاغ هذه النظرية أم أنه كانت هناك إسهامات لباحثين مهدت لهما العمل في هذا الاتجاه ؟

يشير" دنيس ماكويل " أن " لازارسفيلد " له السبق في توظيف الأجندة باعتبارها القوة التي يتم من خلالها هيكلة القضايا أما الإجابة القاطعة حول طرح هذا السؤال فقد جاءت من " شو و ماكومبس " اللذين أقرا أن " كوهين " سبقهما إلى فكرة الأجندة ؛ وقد كان ذلك عام 1963 ؛ عندما أشار بصورة إجمالية إلى أن وسائل الإعلام قد لا تنجح دائما في توجيهنا إلى كيفية التفكير ، لكنها تنجح بصورة مذهلة في توجيهنا إلى ما نفكر فيه " . (12)

والواقع أنه منذ إطلاق هذه الفكرة تحمس لاختبارها الباحثون في حقل الإعلام والاتصال. وكان من نتيجة ذلك أنه أحصي ما يزيد عن 200 دراسة وذلك منذ ظهور الاختبار الامبريقي لـ " شو و ماكومبس " .

وإذا تبنينا تصنيف " شو و ماكومبس " للبحوث التي أجريت حول هذه النظرية ، فإننا نجد أنهما وزعاها على أربعة أنواع تعكس في واقع الأمر تطور الاتجاهات الخاصة ببحوث هذه النظرية كالآتي : (13)

1- الدراسة الأصلية Chapel Hill التي اختبرت الفرض الأساسي الخاص بأن نموذج التغطية الإخبارية يؤثر في إدراك الجمهور لأهمية القضايا اليومية .

2- الدراسات الخاصة بالأدوار المقارنة للصحف والتلفزيون، والمصطلحات النفسية مثل الحاجة إلى التكيف، واتفاق الاتصال الشخصي مع عملية الاتصال الجماهيري و مثل هذه الأعمال قدمها كتاب " The Emergence of American Political Isues " وهذا الكتاب اختبر الفرض الرئيسي للأجندة .

3- الشكل الثالث الذي اهتم بالكشف عن صور المرشحين واهتماماتهم السياسية كبديل للأجندة .

4- بحلول الثمانينات انتقلت البحوث بالأجندة الإخبارية من متغير مستقل إلى متغير تابع واستبدلت السؤال: من يضع أجندة الجمهور؟ بالسؤال من يضع الأجندة الإخبارية ؟

والشكل الرابع لبحوث الأجندة يعتبر أكثر تعقيدا من الثلاثة السابقة، حيث يهدف إلى وصف وشرح ارتباطاتها المختلفة ".

وبذلك نجد أن بحوث الأجندة تقوم ببحث العلاقة الارتباطية بين الترتيب الناتج لمفردات المحتوى من خلال التحليل، والترتيب الذي يقدمه الجمهور من وجهة نظره من خلال الإجراءات المنهجية للمسح، و بناء على نتائج هذه العلاقة التي تأكدت إيجابيتها في معظم الدراسات تقريبا ، انتهى الرأي إلى تأثير وسائل الإعلام على بناء أجندة اهتمامات الجمهور بالقضايا و الموضوعات المطروحة ؛

أما " براينت وطومسون Bryant & Thompson " فيلخصان مراحل تطور بحوث الأجندة في أربع مراحل أيضا لكن على نحو مختلف قليلا كما يلي : (14)

- المرحلة الأولى : و تمثلها دراسة " شو و ماكومبس " عام 1972 والتي أثبت نتائجها أن اهتمام الجمهور العام بالقضايا يتأثر باهتمام المحتوى الإخباري لوسائل الإعلام بالقضايا ذاتها .

- المرحلة الثانية (التكرار) : عندما كرر هذان الباحثان عام 1977 تطبيق افتراضات نظرية وضع الأجندة من خلال دراسة تناولت القضايا البارزة لدى الناخبين، وقد أكدت نتائجها على أن هؤلاء الناخبين الذين يتعرضون بصورة كبيرة لوسائل الإعلام تتأثر أجندة اهتماماتهم بالقضايا المختلفة المطروحة ضمن أجندة هذه الوسائل .

- المرحلة الثالثة (المتغيرات الوسيطة) : " بالرغم من أن الدراسات الأولى والمبتكرة في مجال وضع الأجندة تناولت بالرصد والتحليل الارتباط المباشر بين أجندة وسائل الإعلام و مثيلتها لدى الجمهور، فإن دراسة أخرى تالية أكدت نتائجها على وجود مجموعة من المتغيرات الوسيطة المؤثرة في عملية وضع الأجندة (15) ،

وتعد دراسة ويفر وغريبر وماك كومبس وايبل Weaver, Graber , McCombs Eyal التي أجروها على الناخبين أثناء حملات الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام 1976 دراسة رائدة في هذا المجال، فقد كشفت نتائجها عن وجود تأثيرات لمتغيرات أخرى وسيطة كالمهنة والمستوى التعليمي ومحل الإقامة، وكلها متغيرات تلعب دورا مؤثرا في تحديد أولويات اهتمام هؤلاء الناخبين إضافة لتأثير الأجندة الإعلامية .

المرحلة الرابعة (بناء الأجندة) :

ويمكن أن نسمي هذه المرحلة أيضا مرحلة الانتقال لدراسة بناء الأجندة ، فقد درس الباحثان" كورت لانغ وغلادي انجل لانغ Kurt Long & Glady Engel Long " عام 1983 العلاقة بين الصحافة و الرأي العام خلال أزمة أو فضيحة " واترغيت Watergate " الشهيرة، وأثبتا أن الفرضية الأساس لنظرية وضع الأجندة في حاجة إلى أن تأخذ أبعادا أكبر. وفي هذا الشأن قدما اقتراحا لتوسيع المفهوم إلى بناء الأجندة .

والواقع أنه توجد إستراتيجيتان أساسيتان لضبط أجندة وسائل الإعلام كالآتي:(16)

1 - إما دراسة القضايا التي أثارتها وسائل الإعلام وكذلك الأمر عند الجمهور على فترة زمنية واحدة أو فترتين .

2- أن نتناول بالدراسة قضية من القضايا التي تناولتها وسائل الإعلام على فترات زمنية مختلفة.

ولا شك أن الأداة المناسبة لمعالجة البيانات هي تحليل المحتوى لتفكيك النصوص الإعلامية إلى موضوعات. وهذه الأداة يمكن أن تشمل كل وسائل الإعلام مثل: الصحف والمجلات والراديو وتلفزيون، غير أن الباحثين يركزون غالبا على وسيلة واحدة أو وسيلتين على الأكثر، وفي العادة يتم اختيار التلفزيون والصحف اليومية، وإجراء مقارنات فيما بينها.

3- عوامل مؤثرة في وضع الأجندة :

يمثل اختبار تأثير المتغيرات في عملية وضع الأجندة مرحلة مهمة ضمن مراحل تطور بحوث نظرية وضع الأجندة، ففي هذه المرحلة تجاوزت التطبيقات البحثية مجرد اختبار تأثير المتغير المستقل المتمثل في أجندة وسائل الإعلام على المتغير التابع وهو أجندة الجمهور، وقد كان لاهتمام الباحثين باختبار هذه المتغيرات انعكاساته الإيجابية على هذه النظرية والمتمثلة في : اتساعها وتعميقها، وإبراز مرونتها و ثرائها العلمي.

ويلاحظ على دراسات وضع الأجندة أنها في البداية اهتمت بالبرهنة على صحة افتراضات النظرية، وهو ما أدى من الناحية العلمية إلى تركيز الباحثين على اختبار تأثير متغير مستقل- وهو أجندة الوسيلة الإعلامية – في متغير تابع – وهو أجندة

الجمهور– ثم بعد ذلك جرى توسيع دائرة البحث للمتغير التابع ؛ حيث أضيفت إلى جانب الجمهور شريحة أخرى من جمهور وسائل الإعلام وهي شريحة صانعي القرارات، وهذا التصور أكده كل من بروسيوس و ويمان Brosius & Weimann بتأكيدهما أن " معظم الدراسات الإعلامية ركزت في اختباراتها افترضات نظرية وضع الأجندة على رصد تأثيرات أجندة وسائل الإعلام في أجندة كل من الجمهور العام وصانعي القرارات " (17) . وأعقب هذه المرحلة اهتمام الباحثين برصد تداخل عوامل أخرى وسيطة قد تكون مؤثرة في عملية وضع الأجندة بين المتغيرين المستقل والتابع.

وبالرغم من أن الدراسات الأولى والمبتكرة في مجال وضع الأجندة تناولت بالرصد والتحليل الارتباط المباشر بين أجندة وسائل الإعلام ومثيلتها لدى الجمهور؛ فإن دراسات أخرى لاحقة أكدت نتائجها على وجود مجموعة من المتغيرات الوسيطة المؤثرة في عملية وضع الأجندة .

و يذهب واطسن Watson في رؤيته لدور هذه المتغيرات إلى الإعلاء من شأنها بتأكيده أن " هناك الكثير من هذه المتغيرات الوسيطة التي تؤثر في معارفنا و أحكامنا ربما بشكل أكثر من تأثير التغطية الإعلامية . (18)

ويمكن حصر العوامل التي يحتمل أن تؤثر على وضع الأجندة على النحو الآتي :

1- طبيعة القضايا .
2- أهمية القضايا .
3- الخصائص الديموغرافية .
4- الاتصال الشخصي .
5- توقيت إثارة القضايا .
6- نوع الوسيلة المستخدمة .
7- المدى الزمني لوضع الأولويات .

وهذه العناصر ليست الوحيدة الممكنة، لأن عملية وضع الأجندة لا تشكل إلا جانبا من الظواهر الإنسانية التي تتميز بالترابط والتشابك والتعقيد. ولهذا فان الارتياب العلمي يدعونا إلى أن نتحفظ وأن نتوقع مع اختلاف المجتمعات وتطورها إمكانية ضبط عوامل جديدة لم يسبق التعرف عليها من قبل .

4- أقدم نموذج لوضع الأجندة :

تعتبر النماذج تصورات متآلفة من عناصر ينتقيها الباحث ؛ بحيث تساعده على حصر الموضوع الذي هو بصدد دراسته دراسة أمبريقية . ووفقا لهذا التصور فقد اقترح الباحثون في مجال دراسات وضع الأجندة عددا من النماذج التي يمكن من خلالها تطبيق نظرية وضع الأجندة و تفسيرها . لكن لا شك أن الفضل يعود لشو و

ماكومبس في دفع البحث نحو آفاق جديدة .

نموذج " شو وماكومبس " عن تأثيرات وسائل الإعلام حول وضع الأجندة (19)

يقول " واطسون Watson " أن هذا النموذج لم يوضح لنا ما إذا كانت تأثيرات وضع الأجندة مباشرة، أم أنها من وجهة نظر وسائل الإعلام متعمدة ومقصودة ، كما لم يشر النموذج نفسه إلى ما إذا كانت عملية وضع الأجندة تبدأ من جانب وسائل الإعلام أم من جانب أفراد الجمهور من خلال احتياجاتهم أم من جانب – كما يضيف " واطسون " – شرائح الصفوة بالمجتمع والذين تعتمد عليهم وسائل الإعلام كمصادر لها.

و يبدو أن هذا النموذج رغم أهميته إلا أنه يعاني من قصور في الجوانب التالية :
- يبرز النموذج عملية وضع الأجندة على أنها تعبير عن علاقة سببية خطية.
- يوضح هذا النموذج أن تأثير أجندة وسائل الإعلام في أجندة الجمهور حتمية .
- لم يشر النموذج إلى دور المتغيرات الوسيطة في عملية وضع الأجندة بالرغم من أن هذه العملية تعبر عن ظاهرة إنسانية تتصف بالديناميكية و التعقيد لأنها تتم في سياق اجتماعي ثقافي معين ، وربما يرجع ذلك إلى افتراض العلاقة بين أجندتي وسائل الإعلام و جمهورها بأنها علاقة سببية مطلقة .

5 - تيارات جديدة في دراسات وضع الأجندة :

نتج عن التطبيقات البحثية لنظرية وضع الأجندة عدة مجالات للدراسة تعبر عن قوة هذه النظرية ومرونتها الفائقة بين غيرها من الأطر النظرية الإعلامية، وتتحدد أهم هذه التيارات في الآتي:

أولا : رصد تأثير الأنترنت:

إن استخدام وسائل الإعلام في تغير مستمر. وعندما يتحدث الناس عن وسائل الإعلام التفاعلية، فإنهم عادة ما يشيرون إلى التلفزيون أو الانترنت " (20) وتمثل هذه التطورات تحديا لوسائل الإعلام التقليدية فيما يتعلق بتعرض الجمهور لرسائلها، لأن هذه الوسائل الجديدة تمتلك سرعة فائقة في نقل هذه الرسائل زمن وقوع الأحداث والقضايا التي يتابعها هذا الجمهور، وهو ما أدى إلى طرح سؤال مهم عما إذا كانت نظرية وضع الأجندة لا تزال ملائمة و يمكن اختبار فرضياتها وابتكار تطبيقات إمبريقية لها في ظل وسائل الإعلام الجديدة مقارنة بما كان عليه الحال في عهد وسائل الإعلام التقليدية؟ وتكمن أسباب طرح هذا التساؤل في السمة الديناميكية للأنترنت في نقل المعلومات بين كل من مرسليها ومتليقها ويفترض الباحثون حاليا أن النظريات التقليدية – ومن بينها وضع الأجندة – في مجال الاتصال الجماهيري ملائمة لدراسة الاتصال الفوري ووسائله .

بينما يؤكد بعض الباحثين أن الدور التقليدي للصحفي كواضع للأجندة أو كمنتقي للأخبار التي يتعرض لها الجمهور يواجه تحديا في عصر الأنترنت كوسيلة إعلام معاصرة، لأنه من الملاحظ تزايد دور مستخدميها خاصة فيما يقررونه من هذه الأخبار التي يرغبون في التعرض لها ، و يسلك هؤلاء المستخدمون في سبيل ذلك العديد من الطرق أهمها :

- الاتصال المباشر بالصحفي أو بالمؤسسة الإعلامية ذاتها .
- استخدام الخيارات الذاتية للأخبار التي تتيحها لهم هذه المؤسسات فيما تقدمه من أخبار.
- الاطلاع فقط على الأخبار التي يهتمون بها.
- الذهاب مباشرة عبر الوصلات و المعلومات المتاحة للمصادر الأساسية لهذه الأخبار . (21)

ثانيا : نحو توسيع المفهوم:

درس كل من Kurt lang & Glady Engel Lang عام 1983 العلاقة بين الصحافة والرأي العام وأثبتا أن الفرضية الأصلية لنظرية وضع الأجندة تحتاج إلى توسيع مداها، بحيث يشمل مفهوم " بناء الأجندة "، وقد لاحظ أيضا كل من Iyengar , Peters & kinder في دراستهم التجريبية تركيز التغطية الإعلامية على ثلاث قضايا هي : التضخم الاقتصادي ، و شؤون الدفاع القومي، والتلوث البيئي، بالرغم من وجود قضايا أخرى وأحداث إخبارية يمكن الانتقاء من بينها إلا أنها جميعا لا تبرز بدرجة متساوية في هذه التغطية، وأكدوا أن 75 % من بين هذه الأحداث والقضايا لا تظهر على صفحات الصحف ولا يتم بثها في الإذاعة، وطرحوا تساؤلا – باعتبار أن القصص الإخبارية تخضع لعملية انتقاء – و هو :

من الذي يضع أجندة واضعي الأجندة ؟ و يمكن الإجابة على ذلك بالأخذ بعين الاعتبار أمورا كثيرة أهمها دور حراس البوابة الإعلامية ، وثانيها المرشحين الذين يتنافسون في الانتخابات، وثالثها من خلال وجهة النظر المعاصرة التي تأخذ في الحسبان مسؤولي العلاقات العامة في المؤسسات المختلفة وينظر آخرون لدور جماعات المصالح (22).

ويشير كل من Lang & Lang (1983) إلى أن بناء الأجندة عبارة عن عملية تجميعية يتبادل خلالها كل من وسائل الإعلام والحكومة والجمهور التأثير كل منهم في الآخر بهدف تحديد القضايا التي يمكن اعتبارها مهمة .

و تتضح معالم مفهوم بناء الأجندة وتحليل أبعادها من خلال الخطوات التالية:

1- تولي الصحافة بعض الأحداث والأنشطة أهمية ما .

2- تتطلب أنواع معينة من القضايا كما كبيرا من التغطية الإخبارية حتى تجذب إليها الانتباه و يهتم بها الجمهور، فمثلا Watergate بدايتها في طي الكتمان ولم تكن

تحظى بالاهتمام رغم حساسيتها التي أدت إلى أن نالت نصيب الأسد من التغطية الإعلامية حتى أصبحت في بؤرة الاهتمام العام .

3- يجب أن توضع مثل هذه الأحداث التي أصبحت في هذه البؤرة ضمن أطر تضفي عليها معنى بحيث تصبح مفهومة، فمثلا تم تأطيرها كقضية أساسية خلال الحملة الانتخابية مما جعلها تبدو أكثر صعوبة و تعقيدا حتى يدركها الجمهور بشكل مختلف كدليل على الفساد السياسي.

4- من الممكن أن تؤثر وجدانيا اللغة التي تستخدمها وسائل الإعلام في إدراك أهمية أي قضية فمثلا قضية " واترغيت "منحت في تغطيتها كثافة منذ بدايتها ومع استمراريتها لعدة شهور وبدأت تخبو وتنحسر تغطيتها إعلاميا حتى كانت نقطة التحول عندما تم التعبير عنها بوصف الفضيحة التي أكسبتها أهمية فائقة .

5- عندما تربط وسائل الإعلام الأحداث التي أصبحت في بؤرة الاهتمام برموز لها مكانتها على المسرح السياسي فهي بذلك تسهل إدراك الجمهور لها، فالناس يحتاجون لأشياء أساسية تمكنهم من اتخاذ مواقف من الأحداث والقضايا المختلفة.

6- تتم عملية بناء الأجندة بصورة مطردة عندما يناقش أشخاص مشهورون وذوي مصداقية قضية ما، فعلى سبيل المثال عندما ذكر القاضي John Sirica أن الجمهور الأمريكي لم يقف على حقيقة " واترغيت "كان لذلك تأثيره الدرامي على الناس و بعض أفراده الصفوة بمن فيهم بعض المنتمين للحزب الجمهوري الأمريكي الذين أصبح لديهم رغبة في الحديث عن هذه الفضيحة ومناقشتها .

ثالثا :استثارة المعرفة :

يبين Iyengar وزملاؤه طريقة خاصة تؤثر من خلالها المواد الإخبارية التي تتضمنها نشرات التلفزيون في اهتمام الجمهور الأمريكي بحملات الانتخابات الرئاسية أساسها أنه بالإضافة إلى دور النصوص الإعلامية في وضع أجندة الجمهور؛ فإن وسائل الإعلام تضع أيضا المعايير التي يتم من خلالها تقييم الجمهور لهذه الانتخابات. وهي العملية التي أطلقوا عليها مصطلح الاستثارة المعرفية، والتي من خلالها تقوم هذه الوسائل بتغطية قضايا دون أخرى مما يجعلها تملك القدرة على التلاعب بالعقول بتحريف الوقائع إما بالإضافة أو الحذف. وقد برهن هؤلاء الباحثون على حدوث ذلك تجريبيا.

ويشير مفهوم الاستثارة المعرفية على أن اهتمام وسائل الإعلام بالقضايا السياسية يمثل المعيار لدى الرأي العام في كيفية تقييم القيادات السياسية ، فمثلا إذا ركزت هذه الوسائل تغطيتها على رجال الاقتصاد والسياسة فإنه من المتوقع أن يكون هذا التركيز الأساس الذي يحتكم إليه عامة الناس للحكم على أدائهم في حقلي الاقتصاد والسياسة بالدرجة الأولى .

وهكذا، فإن إبراز أي تغطية إعلامية للنشاط الاقتصادي الناجح سيترتب عنه صدور تقييم إيجابي لأدائهم والعكس صحيح.

وأشار" ماكويل" إلى وجود علاقة بين وضع الأجندة وعملية استثارة المعرفة عند عرض تعريفه لهذه العملية بقوله أنها عبارة عن ذلك النشاط الذي تقوم به وسائل الإعلام؛ بحيث ينتج عنه التأكيد على وجود قيم ومعايير تحكم المضامين التي تهتم بها هذه الوسائل. ويمكن بناء على ذلك إصدار أحكام معينة عن هذه المضامين، ويذهب "ماكويل" أيضا إلى أن أصل مصطلح الاستثارة المعرفية يتحدد في ميدان علم النفس الاجتماعي (نظرية التنشئة الاجتماعية)، وقد تم استعارته وتطبيقه في مجال علم الاتصال السياسي؛ بحيث يتمكن الرأي العام من تقييم المؤسسات السياسية (23) .

6 – حدود تأثير أجندة وسائل الاعلام :

يكاد يجمع الباحثون في ميدان الاتصال على أن وسائل الإعلام لا تهتم بما نفكر فيه وما يشغل بالنا وان حاولت فإنها لن تنجح في ذلك. ولكن أهم ما تقوم به هو أن تقترح علينا قضايا وتلفت انتباهنا إليها ومع مرور الوقت و بالتركيز عليها من طرف وسائل الإعلام يتم تقبلها وتصبح محل نقاش لتزيح بذلك قضايا أخرى. وبذلك فإن وسائل الإعلام وبهذا الأسلوب من العمل تخلق أحداثا وقضايا تحقق من خلالها التوحد بين أفراد المجتمع وتعيد بناء الخطاب داخل المجتمع .

والحقيقة أن هذه هي الوظيفة الأساسية لفكرة ترتيب الأولويات في وسائل الإعلام. فهل يعني الاتفاق بين أفراد المجتمع على قضية من القضايا، الاتفاق بالضرورة على طرق حلها؟ يذهب " دونالد شو وسي مارتن " أن المسألة تتوقف على عوامل مختلفة و ليس على ترتيب الأجندة لوحدها. (24)

وبالتالي فإن ذلك يطرح أسئلة عديدة حول تأثيرات أجندة وسائل الإعلام وحدها وطرق عملها، وهل تعمل في إحداث التأثير وحدها أو بتأثير عوامل أخرى مساعدة؟

أو بمعنى آخر إلى أي مدى يمكن أن نعتبر نقل التأثير من وسائل الإعلام إلى الجمهور من خلال ترتيب أجندة القضايا عملية عقلية، تتأثر بالعديد من العوامل والمتغيرات التي تؤدي إلى سهولة انسياب المعلومات أو صعوبة انتقالها، وإذا كانت هناك عوامل أو متغيرات وسيطة فما هي ؟ وما هي قوة فاعليتها في إحداث الأثر ؟ هذه الأسئلة وغيرها طرحت ومازلت تطرح على أجندة بحوث فروض الأجندة حتى الآن : ومنها على سبيل المثال:

- أن الاتصال الشخصي له تأثير كبير في هذه العملية، فهو يمكن أن يدعم أو ينافس وسائل الإعلام في وضع أجندة الجمهور، ذلك أن العمليات الاجتماعية تؤثر أيضا على أحكام الجمهور حول أهمية قضية أو شخص ما ، فالفرد يتحدث إلى آخر حول القضايا الاجتماعية و هذه المحادثات تلعب دورا مهما في أحكامهم (25) .

كما أن الاتصال الشخصي يعزز تأثير الأجندة للموضوعات أو القضايا التي يتم تغطيتها بتوسع في وسائل الإعلام. بينما يمكن أن يناقش أجندة وسائل الإعلام فيما يتعلق بالقضايا التي تم تغطيتها بدرجة أقل في وسائل الإعلام (26)

- لا يوجد اختلاف واضح في ترتيب الأجندة بين أعضاء الجمهور باختلاف الخصائص أو السمات الديموغرافية أو العامة مثل النوع، التعليم، أو الحالة الاقتصادية .

- ويرتبط بالمتغيرات السابقة درجة التجانس التي يتسم بها المجتمع في هذه الخصائص . فحيث ترتفع درجة التجانس، يزداد الاتصال الشخصي، بحيث يصبح منافسا لوسائل الإعلام في وضع أجندة الجمهور، أو مساندتها حسب أهمية الوقائع والأحداث في أجندة المجتمع المحلي المحدود أو الجماعات المتجانسة.

- و يرتبط أيضا بالمتغير السابق طبيعة القضية ومدى اقترابها أو ابتعادها عن الخبرة المباشرة للجمهور ؛حيث انخفضت قدرة وسائل الإعلام على ترتيب أجندة الجمهور في هذه القضايا ، بينما تنجح وسائل الإعلام في القضايا البعيدة عن الخبرة المباشرة في التأثير على أجندة الجمهور.

- وفي مجال المقارنة بين وسائل الإعلام انتهت كثير من البحوث إلى أن الصحافة تنجح أكثر من التليفزيون في التأثير على أجندة الجمهور ذلك أن التليفزيون يهتم أكثر بالقضايا العامة وليس الفرعية الأكثر تخصصا التي يمكن أن تهتم بها الصحف، وبالتالي فإنه رغم زيادة التعرض إلى التليفزيون إلا أن ذلك لم يؤد إلى ظهور تأثير التليفزيون في دعم وظيفة الأجندة، وبالتالي فإن وظيفة ترتيب الأولويات ليست ذات ارتباط بمستوى التعرض بقدر ارتباطها بنوعية الوسيلة. لأن التليفزيون بجانب اهتمامه بالقضايا العامة فإن عرضه لهذه القضايا لا يتسم بالعمق و الاهتمام بالتفاصيل كما في الصحف.

وبالتالي فإن التليفزيون لا يقوم بوظيفة وضع الأجندة للجمهور بينما تقوم بها الصحف. (27)

و" قد أصبحت دراسة إعداد جدول الأعمال الآن من الأبحاث التقليدية المستقرة . والنقطة المهمة في هذه النظرية وأبحاثها أنها تمثل نوعا من " العودة إلى الأساسيات" بالنسبة للباحثين في وسائل الاتصال، فهي تتبع التقاليد الراسخة عن دور الصحافة في الانتخابات، كما أنها تستكشف" سلطة الصحافة " في المساعدة في تشكيل التفكير العام حول العملية السياسية والمشاكل التي تهتم بها، وبينما تتطور النظرية، فإن نتائج " الأجندة " يمكن بحثها من جميع النواحي، وتظهر أهميتها في العملية الديمقراطية الشاملة بطريقة أكثر وضوحا، وعلى سبيل المثال، إذا كان الناس يعتبرون مجموعة من الموضوعات أكثر أو أقل أهمية، فهل يؤثر ذلك على الطريقة التي يصوتون بها لصالح مرشحين معينين؟ وهل تؤدي هذه " الأجندة العامة " إلى اهتمام السياسيين بموضوعات على قمة القائمة (قائمة جدول الأعمال أو الأجندة) ويتجاهلون تلك التي في أسفل القائمة ؟. لا توجد حتى الآن إجابات واضحة لهذه الأسئلة ،و لكنها توسع من أهمية نظرية " الأجندة " من نظرية وصفية إلى نظرية لها مغزاها القوي وأهميتها للعلاقة الديناميكية بين الصحافة ، والجمهور والسياسيين. (28)

ومهما يكن، فإنه لا ينبغي الإفراط في الاعتقاد في قوة الأجندة، مهما كان واضعها، ففي مقال لـ " هيربرت هيمان Herbert H.Hyman " بعنوان " بعض أسباب فشل الحملات الإعلامية " ، ذهب إلى القول بأنه من السذاجة الاعتقاد بوجود تطابق كلي بين طبيعة و كمية المعلومات المقدمة خلال حملة إعلامية وتقبلها من طرف الجمهور، إن الطريقة التي يتعرض بها للمعلومات محددة كميا وكيفيا في أغلب الحالات بخصائص سيكولوجية لهذا الجمهور، ومن هذه الخصائص الآتي :

1- هناك دائما نواة صلبة " يقول أصحابها، " أنا لا أعلم " بصورة مزمنة ، فليس الكل يشكل هدفا متساويا لحملات الإعلام .

2- الأفراد الذين لهم مصلحة هم أولئك الذين يحصلون على معلومات أكثر من غيرهم . فالدوافع مهمة بالنسبة لنجاح الحملة .

3- إن الأفراد يبحثون عن المعلومات التي تنسجم مع اتجاهات سابقة .

4- يختلف الأفراد في تأويل المعلومات نفسها . فمن الخطأ افتراض وجود تناسب كلي بين تعرض الجمهور للمعلومات وكمية المعلومات التي يتم استيعابها فعلا.

5- الحصول على المعلومة لا يغير بالضرورة اتجاهات والآراء لدى الأفراد، و هو عكس ما هو شائع بأن نشر المعلومات يغير من الاتجاهات والسلوك . (29)

والخلاصة أن نظرية ترتيب الأولويات لها الفضل في تغيير مجرى بحوث الاتصال على مدى الثلاثين سنة الماضية وعلى فتح آفاق جديدة لتناول وسائل الاتصال الجماهيري من زاوية جديدة بالكشف عن الأهداف غير المرئية أو غير المعلنة التي تخفيها وسائل الإعلام عن جمهورها ؛ أي أنها تحيد عن الأهداف النبيلة للاتصال وهو قول الحقيقة وجعل المعلومات تتدفق بحرية دون تدخل للعرقلة.

المراجع

1- أرماند ماتيلار، نظريات الاتصال، ترجمة أديب خضور، الناشر أديب خضور، دمشق ط1 ، 2003 ، ص 162 .

2- صالح خليل أبو اصبع، الاتصال الجماهيري، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، 1999 ، ص ص 219-220 .

3- بسيوني إبراهيم حمادة، دراسات في الإعلام وتكنولوجيا الاتصال والرأي العام، عالم الكتب، القاهرة ، ط 1، 2008 ، ص184 .

4- أحمد زكرياء أحمد، نظريات الإعلام، المكتبة العصرية، المنصورة، مصر، 2009 ، ط1، ص8 .

5- المرجع نفسه ، ص8 .

6- Balle (Francis) , Lexique d'information communication , Dalloz , Paris 2006 , p11.

7- محمد عبد الحميد ، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب، القاهرة،

1997 ، ص 273.
8- بسيوني إبراهيم حمادة، مرجع سابق ، ص 183 .
9- أحمد زكرياء مرجع سابق ، ص ص 11-12 .

10- Bourgnoux (Daniel) , Introduction aux sciences de la communication , Casbah Edition , Alger , 1999, p 166.

11- Lohisse (Jean), La communication, de Boeck Bruxelles, 2006, pp 53-54 .

12- أحمد زكرياء ، مرجع سابق ، ص 16
13- محمد عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص 276.
14- أحمد زكرياء ، ص 17-18 .
15- المرجع نفسه ، ص 18 .
16- حسن عماد مكاوي ، وليلى حسين السيد ، الاتصال و نظرياته المعاصرة ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1998 ، ص 292 .
17- أحمد زكرياء ، ص 21 .
18- المرجع نفسه ، ص 22 .
19- المرجع نفسه ، ص 32.
20- فريدريك نويل ، أنظمة التسويق الجديدة ، ترجمة / فريق بيت الأفكار الدولية ، أمريكا – 1998 ، ص439.
21- أحمد زكرياء ، مرجع سابق ، ص ص 53-54 .
22- المرجع نفسه ، ص ص 54-55 .
23- المرجع نفسه ، ص ص 57-58 .
24- محمد عبد الحميد ، نظريات الإعلام ، ص 283 .
25- المرجع نفسه ، ص 283 .
26- المرجع نفسه ، ص 284 .
27- المرجع نفسه ، ص 285 .
28- ملفين ل – فلير. وساندرا بول – روكيتش ، نظريات وسائل الإعلام ، ترجمة / كمال عبد الرؤوف ، الدار الدولية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1993 ، ص 367 .

29- Hebert H.Hyman et Paul B.Sheatsley , Quelques unes des raisons de l'échec des compagnes d'information , in Psychologie sociale , André Levy , T1 , Bordas , Paris 1978 , pp 155-156 .

المناخ التنظيمي وعلاقته بالإبداع الإداري لدى الهيئة الوسطى

ملخص
تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة الموجودة بين تصور الإطارات الوسطى للمناخ التنظيمي السائد بالمنظمات والإبداع الإداري لديهم،حيث تم التطبيق في المنظمات التابعة للجمعيات المحلية لولاية عنابة وبعد تحليل البيانات فقد تم التوصل للنتائج التالية :طبيعة المناخ التنظيمي السائد بميدان الدراسة إيجابي صحي ،ومستوى الإبداع الإداري لدى الإطارات الوسطى فوق المتوسط ،كما تم الكشف عن العلاقة الموجودة بين أبعاد المناخ التنظيمي التي تناولها الباحث ومستوى الإبداع الإداري حيث جاءت كلها ايجابية وتراوحت بين المتوسطة والقوية .

أ. عزالدين لرقم
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة عنابة
الجزائر

مقدمة

خلال العقود الماضية شهد العالم تطورات وتغييرات سريعة، شملت هذه التطورات والتغييرات تغيرات في أسلوب الحياة بصفة عامة. حتى أصبح العالم في عصرنا الحالي يتسم بالتحديات حيث لم تعد الحياة تسمح بالسكون، خاصة بالنسبة للمنظمات كونها أصبحت تعيش في بيئة شديدة التغير والمنافسة وهذا ما دفع بالمنظمات لهجرة التقليد والتعامل مع التغيير وما تحمله بين طياتها من استعداد للتكيف مع متطلبات البيئة التي تعيش فيها هذه المنظمة .ولهذا تسعى المنظمات على اختلاف أحجامها وتنوع خدماتها إلى إيجاد مناخ تنظيمي ملائم كي يستطيع الأفراد أداء الأدوار المطلوبة منهم، ويعدّ المناخ التنظيمي أحد العوامل الرئيسة لنجاح هذه المنظمات ليس فقط في تحقيق أهدافها ولكن أيضاً في تحقيق الإبداع والذي يعدّ أهم وسائل التجديد والتغيير وإحداث التطوير في جميع نشاطاتها. ويتأثر أداء الأفراد وإبداعهم بطبيعة العمل الذي يقومون به وبمعطيات البيئة الداخلية التي يؤدون العمل فيها . هذه البيئة تمثل البوتقة التي تنصهر فيها الجهود الإنسانية والمدخلات المادية المختلفة من أجل بلوغ الأهداف المرسومة.

إن بناء الأجواء الملائمة للأداء الفعال وتحقيق الإبداع

Résumé
Cette étude vise à déterminer la relation entre la perception des cadres moyens du climat organisationnel en vigueur et leur capacité innovation administrative dans les entreprises algériennes. Les résultats de l'enquête entreprise confirment l'existence d'une forte corrélation entre ces deux variables.

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر2012.

وتعزيزهما باستمرار يقع ضمن المسؤوليات الحيوية لأي إدارة معاصرة. وبما أن الإبداع الإداري يعرف على أنه عملية تسعى إلى إحداث نقلة مميزة على مستوى التنظيم من خلال توليد مجموعة من الأفكار الخلاقة وتنفيذها من قبل أفراد وجماعات العمل. بينما يرى القحطاني أن الإبداع الإداري يعني استخدام الموظف لمهاراته الشخصية الإبداعية في استنباط أساليب إدارية جديدة، أو توصله إلى حلول ابتكاريه لمشكلة إدارية تواجه مصلحة التنظيم أو تصورات جديدة لمعالجة تلك المشكلة بالاعتماد على التحليل الهادف والجهد الإبداعي المنظم الذي يتصل بالإدراك الحسي القائم على التحليل المنطقي والاختبار والتجريب والتقويم. من خلال هذا التعرف بالإبداع الإداري يتضح بلا شك أن تحقيقه يحتاج إلى مناخ تنظيمي مناسب وفعال ،وبالنظر للدور الذي تلعبه الهيئة الوسطى داخل التنظيم باعتبارها همزة وصل بين القاعدة والقيادة تأتي صياغة مشكلة الدراسة كالآتي :

ما تصورات الهيئة الوسطى للمناخ التنظيمي السائد بالمنظمة وعلاقته بمستوى الإبداع الإداري لديهم ؟

وللإجابة عن هذا التساؤل المركزي أتبعنا الخطوات التالية :

1-الفرضيات : تنطلق الدراسة من الفرضيات التالية:

الفرضية العامة :- توجد علاقة إيجابية قوية بين تصورات طبيعة المناخ التنظيمي لدى الإطارات الوسطى ومستوى الإبداع الإداري لديهم

وتتفرع عن هذه الفرضية الفرضيات الجزئية التالية :

1- تصورات طبيعة المناخ التنظيمي لدى الإطارات الوسطى إيجابي .
2- مستوى الإبداع الإداري متوسط
3- توجد علاقة ايجابية بين تصور الإطارات الوسطى للهيكل التنظيمي ومستوى الإبداع الإداري لديهم
4- توجد علاقة ايجابية بين تصور الإطارات الوسطى للاتصالات ومستوى الإبداع الإداري لديهم
6- توجد علاقة ايجابية بين تصور الإطارات الوسطى لنظم وإجراءات العمل ومستوى الإبداع الإداري لديهم
7- توجد علاقة ايجابية بين تصور الإطارات الوسطى لاتخاذ القرارات ومستوى الإبداع الإداري لديهم
8- توجد علاقة ايجابية بين تصور الإطارات الوسطى الحوافز ومستوى الإبداع الإداري لديهم
9- توجد علاقة ايجابية بين تصور الإطارات الوسطى للتكوين ومستوى الإبداع الإداري لديهم
10- توجد علاقة ايجابية بين تصور الإطارات الوسطى للقيادة ومستوى الإبداع الإداري لديهم.

2- أهمية الموضوع :

تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال أهمية معرفة طبيعة المناخ التنظيمي السائد بميدان الدراسة وعلاقتها بالإبداع الإداري لدى فئة من العمال ألا وهي الهيئة الوسطى كون هذه الأخيرة تكتسي أهمية قصوى من خلال علاقتها المباشرة بالهيئة العليا والهيئة التنفيذية وبالتالي تعدّ همزة وصل داخل التنظيم فإبداعها الإداري تستفيد منها المنظمة في جميع مستوياتها بصفة مباشرة .

كما تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال الدور الذي يلعبه الإبداع الإداري وخاصة لدى الهيئة الوسطى على استمرارية التنظيم في التكيف مع البيئة الخارجية وخاصة في ظل التغييرات والتطورات الحاصلة اليوم ، وما يلعبه المناخ التنظيمي من دور في الرفع من مستوى الإبداع الإداري .

وضعت أمام المشرفين مؤشرات علمية وعملية لتهيئة المناخ التنظيمي اللازم للرفع من الإبداع الإداري كونه هو المفتاح الأساسي في مسايرة التغير المستمر الذي يحدث على مستوى البيئة الخارجية

3- أهداف الموضوع : تهدف هذه الدراسة إلى معرفة:

1- واقع المناخ التنظيمي وتحليل أبعاده وتفاعلاته المختلفة وأثر ذلك على إبداع الإطارات الوسطى بميدان الدراسة.
2- علاقة المستوى التعليمي بالإبداع الإداري لدى الإطارات الوسطى بالمنظمة.
4- مستوى الإبداع الإداري بميدان الدراسة و عوامل البيئة الداخلية التي تؤثر فيه .

4- وضع مؤشرات علمية أمام القائمين على المنظمات لتوفير مناخ تنظيمي يسمح لإطاراتها الوسطى بتصوره بشكله الإيجابي حتى يدفع بإبداعهم الإداري.

4- تحديد المفاهيم :

5- 1 المناخ التنظيمي:

هو مجموعة تصورات الهيئة الوسطى حول الخصائص والمميزات التي تميز بيئة العمل الداخلية للمنظمة ،والتي يمكن إدراكها واستقرائها من خلال الطريقة التي تتعامل بها المنظمة مع أعضائها و بيئتها .ونقصد بالخصائص والمميزات في هذه الدراسة : الهيكل التنظيمي ،نمط الاتصالات ،النمط القيادي ، نظم وإجراءات العمل، الحوافز ،التكوين، وطرق اتخاذ القرارات.

أ- الهيكل التنظيمي: هو عبارة عن خارطة رسمية للتنظيم، يتم من خلالها وصف كيفية توزيع المهمات والمسؤوليات بين التقسيمات والأفراد داخل المنظمة، ويحدد من خلاله العلاقات الرسمية.

ب-الاتصالات: الاتصال التنظيمي يدل على مجمل النشاطات و الأعمال المتخذة

لإقامة علاقة بين الفاعلين و يهدف إلى إنجاز مشروع موحد و بلوغ أهداف مشتركة،

ج- نظم وإجراءات العمل: هي النظام والإجراءات التي تحكم طبيعة العمل الموجود بالمنظمة وتنسق جميع الأعمال ، وكيفية تعامل الأقسام وبين بعضها البعض بالشكل الذي يؤدي إلى تسهيل انجاز المهام وتحقيق أهداف المنظمة.

د- الحوافز: ويقصد بها مجموعة القيم المادية والمعنوية الممنوحة للعامل لأداء عمله بأعلى درجات الكفاءة والفعالية.

و- التكوين: هو عبارة عن وسيلة يتم من خلالها اكتساب الإفراد العاملين المعارف والأفكار الضرورية لمزاولة العمل والقدرة على استخدام وسائل جديدة بأسلوب فعال.

هـ- اتخاذ القرار: هي عملية إدارية تقوم على اختيار أحسن وأصلح البدائل المتاحة لحل مشكلة أو تحديد هدف داخل المنظمة,.

ي-القيادة :هي عبارة عن تلك العلاقة التفاعلية بين الرئيس والمرؤوسين داخل التنظيم

2-**الإبداع الإداري** :ونقصد به في بحثنا استخدام الإطارات الوسطى مهارات وقدرات شخصية للوصول لأفكار وأساليب إدارية جديدة تمكنه من ابتكار حلول لمشكلة إدارية تواجه التنظيم أو المصلحة.

3-**الإطارات الوسطى**: نقصد بالإطارات الوسطى المشرفين على الموظفين والمسؤولين الأدنى منهم مستوى ، بحيث يكونون همزة وصل بين الإطارات العليا والعمال والموظفين في أسفل السلم الهرمي للتنظيم .

أولا: الإطار النظري

I-المناخ التنظيمي

1-مفهوم المناخ التنظيمي:

فالمناخ التنظيمي مازال يتطور ويتبلور بمرور الوقت وتعدد الدراسات ،إلى يومنا مازال لم يتبلور اتفاق بين المفكرين الإداريين حول ماهية المناخ التنظيمي حيث تعددت الآراء حول هذا الموضوع. فاستخدام هذا المفهوم إداريا يراد به التعبير عن الجو العام الذي تعيشه المؤسسة والتفاعل مع البيئة المحيطة تأثرا1 وتأثيرا. وهو بهذا المعنى يشير إلى القيم السائدة في المجتمع وتأثيرها على العملية الإدارية أو السلوك الإداري للموظفين بالتحديد، وإلى المفاهيم الإدراكية والشخصية التي يحملها الأفراد حول الحقائق التنظيمية والموضوعية، والمتمثلة في الهيكل التنظيمي، ومستويات العمل، ونمط القيادة والقوانين والقواعد الموجودة، أو الخصائص المميزة للبيئة الداخلية للعمل ذات التأثير على السلوك الإداري2.كما يعرف بأنه مجموعة من الخصائص تمتاز بالثبات النسبي في البيئة الداخلية للتنظيم ويؤثر على اتجاهات وسلوك أعضاء التنظيم3.

كما عرفه كارل وبول (Carl and Paul 2001) بـ"أنه مجموعة خصائص بيئة العمل التي يمكن قياسها ،والتي يدركها الأشخاص في بيئة العمل بأسلوب مباشر أو غير مباشر ، والتي تؤثر على دافعيتهم وسلوكهم"4.

من خلال المفاهيم السابقة يتّضح أن للمناخ التنظيمي تعاريف متباينة فيما بينها وذلك راجع لاختلاف الدراسات والمجالات المتناولة له، وكذلك الهدف منها ،وبالرغم من هذه الاختلافات هناك محور أساس تدور حوله هذه المفاهيم ، حيث يركز أغلبية الباحثين على أن المناخ التنظيمي يتحدد من خلال إدراك وتصورات العاملين داخل التنظيم، ويبرز هذا الإدراك من خلال التفاعل بين الموارد البشرية والبيئة التنظيمية. وعليه فان المناخ التنظيمي غير ملموس، ولا يمكن إدراكه أو قياسه إلا من خلال تصورات العاملين، وبالتالي يمكن إعطاء تعريف للمناخ التنظيمي يخدم هذه الدراسة كالتالي : هو عبارة عن مجموعة من الخصائص والعناصر التي تميز منظمة عن أخرى والتي يتصورها ويدركها العاملون فيها من خلال تفاعلهم مع المتغيرات التنظيمية الداخلية ،مع تمتع هذه الخصائص بالثبات النسبي وقدراتها على التأثير في سلوك العاملين .

2- أبعاد المناخ التنظيمي:

ليس هناك تحديد دقيق لأبعاد المناخ التنظيمي وذلك يعود لاختلاف المداخل التي ينتهجها الباحثون في دراستهم لهذا الموضوع، فاعتماد الباحث على المدخل الهيكلي يجره إلى التأكيد على الأبعاد التي تقيس العوامل الموضوعية أو الهيكلية في التنظيم مثل: الهيكل التنظيمي، درجة التعقيد، والأهداف وغيرها، أما اعتماد الباحث على المدخل الذاتي فإنّه سيتوجه إلى أبعاد مختلفة كليا عن الأبعاد السابقة مثل: التحرر، العوائق والروح المعنوية ، و هذا ما أدى إلى ظهور العديد من النماذج المقترحة من قبل الباحثين والتي سنحاول فيما يلي تقديم البعض منها فيما يلي :

2-1- نموذج هالبن وكروفتس Halpin et Crofts (1963) :

يركز هذا النموذج على دراسة واقع المناخ التنظيمي و مدى تأثيره على مستوى الرضا الوظيفي. ولقياس المناخ التنظيمي اعتمد الباحثان على أسلوب الاستبانة لقياس وتحديد نوعية المناخ التنظيمي السائد في المنظمة، كما حدد هذا النموذج أبعاد المناخ التنظيمي في مجموعتين رئيسيتين تتضمن كل منها أربعة أبعاد أو عناصر فرعية وقد تمثلت في الآتي5:

المجموعة الأولى: الانفصال، العائق، الانتماء، الألفة.

المجموعة الثانية: الانعزالية، التركيز على الإنتاج، الدفع، المراعاة.

وقد تناول هذا النموذج أهم الفلسفات التي تشكل العوامل المكونة للمناخ التنظيمي والتي حددها بثمانية عوامل تعد هي المسؤولة عن تباين المناخات التنظيمية في المنظمات وهي:

1- الاعتبار الذي تعطيه الإدارة للإفراد.

2- التأكيد الذي تعطيه الإدارة لانجاز العمل.

3- المسافة العاطفية بين المدير ومرؤوسيه.

4- الانطباع المتولد لدى الأفراد بان حاجاتهم الاجتماعية قد أشبعت .

5- السرور الذي يلاقيه الأفراد نتيجة علاقاتهم الاجتماعية في المؤسسة.

6- الرغبة التي تبدلها الإدارة لحفز قوى العمل عند العاملين من سلوك محدد مرتبط بالعمل.

7- تصور الأفراد لدرجة قيامهم بعملهم وانجازهم له.

8- شعور العاملين بأنهم قد أنتجوا.

من خلال عرض هذا النموذج نلاحظ أنّه يركز في مجمله على ثلاثة محاور رئيسة تتمثل في: النمط القيادي السائد في المنظمة ، ومحتوى الوظيفة، طبيعة العلاقات السائدة بين العضو وزملائه.

2-2- نموذج فورهاند وجلمر Forehand et Gilmer:

أما هذا النموذج فيظهر المناخ التنظيمي في أربعة أبعاد أساسية تتمثل في6:
1- **الهيكل التنظيمي:** ويتضمن متغيرات فرعية مثل: حجم المنظمة، درجة تركيز السلطة، درجة الرسمية في الإجراءات، درجة الحرية التي يشعر بها الأفراد عند اتحاد القرارات. 2- **درجة تعقد التنظيم:** ويدل ذلك على: عدد المستويات الإدارية، الأنظمة الفرعية وطبيعة تداخل العلاقات بينها.
3- **اتجاهات الأهداف:** ويشير ذلك إلى الوزن أو الأهمية النسبية التي توليها المنظمة لكل من هيكل الأهداف الخاصة.

4- **نمط القيادة:** وهو ما يعني إذا كان نمطا تسلطيا أو نمطا يعتمد على المشاركة وتبادل الآراء في المواقف أو المشاكل المختلفة.

ومما سبق يمكن أن نستنتج بأنّ نماذج المناخ التنظيمي متعددة كما أن الجهود التي بذلها الباحثون قد أسفرت عن ظهور عدة دراسات وبحوث يتناول جانب منها تطوير مفهوم المناخ التنظيمي وتحديد أبعاده الأساسية وما يتفرع عنها من متغيرات وخصائص، كما تناول الجانب الآخر تحديد نوعية المناخ التنظيمي الملائم وإمكانية الاعتماد عليه في تفسير الإبداع ومستوى أداء العاملين، وإمكانية زيادة فعاليته من خلال أنظمة الإدارة بالأهداف وبرامج التكوين لتنمية العلاقات الإنسانية في المنظمة، واهتمت أغلب النماذج بعلاقة المناخ التنظيمي بأنماط القيادة، آو نوع الهيكل التنظيمي في حين تتمحور دراستنا في الكشف عن واقع المناخ التنظيمي في المنظمة الجزائرية

وعلاقته بالإبداع الإداري لدى الهيئة الوسطى وهذا ما دفعنا لاقتراح نموذج لأبعاد المناخ التنظيمي يتناسب مع هذه الدراسة ، ويتكون من سبعة أبعاد أساسية نرى في مجملها أنها تعبر عن مكونات المناخ التنظيمي من وجهة نظرنا وتتمثل فيما يلي:

الهيكل التنظيمي، الاتصالات، نظم واجراءات العمل، اتخاذ القرار، الحوافز، التكوين ،القيادة.

II-الإبداع الإداري

1-مفهوم الإبداع الإداري:

مفهوم الإبداع الإداري واسع ذو أبعاد مختلفة تتعلق بالتغيير في البيئة الاجتماعية والاقتصادية للمؤسسة كما تشمل التغير في سلوك الأفراد العاملين واستخدام طرائق عمل جديدة وأنظمة وأساليب ووسائل أكثر نفعا للمجتمع.

وعرفه دركر Drucker بأنه تغيير نتائج الموارد والإمكانات من حيث زيادة هذه النتائج من خلال عملية منظمة تحليل هادف للفرص المتاحة7.

وقد عرفته المنظمة الأمريكية للتدريب والتطوير بأنه" عملية إنتاج أفكار أو أشياء حقيقية أو خيالية ووضعها في طرق جديدة ومفيدة "8.

أما روبنز Robbins عرف الإبداع بأنه القدرة على جمع الأفكار بطريقة فريدة لإيجاد ارتباط غير عادي بينها9. كما عرفه روبينس وديفيد Robbins and David بأنه"العملية التي يتم من خلالها تحويل الأفكار المبتكرة لمنتج أو خدمة جديدة أو طرق وأساليب جديدة في العمل "10.

أما بدران فقد عرف الإبداع في الإدارة بأنه القدرة على ابتكار أساليب ووسائل وأفكار مفيدة في العمل، بحيث تلقى هذه الأفكار التجاوب الأمثل من قبل الأفراد العاملين وتحفز ما لديهم من قدرات ومواهب لتحقيق الأهداف الإنتاجية والأدائية ،وهذا يعني أن الإبداع ليس مجرد فكرة أو قرار ،وإنما هو عملية تتضمن ثلاثة عناصر متداخلة فيما بينها إلى أقصى الحدود فالأول يتمثل في الفكرة القيادية والرؤية المتميزة ،أما الثاني يتمثل في تحريك وتشغيل مواهب ومهارات الأفراد والفريق ،أما الثالث يتمثل في استثمار نتائج هذه التركيبة وتحويلها إلى القنوات الإنتاجية الصحية.

2- مستويات الإبداع:

تتنوع مستويات الإبداع تبعا للفئة المبدعة، وعلى هذا الأساس قسم الباحثون الإبداع إلى ثلاثة مستويات:

1- **الإبداع على مستوى الفرد** :وهو ذلك الإبداع الذي يتم التوصل إليه من قبل أحد الأفراد بحيث يكون لدى العاملين عملية ابداعية لتطوير العمل وذلك من خلال خصائص فطرية كالذكاء والموهبة أو من خلال خصائص مكتسبة كالمثابرة والمرونة

وحب المخاطرة والقدرة على التحليل وحل المشكلات وهذه الخصائص يمكن التدريب عليها وتنميتها

2- الإبداع على مستوى الجماعة :وهو الإبد ع الذي يتم التوصل إليه من قبل الجماعة ،ويكون إبداع الجماعة أكبر من مجموع ابداع أفرادها ،وقد توصلت الدراسات إلى أن الجماعة المتنوعة من حيث الجنس تنتج حلولا أفضل جودة من الجماعة أحادية الجنس كما أن أفراد الجماعة الأكثر انسجاما تكون أكثر ميلا إلى الإبداع ،وأن الإبداع يزداد مع ازدياد عدد أعضاء الجماعة ،حيث تتوسع المهارات والقدرات والمعارف11.

3- الإبداع على مستوى المنظمة :

وهو الإبداع الذي يتم التوصل إليه عن طريق الجهد التعاوني لجميع أعضاء المنظمة ،وأشارت الدراسات والأبحاث حول الإبداع إلى أن المنظمات المبدعة تتميز بالصفات التالية12 :- الميل نحو الممارسة والتجريب ،وجود مشجعين للإبداع ،مشاركة العاملين في تقديم المقترحات للعمل ، احترام القيم وتطبيقاتها وتطوير مبادئ وأخلاقيات المنظمة البساطة في الهيكل التنظيمي ،الحزم واللين في آن واحد.

4-الإبداع على مستوى المجتمع :للمناخ الاجتماعي دور أساسي في توفير الظروف الموضوعية اللازمة لنشوئه نشأة سليمة واستمرار تنمية قدراته ومواهبه الذاتية ،وتعدّ الأنظمة الاجتماعية والتقاليد والقيم عاملا مهما في غرس روح الإبداع لدى أفراد المجتمع ،فالعادات والتقاليد التي تعارض التجديد والتحديث في مختلف شؤون الحياة تقتل روح الإبداع مما يجعله مجتمع يميل إلى الجمود رافضا للإبداع والتجديد .

3-عناصر الإبداع الإداري:

اعتمد أغلب الباحثين على عناصر الإبداع الإداري التالية13:

الطلاقة ،المرونة،الأصالة ،الحساسية،المخاطرة ،القدرة على التحليل ،الاحتفاظ بالاتجاه ومواصلته ،التقويم

4-معوقات الإبداع :

تظهر العديد من العوامل التي تؤثر بشكل سلبي على العملية الإبداعية بالمنظمات ،وبالتالي يستوجب على القائمين على هذه المنظمات السعي الجدي لإزالتها ،لأن المشكلة لا تكمن أساسا في توفر القدرات الفكرية والعقلية على الإبداع والتغيير ،ولكن تكمن في بروز المعوقات التي تحد من تلك القدرات.

من خلال الدراسات السابقة يظهر أنه لا يوجد هناك اتفاق حول عدد ومسميات عوائق الإبداع لدى يرى الباحث من وجهة نظره أنه يمكن تصنيف معوقات الإبداع إلى ثلاثة مستويات :

المستوى الأول :على مستوى الفرد:

نتحدث عن تلك المعوقات التي تتعلق بالفرد نفسه ،والتي اكتسبها من خبراته السابقة سواء من المحيط الأسري أو المدرسي أو المجتمع ويمكن حصرها فيما يلي :

الخوف من المجازفة، انعدام التحد ،ضعف الثقة بالنفس ،التسليم بالحل الوحيد الصحيح ،الحكم المتسرع على الأفكار، إنكار الإبداع لديه،الإجهاد الحاد،الحرص على المألوف.

المستوى الثاني :على مستوى التنظيم :

المناخ التنظيمي غير الصحي،الاعتماد المفرط على مكاتب الدراسات في حل المشكلات ،انعدام الثقة بين الرؤساء والمرؤوسين ،الهيمنة القانونية التقليدية على القيادات الإدارية ،هيمنة المشرفين والقادة الإداريين المفتقرين للمعرفة والمهارات الإدارية اللازمة ،هيمنة الاستثمارات المادية على الاستثمار البشري :

المستوى الثالث :على مستوى المجتمع

القيم السائدة في المجتمع ،الظروف الاقتصادية ،البرامج التعليمية :

5-تنمية الإبداع:

كل الكتاب والباحثين متفقون على أن الإبداع ليس حكرا على فئة معينة من البشر دون غيرها ،ذلك أنّ بذرة الإبداع موجودة لدى كل إنسان ، ومتى توافرت له بيئة صحية نما وأثمر ، إلا أن الإبداع لا يتأثر بالبيئة المحيطة بالفرد فحسب وإنما يتأثر بالفرد نفسه ،لذا فإن تنمية وتنشيط الإبداع يكون عن طريق مجموعة من العوامل الذاتية الخاصة بالفرد المبدع ،والعوامل البيئية .فكل هذه العوامل تسهم في استثارة المبدع لتكوين الأفكار وبلورتها وتحويلها إلى شكل يخدم النظم الإدارية للمؤسسات بشكل فعال ،سواء في سياسات عملها أو نظرتها وتعليمتها.

لذا نرى أن تنمية الإبداع الإداري داخل التنظيم ، لابد أن يكون على مستويين :على مستوى الفرد وعلى مستوى المنظمة

1- على مستوى الفرد :

هناك مجموعة من الطرائق يمكن من خلال اتّباعها تنمية القدرات الإبداعية للفرد الموجود داخل تنظيم معين ،وسنحاول إيجازها فيما يلي : التركيز على الكم لا الكيف ،2- التريث في الحكم على الأفكار،الحرص على تدوين كل الأفكار ،التركيز على المشكلة من زاوية غير تقليدية ، التخلي عن التصورات المسبقة ، التصوير الذهني للأفكار

2- على مستوى المنظمة :

هناك العديد من المبادئ والمرتكزات الإدارية الواجب توفرها في البيئة التنظيمية

الإبداعية منها ما يلي : -تبني نظام مؤسسي يقوم على المشاركة : ،التدريب والتكوين لكل العاملين حسب احتياجاتهم ،إعطاء أولوية للبحث والتجريب ،تبني النظم التكاملية في العمل وتأمين معايير موضوعية لتقويم الأداء ،الاستقلالية والمرونة في التنفيذ،إيمان القيادة بالإبداع.

III-القيادة الإدارية

1-تعريف القيادة الإدارية

هي النشاط الذي يمارسه القائد الإداري في مجال اتخاذ وإصدار القرار والأوامر والإشراف الإداري على الآخرين ،باستخدام السلطة الرسمية وعن طريق التأثير والاستمالة بقصد تحقيق هدف معين ،فالقيادة الإدارية تجمع في هذا المفهوم بين استخدام السلطة الرسمية وبين التأثير على سلوك الآخرين واستمالتهم للتعاون لتحقيق الهدف ،فهي سلطة أو فن عملية التأثير في المرؤوسين من أجل حثهم على بذل الجهد عن رغبة من أجل تحقيق أهداف الجماعة14.

<u>الجانب التطبيقي</u>

1-منهجية الدراسة :

1-مجتمع الدراسة :يتكون مجتمع الدراسة من كل رؤساء المصالح العاملين بمقر ولاية عنابة والبلديات التابعة لها إداريا ويقدر عددهم 129 مفردة

2-العينة :تتكون العينة من جميع رؤساء المصالح العاملين بمقر الولاية والبلديات التابعة لها ،حيث تم توزيع الاستمارة على جميع أفراد العينة ،إلا أنه لم يتمكن الباحث إلا من استعادة 81 استمارة قابلة للتحليل.

3-المنهج المستخدم : تم اعتماد خلال هذه الدراسة على المنهج الوصفي الذي يقوم برصد ومتابعة دقيقة للظاهرة أو حدث معين بطريقة كمية أو نوعية في فترة زمنية معينة أو عدة فترات من أجل التعرف على ظاهرة أو حدث من حيث المحتوى والمضمون والوصول إلى تعميمات تساعد في فهم الواقع وتطوره وهو يهدف إلى الوصف ثم التحليل والتفسير.

4-أدوات جمع البيانات :

الإستمارة : لغرض تحقيق أهداف البحث تم تطوير استمارة على أساس ليكرت الخماسي،حيث تتدرج الإجابات كالتالي : موافق بشدة (5 درجات)،موافق(4 درجات) محايد (3 درجات،)غير موافق(2 درجات) ،غير موافق بشدة(درجة واحدة) مرت عملية إنجاز استمارة البحث بعدة مراحل والتي نوجزها فيما يلي:

أعدت الاستمارة في صورتها الأولية بالاعتماد على الإطلاع على الأدب النظري لكل من المناخ التنظيمي والإبداع الإداري والاستفادة من الدراسات السابقة حيث قدمت في صورتها الأولية في شكل ثلاثة محاور :

المحور الأول :البينات الشخصية وتضمن ما يلي : المستوى التعليمي ،الخبرة ،الحالة العائلية ،الجنس

المحور الثاني :وتضمن هذا المحور فقرات للكشف عن أبعاد المناخ التنظيمي وهي : الهيكل التنظيمي ، الاتصالات ،نظم وإجراءات العمل ،اتخاذ القرارات ،الحوافز ،التكوين ،القيادة ،وكان عدد الفقرات بالنسبة لكل بعد هو 06 فقرات .

المحور الثالث: ويتضمن فقرات للكشف عن مستوى الإبداع الإداري لدى الهيئة الوسطى بالجماعات المحلية لولاية عنابة ،ويشمل 26 فقرة ،.

وحتى يكون المقياس جاهزا للتطبيق يجب أن يتمتع بالشرطين التاليين: الصدق والثبات

1- الصدق:

للتأكد من أن بنود هذه الاستمارة تخدم الأهداف التي أعدت من أجلها ثم عرضها على مجموعة من المحكمين: أساتذة من جامعة باجي مختار –عنابة – وجامعة 20 أوت سكيكدة وجامعة القصيم بالسعودية ومدير الإدارة والمالية لبلدية سيدي عمار حيث طلب منهم دراسة المقياس وإبداء رأيهم من حيث مدى كفاية بنود الدراسة وملائمتها ،فطلب منهم تغيير أو زيادة أو حذف أو إعادة صياغة أي فقرة من فقرات الاستبيان ،وقام الباحث بدراسة ملاحظات المحكمين واقتراحاتهم وأجرى التعديلات اللازمة على ضوء هذه الملاحظات ،حيث اعتبر الباحث الاستمارة أصبحت تقيس فعلا ما أعدت لقياسه وبالتالي فهي تتمتع بالصدق

2-الثبات:اعتمد الباحث على طريقة الاختبار وإعادة الاختبار وبتطبيق معامل بيرسن وجد أن العلاقة بين الاختبار الأول والثاني هي علاقة قوية جدا وبالتالي يمكن اعتبار أن شرط الثبات تحقق وبالتالي اعتماد الاستمارة كأداة قابلة لجمع البيانات بواسطتها

2-تحليل النتائج :

1-تصورات طبيعة المناخ التنظيمي لدى الإطارات الوسطى إيجابي .

انطلاقا من البيانات التي تم تجميعها ومعالجتها إحصائيا جاءت النتائج كالتالي:

أن تصورات عينة الدراسة لأبعاد المناخ التنظيمي السبعة جاءت متباينة بين التصور الإيجابي بالنسبة لأربعة أبعاد وهي الهيكل التنظيمي والاتصالات ونظم وإجراءات العمل والقيادة حيث جاء المتوسط الحسابي لهذه الأبعاد على التوالي : 3,07 ،3,67 3,12 ،3,14،والتصور السلبي بالنسبة لثلاثة أبعاد وهي اتخاذ القرارات والحوافز والتكوين والمتوسط الحسابي لها هو على التوالي : 2,97 2,79 ،2,67،أما بالنسبة للمناخ التنظيمي ككتلة واحدة فقد بلغ المتوسط الحسابي له **3,06**، وتقع هذه القيمة فوق الحد الفاصل بين المناخ السلبي والمناخ الإيجابي ويعكس هذا

تصورا ايجابيا عاما لدى الإطارات الوسطى نحو المناخ التنظيمي السائد في منظمات الجماعات المحلية لولاية عنابة .

2 - مستوى الإبداع الإداري متوسط.

نقوم ببناء سلم يوضح المستويات الممكنة للإبداع الإداري حيث اعتمدنا في دراستنا على مقياس ليكرت الخماسي لقياس درجة الموافقة ،

موافق جدا   موافق   محايد   غ موافق   غير موافق جدا

ويحتوي مقياس الإبداع الإداري الذي طبق على (26) عبارة تقيس الإبداع الإداري لدى المبحوثين وبضرب عدد بنود الولاء التنظيمي (26) في درجات المقياس الخماسي(5،4،3،2،1)تحصلنا على السلم التالي:

130   104   78   52   26

وانطلاقا من هذا المقياس والبيانات المبوبة في الملحق رقم (04)استخرجنا فئات الإبداع الإداري وهي موضحة في الجدول التالي:

1- جدول: مستويات الإبداع الإداري لدى أفراد عينة الدراسة

الفئات	التكرارات	الإبداع الإداري	النسبة المئوية
52-26	0	إبداع إداري ضعيف	% 0
78-52	6	إبداع إداري تحت المتوسط	%7.40
104-78	43	إبداع إداري فوق المتوسط	% 53.08
130-104	32	إبداع إداري عالي	% 39.50

من خلال الجدول المبين أعلاه نلاحظ أن أدنى مستوى للإبداع الإداري هو المستوى تحت المتوسط في حين هناك نسبة 53,08 % تتمتع بإبداع إداري فوق المتوسط و 39,50% تتمتع بإبداع إداري عالي ،أي أن أغلب الإطارات الوسطى العاملة بالمنظمات التابعة للجماعات المحلية تتمتع على الأقل بإبداع إداري متوسط وهذه النتيجة تتفق مع ما ذهبت إليه الفرضية سابقا .

3- توجد علاقة ايجابية بين تصور الإطارات الوسطى للهيكل التنظيمي ومستوى

الإبداع الإداري لديهم.

وبتطبيق علاقة معامل الارتباط "بيرسون" نجد أن معامل الارتباط (ر=0,42) ، نستنتج أن هناك علاقة ارتباطية ايجابية بين تصور الإطارات الوسطى للهيكل التنظيمي ومستوى الإبداع الإداري لديهم ، وإن كانت قوة العلاقة ضعيفة إلا أنها دالة احصائيا عند مستوى دلالة 0,05 لأن قيمة معامل الارتباط المحسوبة أكبر من قيمة معامل الارتباط المجدولة (ر=0,20) المبينة في جدول الدلالة الإحصائية لمعامل الارتباط ، أي أنه كلما كان تصور الإطارات الوسطى ايجابيا اتجاه الهيكل التنظيمي لمنظمات الجماعات المحلية كلما زاد مستوى إبداعهم الإداري

4- توجد علاقة ايجابية بين تصور الإطارات الوسطى للاتصالات ومستوى الإبداع الإداري لديهم.

انطلاقا من تطبيق علاقة معامل الارتباط "بيرسون" نجد أن معامل الارتباط (ر=0,53)، ومنه هناك علاقة ارتباطية ايجابية متوسطة بين تصور الإطارات الوسطى للهيكل التنظيمي ومستوى الإبداع الإداري لديهم ، وهي دالة احصائيا عند مستوى دلالة 0,05 لأن قيمة معامل الارتباط المحسوبة أكبر من قيمة معامل الارتباط المجدولة (ر=0,20) المبينة في جدول الدلالة الإحصائية لمعامل الارتباط أي أنه كلما كان تصور الإطارات الوسطى ايجابيا اتجاه الاتصالات بمنظمات الجماعات المحلية كلما زاد مستوى ابداعهم الإداري وإن لم تكون الزيادة بنفس المقدار.

5- توجد علاقة ايجابية بين تصور الإطارات الوسطى نظم واجراءات العمل ومستوى الإبداع الإداري لديهم.

بتطبيق علاقة معامل الارتباط "بيرسون" نجد أن معامل الارتباط (ر=0,46) ، نستنتج أنه هناك علاقة ارتباطية ايجابية دون المتوسط بين تصور الإطارات الوسطى لنظم واجراءات العمل ومستوى الإبداع الإداري لديهم بمنظمات الجماعات المحلية لولاية عنابة ، وهي دالة احصائيا عند مستوى دلالة 0,05 لأن قيمة معامل الارتباط المحسوبة أكبر من قيمة معامل الارتباط المجدولة (ر=0,20) المبينة في جدول الدلالة الإحصائية لمعامل الارتباط، أي أنه كلما كان تصور الإطارات الوسطى ايجابيا اتجاه اجراءات ونظم العمل لمنظمات الجماعات المحلية كلما زاد مستوى ابداعهم الإداري وإن لم تكون الزيادة بنفس المقدار.

6- توجد علاقة ايجابية بين تصور الإطارات الوسطى اتخاذ القرارات ومستوى الإبداع الإداري لديهم.

وبتطبيق علاقة معامل الارتباط "بيرسون" ، نجد أن معامل الارتباط (ر=0,43) نستنتج أنه هناك علاقة ارتباطية ايجابية دون المتوسط بين تصور الإطارات الوسطى لاتخاذ القرارات ومستوى الإبداع الإداري لديهم بالمنظمات التابعة للجماعات المحلية، وهي دالة احصائيا عند مستوى دلالة 0,05 لأن قيمة معامل الارتباط المحسوبة أكبر من قيمة معامل الارتباط المجدولة (ر=0,20) المبينة في جدول الدلالة الإحصائية لمعامل الارتباط ، أي أنه كلما كان تصور الإطارات الوسطى

ايجابيا اتجاه اتخاذ القرارات لمنظمات الجماعات المحلية كلما زاد مستوى ابداعهم الإداري وإن لم تكون الزيادة بنفس المقدار .

-7 توجد علاقة ايجابية بين تصور الإطارات الوسطى للحوافز ومستوى الإبداع الإداري لديهم.

انطلاق من تطبيق علاقة معامل الارتباط "بيرسون"، نجد أن معامل الارتباط (ر=0,52)، نستنتج أنه هناك علاقة ارتباطية ايجابية متوسطة بين تصور الإطارات الوسطى للحوافز ومستوى الإبداع الإداري لديهم بالمنظمات التابعة للجماعات المحلية لولاية عنابة ، وهي دالة احصائيا عند مستوى دلالة 0,05 لأن قيمة معامل الارتباط المحسوبة أكبر من قيمة معامل الارتباط المجدولة (ر=0,20) المبينة في جدول الدلالة الإحصائية لمعامل الارتباط، أي أنه كلما كان تصور الإطارات الوسطى ايجابيا اتجاه الحوافز لمنظمات الجماعات المحلية كلما زاد مستوى ابداعهم الإداري ،وهذا لأن التحفيز هو الدافع والمحرك الأساسي لإنتاج أي منتوج جديد والإبداع الإداري هو منتوج يحتاج إلى دافع داخلي يحركه التحفيز الخارجي.

8- توجد علاقة ايجابية بين تصور الإطارات الوسطى للتكوين ومستوى الإبداع الإداري لديهم.

وبتطبيق علاقة معامل الارتباط "بيرسون" نجد أن معامل الارتباط (ر=0,53) ، نستنتج أنه هناك علاقة ارتباطية ايجابية متوسطة بين تصور الإطارات الوسطى للتكوين ومستوى الإبداع الإداري لديهم بمنظمات الجماعات المحلية التابعة لولاية عنابة ، وهي دالة احصائيا عند مستوى دلالة 0,05 لأن قيمة معامل الارتباط المحسوبة أكبر من قيمة معامل الارتباط المجدولة (ر=0,20) المبينة في جدول الدلالة الإحصائية لمعامل الارتباط ، أي أنه كلما كان تصور الإطارات الوسطى ايجابيا اتجاه التكوين التنظيمي لمنظمات الجماعات المحلية كلما زاد مستوى ابداعهم الإداري وإن لم تكون الزيادة بنفس المقدار لأن لإبداع الإداري محددات كثيرة و ان كان للتكوين المهني له دور نظرا لما يقدم للإطارات الوسطى من تقنيات حديثة للتعامل مع المشكلات الناشئة داخل التنظيم ،خاصة إذا كانت البيئة التنظيمية تتسم بالتغير المستمر كما هو الشأن بالنسبة للمنظمات التابعة للجماعات المحلية كونها تعتبر الخلية الأساسية لهيكلة النظام الإداري في الجزائر .

9- توجد علاقة ايجابية بين تصور الإطارات الوسطى للهيكل التنظيمي ومستوى الإبداع الإداري لديهم.

وبتطبيق علاقة معامل الارتباط "بيرسون" نجد أن معامل الارتباط (ر=0,80) نستنتج أنه هناك علاقة ارتباطية ايجابية قوية بين تصور الإطارات الوسطى للقيادة ومستوى الإبداع الإداري لديهم بالمنظمات التابعة للجماعات المحلية، وهي دالة احصائيا عند مستوى دلالة 0,05 لأن قيمة معامل الارتباط المحسوبة أكبر من قيمة معامل الارتباط المجدولة (ر=0,20) المبينة في جدول الدلالة الإحصائية لمعامل الارتباط، أي أنه كلما كان تصور الإطارات الوسطى ايجابيا اتجاه القيادة بالمنظمات التابعة للجماعات المحلية كلما زاد مستوى ابداعهم الإداري ،وهذا يعود بالأساس لأن

التصور الإيجابي للقيادة من طرف الإطارات الوسطى يعطي لهم دافع قوي للمحاولة وتجريب الطرق الجديدة لأنه يعتقد سالفا بأن القيادة ستقف بجانبه حتى وإن لم تأتي هذه الطرق الجديدة بالنتائج المرجوة وهذا ما يؤدي في النهاية لإبداع إداري يرفع من تحقيق الفعالية لتنظيمات الجماعات المحلية .

توجد علاقة إيجابية قوية بين تصورات طبيعة المناخ التنظيمي لدى الإطارات الوسطى ومستوى الإبداع الإداري لديهم.

خاتمة

لقد قام الباحث في هذه الدراسة بمحاولة البحث و معرفة ما تصورات الهيئة الوسطى للمناخ التنظيمي السائد بالمنظمات التابعة للجماعات المحلية وعلاقته بمستوى الإبداع الإداري لديهم؟ وللإجابة عن هذا التساؤل قام الباحث بالإجراءات المنهجية اللازمة وتوصل للنتائج التالية :

- تصورات الهيئة الوسطى للمناخ التنظيمي ايجابية و صحية في مجمله ملائم للعمل إذا نظرنا للمناخ التنظيمي ككتلة واحدة أما بالتدقيق في ابعاده نجد أن تصورات الهيئة الوسطى للتحفيز ونظم واجراءات العمل والتكوين سلبية.
- وجود مستوى فوق المتوسط للإبداع الإداري لدى الإطارات الوسطى وعلاقة ايجابية متوسطة مع تصور الإطارات الوسطى للمناخ التنظيمي .

التوصيات:

بناء على النتائج التي توصلت إليها الدراسة فان الباحث يوصي بما يلي:

-التركيز على النقاشات المفتوحة داخل المنظمات التابعة للجماعات المحلية ولو مرة خلال كل سنة وذلك للسماح الإطارات بالتعبير عن وجهة نظرهم وابراز قدراتهم .

- تكثيف الدورات التكوينية المتخصصة والتقيد بالإجراءات العلمية في تحديد الاحتياجات التكوينية بالخصوص لفئة الإطارات الوسطى لما لها من دور في الرفع من فعالية هذه التنظيمات .
- إعادة النظر في قانون المجالس المحلية حيث يجب فرض مستوى تعليمي للمترشحين للمناصب القيادية ليتناسب مع مستويات الإطارات بهذه المنظمات
- اشراك الإطارات الوسطى في اعداد خطط العمل الطويلة والمتوسطة أمد وإعطائهم الحرية التامة في تنفيذها مع المراقبة الدورية
- التركيز على التحفيز المعنوي بما أن التحفيز المادي مقيد بكل المنظمات التابعة للوظيف العمومي مع الشرح المتكرر للعاملين بأن قوانين الوظيفة العمومية هي التي تقيد التحفيز المادي وليس القادة التنفيذيين .
- إجراء المزيد من البحوث والدراسات وخاصة فيما يتعلق بالصعوبات التي تواجه الإطارات الوسطى وتعيقهم على تحسين تصورهم للمناخ التنظيمي والسبل التي من شئنها زيادة مستوى الإبداع الإداري لديهم.

المراجع

1- أحمد محمد عوض بني احمد، الإحتراق النفسي والمناخ التنظيمي في المدارس،دار الحامد للنشر،عمان،ط،2002،1،ص44.

2- محمد قاسم القيروتي، السلوك التنظيمي، دراسة السلوك الإنساني الفردي والجماعي في المنظمات المختلفة، دائرة الشروق للنشر، الأردن، ط4، 2003، ص 148.

3- Jean Lorrain , Luc brunet, Climat organisationnel. ; satisfaction au travail et perception du syndicalisme ; relation industrielle;vol39,N°04;Montréal; 1984;, P 669.

4- ملحم، يحيى سليم،أثر المناخ التنظيمي على الرضا الوظيفي :دراسة حالة شركة الاتصالات الأردنية الحديثة .المجلة العربية للإدارة ،العدد02 ،المجلد26، 2006 .

5- لوكيا الهاشمي، بومنقار مراد، المناخ التنظيمي وعلاقته بالرضا الوظيفي، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان،الأردن،2013.

6-Lawrence and Campbell, organizational climate: a review theory and research psychological, vol 81ne 12 Texas university,1974,p130.

7- Peter F. Drucker ,Innovation and Entrepreneship.practice and principles, Harper & Row, New York,1985,p30.

8-باسم علي عبيد حوامدة، المناخ التنظيمي في مديريات التربية والتعليم وعلاقته بالإبداع الإداري لدى القادة التربويين في الأردن ،2003،ص26.

9-بلال خلف السكارنه،الإبداع الإداري، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان،الأردن،2011، ص17.

10- Robins ,S;and David Ad,Fundamentales of Management: Essential Concepts and Application ,Second ed,Prentice-hall,USA,1998;p28.

11- العميان محمود،السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال، ط1، دار وائل للنشر عمان،2002، ص393 .

12- Peters,Tom and Waterman,Bon,In Search of Excellence,New-york,Harper and Raw,1982,p225.

13- إبراهيم الديب،إستراتيجيات التطوير الإداري والإصلاح الشامل ،المنصورة ،مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع،2005،ص135.

14- عبد الحميد ابراهيم وآخرون، آليات واختيار القيادات الإدارية ، وحدة ضمان الجودة جامعة الإسكندرية ،2011، ص8.

أثر صدمة مشهد قتل الأب على ظهور الجنوح عند المراهق

أ. نورة أوشيخ
كلية علم النفس وعلوم التربية
جامعة قسنطينة 2
الجزائر

ملخص

يميل المراهق الذي أجبر على حضور مشهد عنيف أثناء الطفولة إلى تغيير المسار التعبيري لنزواته العدوانية التي تتجه نحو الجنوح.
يتضمن هذا المقال النتائج المتحصل عليها بعد إخضاع ثمانية مراهقين جانحين للمقابلة النصف توجيهية بهدف البحث وللملاحظة الإكلينيكية والتي كشفت عن ما يلي: ظهور سلوكات جانحة تُعبر عنها الأفعال التالية: إلحاق الضرر الجسمي بالآخرين، تدمير ممتلكات الآخرين، السرقة، الفرار، تعاطي مستحضرات مشوشي النفسية.

Résumé

L'adolescent, témoin de scènes de violence pendant l'enfance, s'oriente vers la délinquance, en développant des pulsions agressives.
Dans cet article, sont présentés les résultats d'une étude, obtenus au moyen d'un entretien clinique semi-directif et de l'observation clinique de huit adolescents délinquants ayant vécu une situation traumatique. Les comportements délinquants en question consistent en agressions des personnes, destruction de biens collectifs, vols, fugues, consommation de psychodysleptiques.

مقدمة

قد تهدم المشاهد العنيفة التي عاشها المراهق بطفولته دعائمه النرجسية وذاكرته لأنها تفتقر للمعنى حينها تسجل رمزيا كآثار ذكراوية محدثة شرخا ببنية الشخصية.

موازاة مع ذلك يخلف الحدث الصدمي العنيف الذي تعرض له المراهق في طفولته أفكار انتقام تتبلور في صورة تقمص بالمعتدي يعبر عنها بعدوانية صاخبة تتخذ شكل سلوكات جانحة، تصل إلى حد إنكار الخوف عامة. وفي السياق ذاته ترى فيرسولوتي C.Vercelletti : «أن ما يميز العنف تراكم الأحداث الصدمية وتأثيرها على الجانب النفسي والاجتماعي، حيث بمثل هذه الوضعيات غالبا ما تتأثر فئة الأطفال والمراهقين تأثيرا بليغا. لأنهم يستلهمون قواعدهم النفسية والاجتماعية من مصادر عنف سابقة، قضت فضاعتها على تصورات تحريم القتل والعدوان لتتحول حينها صور الوالدين والراشدين إلى صور تهديد بالموت".

(T.Baubet et d'autres,TomeI,2003,P.190)

© جامعة قسنطينة 1 ، الجزائر2012.

والواقع أن الصدمة تحدث انهيار ثلاثي الأبعاد للدعائم النرجسية، يتعلق البعد الأول بتجمد شعور الفرد بعدم قابلية تعرضه، أما البعد الثاني يتعلق بفقدان الثقة بالحماية المادية للعالم الخارجي، في حين يتعلق البعد الثالث بفقدان الثقة في حماية الآخرين. ونتيجة لذلك يفقد الأنا استقلاليته الأساسية ويتخذ الأنا الأعلى طابع التسلط، كما يؤدي تراكم الدفاعات القلقة إلى تكاثف الصور العدوانية المهددة. مما يُحدث تضخم ذاتية المركز التي تعبر عن التقدير السلبي للذات وللآخرين و شعور بالتهديد من طرف المجتمع، الذي يجب صده بالمرور إلى الفعل الجانح حينها يقتحم عالم الجنوح .

وقد جاءت هذه الدراسة كمحاولة لإبراز أثر صدمة مشهد قتل الأب التي عاشها مراهقون جانحون بمرحلة الطفولة على ظهور الجنوح، من خلال تطبيق المقابلة النصف توجيهية بهدف البحث وتحليل المضمون والملاحظة الإكلينيكية.

1- مفاهيم قاعدية:

1-1- مفهوم الصدمة:

إن الصدمة ظاهرة إكلينيكية تنتج عن أحداث عنيفة مفاجئة تهدد حياة الفرد وتحدث عجزا في تكوين دلالة تسمح ببلوغ عملية الترميز، فتخلف آثارا تتخذ شكل تناذرات نفسية صدمية ذات جداول إكلينيكية متعددة تظهر بصفة فورية أو بعدية بعد فترة كمون غير محددة تمتد من أيام إلى سنوات عديدة. فقد تظهر آثار التجربة الصدمية الواقعة في الطفولة أثناء المراهقة نتيجة إعادة تنشيط الصراعات الداخلية السابقة وذلك تبعا لقابلية تعرض المراهق ونوعية الظروف المحيطة به.

وقد جاء على لسان التحليل النفسي أن الصدمة " هي حدث في حياة الشخص يتحدد بشدته وبالعجز الذي يجد الشخص فيه نفسه عن الاستجابة الملائمة حياله وبما يثيره في التنظيم النفسي من اضطراب وآثار دائمة مولدة للمرض. وتتصف الصدمة من الناحية الاقتصادية بفيض من الإثارات تكون مفرطة بالنسبة لطاقة الشخص على الاحتمال وبالنسبة لكفاءته في السيطرة على هذه الإثارات وإرصانها نفسيا ".

الصدمة والصدمي تعابير مستعملة قديما في الطب والجراحة، فتدل كلمة صدمة Trauma التي تعني الجرح في اليونانية وتشتق من فعل ثقب، على جرح مع كسر ومن مرادفاتها بالفرنسية Traumatisme المخصصة على الأدق للحديث عن الآثار التي يتركها جرح ناتج عن عنف خارجي على مجمل المتعضى. ولا تبرز دوما فكرة تمزق أو إصابة الغشاء الجلدي إذ يصار الحديث عن الصدمات الجمجمية الدماغية المقفلة. (ج .لابلانش وج.ب. بونتاليس، ترجمة مصطفى حجازي،1985، ص300)

1-2- مفهوم التناذرات النفسية الصدمية:

يقصد بالتناذرات النفسية الصدمية كل الاضطرابات الناتجة عن الصدمة النفسية التي تظهر بعد فترة كمون غير محددة، من محكاتها التشخيصية تناذر التكرار

(الانبعاث اللاإرادي المتكرر، اضطرابات النوم...) وأعراض غير نوعية (قلق، اضطرابات جسمية، نفسجدية، معرفية، اضطرابات السلوك...) واختلالات الشخصية التحتية الكامنة (الشخصية الصدمية العصابية). (L.Crocq,1999,PP.144-145)

3-1- الوصف الإكلينيكى للتناذرات النفسية الصدميةعند الطفل و المراهق حسب نوعية الصدمة:

يستجيب الفرد للحدث سواء كان صدميا أم غير ذلك بردود فعل إجهاد تكيفي يسمح بتحقيق التوازن الجسمي والنفسي أو إجهاد متجاوز تميزه تظاهرات الهياج والانصعاق والفعل الآلي.

قسمت الباحثة L.Terr سنة 1991 اضطرابات الصدمة النفسية إلى نموذجين هما :

1-3-1 النموذج I من اضطرابات الصدمة النفسية :

يقتصر هذا النموذج على كل العرضية الناتجة عن حدث صدمي واحد حيث يمتاز بظهور ردود أفعال فورية، تتمثل في سلوكات الهياج الشديد والرعب والإحساس بعدم القدرة على التعبير.

خلال المرحلة الفورية يمكن لعرض القلق أن يتخذ شكل نوبات ذعر مصحوبة باضطرابات تفككية حادة (فقدان الذاكرة النفسي) وبحالات خلطية حلمية وبخوف عارم وباضطرابات عصبية إعاشية (زيادة ضربات القلب، التعرق...) وباضطراب الوظيفة السارية (التبول والتبرز اللاإراديان) وباضطرابات سلوكية تثبيطية (البكم والعزلة وانخفاض المبادرة الحركية والخور، وتناذر الهروب) وبالعدوانية (الغضب والمعارضة و العدوانية الذاتية والغيرية). كما تتواتر أيضا تظاهرات قلق الانفصال (الخوف من الظلام و الموت و الهجر مع رفض الابتعاد عن البيت والوالدين) ومن النادر جدا ملاحظة أعراض الذهان الإرتكاسي العابر والفصام الحاد القابل للانعكاس.

كما تمت ملاحظة اضطرابات نفسجدية (آلام الرأس، وأوجاع البطن والشلل واضطراب التوازن وفقدان الصوت) واضطرابات عضوية حادة، جلدية (الصدفية وسقوط الشعر) وهضمية (القرحة المعدية...)

إضافة إلى الربو والسكري. واضطرابات النوم التي يكثر تواترها عند الطفل على شكل أرق وكوابيس ورعب ليلي. أما عند المراهق فنلاحظ سلوكات الإدمان على المخدرات والأدوية المهدئة و الجنوح حيث تتكاثف هذه الأعراض لتشكل جدول إكلينيكي للتناذرات النفسية الصدمية.

أما عن الجداول الإكلينيكية ما بعد الفورية غالبا ما تتميز باضطرابات التكيف التي تضم اضطرابات انتقالية للانفعالات والسلوك مع أعراض حالة الإجهاد ما بعد الصدمة وحالة الإجهاد الحاد. لهذا تستقر التناذرات النفسية الصدمية بجداولها الإكلينيكية التي

تضم حسب هذا النموذج على ما يلي :

- تناذر التكرار :

يحدث تناذر التكرار على مستوى ثلاث سجلات تعبيرية، هي الشعور بحالة الضيق النفسي واضطراب النشاط العصبي الإعاشى وتصلب الجسم، حيث يكثر تواتره عند الطفل ومن تظاهراته :

- الألعاب المتكررة عديمة اللذة القابلة لتفجير موضوعات الحدث الصدمي. وقد ميّزت الباحثة L.Terr " ألعاب ما بعد الصدمة "عن السلوكات التكرارية، فالألعاب التكرارية ذات طابع مسل وممتع في حين تفتقر السلوكات التكرارية للطابع المسل حيث تعيد مشاهد الحدث الصدمي بألم شديد. لذلك تشكل أحد الطرق المميزة للإنبعاث. (L.Bailly, 1996, P.40)

- الهلاوس السمعية والبصرية والشمية واللمسية مع التوهم بأن الحدث الصدمي سوف يحدث ثانية و تحدث هذه التظاهرات بصفة عفوية أو محرضة، ذلك بالمدرسة أو بالبيت في أوقات الراحة أو النوم. وقليلا ما تتواتر الأحلام المتكررة عند الطفل مقارنة بالمراهق و الراشد فعند الطفل الأقل من خمس سنوات كثيرا ما تتواتر لديه كوابيس ذات موضوعات غير نوعية.

ومن النادر جدا ظهور عرض فقدان الذاكرة النفسي في مرحلة ما بعد الصدمة عند الطفل الذي يظهر اضطرابات بالوظيفة المعرفية الادراكية. بالنسبة للباحثة L.terr تساعد الوظيفة المعرفية المضطربة على التحكم بالوضعية الصدمية التي تتعدى سيرورة الاعداد النفسي.

(G.Vila/L.M.Porche et M.Ch.Mouren-Simeoni, 1999, P.40)

- أعراض غير نوعية:

أولا : اضطرابات القلق :

تظهر في شكل أفكار مسيطرة وطقوس وسلوكات نظافة متكررة وقلق اجتماعي مع خوافات اجتماعية (الانعزال عن الجماعات بسبب التثبيط العلائقي و الخجل الشديد)، أما عن الخوافات فلا تقتصر فقط على الخواف النوعي المرتبط بالصدمة النفسية بل تصل إلى حد قلق معمم الذي تصاحبه نوبات الفزع.

ودفاعا ضد القلق الصدمي يستخدم الطفل والمراهق حسب الباحث R.Rynoos ميكانيزمات دفاعية مميزة هي: النفي الخيالي أين يحاول الطفل إطفاء الطبع المؤلم للواقع فيتخيل أن الحدث الصدمي وقع بطريقة مخالفة للحقيقة. وتثبيط الفكر العفوي أين يحاول الطفل تجنب التفكير بالحدث الصدمي، فيثبط انتاجه للصور الذهنية التي قد تثير الصدمة .والتعلق بالصدمة أين يتحدث الطفل عن الحدث الصدمي بصورة متكررة، بغية التحكم في الضغط الداخلي والانشغال بالخوافات الهوامية .

وعندما تضعف فعالية الدفاعات الأربعة تتحول بدورها إلى أعراض نفسية صدمية حقيقية يمكن اعتبارها كآثار نفسية للصدمة. (L.Bailly, 1996, P.43)

ثانيا : اضطرابات المزاج :

غالبا ما تشترك الحالات الاكتئابية بحالة الإجهاد ما بعد الصدمة وتعد كشكل إكلينيكي للاكتئاب،كما يمكن ظهور مشاعر الذنب وردود الفعل المرضية للحداد دون أي محتوى اكتئابي.

ثالثا: اضطراب السلوك:

يظهر تحت شكل عدم استقرار نفسي حركي، مع أعراض ضعف الانتباه وإفراط النشاط الحركي والمعارضة الدائمة والعدوانية.

رابعا : الاضطرابات العضوية :

قد تظهر تحت شكل اضطرابات جلدية و أزمات ربو حادة و أعراض السكري وكذلك تحويلات عضوية كحالات الشلل الحركي.

خامسا : سلوكات نكوصية :

وصفتها العالمة A.Freud تحت شكل تبول ليلي لا إرادي والتبرز اللاإرادي الثانوي ومص الإبهام و الكلام الطفولي والتبعية للآخرين وردود فعل القلق أمام الغرباء واللامبالاة العاطفية اتجاه الراشدين.

- اختلالات الشخصية:

عند الطفل والمراهق تتخذ شكل اضطرابات التوجيه وتأكيد الشخصية، فالصدمة بمثابة الكاشف القاطع عن العجز وغياب الحماية والإحساس بالتهديد، مما يفسر توقف وظائف الأنا. الذي يحدث على مستوى وظيفة المحيط فيصعب التمييز بين المثيرات العادية والخطيرة وهذا ما يجعل الطفل والمراهق في حالة طوارئ تستلزم اليقظة المفرطة والحذر الشديد يصل إلى حد مقاومة النوم. وعلى مستوى وظيفة الوجود فتظهر صعوبة في تصور المستقبل ويشتد تواتر أحلام اليقظة كما ينحصر التقمص في شخصية المعتدين والشرطة والأطباء والمحامين عوض تقمص نماذج إيجابية ناضجة. وعلى مستوى وظيفة الحب فيظهر عجز في حب الذات والآخرين فيتقلص مجال العلاقات الاجتماعية مما يزيد من شدة الغضب والعدوانية الذاتية والغيرية التي قد تصل إلى حد الجنوح .

2-3-1 النموذج II من اضطرابات الصدمة النفسية :

أما النموذج II من اضطرابات الصدمة النفسية فيقتصر على كل الأعراض الناتجة عن التعرض المتكرر للأحداث الصدمية، ويتميز هذا النموذج عن الأول بالصفة الكمية وبغياب الفجائية، يتعلق الأمر بسوء المعاملة والعنف الأسري

والاعتداءات الجنسية المتكررة إلى جانب الحروب والاعتقالات. وتخلف هذه الأحداث تناذرات نفسية صدمية مجاورة للنموذج الأول أهمها تناذر التكرار وهناك تناذرات إكلينيكية نوعية مميزة للنموذج الثاني من اضطرابات الصدمة النفسية منها الإنكار العام للصدمة و ضعف التفكير والعاطفة والانفعال وانخفاض الاهتمام بالنشاطات و العلاقات الاجتماعية، أما عن فقدان الذاكرة النفسي فيخص ذكريات الطفولة التي غالبا ما تظهر بمرحلة المراهقة. و تعتبر الباحثة L.Terr هذه التظاهرات كدفاعات نفسية يستخدمها الطفل و المراهق تفاديا للإجهاد المتكرر.

(G.Vila/L.M.Porche et M.Ch.Mouren-Simeoni, 1999, P.44)

كذلك يشمل هذا النموذج من جهة على تظاهرات الغضب الشديد والعدوانية الذاتية تصل إلى حد البتر الذاتي و محاولات الانتحار ومن جهة أخرى على العدوانية الغيرية تصل إلى حد جنوح الأحداث. أما عن اضطرابات الشخصية فيمكن أن تأخذ مميزات شخصية نرجسية و شخصية مضادة للمجتمع.

1-4- مفهوم المراهقة:

مرحلة حساسة تتم خلالها سيرورة البلوغ حيث يعد النمو الجسمي أثناءها من أهم التغيرات التي تحدث للمراهق وتترك آثارا نفسية وانفعالية وعقلية واجتماعية على شخصيته.وقد تعددت التعاريف التي أعطاها العلماء للمراهقة حتى أضحت من الصعوبة إعطاؤها تعريفا شاملا . من العلماء الذين ركزوا في تعريفهم على المظاهر الفسيولوجية والتغيرات النفسية R.Lafon حيث كتب في معجمه النفس بيداغوجي أن "المراهقة مشتقة من كلمة Adolescére التي تعني الفعل ينمو، وتمتد من 12-13سنة إلى 18-20 سنة مع اختلافات فردية أين يتم التطور البيولوجي للبلوغ (النمو العضوي والنضج الهرموني التناسلي) حيث يحرك الدافع البيولوجي أزمة التطور التي تسجل في الفكر والسلوك إلى حد إحياء النزوات الجنسية التي تعيد تنشيط بعض النماذج السابقة للشخصية، مشكلة دفاعا داخليا ومخاطرة معتبرة مؤدية إلى تقمصات وتوجيهات جديدة.وتلقب ما قبل المراهقة والمراهقة بفترة الأزمة. (L.Pepin,1973,P.15-16)

1-4-1- خصائص مرحلة المراهقة:

-التغيرات الفسيولوجية التي تطرأ على الجسم داخليا وخارجيا التي تسمح ببلوغ الحياة التناسلية الراشدة عند الفتى والفتاة.

- الأبعاد النفسية للتغيرات الفسيولوجية التي تحدث بشكل ملموس أو خيالي رمزي، محدثة آثارا في شخصية المراهق على مستوى هويته وتصوراته عن جسده وذاته. وتلعب اتجاهات الوالدين خاصة والمحيط عامة دورا مهما في مساعدة المراهق على تقبل هيئته المورفولوجية الجديدة وعلى تحقيق إدراك جيد لذاته. وأمام سجل هذه التغيرات يستخدم المراهق نموذج دفاعي انتقالي يتحدد في الزهد axétisme والعقلنة

intellectualisation بجانب ميكانيزماته الدفاعية السابقة.

- التغيرات الانفعالية تظهر كجواب عاطفي لمشكل نمائي في شكل سلوك متقلب فالفرد الذي لم تسمح له بيئته الداخلية النفسية والخارجية الاجتماعية الثقافية، بتكوين قوة يكبح بها انفعالاته يكون عرضة لعدم النضج الانفعالي.

- التغيرات العقلية التي تعرف تطورا كبيرا في البنيات المعرفية حيث تسمح ببناء قاعدة الفروق الفردية عند المراهقين وتصبح عاملا مساعدا للآباء والمربين في تقديم الخبرات التربوية المناسبة مع احترام مواهبه وقدراته الخاصة.وتطرأ التغيرات على الذكاء والانتباه والتخيل والتفكير.

- التغيرات الاجتماعية التي تحدث في ظل تنشئة اجتماعية خاصة وحسب التحليل النفسي يتحقق الإدماج الاجتماعي وفق نوعية العلاقات الموضوعية، المشكلة في الطفولة وقابليتها للإنعكاس في المراهقة محددة بذلك نماذج علائقية خاصة مع الأخرين الممثلين لصور السلطة والحب،ووفق تشكلة الأنا الأعلى ومثالية الأنا اللذان يوجهان المراهق في وضعياته التفاعلية الإجتماعية، باحثا عن مكانته الاجتماعية التي عرفها J.Stoetzel"بمجموعة السلوكات التي ينتظرها المراهق شرعيا من الآخرين". (L.Pepin,1973,P.91)

1-5- مفهوم الجنوح:

تركز الدراسات النفسية في تحليل الجنوح على الجانح كفرد قائم بذاته. وتحاول التوصل من خلال دراسة شخصيته وتكوينها وطبيعة القوى الفاعلة فيها إلى اكتشاف الأسباب النفسية التي دفعت به إلى الجنوح.ويعرف الجنوح حسب D.Houzel/Ph.Mazet كالتالي" الجنوح مفهوم نسبي ذو خصائص قانونية واجتماعية وأخلاقية، تتغير بتغير الزمن والمكان، فحسب القانون الجنوح ارتكاب الجنح والجرائم التي توجب العقاب القانوني الذي تتفاوت أحكامه من دولة لأخرى أما حسب علم الاجتماع الجنوح انحراف عن القيم الاجتماعية التي تختلف بدورها باختلاف الزمن والمكان والنظم والأخلاق السائدة بالمجتمع، هكذا يتحدد المفهوم النسبي للجنوح فيظهر كشكل عدم تكيف اجتماعي يترجم أحيانا وليس دائما صعوبات نفسية واضطرابات نفسية مرضية".(Ph.Mazet et D.Houzel,1979,P.23)

1-5-1- نماذج السلوكات الجانحة : تتمثل في مايلي:-المخالفات ضد الممتلكات أهمها السرقة التي تفسر حسب العالم D.Marcelli وفق المنظومة التطورية للأنا، المشتركة مع سيرورة استدخال كل من القانون الوالدي الأمومي والأبوي ثم النظام الاجتماعي.(Gueniche,2002,P.61)

- الاعتداء ويضم السلوكات العدوانية الغيرية والذاتية وأيضا الاعتداءات الجنسية والهروب والتشرد والإدمان على المخدرات.

عرفت ظاهرة الجنوح عدة اتجاهات تفسيرية حيث ركزت المقاربة البيولوجية على دور الوراثة واضطراب عمل الغدد والهرمونات والعاهات الجسمية والأمراض العقلية. (نجم الدين السهرودي،1971،ص127)

أما المقاربات النفسية استخلصت أن نفسية الجانح تنطوي على شخصية ذات أنا أعلى متزمتا ناتج عن بيئة تربوية قاسية أو متأرجحا ناتج عن بيئة أسرية غيرمنسجمة أو ضعيفا ناتج عن بيئة أسرية منحلة.بهذا الصدد تقول A.Freud "يكمن العامل الإمراضي للجنوح في إضطراب النموالعاطفي للفردعندما يفقد موضوعات الحب والتعلق، حينها يتعذر عليه إقامة علاقات مع الموضوعات ويضطرب نموه اللبيدي الذي يثبت بالمراحل البدائية، أما الميولات العدوانية تفقد سندها اللبيدي فتصبح مضادة للمجتمع". (A.Freud,1988,P.144)

في حين ركزت المقاربات الاجتماعية على دور الوسط الاجتماعي في خلق السلوك الجانح حيث يرى Lacassagne" أن الوسط الاجتماعي يلعب دورا في ظهور الجنوح والانحراف لاحتوائه على البيئة الطبيعية والثقافية والاجتماعية التي ينمو من خلالها السلوك المنحرف.لأن البيئة الاجتماعية هي التي تشكل الفرد على نحو يدفعه إلى الجريمة نتيجة عدم تكوين القيم والمعايير الاجتماعية ".(محمد أبو العلا عقيدة ، 1994،ص94)

2-5-1 مميزات شخصية الجانح : تتميز بما يلي:

- رفض المجتمع بقيمه ومعاييره-عدم تحمل الإحباط-العدوانية كتأكيد الذات-الشعوربالظلم-الشعور بالحط من القيمة-الإقرار الشرعي للفعل.كما يتميز النظام الدفاعي عند الجانح بخضوع الأنا لخدمة الهو لينتهك أوامر الأنا الأعلى.(M.Lemay,1973,P .499)

2- حالات الدراسة:

تمت الدراسة على 8 مراهقين جانحين يمتد سنهم بين (17-19 سنة). تعرضوا في طفولتهم إلى أحداث صدمية عنيفة تمثلت في مشهد قتل الأب وارتكبوا جنحا أدخلوا نتيجتها مركز إعادة التربية لفترات متفاوتة في المراهقة.

وبعد أن شخصت لذيهم عرضية التناذرات النفسية الصدمية طبقت عليهم مقابلة نصف توجيهية بهدف البحث تمثلت محاورها فيما يلي:- إلحاق الضرر الجسمي بالآخرين -تدمير ممتلكات الآخرين-السرقة-تعاطي مستحضرات مشوشي النفسية- الفرار والتي تطلبت تحليلا لمضمون ما جاء فيها من عبارات .وأيضا الملاحظة الإكلينيكية التي اقتصرت على تسجيل كل السلوكات التي تزامنت مع المقابلة الإكلينيكية حيث تم تبويبها تلقائيا تحت الفئات التالية (التوتر النفسي، الغضب الحساسية للمثيرات، المزاج الحزين ، اللزمات، المظهر الخارجي).

3-عرض نتائج الدراسة:

أخذت النتائج العامة لتحليل مضمون المقابلات الإكلينيكية النصف توجيهية بهدف البحث والملاحظات الإكلينيكية المسجلة أثناءها، خمسة أبعاد شملت إلحاق الضرر الجسمي بالآخرين وتدمير ممتلكات الآخرين والسرقة وتعاطي مستحضرات مشوشي النفسية والفرار. وبعدين جديدين لم يفترض لهما، تم تسجيلهما أثناء التحليل وهما بعد أثر الحدث الصدمي وكذلك بعد طبيعة العلاقات الاجتماعية .

1-3 مناقشة نتائج إلحاق الضرر الجسمي بالآخرين :

أسفرت نتائج الدراسة عن تواتر فعل إلحاق الضرر الجسمي بالآخرين عند جميع الحالات وذلك ما أظهرته نتائج تحليل مضمون المقابلات الإكلينيكية النصف توجيهية بهدف البحث. من خلال بعد إلحاق الضرر الجسمي بالآخرين بفئة الضرب والجروح الجسمية قد يفصح ذلك عن تجسيد المرور إلى الفعل "الذي غالبا ما يكون سلوكا عنيفا وعدوانيا، يتسم بالاندفاعية والطبع الجنائي الجانح ".
(D.Marcelli et A.Braconnier,1988,p.77)

ويرتبط المرور إلى الفعل عند حالات الدراسة بالخوف من الفتور المعارض لتأكيد الذات لذلك يقول كاهن R.Cahn : "يعد الفعل دفاعا ضد الفتور ورغبة في تحويله إلى نشاط (...) يوهم المراهق بأنه يملك كلية القدرة التي تسمح له بمراقبة الواقع والسيطرة عليه ".(G.Giret,1991,P.70).

قد تعود أسباب فعل إلحاق الضرر الجسمي بالآخرين عند حالات الدراسة إلى عدم تحمل الإحباط والتمركز حول الذات اللذان تفصح عنهما فئتا تحليل مضمون المقابلات الإكلينيكية عند جميع الحالات فئة عدم تحمل الإحباط وفئة التمركز حول الذات. ويرتبط ذلك بميل المراهقين الجانحين المصدومين إلى إشباع حاجاتهم بصفة فورية دون مراعاة الآخرين والوسائل المستخدمة في تحقيق الإشباع. حيث يعيشون كل الإحباطات وحالات الفشل والضغوطات الصادرة عن الأشخاص والواقع بألم شديد شاعرين بأنهم معتدى عليهم لذلك يمرون إلى الفعل خاضعين بذلك إلى نزواتهم الداخلية يفصح ذلك عن تضخم ذاتية المركز لديهم كما قال به إيسنارد A.Hesnard " يكشف النضج المبكر لذاتية المركز، عن عدم تحمل الصراعات مع الآخر، حيث تدفع الفرد إلى الإحساس بأنه مهدد ومحبط من طرف المجتمع ظلما ". (R.Mucchielli,1981,P.77) حينها تتفاقم لديهم قابلية الغضب والعناد اللذان يفصح عنهما تحليل مضمون المقابلات الإكلينيكية من خلال فئتي الغضب والعناد والنتائج العامة للملاحظة الإكلينيكية من خلال فئتي الغضب والتوتر النفسي. وتولد قابلية الغضب اندفاعية تدعم المرور إلى الفعل العدواني اتجاه الآخر. وتحقق إشباع الرغبة في قتل الآخرين والسيطرة عليهم بهدف تخفيض آلام الإحساس بالظلم يظهر ذلك من خلال تواتر فئة الرغبة في القتل و فئة الرغبة في السيطرة على الآخرين و فئة الإحساس بالظلم عند جميع الحالات. قد يفسر ذلك عدوانية المراهقين الجانحين

المصدومين التي تجعلهم في معارضة دائمة لأنهم يعيشون باستمرار حالة عدم إشباع حقيقي، حيث يجدون أنفسهم منغمسين في عالم عدواني بسبب التجارب الصدمية الطفولية المؤلمة (مشهد قتل الأب) التي فجرت لديهم مشاعر نقص كامنة وانطباع مؤلم عن الحياة المليئة بالظلم والتعسف.

وتجاريهم في ذلك الأوساط الاجتماعية المختلفة لتنتج بدورها نماذج من المطالب الجديدة تدفعهم إلى تبرير تمردهم واعتدائهم على الآخرين لكونهم عاشوا هذا الاعتداء سابقا وفي هذا الصدد يقول فريديريك C.J. Frederick : " قد تعود السلوكات العدوانية اتجاه الآخرين عند المصدومين إلى التصور السلبي الذي يبنى حول أهمية القوانين الاجتماعية التي من خصائصها الأساسية حماية الفرد والمجتمع. لذلك تنتج عن الصدمة صعوبات اجتماعية يطبعها عدم التكيف الاجتماعي" . (L.Bailly,1996,P.52) بهذا يصبح الفعل الجانح أو الإجرامي لا يحمل قيمة إنحرافية عند المراهقين الجانحين المصدومين ذلك ما يفسر عدم إحساسهم بالذنب بعد الفعل، الذي أفصح عنه تحليل مضمون المقابلات الإكلينيكية بفئة عدم الإحساس بالذنب بعد الفعل عند جميع الحالات. قد وضح ذلك جريف De Greeff قائلا : "يذهب القاتل إلى اعتبار القتل شيء طبيعي تفرضه الأحداث وتبرره ". (R.Mucchielli,1981,P.85)

2-3 مناقشة نتائج تدمير ممتلكات الآخرين :

أسفرت نتائج الدراسة عن تواتر فعل تدمير ممتلكات الآخرين عند جميع الحالات وذلك ما أظهرته نتائج تحليل مضمون المقابلات الإكلينيكية من خلال بعد تدمير ممتلكات الآخرين بفئة الرغبة الملحة في التخريب و فئة متعة التخريب. قد يفصح ذلك عند المراهقين الجانحين المصدومين عن تكرار سلوكاتهم الاندفاعية غير القابلة للوساطة الرمزية نتجه تنشيط النزوات والهوامات التدميرية المرتبطة بالتجربة الصدمية الطفولية المؤلمة التي تحول دون الفصل بين النزوات الليبدية والنزوات العدوانية . كما يتزامن في سلوكاتهم التواجد الهوامي لثنائية نشاط – فتور فيتخذ تارة طابع سادي يتم إشباعه بتحقيق متعة التخريب وتارة أخرى يتخذ طابع مازوشي يتحقق إشباعه بالحاجة للعقاب مما يفسر صعوبة الإعداد الرمزي للعدوانية عند الجانح . وفي السياق ذاته يقول فيراري وإبيلبوم Epelbaum و Ferrari: " تتميز العدوانية اتجاه الآخرين بعدم تحمل الإحباط وعدم القدرة على الانتظار الذي يسبق إشباع الرغبات . يعود ذلك إلى نوعية علاقة الراشد بالطفل التي تتصف باللاوجودية وبالتعبير اللفظي المتداخل ببعض الهوامات العدوانية التدميرية وبالسلوكات العنيفة داخل الجماعات خاصة بمرحلة ما قبل المراهقة. تتخذ هذه السلوكات شكل عنف مادي يظهر في صور تمرد واندفاعات شديدة كالتخريب ...الخ، كما تتخذ شكل منظم مضاد للمجتمع كالسرقة والفرار والقتل. (...) وتصبح حينها كلمة أقتل مرادفة لكلمة تخلص من". (K.Gueniche,2002,P.57).

ويتخذ فعل تدمير ممتلكات الآخرين عند المراهقين الجانحين المصدومين أشكالا

متعددة تظهر من خلال فئة الإحراق العمدي التي تواترت عند الحالة الثانية والثامنة. قد ينذر هذا الشكل من التدمير بانحراف نفسي خطير يجسد المرور إلى الفعل ويحقق للمراهق إثارة كبيرة ولذة فائقة. ويفسر بعجز عن فصل النزوة العدوانية عن النزوة الليبيدية وبقايا هوام المشهد الأولي مما يفصح عن نية عصابية ويقول ماك وماخت L.B.Macht وJ.E.Mack :" يعبر الإحراق العمدي عن إثارة جنسية شديدة وعن رغبات و اندفاعات تدميرية من أسبابه عامة الانتقام . ولا يعد الإحراق العمدي مجرد مرور إلى الفعل الاندفاعي بل يعد تعبيرا عن عناصر غريزية تدميرية وعن إثارة ليبيدية وإعداد هوامي ".

(J.De Ajuriaguerra,1980,PP.1030-1031)

وفئة تخريب أثاث المنزل التي تواترت عند الحالة السابعة ويمكن تفسيرها باضطراب الدينامية العلائقية العائلية نتيجة غياب السلطة العائلية، مما فاقم شدة عدوانية الحالة وحاجتها إلى المرور إلى الفعل .

وأيضا فئة تخريب عجلات السيارات والشاحنات التي تواترت عند الذكور دون الإناث، مما يفسر غياب هذا الشكل من التدمير عند الإناث. وفئة تخريب أبواب العمارات وتكسير الكراسي والطاولات المدرسية اللتان انفردت بهما الحالة الخامسة وفئة تخريب الهواتف العمومية عند الحالة الأولى والثانية والرابعة وفئة تكسير الواجهة الزجاجية للدكاكين التي انفردت بها الحالة الرابع وفئة تكسير نوافذ البنايات الشاغرة عند الحالة الثانية وفئة تخريب الدراجات وفئة تخريب كراسي الحدائق العمومية عند الحالة الأولى .

3-3 مناقشة نتائج السرقة:

أسفرت نتائج الدراسة عن تواتر فعل السرقة عند جميع الحالات المدروسة وذلك ما أظهرته نتائج تحليل مضمون المقابلات الإكلينيكية من خلال بعد السرقة ومظاهرها، بفئة تدمير المسروقات عند كل الحالات باستثناء الحالة السادسة وبفئة نفع الغير بالمسروقات عند الحالة الثانية والسادسة .مما يفسر أن السرقة عند المراهقين الجانحين المصدومين غير غرضية بل هي سرقة سخية مصطلح أطلقه أوير ودوبلينو على كل سرقة غير نفعية.(J.De Ajuriaguerra,1980,P.1010)

تسمح السرقة عند المراهقين الجانحين المصدومين بالتفريغ الجزئي للقلق بشكل منحرف لضعف الأنا في تنظيم الطاقة النزوية الزائدة ، حيث يُستخدم ميكانيزم الإزاحة لاستبدال الموضوع المشتهى بموضوع آخر. كما تفسر السرقة لديهم بضعف المنظومة التطورية للأنا الأعلى المشتركة مع سيرورة استدخال القانون الوالدي ثم النظام الاجتماعي الذي تشوهت قوانينه نتيجة صدمة مشهد قتل الأب بمرحلة الطفولة. بهذا الصدد يقول مارسولي D.Marcelli :" تتموضع السرقة بين حدود اتصالية متجانسة، تبدأ من أنا أعلى شديد القسوة لا يقوى الطفل على التخلص منه لتصل إلى حد الغياب

الكلي للنقد الذي ينتج عنه السلوك المضاد للمجتمع". (K.Gueniche,2002,P.61)

تتخذ السرقة مظاهر متعددة يفصح عنها تحليل مضمون المقابلات الإكلينيكية بفئة سرقة المال التي تواترت عند كل الحالات باستثناء الحالة الثانية حيث يقول أولمار G.Ulmar : " إن موضوع السرقة المفضل عند المراهقين هو سرقة المال". (J.De Ajuriaguerra,1980,P.1010)

وفئة سرقة الهواتف النقالة عند الحالة الأولى والخامسة والسابعة وفئة سرقة الحلي عند الحالة الثامنة وفئة سرقة المخدرات (الحشيش) عند الحالة الثانية و السادسة وفئة سرقة الثياب من النوافذ عند الحالة الرابعة وفئة سرقة راديو السيارات عند الحالة الثانية والرابعة وفئة سرقة بطاريات السيارات عند الحالة الثالثة وفئة سرقة صندوق أدوات السيارة عند الحالة الأولى. ويتبين أن الذكور يشتركون مع الإناث في نوعية السرقة الخاصة بالمال والهواتف النقالة في حين يتميزن الإناث بسرقة الحلي أما الذكور فيتميزون بسرقة المخدرات والثياب من النوافذ وراديو السيارات وبطاريات السيارات وصندوق أدوات السيارات.

3- 4 مناقشة نتائج تعاطي مستحضرات مشوشي النفسية :

أسفرت نتائج الدراسة عن تواتر فعل تعاطي مستحضرات مشوشي النفسية عند جميع الحالات و ذلك ما أظهرته نتائج تحليل مضمون نتائج المقابلات من خلال تواتر بعد تعاطي مستحضرات مشوشي النفسية وأسبابها عند جميع الحالات بفئة شم سائل المجفف Diluant عند الحالة الأولى والخامسة وفئتي شم الغراء وتدخين الحشيش عند الذكور دون الإناث وفئة تناول الأقراص المنومة عند الإناث دون الذكور. وقد يفسر سلوك تعاطي مستحضرات مشوشي النفسية بالميل إلى النكوص الذي سببته الصراعات اللاشعورية الناشطة على مستوى النزوات اللبيدية والعدوانية التي يقع عجز في الفصل بينهما.

ويمثل الإدمان إحدى بدائل الشبقية الطفلية التي خبرت بداية باعتبارها سارة ثم أصبحت غير سارة. وضمن هذه الدائرة تصبح اللذة في الرغبة مشبعة لكنها تكون مصحوبة بالذنب وانخفاض تقدير الذات والرغبة في تدميرها مما يؤكد الطابع المازوشي الكامن للمدمن. و تنتج هذه المشاعر قلقا غير محتمل يؤدي بدوره إلى تكرار سلوك الإدمان للتخلص من الضغط الداخلي ثم تبدأ الدورة من جديد .

كما يمكن لاضطراب الإدمان عند المراهقين الجانحين المصدومين أن يرتبط بالتكرار الاضطراري الذي يهدف من جهة إلى السيطرة على المشاعر المؤلمة الناتجة عن صدمة مشهد قتل الأب بمرحلة الطفولة ومن جهة أخرى إلى محاولة استعادة تقدير الذات. وذلك ما يتجلى واضحا من خلال فئة الرغبة في نسيان حدث قتل الأب التي تواترت عند جميع الحالات دون الحالة السادسة وفئتي الرغبة في تدمير الذات والتقييم السلبي للذات عند جميع الحالات. قد يؤكد ذلك التصورات التي شملتها الأطروحة الأصلية لأوليفونستين Olivenstein (1982) الموسومة "بالمرآة المكسرة " والقائلة :"

إذا تعرض الطفل لصدمة أثناء تكوين هويته يمكن له اكتساب هوية مضطربة وشعور سلبي بالذات، فيعوض شعوره بالوجودية عن طريق الإدمان " (M.Valleur et J.C.Matysiak,2002,P.192)

قد تفسر أيضا الرغبة في تدمير الذات عند المراهقين الجانحين المصدومين بانهيار السند النرجسي وضعف الحصانة النفسية والشعور بعدم تقييم الذات.

5-3 مناقشة نتائج الفرار:

أسفرت نتائج الدراسة كذلك عن تواتر فعل الفرار ونتائجه عند جميع الحالات المدروسة وذلك ما أفصحت عنه نتائج تحليل مضمون المقابلات من خلال بعد الفرار ونتائجه بفئة الفرار من المنزل. وينحصر تفسير الفرار عند المراهقين الجانحين المصدومين في سجل عوامل نفسية تقتصر على عدم الاستقرار العاطفي القائم على مشاعر الحيرة وعدم الأمن والاندفاع السلوكي المدعم للمرور إلى فعل الفرار، الذي يسهم في التخلص من الصراعات الداخلية الناتجة عن آثار صدمة مشهد قتل الأب . كأن الفرار يكون من الذات نفسها التي تشعر بالتهديد المستمر وليس من أفراد الأسرة، فهو بمثابة دفاع ضد خطر منتظر يسيطر هاجسه على فكر الفرد كما قال به فينيكال: "يمكن للفرار أن يشكل ردا دفاعيا لأنا ضعيف ضد خطر خيالي أو حقيقي مهدد لوحدة الشخصية وحمايتها ، يتعلق الأمر بنموذج سلوكي يستخدمه الفار لخفض التوتر النفسي المقلق الناتج عن وضعية صراعية غير قابلة للتحكم . (J.De Ajuriaguerra,1980,P.1018)

يدعم فعل الفرار حب المغامرة عند الذكور والحاجة للعقاب عند الإناث يظهر ذلك من خلال تواتر فئة حب المغامرة عند الذكور وتواتر فئة الحاجة للعقاب عند الإناث . قد يفسر الاختلاف القائم بسيطرة هاجس البحث عن الحرية والميل إلى التحرر من العقبات عند الذكور، أما الحاجة للعقاب عند الإناث فقد تفسر حسب ثنائية نشاط – فتور أين يتخذ الفرار كمحاولة لتأكيد الذات مجسدا الطابع السادي النشط وكمحاولة لجلب العقاب مجسدا الطابع المازوشي الفاتر. ذلك كما أشير إليه في كتابات S.Nachtمن خلال العبارة التالية :" تقام العلاقة بين العدوانية والإحباط في سجل مازوشي عن طريق شبقية العقاب ". (A.Porot,1984,P.33)

ومن نتائج الفرار تعرض الإناث إلى محاولات اغتصاب تظهر من خلال تواتر فئة التعرض لمحاولة اغتصاب عند الإناث دون الذكور، قد يعود ذلك إلى مخاطر الحياة في الشارع.

مما تجدر الإشارة إليه أن سيرورة الدراسة سمحت بظهور بعدين جديدين لم يفترض لهما من قبل لكنهما يخدمان الأبعاد الرئيسة وتمثلا في بعد أثر الحدث الصدمي على المراهقين الجانحين المصدومين وبعد طبيعة العلاقات الاجتماعية لديهم. وقد أفصحت عن بعد أثر الحدث الصدمي نتائج تحليل مضمون المقابلات عند كل الحالات من خلال فئة سيطرة مشاهد قتل الأب المعبرة عن تنادر التكرار الذي اتخذ شكل

ذكريات مسيطرة ليلا و نهارا تتعلق بمشاهد الحدث الصدمي، أطلق عليها جانيه P.Janet مصطلح الذكريات المسيطرة لأنها تسيطر على فكر الفرد. وشكل اجترار عقلي يتمثل في التساؤلات المطروحة حول أسباب الصدمة ونتائجها. وشكل إحساس بمعايشة الحدث مجددا في الأحلام والكوابيس تتعلق موضوعاتها تارة بمشاهد الحدث الصدمي التي تنبعث كومضات تصويرية سريعة لفلم غنية بالتفاصيل و تارة أخرى بمشاهد عنيفة (النار، القتل ،الدم ...) ، يمكن اتخاذها كتعبيرات رمزية للعدوانية ذلك ما قصد إليه باشلار G.Bachelard قائلا: " يتخذ الحلم بالنار دلالة جنسية وعدوانية .((G.Bachelard,1949,P.36

قد تولد سيطرة مشاهد حدث قتل الأب الرغبة في التعرف على قاتل الأب للانتقام منه، حيث غالبا ما تتبلور الأفكار الانتقامية في صورة تقمص بالمعتدي ويعبر عنها بعدوانية تحت شكل سلوكات جانحة مستلهمة مبادئها من مصادر مشاهد الحدث الصدمي. كما يمكن أن تخفف رغبات الانتقام من حالة الألم والضيق النفسي .

وفي هذا السياق إقترح مايوكس Mailloux " مصطلح الأعصبة الاجتماعية للدلالة على السلوكات الجانحة الناتجة عن الصدمات والتقمصات بالنماذج المضادة للمجتمع والاكتسابات الارتكاسية مثل الرغبة في الانتقام من المجتمع ".(R.Mucchielli,1981,P.127) يظهر ذلك من خلال تواتر فئة الرغبة في الانتقام وفئة مشاعر ذنب النجاة من الموت وفئة نبذ المجتمع عند كل الحالات. وفئة الرغبة في التعرف على قاتل الأب عند كل الحالات باستثناء الحالة السابعة و فئة التقمص بالمعتدي عند الذكور دون الإناث الذي قد يفسر على أساس فكرة أن كل المعتدين على الآباء حالات الدراسة رجال.

ومن آثار الحدث الصدمي أيضا انعدام الأمل في المستقبل يظهر ذلك من خلال تواتر فئة ترقب مستقبل مسدود عند جميع الحالات ، مما يوضح أهم التغيرات التي أحدثتها الصدمة على شخصية المراهقين الجانحين المصدومين خاصة على مستوى وظيفة الإحساس بالوجود.

وفي هذا الشأن يقول جيندون J.Gindon: " يعيش الجانح في زمن الحاضر كأنه لا يملك أي إدراك لذاته حيث يقتصر الواقع لديه على الحاضر، فهو دائم العلاقة مع اللذة التي يستعملها تارة ويتجنبها تارة أخرى، لذلك لا يستطيع الجانح إدراك تجربته داخل محتوى فضائي زماني. وإن غياب الاستمرارية في تجارب حياته يشهد عن غياب الاحتفاظ العاطفي لديه للأماكن والموضوعات والأفراد والصور العقلية". (M.Lemay,1973,P.500)

وعلى مستوى وظيفة تصفية المحيط التي دلت عليها نتائج الملاحظة الإكلينيكية بفئة الحساسية للمثيرات عند كل الحالات. والتي تؤكد علاقة اليقظة المفرطة والحذر الشديد و الفزع بمشاعر التهديد التي يعيشها المراهق الجانح المصدوم باستمرار.

وبالنسبة لبعد طبيعة العلاقات الاجتماعية فقد أفصحت عنه نتائج تحليل مضمون

المقابلات بفئة حب العزلة وفئة عدم الرغبة في إقامة علاقات صداقة وفئة توتر العلاقة مع الجيران عند جميع الحالات.

وتعكس النتائج توقف وظيفة الحب والعلاقة مع الآخرين الناتجة عن الصدمة والتي تؤثر سلبا على المراهق الجانح المصدوم، فيعجز عن تأكيد شخصيته التي تتخذ طابع الصلابة والجمود نتيجة انهيار الدعائم النرجسية فتحول بينه وبين حبه لذاته و للآخرين. و تدفعه إلى رؤية الواقع كمصدر تهديد يجبر على صده بسلوكاته الجانحة وميله للعزلة و في السياق ذاته يقول ميكييلي R.Mucchielli :" إن الميزة الأساسية للجنوح الانسحاب الذي يعني تثبيط الميل النزوي الخاص بالطبيعة الإنسانية والمسؤول عن إعداد علاقة عاطفة وصداقة مع الآخر".(M.Lemay,1973,P.505)

ورغم عدم الاستقرار النفسي والاجتماعي تربط حالات الدراسة علاقات جيدة بأفراد أسرهم باستثناء حالة و احدة التي تعيش غياب التواصل العائلي. ويظهر ذلك من خلال نتائج تحليل مضمون المقابلات بتواتر فئة التفاهم مع أفراد الأسرة عند جميع الحالات باستثناء الحالة السادسة وبتواتر فئة الرغبة في مساعدة الأسرة عند الحالة الأولى والثالثة والرابعة والخامسة.

بناء على النتائج التي أسفرت عنها تقنية تحليل مضمون المقابلات الإكلينيكية النصف توجيهية بهدف البحث والملاحظة الإكلينيكية، نستنتج أن جميع حالات الدراسة(مراهقين جانحين مصدومين) تعانى من تناذرات نفسية صدمية ناتجة عن صدمة مشهد قتل الأب المعاشة في مرحلة الطفولة . وأن مرورها إلى الفعل الجانح الذي اتخذ شكل إلحاق الضرر الجسمي بالآخرين وتدمير ممتلكات الآخرين والسرقة وتعاطي مستحضرات مشوشي النفسية والفرار ناتج عن آثار الصدمة (مشهد قتل الأب)، التي أحدثت انهيارا للدعائم النرجسية. ويفصح ذلك عن قابلية شديدة للتعرض سمحت باضطراب الأنا وتسلط الأنا الأعلى الذي اتخذ بنية سادية مازوشية تحل الصراعات فيها عن طريق عدوانية فقدت سندها اللبيدي .

خاتمة

نستخلص أن من بين آثار صدمة (مشهد عنيف) مشهد قتل الأب المعاشة في الطفولة عند المراهقين الجانحين الخاضعين للدراسة، سلوكات جانحة اتخذت شكل إلحاق الضرر الجسمي بالآخرين وتدمير ممتلكات الآخرين والسرقة وتعاطي مستحضرات مشوشي النفسية والفرار.

وإن النتائج المتحصل عليها ليست بقطعية حيث لا يمكن تعميمها لعدم وجود نمط أحادي لشخصية المراهقين الجانحين المصدومين.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية

1- ج لابلانش وج.ب.بونتا لس (1985) ترجمة مصطفى حجازي. معجم مصطلحات التحليل النفسي.د.م.ج.

2- نجم الدين السهرودي (1971). رعاية الشباب.مصر، دارالمعرفة الجامعية، ط1.

3- محمد أبوالعلا عقيدة (1994).أصول علم الإجرام.القاهرة، دارالفكرالعربي، ط2.

المراجع باللغة الفرنسية

4 - Bachelard, G. (1949) . La psychanalyse du feu . France , 9eEd Gallimard.

5-Bailly,L.(1996).Les catastrophes et leurs conséquences psychotraumatiques chez l'enfant.Paris, Ed ESF.

6- Crocq,L.(1999).Les traumatismes psychiques de guerre.Paris,3Ed Odile Jacob.

7-DeAjuriaguerra, J .(1980) . Manuel de psychiatrie de l'enfant. Paris , 2e Ed Masson.

8-Freud,A.(1988).Initiation à la psychanalyse pour éducateurs. Paris,Ed Privat.

9-Giret,G.(1991).Violence et meurtre à l'adolescence. Paris, Ed Universitaire.

10- Gueniche,K.(2002).Psychopathologie de l'enfant . Paris, Ed Nathan.

11-Lemay,M.(1973).Psychopathologie juvénile. Paris,Ed Fleurus,Tome 1.

12- Mazet,Ph et Houzel,D.(1979).Psychiatrie de l enfant et de l'adolescent. Paris,Ed Maloine Volume 2.

13-Marcelli, D et Braconnier, A. (1988). Psychopathologie de l'adolescent. Paris , 2e Ed Masson.

14-Mucchielli, R. (1981).Comment ils deviennent délinquants. France , Ed ESF.

15- Porot, A. (1984). Manuel Alphabétique de psychiatrie. France ,6e Ed PUF.

16-Pepin,L.(1973).La psychologie des adolescents.Toulouse,Privat.

17-Vila,G/Porche,L.MetMouren-Simeoni,Ch.(1999).l'enfant victime d'agression. Paris , Ed Masson.

18-Valleur,M et Matysiak,J.C.(2002).Les addictions. Paris , Ed Armand-Colin.

19-Chelbi,M.(2009) .El Mesred . Glossaire Francais-Arabe. Constantine, Ed Dar El-Faiz.

الذكاء الانفعالي وعلاقته بإدارة الضغوط المهنية لدى مديري المؤسسات التعليمية

أ. رشيد سعاده
جامعة غرداية
الجزائر

ملخص

تهدف الدراسة الحالية إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين الذكاء الانفعالي والقدرة على إدارة الضغوط المهنية لدى مديري المؤسسات التعليمية انطلاقا من التساؤلات الآتية :

-هل توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين مستوى الذكاء الانفعالي ومستوى القدرة على إدارة الضغوط المهنية لدى أفراد عينة الدراسة ؟

-هل تختلف درجات الذكاء الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة باختلاف الجنس والأقدمية المهنية والمرحلة التعليمية ؟

بعد تحليل البيانات إحصائيا تم التوصل إلى النتائج الآتية :

- توجد علاقة ارتباطية موجبة ذات دلالة إحصائية بين مستوى الذكاء الانفعالي ومستوى القدرة على إدارة الضغوط المهنية لدى أفراد عينة الدراسة ،مما يعني أن الذكاء الانفعالي يلعب دورا كبيرا في مواجهة الضغوط المهنية .
- لا تختلف درجات الذكاء الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة باختلاف الجنس.
- تختلف درجات الذكاء الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة باختلاف الأقدمية المهنية.
- تختلف درجات الذكاء الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة باختلاف المرحل التعليمية.

Abstract

The present study attempts to determine whether a relationship exists between the emotional intelligence and the level of work stress management ability of the principals of the Education Facilities. It focuses, specifically, on the relationship between the level of emotional intelligence and the level of work stress management ability of the respondents despite the differences in sex, job experience and school level.

After the analysis of the collected data, the study reveals that there is a positive correlation relationship between the level of emotional intelligence and the level of work stress management ability of the respondents and no significant difference between the respondents in the level of emotional intelligence when analyzed by sex. However, the results show that there is a significant difference between the respondents in the level of emotional intelligence when analyzed by job experience and by school level.

مقدمة

لا شك أن أي إصلاح يستهدف المنظومة التربوية، يتطلب الاهتمام بكل عناصر العملية التعليمية، من أهداف ومنهاج وطرق التدريس، بالإضافة إلى المعلم والمتعلم ، إلى جانب ذلك من الضروري إدخال القائد التربوي "المدير" في دائرة الاهتمام والإصلاح لأنه المحرك الأساس الذي يدير وينظم العمل التربوي.

إن الجزائر من بين المجتمعات التي تسعى جاهدة إلى تحسين تعليمها وتطويره لأنها تؤمن بأن التعليم كفيل بمواجهة التحديات، حيث بدأت سلسلة من

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2012.

الإصلاحات والتجارب في منظومتها التربوية عبر كل المراحل التعليمية، بغية الوصول إلى تحقيق الجودة في التعليم وذلك عن طريق ضمان النوعية والكفاءة في مخرجاته "output"، مما يحقق التنمية الشاملة في المجتمع ولكي تستطيع المؤسسة التعليمية القيام بهذه المهمة النبيلة والجسيمة، يستدعي وجود إدارة مدرسية علمية وحديثة ، تتمثل في مديرها (قائدها) الذي يعتبر سلوكه القيادي عنصرا حيويا في إدارة و تنظيم شؤون المدرسة، وعليه تتوقف فعاليتها وكفاءتها.

كما يعدّ السلوك القيادي للمدير، مفتاح نجاح المؤسسة التعليمية، وإنّ الاختلاف والتباين بين المدارس سواء في المناخ المدرسي العام أم في تحصيل المتعلمين أو في مستوى الرضا المهني لدى المدرسين والعمال ... إنما يعود إلى كفاءة المدير وقدرته على القيادة التربوية، ذلك أن قائد المدرسة الفعّال (المدير)، هو الذي يلهم أعضاء الجماعات المدرسية لبذل الجهود، ويساعدهم على فهم التعقيدات وتوضيح الرؤى، كما يزرع فيهم روح الاستقلالية والمبادرة والثقة بالنفس.

إلى جانب ذالك، يعمل على خلق قنوات الاتصال بينه وبينهم ، كما يرعى حاجاتهم ودوافعهم، وبذالك يوفر المناخ الملائم للتعلم والتعليم، " فالقيادة قدرات، فهي بوصفها عملية تتطلب في من يقوم بها، توافر العديد من المهارات وهي كروح يمكن أن تعم كل أرجاء المدرسة وتشمل كل أفرادها "(أحمد إسماعيل حجي1998).

لقد أصبح من البديهي لدى المختصين في شؤون التربية والتعليم، أن المؤسسات التعليمية تعيش اليوم في ضل عالم معقد يشهد تحولات في كل لحظة، ونتيجة لذلك تغيرت قواعد العمل وظروفه، حيث أصبحت تمثل تحديا كبيرا في مجال إدارة وتسيير الموارد البشرية بشكل عام والقيادة بشكل خاص، ونتيجة لهذه الظروف ظهرت معايير جديدة للتقييم والحكم على الأفراد المتقدمين للوظائف، خاصة القيادية منها ، فلم يعد التركيز على خبرة الفرد ومؤهله العلمي فقط ، بل على مدى كفاءته وقدرته على الصعيدين الشخصي والاجتماعي.

إن مصير مؤسسات التعليم، يتوقف على مدى كفاءة قادتها في الإدارة والتحكم في الضغوط، بل إن تحقيق الأهداف وإدراك السعادة الشخصية والمحافظة على الصحة، تكمن في قوة الأنا والقدرة على مواجهة ضغوط العمل المعقدة، التي تتسم بالتنافس واتخاذ القرارات في ظل مناخ العمل الحديث. (فاروق السيد عثمان. 2001).

إن دور مدير المؤسسة التعليمية اليوم، لم يعد يقتصر على الأعمال الإدارية المختلفة وممارسة سلطة الضبط على العاملين فيها، بل يكمن كما يرى (Fandt) في مسايرة واستيعاب التحولات العالمية السريعة في ميدان عمله، المتمثلة في ظروف السرعة والتعقيد ومختلف الطوارئ التي تأثر في اتجاه ومسار المؤسسة.

.(Fandt .P.M et all.1998.)

أولا : الإطار النظري

1- مشكلة الدراسة :

لقد أصبح من البديهي لدى المختصين في شؤون التربية والتعليم، أن المؤسسات التعليمية تعيش اليوم في ضل عالم معقد يشهد تحولات في كل لحظة، ونتيجة لذلك تغيرت قواعد العمل وظروفه، حيث أصبحت تمثل تحديا كبيرا في مجال إدارة وتسيير الموارد البشرية بشكل عام والقيادة بشكل خاص، ونتيجة لهذه الظروف ظهرت معايير جديدة للتقييم والحكم على الأفراد المتقدمين للوظائف، خاصة القيادية منها، فلم يعد التركيز على خبرة الفرد ومؤهله العلمي فقط، بل على مدى كفاءته وقدرته على الصعيدين الشخصي والاجتماعي،

فالمؤسسة التعليمية اليوم تحتاج إلى قائد أكثر وعيا بذاته ، متفهم فعال في تواصله، إيجابي في علاقاته ، قادر على حل المشكلات ومواجهة الأزمات وإدارة الضغوط اليومية التي تعرقل أداءه المهني، حيث أكدت بعض الدراسات في هذا المجال، ارتباط الضغوط بالغياب وترك العمل واللجوء إلى المهدئات. (حمدي ياسين وآخرون.1999)

كما أصبح موضوع الضغط يحتل الصدارة في البحوث الصحية، النفسية، التربوية والمهنية، لما يشكل من خطورة على حياة الفرد الجسمية والنفسية والعقلية، ومن البديهي أن يحظى موضوع الضغط عند المديرين في المؤسسات التعليمية أيضا باهتمام كبير، لما له من تأثير على فعاليتهم وكفاءتهم في القيادة والإدارة والتنظيم، وبالتالي على مردود المؤسسة التعليمية، هذا من جهة ومن جهة أخرى، لما له من تأثير على صحتهم العامة، فالمديرون بشكل خاص والقادة بشكل عام يتعرضون للضغط والإجهاد أكثر من غيرهم، بحكم مواقعهم الإستراتيجية الحساسة وأدوارهم القيادية المعقدة .

إن ضغوط العمل سمة من سمات العصر الحديث، ونتيجة لإفرازات تفاعلات عناصر المدنية المعقدة ، لذا فإن فعالية المؤسسة التعليمية، تتطلب من قائدها التكيف مع هذه الظروف، من خلال اكتساب مختلف المهارات في القيادة والقدرة على التحكم وإدارة الضغوط اليومية التي تواجهه.

لقد أصبحت الضغوط ترافق المديرين في بيئة عملهم، وتنعكس آثارها على مختلف جوانب الشخصية العضوية والنفسية، وتحد من الأداء الوظيفي خاصة القيادي لديهم، وفي علاقاتهم مع الآخرين، وتكيفهم مع ظروف العمل، مما يتسبب في انخفاض الإنتاجية وتدني جودتها، وبالتالي انخفاض العائد الاقتصادي للمجتمع . .(Bowser ;2000)

لقد أثبتت بعض الدراسات أن المديرين، خاصة في الدول النامية على اختلاف مؤسساتهم، يتعرضون لضغوط عديدة، وأن السلطة الممنوحة لهم لا تتماشى

والمسؤوليات المنوطة بهم، والضغوط التي تواجههم ، مما ينعكس سلبا على أدائهم المهني (القيادي). (كنعان، 1998).

كما أوضحت نتائج العديد من الدراسات ، أن المشرفين المسؤولين عن أفراد آخرين، يعانون من الضغوط أكثر من الأشخاص الذين يتعاملون مع الجوانب الأخرى للمنظمة. (العديلي،1416هـ).

إن شخصية المدير تلعب دورا كبيرا في تخفيف أو زيادة حدة الضغوط ، حيث يتفق الباحثون على أن شخصية الفرد، لها دور كبير في نوعية الاستجابة لمصادر الضغوط المختلفة. (علي،عسكر.2000.).

إن مصير مؤسسات التعليم، يتوقف على مدى كفاءة قادتها في الإدارة والتحكم في الضغوط، بل إن تحقيق الأهداف وإدراك السعادة الشخصية والمحافظة على الصحة، تكمن في قوة الأنا و القدرة على مواجهة ضغوط العمل المعقدة، التي تتسم بالتنافس واتخاذ القرارات في ضل مناخ العمل الحديث. (فاروق السيد، عثمان.2001) .

كما أن قدرة المدير على القيادة، وقدرته على إدارة الضغوط المهنية، مرهونة بامتلاكه إلى جانب القدرات العقلية، مجموعة من الكفاءات والمهارات الشخصية والاجتماعية المختلفة، التي تأهله للقيام بدوره على أحسن وجه.

إن مختلف السمات والمهارات الشخصية والاجتماعية، التي تستدعي ضرورة توفرها في مدير المؤسسة التعليمية، هي ما يطلق عليها اليوم اسم **"الذكاء الانفعالي"**، الذي برز في السنوات الأخيرة كشكل من أشكال الذكاء الحديث، ويتوقع الكثير من الباحثين، أن يكون له أهمية كبرى في مجال القيادة والأداء المهني والصحة النفسية والتوافق النفس الاجتماعي...

حيث يعتقد Gardner أن الذكاء الانفعالي، متغير من متغيرات الشخصية الذي يسهم في النجاح المهني بدرجة تفوق نظيره الذكاء الأكاديمي. (فاروق سيد عثمان، عبد الهادي السيد عبده ،2002).

في حين يرى Cooper أن معظم خصائص الذكاء الانفعالي، تلتقي مع السمات المرغوبة في القائد، حيث أشار إلى أن القائد الذي يتمتع بذكاء انفعالي مرتفع، يكون أكثر نجاحا وله علاقات مميزة، كما أنه يقود بشكل فعال، بالإضافة إلى أنه يتمتع بصحة نفسية جيدة، مقارنة بالقائد الذي يملك مستوى ضعيفا في هذا النوع من الذكاء. (Holly.s.c.2002.).

كما أن القائد الذكي انفعاليا، يتكيف بنجاح أكثر من غيره، لأنه يدرك ويقيم حالاته الانفعالية ، كما أنه يعلم أين ومتى يعبر عن مشاعره، إضافة إلى أنه يملك القدرة والمهارة في تنظيم حالاته المزاجية. Gerald Mathews & Mache Zeidner،2000 .

بناء على ما سبق يتضح أن الذكاء الانفعالي ، يمكن أن يكون مؤشرا قويا ومرادفا

للفعالية والنجاح في مختلف ميادين الحياة وأدوارها، كما يمكن للذكاء الانفعالي أن يساعد الأفراد والمؤسسات على تحسين الأداء والمردودية ، وتحسين الصحة النفسية والعاطفية للأفراد. (مأمون مبيض.2003).

وعليه لقي موضوع الذكاء الانفعالي، اهتماما بالغا من قبل الأوساط العلمية والإعلامية، كما لقي إقبالا كبيرا من المؤسسات الاقتصادية، التجارية والمالية عبر العالم، بغية تحسين مردودها ورفع مستوى أداء عمالها، خاصة القادة منهم، لأنّ الذكاء الانفعالي حسب Oneil ، John، يجعل الفرد يتحكم في انفعالاته ويتخذ قرارات صائبة في حياته، كما يجعل لديه الحافز للبقاء متفائلا، حيث يستطيع مواجهة مشكلات العمل ويكون متعاطفا مع من حوله، إلى جانب ذلك يقيم مع المحيطين به علاقات اجتماعية ناجحة ومنسجمة، كما يستطيع من خلال معرفته بمشاعر وانفعالات المحيطين به، أن يكون قادرا على إقناعهم ومن ثمة قيادتهم.(Oneil، John،1996) .

ومن بين أهم العوامل التي تقف وراء تزايد الاهتمام بموضوع الذكاء الانفعالي، هو ما أشار إليه Austin وآخرون، إلى أهمية النتائج المتوقعة نظريا، عن ارتباط الذكاء الانفعالي بكثير من المتغيرات المهمة، فالمهارات الاجتماعية لدى الأفراد مرتفعي الذكاء الانفعالي، يتوقع أن ترتبط بارتفاع مستوى المواطنة التنظيمية لديهم ، وكذا توطيد العلاقات بين الأفراد وتدعيم روح الفريق والتعاون وتفضيل مصلحة العمل على المصلحة الشخصية، وفي الوقت نفسه فإن تنمية المهارات الشخصية لدى مرتفعي الذكاء الانفعالي، يتوقع أن يرتبط بارتفاع مستوى الرضا الوظيفي وانخفاض مستوى الضغوط والسيطرة على كل مسببات التوتر والقلق لدى العاملين.(Austin، E) .

انطلاقا مما سبق، جاءت فكرة هذه الدراسة التي تبحث في موضوع الذكاء الانفعالي ومدى تأثيره في متغير مهم من وجهة نظر الباحث في المجال التربوي التعليمي، ألا و هو الضغوط المهنية، وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية :

* هل توجد علاقة ارتباطيه ذات دلالة إحصائية، بين الذكاء الانفعالي والقدرة على إدارة الضغوط المهنية ، لدى أفراد عينة الدراسة ؟

* هل يختلف الذكاء الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة، باختلاف الجنس ؟

* هل يختلف الذكاء الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة، باختلاف الأقدمية المهنية؟

* هل يختلف الذكاء الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة، باختلاف المرحلة التعليمية ؟

2- <u>أهداف الدراسة</u> :

سعت هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

– معرفة طبيعة العلاقة بين الذكاء الانفعالي والقدرة على إدارة الضغوط المهنية، لدى أفراد عينة الدراسة.

– الكشف عن الفروق في مستوى الذكاء الانفعالي بين أفراد عينة الدراسة، في ظل متغير الجنس، الأقدمية المهنية و المرحلة التعليمية.

3- أهمية الدراسة

أ-الأهمية العلمية : وتتمثل في :

* الذكاء الانفعالي وهو بعد مهم من أبعاد الشخصية الذي فرض نفسه في السنوات الأخيرة ، بوصفه أحد الصفات الجوهرية للقائد الفعّال ، وكذا مؤشرا قويا للنجاح المهني و الوظيفي للفرد ، بل يعتبره آخرون أنه الموضوع الذي سيحتل الصدارة في أبحاث علم النفس خلال الخمسين سنة المقبلة من هذا القرن.

* تعدّ هذه الظاهرة من أهم الظواهر النفسية التي ميزت العصر الحالي، وهي منتشرة في كل مجالات الحياة خاصة المهنية منها ، إنها الضغوط المهنية التي تعتبر خطرا على صحة أفراد المجتمع ومنظماته.

ب- الأهمية العملية: وتتجلى في ما يلي:

* تشير الدراسات الحديثة، إلى أن الاهتمام بالذكاء الانفعالي، يزيد من فاعلية عملية انتقـاء الأفراد للوظائف خاصة القياديـة منها، وانطلاقا من هذه الحقائق، يمكن إضافة وضع معاييـر موضوعية جديدة، لعملية انتقاء مديري المؤسسات التعليمية، إلى جانب المعايير المعمول بها حاليا.

* لفت انتباه قادة المؤسسات التعليمية (المدارس)، إلى الدور الكبير الذي تلعبه العواطف والانفعالات، في الارتقاء بأدائهم المهني والوظيفي، وكذا في تحقيق الصحة النفسية في المدرسة.

* إن معرفة مدير المدرسة لاستراتيجيات إدارة الضغوط المهنية ، تمكنه من التخفيف من حدتها من أجل التكيف وضمان تحقيق أهداف المؤسسة التعليمية .

4- فرضيات الدراسة

للإجابة عن تساؤلات الدراسة، و بناء على الخلفية العلمية، انطلق الباحث من الافتراضات التالية:

1- توجد علاقة ارتباطيه موجبة ذات دلالة إحصائية، بين درجات الذكاء الانفعالي ودرجات القدرة على إدارة الضغوط المهنية، لدى أفراد عينة الدراسة.

2- تختلف درجات الذكاء الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة باختلاف الجنس .

3- تختلف درجات الذكاء الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة باختلاف الأقدمية المهنية .

4- تختلف درجات الذكاء الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة باختلاف المرحلة

التعليمية .

5- مفاهيم الدراسة

5-1- المفاهيم الأساسية

أ- الذكاء الانفعالي:

منذ ظهور مصطلح الذكاء الانفعالي عام 1990 ، عدّ مفهوما جديدا على التراث السيكولوجي حيث تظافرت جهود العلماء والباحثين، في تحديد تعريف دقيق له، ومن أبرز هذه التعاريف ما يلي :

- يرى Mayer، J.D وSalovey، P أن الذكاء الانفعالي يكمن في : القدرة على الإدراك الدقيق للانفعالات وتقييمها والتعبير عنها، والقدرة على تعميمها لتسهيل التفكير، والقدرة على فهم الانفعال والمعرفة الانفعالية وتنظيم الانفعال لترقية النمو الانفعالي والذهني.

- في حين يعرفه D،Goleman بأنه « قدرتنا في التعرف على انفعالاتنا وانفعالات الآخرين، والقدرة على تحفيز أنفسنا وإدارة الانفعالات بصورة فعالة ، في ذواتنا وعلاقاتنا ».(F ، R & Sala،Boyatzis . 2003)

كما يعتقد أيضا ، أن جوهر الذكاء الانفعالي يتمثل في ما أسماه ، بالكفاءة الانفعالية ، التي يعدّها قدرة مكتسبة ، تؤدي إلى أداء مميز في العمل.

- و يرى أبو حطب أن الذكاء العاطفي هو « قدرة الشخص على قراءة رغبات ومقاصد الآخرين ، حتى ولو لم تكن واضحة ، ويظهر هذا الذكاء في سلوك رجال الدين والقادة السياسيين والمعلمين والمعالجين والآباء والأمهات .(مدثر سليم أحمد ، 2002).

- في حين يرى بشير معمرية ، أن الذكاء الانفعالي يتحدد من خلال ربط الذكاء بالعاطفة ، فهو يعني " توظيف المشاعر والانفعالات بذكاء ، ويتضمن فكرتين هما : أن يجعل الوجدان تفكيرنا أكثر ذكاء ، وأن يكون تفكيرنا ذكيا نحو حالاتنا الوجدانية " بشير معمرية ،2007).

استنتاجا من المفاهيم السابقة يمكن القول أن:

" الذكاء الانفعالي هو الاستخدام الذكي للعواطف والانفعالات، حيث يتضمن ذلك تفاعلا بين القدرات المعرفية والمهارات الشخصية والاجتماعية، مما يساعد الفرد على توجيه سلوكه وتفكيره، بما يزيد من فرص التكيف والنجاح، في مختلف ميادين الحياة ".

ب- إدارة الضغوط المهنية :

تعرض مفهوم الضغط كغيره من المفاهيم ، إلى كثير من التباين عند تحديده ، فقد

عدّه بعض الباحثين مثيرا ، وعدّه آخرون استجابة ، بينما اعتبره فريق ثالث عملية تفاعلية بين المثير والاستجابة (السرطاوي والشخص 1998) .

حيث كان أول اهتمام بموضوع الضغط من خلال دراسات W،Canon سنة 1929 .

كما استخدم Morani مصطلح الضغط stress ، للتعبير عن المحددات البيئيّة المؤثرة في السلوك (محمد، 1999، ص 62) .

يعرّف سيلي Selye ضغط العمل بأنه "الاستجابة الفيزيولوجية التي ترتبط بعملية التكيّف، فالجسم يبذل مجهودا لكي يتكيّف مع الظروف الخارجية والداخلية محدثا نمطا من الاستجابات غير النوعية التي تُحدث حالة من السرور أو الألم" (عبد الفتاح 1999) .

أما كارسيك Karasek فقد عرفها بأنها" متطلبات العمل التي قد تفوق قدرات وطاقات الموظف (الغيص، 1997،).

ويشير بارون Baron إلى أن ضغوط العمل تستخدم للدلالة على حالتين مختلفتين، تشير الأولى إلى الظروف البيئية التي تحيط بالفرد في بيئة العمل وتسبب له الضيق والتوتر، أما الثانية فإنها تشير إلى ردود الفعل الداخلية التي تحدث بسبب هذه المظاهر .(صادق 1414هـ).

ويعرفها توفيق هارون بأنها " الشعور بالوطأة والعبء والثقل الناشئ من مهنة الفرد ومجموعة الصعوبات المباشرة غير المباشرة التي يواجهها الفرد في مهنته وعمله". (توفيق هارون الرشيدي، 1999) .

كما يعرفها صلاح عبد الباقي بأنها " مجموعة من المثيرات التي تتواجد في بيئة عمل الفرد والتي ينتج عنها مجموعة من ردود الأفعال التي تظهر في سلوك الأفراد في العمل أو في حالاتهم النفسية والجسمية أو في أدائهم لأعمالهم نتيجة تفاعل الأفراد مع بيئة العمل التي تتضمن الضغوط " . (صلاح عبد الباقي، 2001).

من خلال التعاريف السابقة يتضح أن هناك تباينا في تحديد مفهوم الضغوط ويمكن أن نميز بين ثلاثة اتجاهات لتعريف الضغوط :

- الاتجاه الأول ويعرف الضغوط على أساس مصادرها حيث يرى بأنها ظروف معينة يمكن عدها ضاغطة لأنها مرتبطة بشكل خاص بنتائج اجتماعية غير مرغوبة وهذه الظروف تؤدي إلى القلق والإحباط والغضب.
- الاتجاه الثاني ويعرف الضغوط على أساس نتائجها، حيث وضع أصحابه قوائم من الآثار التي يمكن أن تنتج عن الأحداث الضاغطة.

- الاتجاه الثالث ويعرف الضغوط على أساس ردود الأفعال حيث يعتقد أصحابه بأن الضغوط عبارة عن مجموعة من الأحداث وردود الأفعال.

5-2- المفاهيم الإجرائية

أ- الذكاء الانفعالي :

نعني به في هذه الدراسة متوسط الدرجة الكلية للمستجيبين ، على بنود مقياس قائمة الكفاءات الانفعالية الإصدار2 لـ :R،D & Boyatzis،Goleman ، الذي يتكون من المحاور الآتية :

- الوعي بالذات - إدارة الذات - الوعي الاجتماعي - إدارة العلاقات الاجتماعية

- العمل الجماعي والتعاون

ب- إدارة الضغوط المهنية:

ونعني بها في هذه الدراسة ، الدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيبون على استبيان إدارة الضغوط المهنية ، الذي أعده الباحث والمتكون من محورين هما .

1- الأساليب الشخصية : وتتكون من أربع استراتيجيات هي :

- الاعتقاد . - ممارسة الرياضة .- نمط الحياة . - الدعم الاجتماعي .

2- الأساليب التنظيمية : وتتكون من أربع استراتيجيات هي :

- تفويض السلطة .- تحديد الأهداف .- اتخاذ القرار - إدارة الوقت .- التفاعل والتواصل.

ثانيا : الإطار المنهجي

1- منهج الدراسة

لما كانت الدراسة الحالية تهدف إلى معرفة طبيعة العلاقة بين مستوى الذكاء الانفعالي و مستوى القدرة على إدارة الضغوط المهنية ، فإن المنهج الوصفي الارتباطي هو الملائم لهذه الدراسة ، لأنه يهدف إلى معرفة وجود علاقة أو عدمها بين متغيرين أو أكثر ، فإن كانت العلاقة موجودة ، فهل هي طردية أم عكسية ؟ سالبة أم موجبة ؟ .(صالح بن حامد ، العساف ،1995) كما ، يسمح لنا هذا المنهج بوصف وتحليل متغيرات الدراسة الأساسية (الذكاء الانفعالي – القدرة على إدارة الضغوط المهنية)

2- حدود الدراسة

أجريت الدراسة الحالية خلال شهر أفريل 2009 على عينة قوامها 180 مديرا للتعليم الابتدائي ، المتوسط والثانوي بولاية ورقلة كما أن المعطيات التي عالجتها

الدراسة والنتائج المتوصل إليها ، مصدرها أداتان أساسيتان هما :

* اختبار مستوى القدرة على إدارة الضغوط المهنية، من إعداد الباحث.

* قائمة الكفاءات الانفعالية ECI v2 للأستاذين:Goleman ، & Boyatzis .

3- عينة الدراسة :

تتكون عينة الدراسة من 180 مديرا للتعليم الابتدائي، المتوسط والثانوي ، يمثلون نسبة 60 % من مجتمع الدراسة حيث تم اختيارهم بالطريقة الطبقية العشوائية لأن مجتمع الدراسة غير متجانس من حيث فئاته المكونة له .

4- أدوات جمع البيانات :

لغرض جمع المعلومات من الميدان تم الاعتماد على أداتين أساسيتين هما :

4-أ - قائمة الكفاءات الانفعالية ECI V 2 .*(2002 . Sala) ،F

وقد تم تطويرها من قبل الأستاذين: Boyatzis.R و Goleman. D سنة 2002 ، وهي عبارة عن استبيان متعدد المصادر، يهدف إلى جمع المعلومات من المستجيبين حول مهاراتهم الانفعالية وسلوكاتهم كأفراد أو كقادة في العمل، وتفاعلاتهم مع الآخرين و تتكون من 72 عبارة منها 63 موجبة و9 عبارات سالبة) حيث تقيس 18 كفاءة ، موزعة على أربعة محاور أساسية . (أنظر التعريف الإجرائي للمفهوم).

*** الخصائص السيكومترية للأداة:**

تم حساب ثبات استبيان الكفاءات الانفعالية.الإصدار 2 بطريقة التجزئة التصفية ، حيث بلغت قيمة معامل الارتباط " ر" برسون 0.64 ، وتم تصحيحه بمعادلة سبيرمان وبراون ، فبلغت قيمته 0.78 .

كما تم حساب صدق قائمة الكفاءات الانفعالية الإصدار2 ، باستعمال طريقة المقارنة الطرفية ، حيث بلغت قيمة* ت* 40.24 ، وهي أكبر من الجدولية عند مستوى الدلالة 0.05 ، مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين ، وبالتالي يمكن القول بأن قائمة الكفاءات الانفعالية ، لها القدرة على التمييز.

4-ب استبيان أدارة الضغوط المهنية :

الأداة الثانية المستخدمة في هذه الدراسة من إعداد الباحث ، وهي عبارة عن استبيان يتضمن مجموعة من الاستراتيجيات الايجابية أو أساليب التوجه نحو الأداء النشط ، و يهدف إلى قياس مستوى القدرة على إدارة الضغوط المهنية في المؤسسات التعليمية ، وهو موجه إلى فئة المديرين .

*** الخصائص السيكومترية للأداة:**

- تم حساب صدق المحك وذلك بتطبيق الاستبيان الحالي إلى جانب مقياس مهارات مواجهة الضغوط الذي أعده كل من عادل السعيد البنا وسعيد عبد الغني ، حيث تم حساب معامل الصدق عن طريق حساب معامل الارتباط بين درجات عينة الدراسة الاستطلاعية في المقياسين ، حيث بلغت قيمته 0.82

- وتم حساب ثبات الاستبيان بطريقة التجزئة النصفية ، حيث بلغ معامل الارتباط 0.74 وهي قيمة ذات دلالة إحصائية ، مما يدل على ارتباط قوي بين نصفي الاستبيان، وعليه نحكم على الأداة بأنها ثابتة

ثالثا- عرض ومناقشة النتائج :

1-عرض وتحليل نتائج الفرضية الأولى

تنص الفرضية على أنه: توجد علاقة ارتباطيه موجبة ذات دلالة إحصائية بين درجات الذكاء الانفعالي و درجات القدرة على إدارة الضغوط المهنية لدى أفراد عينة الدراسة.

جدول رقم 01 يبين معامل الارتباط والتحديد بين درجات الذكاء الانفعالي ودرجات و درجات إدارة الضغوط

البيانات الإحصائية / المتغيرات	ن	ر المحسوبة	معامل التحديد
مستوى الذكاء الانفعالي	180	0.86	0.68
مستوى إدارة الضغوط			

من خلال الجدول ، يتضح أن قيمة ر المحسوبة المساوية لـ [0.86] ، أكبر من ر

الجدولية المساوية لـ [0.20] ، وذلك عند درجة الحرية 178 وعند مستوى الدلالة 0.01 أي بنسبة ثقة 99 % وهذا يدل على أن هناك دلالة إحصائية ، مما يعني وجود ارتباط موجب ذو دلالة إحصائية بين مستوى الذكاء الانفعالي ومستوى القدرة على القيادة التربوية لدى المستجيبين . كما بلغ معامل التحديد [0.74] ، وهذا يدل على أن حوالي75 % تقريبا من التباين في درجات المتغير التابع – إدارة الضغوط المهنية – ، تعزى إلى التباين في درجات المتغير المستقل – الذكاء الانفعالي - .

وبناء على ذلك نقبل فرضية البحث ونرفض الفرضية الصفرية .

ولما كانت القيمة المرتفعة أو المنخفضة لمعامل الارتباط ، تشير فقط إلى درجة العلاقة وليس إلى تفسير هذه العلاقة ، تم استخدام اختبار **ت** ، للكشف عن الفروق بين متوسطي درجات المتغير التابع (القدرة على إدارة الضغوط المهنية) لدى مرتفعي ومنخفضي الذكاء الوجداني ، حيث تم أخذ أعلى وأدنى 27 % من الدرجات على مقياس الذكاء الانفعالي ، حتى يمكن تفسير هذه العلاقة.

جدول رقم 02 يبين نتائج اختبار ت للفروق بين متوسطات درجات المديرين منخفضي ومرتفعي الذكاء الانفعالي في إدارة الضغوط المهنية

البيانات الإحصائية / المتغير المستقل	إدارة الضغوط			
	ن	م	ع	ت مح
مرتفعي الذكاء	49	48.95	7.81	18،40
منخفضي الذكاء	49	24.71	4.90	

نلاحظ من خلال الجدول ، أن قيمة ت المحسوبة المساوية لـ [18.40] ، أكبر من قيمة ت الجدولية المساوية لـ [2.70] ، وهذا عند درجة الحرية 48 وعند مستوى الدلالة 0.01 أي بنسبة ثقة 99 % ، مما يعني وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات القدرة على إدارة الضغوط المهنية لدى المديرين مرتفعي ومنخفضي الذكاء الانفعالي ، لصالح المديرين مرتفعي الذكاء الانفعالي . ويدل ذلك على أن مستوى القدرة على إدارة الضغوط المهنية لدى المديرين، يتأثر بمستوى الذكاء الانفعالي لديهم .

02- مناقشة وتفسير نتائج الفرضية الأولى:

يقرّ الفرض الأول على أنه : " توجد علاقة ارتباطيه موجبة بين الذكاء الانفعالي ومستوى القدرة على إدارة الضغوط المهنية ، لدى المستجيبين " . وبالنظر إلى الجدول رقم 01 ، يتضح أن قيمة ر المحسوبة التي حددت ب 0.86 ، أكبر من قيمة ر الجدولية التي حددت ب 0.20 ، مما يعني وجود ارتباط موجب ذي دلالة إحصائية ، بين مستوى الذكاء الانفعالي للمستجيبين وقدرتهم على إدارة الضغوط المهنية .

كما بلغ معامل التحديد [0.74] ، وهذا يدل على أن حوالي75 % تقريبا من التباين في درجات المتغير التابع – إدارة الضغوط المهنية – ، تعزى إلى التباين في درجات المتغير المستقل – الذكاء الانفعالي - .

كما نستنتج : أن ارتفاع مستوى الذكاء الانفعالي، يقابله ارتفاع في مستوى القدرة على إدارة الضغوط المهنية ، وعليه نقبل فرضية البحث التي تنص على " وجود علاقة ارتباطيه موجبة ذات دلالة إحصائية بين مستوى الذكاء الانفعالي ومستوى القدرة على إدارة الضغوط المهنية لدى أفراد عينة الدراسة " . ومنه يمكننا القول، أن الذكاء الانفعالي للمديرين، يلعب دورا بارزا في قدرتهم على إدارة الضغوط. وهذا ما يؤكده الجدول رقم 02 الذي يظهر، أن هناك فروقا جوهرية في القدرة على إدارة الضغوط المهنية ، بين مرتفعي ومنخفضي الذكاء الانفعالي ، لصالح مرتفعي الذكاء الانفعالي . مما يعني أن المديرين الأذكياء انفعاليا، أقدر على إدارة الضغوط المهنية من نظرائهم، منخفضي الذكاء الانفعالي.

يمكن تفسير هذه النتيجة على أساس، أن المديرين ذوي مستوى الذكاء الانفعالي المرتفع ، يملكون مهارات ايجابية عالية، في مواجهة وإدارة الضغوط، فهم يستطيعون التكيف معها بشكل أفضل من غيرهم ، كما أن كفاءاتهم الانفعالية ، تمكنهم من الانضباط والتحكم في مشاعرهم وانفعالاتهم، وجعلها تحت السيطرة، إلى جانب ذلك ، فهم يتميزون بقدرة عالية على مواجهة وحل المشكلات والتعامل مع مختلف المواقف الضاغطة.

هذا ما يؤكده بعض الباحثين، من أن الأفراد ذوي مستوى الذكاء الانفعالي المرتفع ، يكونون أكثر قدرة على حل المشكلات ومواجهة الضغوط والتغلب عليها، وأقل شعورا بالقلق ، مما ينتج بيئة خالية من مظاهر التوتر والانفعال . Murray& Malgrem، 2005 .

بالإضافة إلى ذلك، يتميز المديرون ذوو الذكاء الانفعالي المرتفع ، بأن لديهم وعيا بذاتهم ، وثقة في أنفسهم، إلى جانب ذلك، القدرة على الهدوء والتخلص من القلق وسرعة الاستثارة، حيث لا يستسلمون للإحباط والفشل، كما تساعدهم مهاراتهم الوجدانية، على إدارة انفعالاتهم وعواطفهم ، كما أنهم قادرون على حث أنفسهم على الاستمرار في مواجهة المشكلات، إضافة إلى أنهم يملكون القدرة على تنظيم حالاتهم

النفسية، ومنع كل أشكال الانفعالات والعواطف السلبية، التي تشل قدرتهم على مواجهة وإدارة الضغوط المهنية التي يواجهونها، ذلك ما أشار إليه Albert Eric ، على أن القائد الفعال هو الذي: يملك القدرة على إدارة الثقل الانفعالي في مختلف المواقف. يملك القدرة على مقاومة الضغوط المختلفة. Eric، A & Jean Luc ، 2002 .

عكس المديرين ذوي الذكاء الانفعالي المنخفض، فإنهم لا يمتلكون مثل تلك المهارات الايجابية، التي تسمح لهم بالتعامل الفعال مع الضغوط، حيث يتميزون بالسلبية، كما أنهم مستغرقون في انفعالاتهم ولا يتحملون المسؤولية، كما أنهم لا يثقون في أنفسهم وقدراتهم، غير مدركين لمشاعرهم، بل يفتقرون إلى القدرة على السيطرة على مشاعرهم، مما يجعلهم أفرادا سلبيين في التعامل مع المواقف الضاغطة.

كما يمكن تفسير هذه النتيجة، على أن إدارة الضغوط المهنية والقدرة على مواجهتها، كما يشير التراث العلمي في هذا المجال، تعتمد كثيرا على نوع شخصية القائد وسماتها المعرفية والوجدانية .

إن مهارات الذكاء الوجداني، تظهر قدرة المدير على ترجمة تلك المهارات، إلى كفاءات وظيفية تساعده على الارتقاء بأدائه المهني، ومن بين مؤشرات هذا الارتقاء، اكتساب القدرة على إدارة الضغوط المهنية ومواجهتها بشكل فعال.

3- عرض وتحليل نتائج الفرضية الثانية

تنص الفرضية على أنه: تختلف درجات الذكاء الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة باختلاف الجنس.

جدول رقم 03 يبين نتائج اختبار ت للفروق بين متوسطات درجات الذكور والإناث في الذكاء الانفعالي

البيانات الإحصائية / الجنس	ن	م	ع	ت المحسوبة
إناث	10	68.02	15.21	2.42
ذكور	170	53.19	19.20	

نلاحظ من خلال الجدول ، أن قيمة ت المحسوبة المساوية لـ [2.42] ، أصغر من قيمة ت الجدولية المساوية لـ [2.57] ، وهذا عند درجة الحرية 178 وعند مستوى الدلالة 0.01 أي بنسبة ثقة 99 % ، مما يعني عدم وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية في درجات الذكاء الانفعالي ، بين الذكور والإناث. ويدل ذلك على أن

مستوى الذكاء الانفعالي لدى المديرين لا يتأثر بنوع الجنس.

وبناء على ذلك ، نرفض فرضية البحث ونقبل الفرض الصفري الذي فحواه (لا تختلف درجات الذكاء الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة باختلاف الجنس).

4- مناقشة وتفسير نتائج الفرضية الثانية

يقر الفرض الثاني:" بوجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الذكاء الانفعالي لدى المستجيبين في ضل متغير الجنس" . وبالنظر إلى الجدول رقم 03 ، يتضح أن قيمة ت المحسوبة التي حددت ب 2.42 ، أصغر من قيمة ت الجدولية التي حددت ب 2.57 ، مما يعني عدم وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية ، بين المستجيبين في مستوى الذكاء الانفعالي في ضل متغير الجنس.

ويدل ذلك على أنه ، لا يوجد اختلاف في مستوى الذكاء الانفعالي ، بين المديرين الذكور والمديرات الإناث، وبناء على ذلك نرفض فرضية البحث ونقبل الفرضية الصفرية، مما يعني أن مستوى الذكاء الانفعالي، هو نفسه لدى الذكور منه لدى الإناث، ويدل ذلك أيضا على أن مستوى الذكاء الانفعالي ، لا يتأثر بمتغير الجنس.

يمكن تفسير هذه النتيجة على أساس، أن الأفراد الذين يمارسون أدوارا قيادية، يسقط بينهم تأثير عامل الجنس، حيث يكون كلا الجنسين سواسية أمام الدور القيادي، الذي يتطلب منهما التحلي بالكثير من السمات والمهارات الشخصية والاجتماعية والفنية، التي تضمن لهم النجاح وارتفاع الأداء المهني، ذلك ما تتطلبه قوانين المنظمة، كما أن الأفراد الأذكياء انفعاليا يستطيعون التكيف بنجاح مع ظروف الحياة الضاغطة، بما يملكونه من مهارات شخصية واجتماعية ضرورية لهذا التكيف، بغض النظر عن كونهم ذكورا أو إناثا .

فالأذكياء عاطفيا من الذكور، متوازنون اجتماعيا وصرحاء ، فهم لا يميلون إلى الاستغراق في انفعالاتهم السلبية ، كالقلق والغضب ، كما أنهم متحملون لكل أشكال المسؤولية، كذلك الذكيات انفعاليا من الإناث، فهن يتصفن بالحسم والتعبير عن مشاعرهن بصورة مباشرة، ويثقن في أنفسهن مثل الذكور، اجتماعيات غير متحفظات ، كما أنهن حريصات، يستطعن التكيف مع المواقف الضاغطة ويمارسن دورهن القيادي على أكمل وجه.

ومما سبق، يمكن أن نستنتج أن : جنس الفرد لا يؤثر في ذكائه الانفعالي ، سواء أكان ذكرا أم أنثى .

5- عرض وتحليل نتائج الفرضية الثالثة

تنص هذه الفرضية على اختلاف درجات الذكاء الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة باختلاف الأقدمية المهنية.

جدول رقم 04 يبين نتائج اختبار ت للفروق بين متوسطات درجات المديرين

مرتفعي منخفضي الأقدمية في الذكاء الانفعالي

البيانات الإحصائية / الأقدمية المهنية	ن	م	ع	ت المحسوبة
> من 11 سنة	78	71.60	12.98	15،96
< من 11 سنة	98	41.71	11.80	

نلاحظ من خلال الجدول ، أن قيمة ت المحسوبة المساوية لـ [15،96] ، أكبر من قيمة ت الجدولية المساوية لـ [2.57] ، وهذا عند درجة الحرية 174 وعند مستوى الدلالة 0.01 أي بنسبة ثقة 99 % ، مما يعني وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات الذكاء الانفعالي لدى المديرين مرتفعي ومنخفضي الأقدمية المهنية، لصالح المديرين مرتفعي الأقدمية . ويدل ذلك على أن مستوى الذكاء الانفعالي لدى المديرين، يتأثر بالأقدمية المهنية لديهم، مما يعني قبول فرضية البحث ورفض الفرضية الصفرية .

6- <u>مناقشة وتفسير نتائج الفرضية الثالثة</u>

يقر الفرض الثالث على أنه : "توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الذكاء الانفعالي لدى المستجيبين ، في ضل متغير الأقدمية المهنية " ، وبالنظر إلى الجدول رقم 4 ، يتضح أن قيمة ت المحسوبة، التي حددت ب 15،96، أكبر من قيمة ت الجدولية، التي حددت ب 2.57، مما يعني وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية بين المستجيبين، في مستوى الذكاء الانفعالي، في ظل متغير الأقدمية المهنية .

ويدل ذلك على أنه، توجد فروق في مستوى الذكاء الانفعالي ، بين المديرين مرتفعي ومنخفضي الأقدمية، وبناء على ذلك نقبل فرضية البحث ونرفض الفرضية الصفرية، مما يعني أن مستوى الذكاء الانفعالي، يختلف بين المديرين مرتفعي ومنخفضي الأقدمية ، لصالح المديرين مرتفعي الأقدمية ، وهذا يدل على أن مستوى الذكاء الانفعالي يتأثر بمتغير الأقدمية المهنية.

يمكن تفسير هذه النتيجة على أنه، يمكن اكتساب مهارات الذكاء الانفعالي مع مرور الخبرة، والخبرة بدورها تعني الممارسة وتجريب مختلف المواقف، والدخول في تفاعل اجتماعي مع الآخرين، مما يسمح للمديرين، بأن يكونوا أكثر حنكة وحكمة، وأكثر وعيا بمشاعرهم وانفعالاتهم، كما تمكنهم الخبرة، من اكتساب القدرة على فهم الآخرين والتعاطف معهم ، والقدرة على التواصل وبناء علاقات بناءة ومثمرة، ومع الخبرة أيضا تتبدد الانفعالات السلبية والضغوط المهنية للمديرين، وتشعرهم بالتحكم في زمام الأمور، حيث تتولد لديهم الثقة بالنفس

والنظرة الإيجابية للذات والتفاؤل وأخذ المبادرات ، مما يجعلهم أقدر الناس على قيادة المدرسة ، ومواجهة كل أشكال الضغوط فيها .

كما يمكن تفسير هذه النتيجة على أساس، أن المديرين قليلي الخبرة ، يعتقدون أن دورهم المهني القيادي يتطلب منهم التميز، وذلك من خلال امتلاك المهارات الفنية فقط ، بينما المديرون الذين يملكون الأقدمية المهنية المرتفعة، يعتقدون أن النجاح والتميز في الأداء المهني والقيادي، متوقف على ما يمتلكونه من مهارات شخصية واجتماعية ، إلى جانب المهارات الفنية.

7- عرض وتحليل نتائج الفرضية الرابعة

تنص الفرضية على اختلاف درجات الذكاء الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة باختلاف المرحلة التعليمية .

جدول رقم 05 يبين نتائج اختبار ف للفروق بين متوسطات درجات مديري التعليم الابتدائي ، المتوسط والثانوي في الذكاء الانفعالي

البيانات الإحصائية / المرحلة التعليمية	ن	مجموع المربعات	متوسط مجموع المربعات	ف المحسوبة
ابتدائي	122	36271،44	18135،72	
متوسط	44	35001،33		92،23
ثانوي	15	71272،77	196،63	

نلاحظ من خلال الجدول ، أن قيمة ف المحسوبة المساوية لـ [92،23] ، أكبر من قيمة ف الجدولية المساوية لـ [4.75] ، وهذا عند درجة الحرية 180 وعند مستوى الدلالة 0.01 أي بنسبة ثقة 99 % ، مما يعني وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الذكاء الانفعالي لدى مديري التعليم الابتدائي ، المتوسط والثانوي . ويدل ذلك على أن مستوى الذكاء الانفعالي لدى المديرين ، يتأثر بالمرحلة التعليمية التي ينتمون إليها .

8- مناقشة وتفسير نتائج الفرضية الرابعة

يقر الفرض الرابع على وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الذكاء الانفعالي لدى المستجيبين في ضل متغير المرحلة التعليمية " ، وبالنظر إلى الجدول رقم 05 ، يتضح أن قيمة ف المحسوبة ، التي حددت ب 92،23 ، أكبر من قيمة ف الجدولية ، التي حددت ب 4.75، مما يعني وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية بين المستجيبين، في مستوى الذكاء الانفعالي، في ضل متغير المرحلة التعليمية .

ويدل ذلك، على وجود اختلاف في مستوى الذكاء الانفعالي، بين مديري التعليم الابتدائي، المتوسط ومديري التعليم الثانوي، لصالح مديري التعليم الثانوي، وبناء على ذلك نرفض الفرض الصفري ونقبل فرضية البحث، مما يعني أن مستوى الذكاء الانفعالي، يرتفع

كلّما ارتقينا سلم المراحل التعليمية، ويدل ذلك أيضا على أن مستوى الذكاء الانفعالي يتأثر بمتغير المرحلة التعليمية.

يمكن تفسير هذه النتيجة، على أساس أنه توجد بعض الاختلافات في البيئة المدرسية، بين المراحل التعليمية الثلاث، وتكمن هذه الاختلافات، في أن البيئة المدرسية تتسع وتتعقد كلما ارتقينا في السلم التعليمي ، بمعنى أنه وبالنسبة إلى مدير التعليم الثانوي، تستجد في مؤسسته مواقف ومشكلات أكثر تعقيدا ، من مشكلات التعليم المتوسط التي بدورها تتعقد بيئتها أكثر، من بيئة التعليم الابتدائي ، مما يجعل المدير مصمما على التكيف وإثبات ذاته ، كقائد قادر على مواجهة كل أشكال التحدي ، التي يفرضها عليه دوره القيادي ، مما يجعله يتحلي بالكثير من المهارات الوجدانية (الذكاء الانفعالي) ، التي تعينه على مواجهة المشكلات وكل أشكال التعقيد التي تظهر في مؤسسته ، ومن بين هذه المهارات التي تجعل من المدير قائدا فعالا يتحكم في زمام الأمور ، أن يكون واعيا بذاته ويحسن إدارتها ، وواعيا بمن حوله ، حيث يتصرف وفق هذا الوعي ، إلى جانب ذلك الوعي الاجتماعي ، الذي يجعله متفهما ، متعاطفا مع الآخرين بالإضافة إلى ذلك ، مهارة إدارة العلاقات الاجتماعية ، التي تجعل منه قائدا فعالا في تفاعله وتواصله مع الآخرين، ولاشك أن هذه المهارات وغيرها، ضرورية للقائد التربوي .

خاتمة

إن جوهر ما توصلنا إليه في هذه الدراسة ، يتجلى في أن الذكاء الانفعالي يلعب دورا بارزا في البيئة التربوية ، ذلك لما له من أثر كبير على قدرة المدير على إدارة ومواجهة الضغوط ، وانطلاقا من العلاقة الارتباطية القوية الموجودة بين متغير الذكاء الانفعالي و متغير إدارة الضغوط " يمكن التنبؤ بمستوى المديرين في القدرة على إدارة ومواجهة الضغوط من خلال معرفة مستوى ذكائهم الانفعالي " .

كما توصلنا في هذه الدراسة إلى أن الذكاء الانفعالي لا يختلف لدى أفراد عينة الدراسة ، باختلاف الجنس .إلا أنه بالمقابل يختلف الذكاء الانفعالي باختلاف كل من الأقدمية المهنية والمرحلة التعليمية .

المراجع :

1 - أحمد إسماعيل حجي(1998).إدارة بيئة التعليم والتعلم ، ط1 ، القاهرة : دار الفكر العربي.
2- السرطاوي، زيدان والشخص، عبد العزيز (1998). الضغوط النفسية وأساليب المواجهة والاحتياجات لأولياء أمور المعاقين، العين: دار الكتاب الجامعي.
3- الغيص، منى راشد (ربيع،1997). تحليل الضغوط المهنية التي تتعرض لها القيادات الإدارية من السيدات في الجهاز الحكومي (دراسة تحليلية) ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، السنة 22 ن ، العدد.85
4- العديلي، ناصر محمد (1416). السلوك الانساني والتنظيمي.الرياض: معهد الادارة العامة.
5- بشير، معمرية (2007). الذكاء الوجداني ، مفهوم جديد في علم النفس. مجلة بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس . الجزائر : منشورات الحبر.ج.3
6- توفيق، هارون الرشيدي (1999). الضغوط النفسية، القاهرة: زهراء الشرق.
7- حمدي ، ياسين .وآخرون (1999). علم النفس الصناعي والتنظيمي بين النظرية والتطبيق. ط1 ، دار الكتاب الحديث.
8- كنعان، نواف (1998).اتخاذ القرارات الادارية بين النظرية والتطبيق. ط5 ، عمان : مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع.
9- مأمون ، مبيض (2003). الذكاء العاطفي والصحة العاطفية. ط1، بيروت: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
10- مدثر سليم أحمد (2002). الوضع الراهن في بحوث الذكاء ، الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث .
11- صادق،حصة محمد (1414). التوتر في العمل لدى مديري ومديرات المدارس القطرية، حولية كلية التربية جامعة قطر.العدد 10 ص ص، 96-.136
12- صلاح، عبد الباقي (2001). قضايا إدارية معاصرة ، القاهرة: الدار الجامعية.
13- صالح بن حامد العساف (1995).المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية ، ط1، الرياض : مكتبة العبيكان.
14- عسكر على (2000). ضغوط الحياة وأساليب مواجهتها، ط2، دار الكتاب الحديث.
15- عبد الفتاح دويدار(1999).علم النفس الاجتماعي –أصوله ومبادئه، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية .
16- فاروق السيد عثمان ،عبد الهادي السيد عبده (2002). القياس والاختيارات النفسية ط1 ، القاهرة : دار الفكر العربي .
17- فاروق السيد عثمان (2001). القلق وإدارة ضغوط النفسية ، ط1 ، القاهرة: دار الفكر العربي.

18- Agustin‹E et all. (2005) Personality‹WELL-Being and health correlates of trait emotional intelligence. Personality and individual difference. Vol.38, pp547- 558.

19- Bowser,Philip (2000).Stress management:Getting stronger handling the load. NEA today.19(2),33.

20- Boyatzis, R & Sala,F(2003). Assessing emotional intelligence competencies .To appear in Glenn Geher (ed.).The measurement of emotional intelligence. Hauppauge, NY: Nova science publisher. www.eiconsortium.org..

21- Eric, A & Emery, J.L (2002).. Le manager est un psy. paris. Edition d

Organisation.22- Fandt, P.M et all (1998). Management, challenges in the 21 century. USA, International Thomson publishing.

23- Gerald,M & Mache,Z(2000).Emotional intelligence: Adaptation to stressful encounters and health outcomes. In Bar-On,R&Jaimes,D,A.Parker. The hand book off emotional intelligence:Theory,development,assassment and application at home, school and in the work place. Jossey-Bass.sanfrancisco.

24- Holly,S.C. An exploration of emotional intelligence scores among student in educational administration endorsement programe.Doctoral dissertation,East Tennessee state university.2002. http://etd-submit.etsu.edu/

25- Oneil,John(1996). On emotional intelligence; A conversion with Daniel

Goleman . journal of educational leadership.Vol,54,N1, P1-6

26- Murray,C & Malgrem,K . (2005).Implementing teacher-student relationship program in a high-poverty urban school: journal of school psychology,Vol.43,pp.137-152

27- Mayer, J.D & Salovey,P. (1997).What is emotional intelligence? In Salovey,P & Slyter, D (ed.). Emotional development and emotional intelligence: Educational implication, NY. Basic books.

28- Sala ,F. (2002).Emotional intelligence inventory: Technical manual. Hay

group. Mc Clelland center for research and Innovation..

مجلة العلوم الإنسانية — عدد 38 – ديسمبر 2012، ص.ص.177- 194

فعالية برنامج إرشاد جماعي في تحسين مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين

أ. فاطمة مقدم
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة سطيف2
الجزائر

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى استقصاء فعالية برنامج إرشاد جماعي يستند إلى النظرية العاطفية العقلانية السلوكية لألبرت اليس في تحسين مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين. تكونت عينة الدراسة من 16 حدثا جانحا ممن تحصلوا على درجات متدنية على مقياس تنسي لمفهوم الذات لفيتس، وتم تعيينهم عشوائيا على المجموعة التجريبية التي طبق عليها برنامج الإرشاد الجماعي والمجموعة الضابطة التي لم يطبق عليها أي إجراء.

استخدمنا في هذه الدراسة مقياس تنسي لمفهوم الذات لفيتس، والمقابلة لتحضير أفراد المجموعة التجريبية للمشاركة في برنامج الإرشاد الجماعي من إعداد الباحثة.

تم استخدام الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS لتحليل النتائج ، وباستخدام اختبار "ت" للفروق بين المتوسطات وجدنا فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.01 في مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة، وهذا دليل على فعالية برنامج الإرشاد الجماعي في تحسين مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين.

Abstract

The purpose of this study is to determine the effectiveness of a group counselling program based on Albert Ellis Rational Emotive Behaviour Theory to improve juvenile delinquents' self concept. The Sample population consisted of 16 delinquents who obtained lowest scores on the Tennessee Self Concept Scale of Fitts devised randomly into two groups, experimental and control group.

مقدمة

تعد ظاهرة جنوح الأحداث من الظواهر النفسية الاجتماعية الخطيرة التي تنخر جسد كل المجتمعات سواء أكانت متطورة أم نامية، فوفقا لأغلب التقارير فإن معدل الجريمة قد ارتفع في كل المجتمعات تقريبا، وبالخصوص المجتمعات الصناعية، وأيضا المجتمعات التي يوجد بها ثغرات بين طبقة الأغنياء والفقراء، حيث لا يمكن أن نفتح جريدة أو نشاهد تلفازا أن تسوقفنا تقارير عديدة عن أعمال إجرامية مختلفة، ممّا

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2012

Three research tools were used to determine the effectiveness: the Tennessee Self Concept Scale of Fitts, the Interview, and the Group Counselling Program. The SPSS was used to analyse the data of the study. The results show that there is a significant difference between the experimental and the control group in delinquents self concept, which means that there is a great effect of the group counselling program on improving delinquents self concept.

يؤدي بنا إلى تفكير وتأمل في شخصية الجاني وفي بعض الأحيان حتى في ضحاياه. (Furnham &Heaven, 1999)

فكما تشير إحصائيات محكمة الأحداث بالولايات المتحدة الأمريكية لسنة 2003 فقد سجّل حوالي 1,7 مليون حالة جنوح سنة 1999، أكثر من نصف هذه الحالات تورط فيها شباب تقل أعمارهم عن 16سنة. بالإضافة إلى أن ما يقارب ربع العدد الإجمالي من الحالات أي 24% قد تورط فيها إناث، وكانت أغلب الحالات التي أحيلت على محكمة الأحداث تتعلق بجرائم ضد الممتلكات وذلك بـ42% متبوعة بجرائم ضد النظام العام بـ23% وجرائم ضد الأشخاص بـ 23% ثم تعاطي المخدرات والكحول بـ11%.(Bartol&Bartol, 2005)

والجزائر مثلها مثل باقي الدول لم تسلم من هذه المشكلة، التي تطورت بشكل مذهل ورهيب خاصة خلال العشريتين الأخيرتين، فحسب إحصائيات الدرك الوطني لسنة 2007 فقد تم توقيف أكثر من 2000 حدثا جانحا، وقد تراوحت المخالفات المسجلة بين الضرب والجروح عمديه، و السرقة و تكوين جمعية أشرار وانتهاك للأعراض، وتحطيم أملاك الآخرين وأملاك الدولة و حالات عنف. وتتصدر القائمة مدينة الجزائر العاصمة بتسجيلها لأكبر عدد من الحالات، ثم مدينة سطيف، وتليها مدينة وهران، ثم مدينة ورقلة ومدينة باتنة. (Amel Bouakba, 2008).

إنّ الجنوح هو كل فعل يعاقب عليه القانون، يقوم به حدث لم يتجاوز عمره الثامنة عشر والذي إن اقترفه شخص راشد عاقبه القانون بالسجن، أما الحدث الجانح فيحكم عليه قاضي الأحداث، بوضعه في المراكز المتخصصة لإعادة التربية أو مراكز حماية الطفولة، وتتراوح الأعمال الإجرامية التي تصدر عن الحدث الجانح من جرائم ضد الأشخاص إلى جرائم ضد الممتلكات، إلى جرائم تعاطي المخدرات، إلى جرائم ضد النظام العام إلى الجرائم القانونية.

ويمكن إرجاع جنوح الأحداث إلى العديد من العوامل، حيث يركز علماء الاجتماع على العوامل الاجتماعية، بينما يركز علماء النفس على العوامل النفسية مما أدّى بالمتخصصين في جنوح الأحداث إلى الربط بين اكتساب السلوك الجانح واكتساب مفهوم منحرف عن الذات، ولذلك يأخذ البعض بعين الاعتبار مفهوم الذات بوصفه أساسا للتنبؤ بجنوح الأحداث حيث وجد فيتس وهامر Fitts&Hammer علاقة بين تقدير الذات والشذوذ النفسي كما وجد جوبلين بأن مفهوم الذات يعدّ عنصرا أساسيا وفعالا في جنوح الأحداث.(Eyo ,1981)

يعرف فلكر Felker(1974) مفهوم الذات بأنه مجموع الأفكار التي يحملها الفرد عن

نفسه، وهو عبارة عن مجموعة فريدة من الإدراكات والأفكار والاتجاهات التي يكونها الفرد عن نفسه، والتي تختلف عن فكرة الآخرين عنه.

ويقرر كلابريس (1987) بأن الحدث الجانح الذي يتورط في سلوكيات جانحة يتصف في الغالب بالتهميش، والتسرب المدرسي، أو عدم الفعالية في دراسته، ويكون ضد السلطة، ولديه ميول انتحارية، يتعاطى المخدرات والكحول ويرفض المعايير المؤسسة من الأسرة والمدرسة والمجتمع عموما.
(Kenneth ST, Levy, 1997)

كل هذه الخصائص يمكنها أن تعكس حالة مفهوم الذات لدى المراهق الجانح، فكثير من الجانحين لا يحبون أنفسهم، ويرون أنفسهم كسالى سيئين وجهلة، كما يشعرون بأنهم غير أكفاء منبوذون عاطفيا ويتعرضون لإحباط حاجاتهم إلى التعبير عن الذات وينعكس ذلك في سمات دفاعية مثل التمرد وعدم الاستقرار والكراهية، والميل إلى التخريب والتدمير كما يتّسمون بالاندفاعية ويفتقرون إلى القدرة على ضبط الذات والسيطرة على النفس. (بول مسن وآخرون، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة،1993)

ويعدّ اريكسون Erikson(1968) أزمة الهوية مشكلة مركزية في مرحلة المراهقة حيث تعتبر فترة تشويش وتمرد ويجب أن توجد لها حلول خلال هذه المرحلة، فإذا فشل المراهق في تحقيق ذاته وحل صراعاته، فإنه سيكوّن مفهوما سلبيًا عن ذاته، خاصة إذا أدرك بأنه غير محبوب وغير مقبول من الآخرين، وبالخصوص من الأشخاص المهمّين في حياته وقيّم نفسه على أنه شخص فاشل وغير كفء، وتنقصه المهارات الاجتماعية خاصة إذا كان يعاني من التأخر الدراسي أو التسرب المدرسي.

لقد طور كل من ركلس ودينيتز وميراي Murray & Dinitz & Recless فرضية تقول بأن مفهوم الذات يرتبط بالجنوح وذلك إما بعزل الفرد وحمايته من التورط في السلوكيات الجانحة أو بزيادة قابليته للهشاشة النفسية. وهذا يعني أن الفرد الذي يكون مفهومه عن ذاته ايجابيا يكون سلوكه أكثر توافقا وأقل جنوحا من الذي يكون مفهومه عن ذاته سلبيا.

وفي هذا الصدد نجد الكثير من الدراسات التي تناولت مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين وتوصلت بأن الجانحين يحملون مفهوما متدنيا عن الذات مقارنة بالأحداث غير الجانحين، من هذه الدراسات نجد دراسة إيو(1984) Eyo، ودراسة طومبسون (1974) Thompson ودراسة كنيث (1997) Kenneth ودراسة ايفانز وآخرون (1991) Evans& Al ودراسة قريفين والطالب (1994) Grefin & Al Talib ودراسة ادامز وآخرون (2003)Adams & Al وغيرها من الدراسات.

لقد أكد العلماء على دور مفهوم الذات في إدراك الفرد لنفسه، و بيئته وتوجيه سلوكه الأمر الذي دعا إلى وضع مسلّمة مفادها، أن إدراكات الفرد لخصائص شخصيته وقدراته وقيمه ومثله وأهدافه، وأسلوبه في الحياة وحدة كلية تؤثر في سلوكه وتنظمه وتوجهه كما تؤثر في توافقه وفعاليته، فالأشخاص الذين ينظرون إلى أنفسهم

بوصفهم أشخاصا غير مرغوب فيهم يميلون إلى القيام بسلوك يتناسب مع هذه النظرة والأشخاص الذين لديهم مفاهيم ايجابية يتمكنون من التوافق الاجتماعي، ولديهم اهتمام بالآخرين، ولا يتصرفون تصرفات هوجاء لأن القيام بمثل هذا السلوك يضر بالذات نفسها، وبالتالي فإن الكيفية التي يدرك بها الفرد ذاته تؤثر في الطريقة التي يسلك بها وتؤثر في إدراكه لبيئته باعتبارها بيئة محبطة أو بيئة يشعر فيها بالأمن والطمأنينة (محمود عطا حسين، 1987) .

ولكون أغلب الأحداث الجانحين يعانون من تدني في مفهوم الذات، أصبحت الدراسات تهتم بتطوير مفهوم ايجابي عن الذات لوقاية الأحداث من الدخول إلى عالم الجريمة، وكذلك الاهتمام بتغيير وتحسين مفهوم الذات لدى الحدث الجانح حتى يتخلص من السلوكيات الجانحة وتحميه من العودة إلى الجريمة.

ويؤكد كارل روجرز C.Rogers صاحب نظرية الذات والإرشاد المتمركز حول العميل بأن مفهوم الذات رغم تميزه بالثبات النسبي إلا أنه يتغير وبشكل متواصل نتيجة للتفاعلات التي تحدث بين الفرد و الآخرين وأيضا نتيجة التعلم من الخبرات التي يمر بها في حياته وأيضا نتيجة الاستفادة من خدمات العلاج والإرشاد النفسي.

ويرى بيرنز ودوبسن (Burns&Dobson(1984 أن تطوير مفهوم إيجابي عن الذات هو عمل مهم وجوهري للعمل المتوافق والفعال، إذ يؤثر في القدرة على التفاعل بشكل ايجابي مع الآخرين، ويؤثر في التحصيل الدراسي في المدرسة، وفي العمل، ويؤدي إلى التحرر من الضغوط والتوتر الذي يقود إلى العصاب أو إلى الجنوح.

في هذا الإطار نجد الدراسة التي قام بها ايتزن (1976) Eitzen حول التغيرات في مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين الذين خضعوا لبرنامج تعديل السلوك، وقد كان هذا التغير ايجابيا وكان مصاحبا لإدراك الأحداث الجانحين لتقييم الآخرين عنهم.

كما أظهر كل من شور وماسيمو وريكس (1965) Shore&Massimo &Ricks أنه بتغيير مشاعر الجانحين حول قدراتهم وكفاءاتهم، فإن تقديرهم لذواتهم يتغير نحو الأحسن وتبعا لذلك يتغير إدراكهم لرموز السلطة.(Burns & Dobson, 1984)

وفي دراسة قام بها كيريش (1978) Kerich للتعرف على أثر برنامج إرشاد الأقران على الأحداث الجانحين في مراكز التأهيل والإصلاح، تبين أن هناك فروقا واضحة بين المجموعة التي تعرضت للبرنامج والمجوعة التي لم تتعرض للبرنامج حيث برز تحسنا واضحا وملحوظا في كل من مفهوم الذات وأداء المهمات والواجبات اليومية لدى الأحداث الجانحين.(عدنان العتوم وعدنان الفرح، 1995)

كما هدفت الدراسة التي قامت بها تيندال ليند (1999) Tyndall –Lind إلى مقارنة فعالية العلاج الجماعي باللعب مع الأقران مع العلاج الفردي باللعب في تحسين مفهوم الذات لدى الأحداث المعرضين للعنف المنزلي وخفض مشاكلهم السلوكية مثل العدوانية والجنوح. وقد أسفرت النتائج عن تحسن في مفهوم الذات وانخفاض في

المشاكل السلوكية (العدوانية والجنوح)، كما تبين بأن كل من العلاج الفردي والعلاج الجماعي كان لهما الفعالية نفسها.

ولغرض التعديل من السلوكيات الجانحة للشباب كانت الدراسة التي قامت بها كيتين ليزا وآخرون (2002) Keating&Al حيث هدفت للتأكد من فعالية برنامج يقدم النصح يوجه للشباب المعرض لخطر الجنوح، تراوحت أعمارهم من 10 إلى 17سنة تكونت عينة الدراسة من 34 شابا يشكلون المجموعة التجريبية التي شاركت في البرنامج و34 شابا يشكلون المجموعة الضابطة التي لم تشارك في البرنامج. وقد استغرقت الدراسة 6 أشهر واستخدمت مقياس بيرس هاريس لمفهوم الذات ومقياس التقرير الذاتي للجنوح وقد اعتمدت على الأسلوب الإحصائي لتحليل التباين لقياس التغير بين القياس القبلي والقياس والبعدي، وقد دلّت النتائج على وجود تحسن يعود لتأثير البرنامج.

ويرى بيتر رينولدز (Reynolds(1985 بأن أولئك الذين يشعرون بأنهم على ما يرام تجاه أنفسهم من المحتمل أن يتعاملون بفعالية أكثر مع المشاكل، وهو يعتقد أنه عندما يعزز مفهوم الذات فإن المشاكل ستبدو أقل خطورة. وفي هذا الصدد كانت دراسة فرايرر وآخرون (Fryrear & Al(1977 التي هدفت لتحديد الأحداث الجانحين من الذكور الذين حصلوا على أدنى الدرجات على مقياس تنسي لمفهوم الذات وخاصة الذات الاجتماعية، والقيام بتعزيز مفهومهم عن أنفسهم و ذلك من خلال برنامج تصوير فوتوغرافي وتقديم التغذية الراجعة، والتفاعل الاجتماعي الناجح.

والإرشاد الجماعي من أهم الطرائق المتبعة لتقديم المساعدة للأحداث الجانحين لكونه عملية ديناميكية تهدف إلى تحقيق أهداف إرشادية محددة من خلال التفاعل بين أعضاء الجماعة الذين يواجهون صعوبات أو مشكلات متشابهة.

ومن أهدافه تعليم أعضاء المجموعة مهارات الاتصال والتواصل وتعليمهم طرق حل المشكلات وتعديل سلوكياتهم بطريقة غير مباشرة ومساعدتهم على التكيف مع الرفاق وأفراد الأسرة والمجتمع، و تعليمهم طرق التفاعل الاجتماعي وتنمية الاعتماد على النفس، وحب مساعدة الآخرين والثقة بالنفس وغيرها من المهارات (صالح حسن الداهري، 2005).

وقد أشار كوري Corey (1990) إلى أهم الأهداف التي تشترك فيها المجموعات الإرشادية منها ما يلي:

- زيادة معرفة الذات.

- معرفة الحاجات والمشكلات المشتركة لدى أعضاء المجموعة.

- زيادة تقبل الذات والثقة بالنفس واحترام الذات مما يساعد على التوصل إلى رؤية جديدة.

- إيجاد طرق بديلة للتعامل مع تطور المشكلات وحل بعض الصراعات.
- يصبح الفرد أكثر إدراكا بالاختيارات مما يساعد في عمل اختيارات جديدة.
- وضع خطط خاصة لتغيير بعض السلوكيات ومتابعة تلك الخطط.
- تعلم مهارات اجتماعية جديدة.

1-هدف الدراسة وأهميتها:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أثر برنامج إرشاد جماعي في تحسين مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين، ويستند هذا البرنامج إلى النظرية العاطفية العقلية السلوكية لألبرت أليس، والتي تركز على تعديل الأفكار غير العقلانية والتي غالبا ما تكون أفكارا لا تكيفية، ومن ثم تعديل الانفعالات والسلوكيات، ويكون ذلك بتطبيق برنامج إرشاد جماعي، هدفه تحسين مفهوم الذات لدى مجموعة من الأحداث الجانحين المودعين في مركز للإصلاح والتأهيل، حيث يفترض عند تحسن مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين أن يصبحوا أكثر تقبلا لذواتهم وللآخرين، وأكثر تحملا للإحباط فتقل تبعا لذلك سلوكياتهم الجانحة.

وتتمثل أهمية هذه الدراسة في أنها تتناول فئة من فئات المجتمع التي لم تحظ بحظ وافر من الاهتمام من قبل الباحثين وهم الأحداث الجانحين. وقد جاءت بوصفها محاولة لتحسين مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين بإخضاعهم لبرنامج إرشاد جماعي يستند للنظرية العاطفية العقلانية السلوكية لألبرت أليس، على اعتبار أن التحسن في مفهوم الذات يؤدي للتقليل من السلوكيات الجانحة، وعدم العودة للجنوح. كما يمكن لنتائج هذه الدراسة أن تشكل منطلقا للمتخصصين في مجال الإرشاد النفسي وعلم النفس الاجتماعي للتخطيط لمختلف البرامج التي توجه للأحداث الجانحين المتواجدين في مراكز إعادة التربية، سواء تعلق الأمر ببرامج علاجية أم ببرامج وقائية.

2- أسئلة الدراسة

هدفت الدراسة إلى تحديد فعالية برنامج إرشاد جماعي الذي يستند إلى النظرية العاطفية العقلية السلوكية لألبرت أليس في تحسين مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين، وحاولت الإجابة عن الأسئلة التالية:

1-هل هناك فروق في مفهوم الذات بين أفراد المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في القياس البعدي؟

2- هل هناك فروق في مفهوم الذات بين أفراد المجموعة التجريبية بين القياس القبلي والقياس البعدي؟

3- فرضيتا الدراسة

الفرضية الأولى: توجد فروق في مفهوم الذات بين أفراد المجموعة التجريبية

والمجموعة الضابطة في القياس البعدي.

الفرضية الثانية: توجد فروق في مفهوم الذات بين أفراد المجموعة التجريبية بين القياس القبلي والقياس البعدي.

4-الطريقة والإجراءات

4-1- المنهج المستخدم

يتم اختيار المنهج وفقا لطبيعة الموضوع، والمنهج الذي يتناسب مع موضوع بحثنا هو المنهج التجريبي، حيث تستهدف الدراسة التجريبية جمع المعلومات وتنظيمها بشكل يؤدي إلى إلقاء الضوء على مدى صحة الفروض، وترجع كفاية هذا المنهج في أنه يسمح بتكرار الملاحظات تحت شروط واحدة عمليا وهذا ييسر تحقيق الملاحظات بواسطة كثير من الملاحظين، كما يُمكّن الملاحظ من أن يفترض شرطا واحدا فقط في الوقت نفسه ويبقي على جميع الشروط الأخرى ثابتة بدرجة كبيرة (محمود عبد الحليم منسي وسهير كامل احمد،2002).

ولتحقق المنهج التجريبي كان لا بد من استخدام عينتين متساويتين هما المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة، وتمت المعالجة التجريبية للمتغير التجريبي الذي يراد الكشف عن تأثيره، بينما تم ضبط المجموعة الضابطة دون التعرض لها، وتعرضت المجموعة التجريبية للمتغير المستقل، أي برنامج الإرشاد الجماعي.

4-2- مجتمع الدراسة وعينتها

إن تحديد المجتمع الأصلي للدراسة عملية أساسية تستحق الاهتمام حيث يجب التعرف على كل عناصره. ويتكون مجتمع دراستنا من جميع الأحداث الجانحين المتواجدين في مركز إعادة التربية المتخصص عبد الواحد خزناجي بمدينة سطيف، و قدر عددهم باثنين و أربعين حدثا جانحا تم دخولهم إلى المركز بأمر من السيد قاضي الأحداث نتيجة اقترافهم لجنحة أو جناية أو لخطر معنوي.

أما عينة الدراسة فقد تكونت من الأحداث الجانحين الذين حصلوا على درجات متدنية على مقياس تنسي لمفهوم الذات وقد كان عددهم ستة عشر (16) حدثا جانحا.

4-3- خصائص العينة وطريقة اختيارها

بعد تطبيق مقياس تنسي لمفهوم الذات على مجتمع الدراسة تم انتقاء 16 حدثا جانحا هم الذين حصلوا على درجات متدنية على المقياس، ثم تمَ تعيينهم عشوائيا على مجموعات الدراسة، وذلك بكتابة أسماء الجانحين الستة عشر الذين حصلوا على درجات متدنية في بطاقات صغيرة وخلطها ليُختار الأفراد الذين يتوزعون على المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة.

الجدول رقم(01) يوضح توزيع أفراد العينة حسب السن

المتغير		التكرار	النسبة	المجموع
السن	16	2	%12.50	100%
	17	9	%56.25	
	18	5	%31.25	

يتضح من الجدول رقم (01) بأن أفراد عينة الدراسة تتراوح أعمارهم من 16 سنة إلى 18سنة، ونلاحظ بأن غالبية أفراد العينة أعمارهم 17 سنة وذلك بنسبة %56.25.

الجدول رقم (02) يوضح توزيع أفراد العينة حسب المستوى الدراسي

المتغير		التكرار	النسبة	المجموع
المستوى الدراسي	أولى متوسط	4	%25.00	100%
	ثانية متوسط	6	%37.50	
	ثالثة متوسط	4	%25.00	
	رابعة متوسط	2	%12.50	

يتضح من الجدول رقم (02) بأن المستوى الدراسي لأفراد العينة يتوزع بين السنة الأولى متوسط والرابعة من التعليم المتوسط، و يتضح بأن 37.50% من أفراد العينة مستواهم الدراسي هو السنة الثانية من التعليم المتوسط، مما يدل على أنهم فشلوا في إتمام مرحلة التعليم المتوسط.

الجدول رقم (03) يبين لنا توزيع أفراد العينة حسب نوع الجنح

المتغير		التكرار	النسبة	المجموع
نوع الجنح	سرقة تحت التهديد بالسلاح	2	%12.50	100%
	سرقة	6	%37.50	
	اعتداء جنسي	1	%06.25	
	تناول وترويج مخدرات	1	%06.25	

	خطر معنوي	6	%37.50	

يتضح من الجدول رقم(03) بأن نوع الجنح المرتكبة من قبل الأحداث الجانحين متنوعة فمن السرقة إلى السرقة تحت تهديد السلاح إلى الاعتداء الجنسي إلى الترويج للمخدرات وتعاطيها إلى الخطر المعنوي. ونلاحظ بأن أكبر نسبة كانت لجنحة السرقة وأيضا للخطر المعنوي بنسبة 37.50%.

4-4- تصميم الدراسة

يتضمن تصميم الدراسة مجموعتين اثنتين، مجموعة تجريبية وأخرى ضابطة كلاهما اعتمدت على التعيين العشوائي لأفرادها، وقد طبق على أفراد المجموعتين، التجريبية والضابطة مقياس تنسي لمفهوم الذات كقياس قبلي، ثم طبق المتغير التجريبي أي برنامج الإرشاد الجماعي على المجموعة التجريبية فقط ولم يطبق على المجموعة الضابطة، ثم أجري القياس البعدي أي تطبيق مقياس تنسي لمفهوم الذات على المجموعتين.

G1 RO1 X O2

G2 RO3 _ O4

G1: يرمز إلى المجموعة التجريبية التي خضعت لبرنامج الإرشاد الجماعي.

G2: يرمز إلى المجموعة الضابطة التي لم تتلق برنامج الإرشاد الجماعي.

R : يرمز إلى التعيين العشوائي لأفراد العينة فقد تم توزيع الأفراد بشكل عشوائي على مجموعتي الدراسة.

O1&O3 يرمز للقياس القبلي للمجموعتين حيث طبق عليهما مقياس تنسي لمفهوم الذات كقياس قبل بدء المعالجة التجريبية.

X يرمز إلى المعالجة التجريبية أي وجود المتغير التجريبي والمتمثل في برنامج الإرشاد الجماعي.

O2&O4 يرمز للقياس البعدي للمجموعتين أي تطبيق مقياس تنسي لمفهوم الذات

_ يرمز لعدم وجود المعالجة التجريبية أي عدم وجود المتغير التجريبي حيث لم يطبق برنامج الإرشاد الجماعي على المجموعة الضابطة.

5-4- طريقة إجراء البحث

بعد الاتصال بإدارة مركز إعادة التربية المتخصص عبد الواحد خزناجي بمدينة سطيف والقيام بالإجراءات اللازمة للقيام بالدراسة، كالحصول على ترخيص من السيدة قاضية الأحداث ومن مديرية النشاط الاجتماعي، قمنا بالاتصال بالأحداث الجانحين المتواجدين على مستوى المركز، وذلك لاختيار عيّنة الدراسة، وقمنا لهذا الغرض بتطبيق مقياس تنسي لمفهوم الذات على جميع الأحداث المتواجدين في المركز

وقد تم ذلك بشكل جماعي (مجموعات لا تتعدى عشرة أفراد) حيث قمنا بقراءة تعليمة المقياس وكيفية الإجابة عنه، وكنا نقوم بقراءة كل فقرة وننتظر الأحداث الجانحين للإجابة عنها وذلك مراعاة لمستواهم التعليمي.

بعد الانتهاء من إجراءات التطبيق قمنا بتصحيح المقياس، ثم اخترنا مجموعة من الأحداث الجانحين وهم الذين حصلوا على أدنى الدرجات على مقياس تنسي لمفهوم الذات وقد تم استبعاد الأحداث الذين تقل أعمارهم عن 16 سنة وأيضا الذين يقل مستواهم التعليمي عن السنة الأولى من التعليم المتوسط.

كما قمنا بعد ذلك بتعيين الأفراد عشوائيا من المجموعتين التجريبية والمجموعة الضابطة ثم عمدنا إلى إجراء مقابلات فردية مع أفراد المجموعة التجريبية لغرض تحضيرهم للمشاركة في برنامج الإرشاد الجماعي. ثم قمنا وبمساعدة إدارة المركز باختيار مكان مناسب لإجراء الجلسات الإرشادية الجماعية، وقد كان عبارة عن قسم للتدريس يحتوي على صبورة ومجموعة من الكراسي والطاولات وخزانة ومكتب.

وكنا نلتقي بالمجموعة التجريبية 3 مرات في الأسبوع لمدة 18 جلسة إرشادية و كانت الجلسة الواحدة تدوم ساعة ونصف كما تم تطبيق مقياس تنسي لمفهوم الذات بوصفه قياسا بعديا في الجلسة الأخيرة، واستمرت الدراسة الميدانية، من منتصف شهر أفريل إلى نهاية شهر جوان من سنة 2008.

4-6- أدوات الدراسة

بعد تحديد أهداف الدراسة كان لا بد من اختيار الأدوات التي تتناسب وهذه الأهداف وكذا فرضيات الدراسة، وقد تم الاعتماد على مقياس تنسي لمفهوم الذات لفيتس لقياس مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين كإجراء قبلي وبعد تطبيق برنامج الإرشاد الجماعي وأيضا استخدام المقابلة للتعرف على أفراد العينة ولتحضيرهم للمشاركة في المجموعة الإرشادية، والاعتماد على برنامج الإرشاد الجماعي من إعداد الباحثة.

أولا- مقياس تنسي لمفهوم الذات

أعد المقياس وليام فيتس William Fitts وتمت ترجمته من طرف صفوت فرج أبعاد مفهوم الذات (عبارة مبهمة) واستخدم في كثير من البحوث والدراسات، ويذكر بورس في كتابه السنوي للاختبارات العقلية أن مقياس تنسي لمفهوم الذات لفيتس يعد واحدا من عشرة مقاييس حظيت بأكبر قدر من البحوث واهتمام الباحثين، وهو يحتل المرتبة التاسعة بين هذه المقاييس العشرة، وقد أظهرت عدة دراسات أن مقياس تنسي لمفهوم الذات من الاختبارات التي تكشف عن التغيرات في الشخصية سواء تحت ظروف معينة، أم عبر ثقافات مختلفة، وفي دراسة التغير في مفهوم الذات للأحداث الجانحين بالمؤسسات الإصلاحية. ولهذا الغرض تم اختياره لكونه الأنسب لدراستنا.

بدأ فيتس في تطوير المقياس بالاشتراك مع قسم الصحة النفسية بمدينة تنسي في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1955 وأنجزه في صورته النهائية عام1964، ويحتوي المقياس على مائة عبارة تتضمن أوصافا ذاتية يستخدمها الفرد ليرسم عن طريقها صورة ذاتية عن نفسه، يطبق المقياس بصورة فردية أو جماعية، ويمكن استخدامه مع مفحوصين في مرحلة عمرية تبدأ من أثنى عشر عاما أو أكثر ممن أمضوا ست سنوات دراسية على الأقل، كما أنه قابل أيضا للاستخدام لجميع الأفراد في مجال التوافق النفسي بدءا من الأصحاء ذوي التوافق الجيد وحتى المرضى الذهانيين.

ويتاح المقياس في صورتين ، صورة إرشادية وصورة إكلينيكية وبحثية ويستخدم كتيب بنود المقياس ذاته لكل من الصورتين، وينتهي اغلب المفحوصين من الإجابة على المقياس خلال فترة تتراوح من 10 إلى 20 دقيقة بمتوسط 13 دقيقة ويستغرق التصحيح اليدوي من (6-8)دقائق للصورة الإرشادية وحوالي 20 دقيقة للصورة الإكلينيكية والبحثية. يتألف المقياس من 100عبارة وصفية ويشتمل على 9 أبعاد لمفهوم الذات وهي الذات الجسمية والذات الأخلاقية والذات الشخصية، و الذات الأسرية والذات الاجتماعية و الذات الواقعية و الرضا عن الذات، والذات السلوكية ونقد الذات.

يقوم المفحوص بالإجابة على جميع فقرات المقياس طبقا لمفهومه عن ذاته ووفقا لمقياس مدرج من خمس درجات على النحو التالي: غير صحيحة إطلاقا (درجة واحدة)، غير صحيحة غالبا (درجتان)، بين (ثلاث درجات)، صحيحة غالبا (أربع درجات) صحيحة دائما (خمس درجات).

وقد تم حساب ثبات المقياس بطريقة التطبيق و إعادة التطبيق على عينة متكونة من (30)حدثا جانحا وقمنا بإجراء إعادة التطبيق بعد (15يوما) وباستخدام معامل الارتباط بيرسون تراوحت معاملات الثبات من 0.46 إلى0.83 وهي دالة عند مستوى0.01

ثانيا- البرنامج الإرشادي

قامت الباحثة من أجل بناء وإعداد البرنامج الحالي بالإطلاع على الأدبيات والأبحاث والدراسات التي اهتمت بإعداد برامج إرشادية وبالخصوص تلك المتعلقة بتحسين مفهوم الذات. ويتناول البرنامج الحالي تحسين مفهوم الذات لدى مجموعة من الأحداث الجانحين المودعين بمركز إعادة التربية عبد الواحد خزناجي بمدينة سطيف. وقد تم تحديد محتوى البرنامج اعتمادا على عدة مصادر منها، الإطار النظري للدراسة وبالخصوص نظرية الإرشاد العاطفي العقلاني السلوكي لألبرت أليس الذي يعتقد بأن نظام المعتقدات هو الذي يؤدي إلى النتائج الانفعالية والسلوكية وليست الأحداث المنشطة هي المسؤولة عن ذلك فإذا كان التفكير عقلانيا ومنطقيا فإن النتائج ستكون هي الشعور بالارتياح والتوافق، أما إذا كان غير منطقي ولاعقلاني فإن النتائج ستكون هي الانزعاج والاضطراب الانفعالي والسلوكي، لذلك وجب على المرشد مساعدة

المسترشد في التعرف على هذه المعتقدات اللاعقلانية و العمل على تغييرها. و يشتمل البرنامج الإرشادي على فنيّات فعّالة تسهم في تحسين مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين، فهو يركز على تعديل الأفكار والانفعالات والسلوكيات، ويستخدم فنيات معرفية و انفعالية وسلوكية.

وأيضا بالاعتماد على الدراسات السابقة ذات العلاقة بالموضوع، كالدراسات الأجنبية والعربية مثل Jakubowski & Lange (1978) Meichenbaum (1975) (1996), Bower & Bower (1993), Wayne & Weiter (1997), Wallace & Masters (2001),) Bernard & Joyce (1984), Asoka (2002) وأيمن العوري(2003) وإبراهيم باجس معالي (2003) ومحمد هندية (2003).

يهدف البرنامج الإرشادي الموجه إلى الأحداث الجانحين إلى تحسين مفهوم الذات العام لديهم، ومن ثم تعديل السلوك الجانح بحيث يصبح المراهق أكثر توافقا من الناحية الشخصية والاجتماعية، ويتضمن ذلك مجموعة من الأهداف الخاصة منها ما يلي:

- التدريب على ضبط الانفعالات والتحكم فيها.
- تعديل الأفكار اللاعقلانية إلى أفكار عقلانية.
- تعديل الاتجاهات السلبية نحو الذات والأحداث والآخرين .
- تكوين اتجاهات إيجابية نحو الذات ونحو الآخرين .
- مساعدة الجانحين على معرفة نواحي القوة والضعف لديهم.
- التدريب على المهارات الاجتماعية .
- التقليل من السلوكيات غير المرغوب فيها كالعدوان و الانطواء.
- إكساب المشارك طريقة التصرف في المواقف الاجتماعية بشكل توكيدي
- التدريب على مهارات التواصل .
- تغيير الحديث الذاتي السلبي إلى حديث ذاتي إيجابي.
- التدريب على الاسترخاء.
- التدريب على مهارة التخيل.
- التدريب على مهارة حل المشكلات.

البرنامج الإرشادي هو عبارة عن مجموعة من الجلسات تشتمل كل جلسة على هدف معين ويرتبط محتوى البرنامج بنظرية الإرشاد العاطفي العقلاني السلوكي لألبرت أليس وهو عبارة عن إستراتيجيات معرفية وانفعالية وسلوكية تساعد المسترشدين على الحد من أفكارهم السلبية وتغيير اتجاهاتهم نحو أنفسهم ونحو الآخرين، وتحسين مفهومهم عن ذاتهم بحيث يصبح أكثر ايجابية.

يقدم البرنامج الإرشادي على شكل جلسات إرشاد جماعي لكل أعضاء المجموعة الإرشادية المتكونة من الأحداث الجانحين الذين لديهم مفهوم متدني عن الذات ويحتوي على مجموعة من الإستراتيجيات الإرشادية مثل لعب الدور، التدريب التوكيدي تعديل الأفكار اللاعقلانية، مهارة حل المشكلات، وتقنية التخيل وتعديل الحديث الذاتي

وغيرها وتتم على شكل مناقشات مع الأعضاء وتنتهي كل جلسة بإعطاء واجبات منزلية للأعضاء المشاركين.

استغرق تنفيذ البرنامج الإرشادي الحالي حوالي شهرين(من بداية شهر ماي إلى نهاية شهر جوان 2008) بمعدل 3 جلسات في الأسبوع أي 18جلسة وتستغرق الجلسة الواحدة ساعة ونصف، قدمت الجلسات في المركز المتخصص لإعادة التربية خزناجي عبد الواحد بمدينة سطيف المودع فيه الأحداث الجانحون، وقد تكونت المجموعة الإرشادية من 08 من الأحداث الجانحين الذين حصلوا على درجات متدنية على مقياس مفهوم الذات.

ثالثا- المقابلة

تعدّ المقابلة أفضل وسيلة لحصول الباحث على المعلومات عن أفراد العينة، وقد استخدمنا المقابلة بغرض التعرف على الأفراد الذين يكوّنون المجموعة التجريبية لتحضيرهم للمشاركة في برنامج الإرشاد الجماعي، حيث تم الالتقاء بهم لمدة 15 دقيقة بشكل فردي و تعريفهم بأنه تم انتقاؤهم للمشاركة في برنامج الإرشاد الجماعي لتحسين الذات لديهم، والتكلم عن استعدادهم للتعاون والالتزام بالمشاركة في هذه العملية والمحافظة على السرية والالتزام بالحضور والقيام بالواجبات المنزلية.

5- الأسلوب الإحصائي

لغرض التأكد من فرضيات الدراسة تم استخدام الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية **SPSS**، حيث تم استخدام "اختبار ت" و ذلك للتعرف على الفروق بين المتوسطات بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية.

أما بالنسبة لاستخراج الخصائص السيكومترية لمقياس تنسي لمفهوم الذات لفيتس فقد تم اعتماد معامل الارتباط بيرسون.

6- عرض النتائج و مناقشتها

6-1- عرض ومناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى: والتي تقول توجد فروق في مفهوم الذات بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في القياس البعدي.

والجدول الآتي يوضح الفروق بين المتوسطات في مفهوم الذات العام بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة.

مفهوم الذات العام	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	"ت" المحسوبة	الدلالة

المجموعة التجريبية	324,75	22,83	14	10,47	0,000
المجموعة الضابطة	237,00	6,36			

يتضح من الجدول أعلاه بأن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية في مفهوم الذات العام بين المجموعة التجريبية التي تلقت برنامج الإرشاد الجماعي والمجموعة الضابطة التي لم تتلق برنامج الإرشاد الجماعي عند مستوى 0,01 حيث كان متوسط المجموعة التجريبية في مفهوم الذات العام 324,75، بينما بالنسبة للمجموعة الضابطة فقد كان 237,00، وتدل هذه النتيجة على فعالية برنامج الإرشاد الجماعي في تحسين مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين، حيث يلاحظ تحسناً واضحاً في كل من مفهوم الذات الجسمية والأخلاقية والشخصية والذات الأسرية والاجتماعية، كما يلاحظ تحسن واضح في الذات الواقعية وتقبل الذات والذات السلوكية.

استنادا إلى النتائج السابقة يمكننا القول بأنّ الفرضية الأولى قد تحققت أي أن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية في مفهوم الذات بين المجموعة التجريبية التي تلقت برنامج الإرشاد الجماعي والمجموعة الضابطة التي لم تتلق برنامج الإرشاد الجماعي في القياس البعدي لصالح المجموعة التجريبية.

6-2- عرض ومناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية: والتي تقول توجد فروق في مفهوم الذات بين أفراد المجموعة التجريبية بين القياس القبلي والقياس البعدي.
والجدول الآتي يوضح الفروق بين المتوسطات في المفهوم العام للذات لدى المجموعة التجريبية بين القياس القبلي و القياس البعدي.

مفهوم الذات العام	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	"ت" المحسوبة	الدلالة
القياس القبلي	236,37	7,44	7	-13,76	0,000
القياس ألبعدي	324,75	22,82			

يتضح من الجدول السابق بأن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0,01

في المفهوم العام للذات ، أي في الدرجة الكلية على مقياس مفهوم الذات لفيتس في المجموعة التجريبية بين القياس القبلي والقياس البعدي لصالح القياس البعدي.

حيث دلت النتائج على تغير مفهوم الذات بدرجة ايجابية، وهذا يرجع للتأثير الايجابي الذي تركه برنامج الإرشاد الجماعي في ذوات المشاركين فيه، فقد كان المتوسط الحسابي قبل تطبيق برنامج الإرشاد الجماعي على المجموعة 236,37 وقد تغير بعد تطبيق برنامج الإرشاد الجماعي إلى 324,75 و الفروق ذات دلالة إحصائية، وتدل على الأثر الايجابي لبرنامج الإرشاد الجماعي.

استنادا إلى النتائج السابقة يمكننا القول بأن الفرضية الثانية قد تحققت أي أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مفهوم الذات لدى المجموعة التجريبية بين القياس القبلي والقياس البعدي لصالح القياس البعدي.

نلاحظ من خلال النتائج المتحصل عليها و الموضحة في الجداول من رقم(و05) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.01) بين أفراد المجموعة التجريبية

بين القياس القبلي أي قبل تطبيق البرنامج الإرشادي و القياس البعدي أي بعد تطبيق البرنامج الإرشادي وذلك لصالح القياس البعدي، و هذا دليل على فعالية برنامج الإرشاد الجماعي في تحسين مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين.

وقد تم الاعتماد في البرنامج الإرشادي على استخدام تقنيات تركز على التفكير والانفعالات والسلوك وتعتمد على مبادئ الإرشاد العاطفي العقلاني السلوكي لنظرية ألبرت اليس الذي يرى بأن هناك تداخلاً وتشابكاً بين الانفعال و التفكير، وبأن الفرد يفكر ويشعر ويتصرف في الوقت نفسه، ويعتقد أيضاً بأن الاضطرابات تكمن في التفكير اللاعقلاني، لذلك يجب استبدال الأفكار اللاعقلانية بأخرى أكثر عقلانية.

وقد أسهمت التقنيات المعتمدة في برنامج الإرشاد الجماعي على مساعدة الأحداث الجانحين في معرفة ذواتهم وذلك بالتعرف على النقاط الايجابية والنقاط السلبية في شخصياتهم، كما ساعدتهم في تقبل الذات لديهم والتعرف على الأفكار اللاعقلانية المسيطرة عليهم وتعديلها إلى أفكار أكثر عقلانية، بالإضافة إلى تغيير الحديث الذاتي السلبي والذي يسهم في رسم صورة سلبية عن ذات الحدث الجانح إلى حديث ذاتي ايجابي، وأيضا التدريب على توكيد الذات الذي أسهم في جعل الحدث الجانح أكثر توكيداً لذاته وأقل عدوانية.

كذلك الأمر بالنسبة لتقنية الاسترخاء التي أسهمت في جعل الحدث الجانح أكثر استرخاء وأقل توتراً في المواقف الحياتية المختلفة، و الأثر نفسه حصل عليه من التدريب على تقنية ضبط الذات في المواقف الضاغطة، وتقنية التخيل التي مكنت الجانح من تجاوز الكثير من الصعوبات، كما أن تقنية حل المشكلات ساعدته في التعرف على الخطوات العلمية لحل المشاكل و اتخاذ القرارات، كل هذه التقنيات ساعدت في تحسين مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين لما لها من أثر مباشر على

ذات الفرد، حيث أسهمت في التأثير بشكل ايجابي على تفكير الحدث الجانح و من ثم على مشاعره وسلوكياته.

من خلال النتائج المتحصل عليها و من خلال تحقق الفرضية الأولى والثانية يمكننا القول بأن المجموعة التجريبية المتكونة من الأحداث الجانحين الذين خضعوا لجلسات الإرشاد الجماعي قد تحسن مفهوم الذات لديهم مقارنة بالمجموعة الضابطة التي لم يخضع أفرادها لبرنامج الإرشاد الجماعي و هذا يدل على فعالية البرنامج الإرشادي الجماعي في تحسين مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين.

وقد جاءت نتائج دراستنا متفقة مع نتائج الدراسات السابقة التي تناولت الأحداث الجانحين مثل دراسة كل من ايتزن Eitzen(1976) ودراسة كيريش Kerich(1978) ودراسة كيتين وآخرون Keating&Al ودراسة كالهون وآخرون(Calhoun&Al(2001 ودراسة تيندال ليند Tyndall Lind(1999) وغيرها من الدراسات التي اهتمت بتحسين مفهوم الذات عند الأحداث الجانحين.

الخاتمة والتوصيات

تعدّ مشكلة جنوح الأحداث مشكلة خطيرة تمس كل المجتمعات لذلك فهي تحتاج إلى مجهودات كبيرة تشترك فيها جميع الأطراف للتخفيف منها و من آثارها إن لم نقل القضاء عليها، كالأسرة والمدرسة ورجال القضاء والشرطة والمؤسسات الاجتماعية ورجال الدين والمجتمع ككل.

ويؤكد العلماء اليوم و بثقة على وجود قائمة كبيرة من عوامل الخطر المرتبطة بجنوح الأحداث والسلوك الإجرامي، حيث لا يوجد عامل واحد مسؤول عن المشكلة. بل عوامل عديدة كتأثير الأسرة والرفاق والطبقة الاجتماعية والتعرض للعنف والفروق الفردية في المهارات المعرفية.

كما نلاحظ تأييدا للنظريات التي تؤكد على العمليات المعرفية مثل المعتقدات والأفكار والقيم في التفسيرات النفسية للجنوح، حيث إنّ معتقداتنا وقيمنا وصورتنا عن أنفسنا تعدّ الموجه الأساسي لسلوكنا.

لذلك إذا أردنا أن نغير من سلوكيات الأحداث الجانحين لتصبح أكثر توافقا وأقل جنوحا، فعلينا أن نغير من أفكارهم ومعتقداتهم وصورتهم عن أنفسهم أي تغيير مفهوم الذات لديهم، كما يجب التركيز على:

- الاهتمام بالدراسات التي تتناول البرامج العلاجية لمشكلة جنوح الأحداث وخاصة العلاج والإرشاد الجماعي لما له من أثر ايجابي على الأحداث ومن توفير للجهد والوقت.

– الاهتمام بالدراسات التي تقوم على بناء البرامج الوقائية للأحداث المعرضين لخطر الجنوح وذلك بتحديد عوامل الخطر والتركيز على النواحي الايجابية في شخصياتهم وتطويرها.

– التركيز على الإرشاد الأسري بالنسبة للأحداث المعرّضين للجنوح أو الجانحين لكونه مهما جدّا بالنسبة لهذه الفئة ولأسرهم.

- عدم إهمال مفهوم الذات لما له من أهمية في تحديد تفكير الفرد وعواطفه وسلوكياته.

المراجع

- المراجع باللغة العربية

1- بول ميسن وجون كونجر وآخرون. ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة (1993) أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة.مكتبة الفلاح الطبعة الثانية، الكويت.

2- عدنان العتوم وعدنان الفرج (1995) أثر بعض المتغيرات الديمغرافية في مفهوم الذات لدى نزلاء مراكز الإصلاح والتأهيل في الأردن.مجلة أبحاث اليرموك سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 11، العدد3، ص ص 53-78.

- صالح حسن الداهري (2005) علم النفس الإرشادي نظرياته وأساليبه، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

4- محمود عبد الحليم منسي وسهير كامل أحمد (2002) أسس البحث العلمي في المجالات النفسية والاجتماعية والتربوية .مركز الإسكندرية للكتاب الإسكندرية.

5- محمود عطا حسين (1987) مفهوم الذات وعلاقته بمستويات الطمأنينة الانفعالية. مجلة العلوم الاجتماعية،جامعة الكويت.

- المراجع باللغة الأجنبية

6- Bartol , Curt. A & Bartol,Anne.M.(2005) Criminal Behavior, a Psychosocial Approach. 7th edition, Pearson Education Inc, NewJersey

7- Bouakba, Amel (2008) Algérie: La délinquance juvénile un phénomène difficile à maitriser.La www.google.allafrica.com

8-Burns,R.B& Dobson,C.B.(1984) Introduction Psychology. MTP Press Limited/Boston. Lancaste Tribune.

9- Calhoun, Georgia& Glaser,B.A & Bartolomucci.C.L.(2001) The JuvenileCounseling and Assessment Model and Program: A: Conceptualization

and Intervention for Juvenile Delinquency.Journal of Counseling & Development,Vol 79.

10_Corey,Gerald(1990) Theory and Practice of Group Counseling and Psychotherapy. 3rd edition, Wadsworth, Inc, Belmont, California

11- Eyo, Isidor.E(1981) British Delinquents and nondelinquents on Seven Domains of the Self Concept. Journal of Psychology, 109.

12- Fryrear, J.L& Nuell,L.R& White,P.(1977) Enhancement of male juvenile

delinquents self concepts through photographed social interactions. Journal of Clinical Psychology, Vol 99, no 9.

13- Furnham, Adrian& Heaven, Patrick.(1999) Personality and Social Behavior. Arnold a member of the hodder headline group, London.

14- Keating, Lisa.M& Al (2003) The effects of mentoring program on at risk Youth. Adolescence,Vol 37 (148).

15- Kenneth, Levy (1997) Multifactorial self concept and delinquency in Australian Adolescents. The Journal of Social Psychology 137(3) 277-283. Individual & group play therapy in treating kindergarten children With adjustment problems. Dissertation abstracts International Vol 63(9-1) University Microfilms International .

17- Reynolds, Peter (1983) Enhancing self concept, the communication lab. Guidance Center, Faculty of Education. University of Toronto.

18-Tyndall- Lind, Merry, Ashley (1999) A Comparative analysis of intensive individual play therapy & intensive sibling group play therapy with witnesses of domestic violence. Dissertation abstract International. Vol 60(5-A) US University Microfilm International.

مجلة العلوم الإنسانية — عدد38 – ديسمبر 2012، ص.ص.195-214

دراسة الهيمنة المخية لدى التلميذ المصاب بعسر القراءة (الدسلكسيا) بمنطقة تمنراست " تناول نفس-عصبي"

د. سامية شويعل
قسم علم النفس
جامعة الجزائر2
أ. أم الخير حمدي
المركز الجامعي تمنراست
الجزائر

ملخص

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على نمط الهيمنة المخية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من ذوي عسر القراءة. تكونت عينة الدراسة من (20) تلميذا وتلميذة تم اختيارهم بأسلوب المعاينة الاحتمالية القصدية من تلاميذ السنة الثانية والثالثة ابتدائي، ومن أجل تحقيق هدف الدراسة تم الاعتماد على مجموعة من الأدوات تمثلت في :المقابلة،الملاحظة ،اختبار تشخيص عسر القراءة،اختبار رسم الرجل ،استمارة البحث للدكتور "بشير معمرية" اختبار هاريس للجانبية وأظهرت نتائج الدراسة عدم صحة الفرض الأول الذي نص على " هيمنة النمط الأيمن لدى التلاميذ المعسرين قرائيا"، في حين أثبتت صحة الفرض الثاني الذي نص على " عدم وجود هيمنة مخية تامة لدى التلاميذ المعسرين قرائيا في عينة البحث "، ونفت النتائج المتوصل إليها من خلال نتائج البحث ما نصت عليه الفرضية الثالثة في البحث التي نصت بدورها على" وجود اختلاف بين الجنسين في أنماط الهيمنة المخية لدى تلاميذ العينة المدروسة". وتم من خلال هذه الدراسة تبيين أن عسر القراءة ذي أصل عصبي ،يتمثل في غياب النمط النموذجي في المعالجة اللغوية والذي يتجلى في اللاّتناضر الوظيفي بين نصفي المخ بالنسبة للغة.

Résumé

L'objet de la présente étude porte sur la connaissance de la dominance cérébrale chez les élèves dyslexiques du cycle primaire. L'échantillon se constitue de 20 élèves, des deux sexes, choisis parmi les élèves des classes de deuxième année et troisième année primaires. Les outils utilisés dans cette étude sont : l'entretien, l'observation, le test de difficulté de lecture, le test de latéralité de Harris, le test du bonhomme et le canevas de recherche de Bachir Maamria.

مقدمة

الدسلكسيا هي إحدى أهم اضطرابات التعلم والتي تصيب ما يقارب من 5-10%من المتمدرسين فهي بذلك وحسب رأي العديد من الباحثين تعد من أكثر أنواع اضطرابات التعلم الأكاديمية شيوعا مقارنة مع باقي الأنماط والتي تصل إلى 80%من الطلاب . (عوض الله سالم ،م2003).

ونظرا لخطورة هذا الاضطراب والانعكاسات السلبية التي يخلفها على الواقع الراهن للطفل

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر2012.

ومستقبله توجهت اهتمامات الخبراء والباحثين في علم النفس من مختلف التخصصات التربوية المعرفية واللغوية ...نحو دراسته بدقة ومصداقية علمية تضمن الوصول إلى نتائج موثوق بها ،فتضاعفت جهودهم وتكاثفت بهدف التطرق له بجدية والوقوف على طبيعة وأسباب نشأته ،ثم إنشاء استراتيجيات وقائية وفعالة مناسبة له ،وقد تمكنت مختلف الدراسات السابقة من الوقوف على جملة من العوامل والأسباب التربوية ،البيئية ،الوراثية التي قد تقف خلف هذا المشكل.

وأخيرا فقد نال هذا الموضوع اهتمام علماء النفس العصبيين بصفة خاصة ،فتم الاهتمام بالدسلكسيا بوصفها إحدى الاضطرابات العصبية التطورية المهمة في ميدان علم النفس العصبي ومن بين الأسباب ذات الأصل أو الأساس العصبي التي تم التوصل إليها والتي تؤدي لعسر القراءة نجد قصور المناطق المخية المسؤولة عن تخزين الصورة البصرية (مورجان 1986، هنشلوود 1917،أورتن 1937) تأخر نضج المخ تحت مستوى القشرة المخية ،قصور أو اختلال المنطقة الجدارية (جورم،1973) نقص في التنظيم العصبي أو اختلال الوظيفة المخية (لفنسون ،1980) الهيمنة المخية غير التامة (فرنون،1971). وعليه جاءت فكرة تناول وتفسير اضطراب عسر القراءة من وجهة نظر نفس – عصبية، منطلقين في ذلك مما بينته الدراسات السابقة من وجود علاقة بين الوظيفة اللغوية والهيمنة المخية، ونتيجة لوجهة النظر هذه وحسب نتائج العديد من الدراسات التي بحثت في أسباب عسر القراءة في ضوء ما يجرى داخل المخ ،فقد جاءت هذه الدراسة كمحاولة لتبيين طبيعة ونمط الهيمنة المخية عند هذه الفئة من التلاميذ .

الإشكالية:

تزايدت نسبة صعوبات التعلم ومشكلاتها في الآونة الأخيرة، وبات هذا المجال رغم حداثته أحد أهم المجالات استقطابا للاهتمام، خاصة مع تعدد أشكاله وأنواعه وآثاره على الفرد والمجتمع، ويعد عسر القراءة أحد أهم هذه الاضطرابات الأكاديمية (رزق البحري.م،2009).

فتعدّ بذلك ظاهرة " عسر القراءة " جانحة العالم بأسره، فلم تعد قاصرة على بلد دون بلد ،أو قطر دون قطر، بل عمت بها البلوى وأخذ كل بلد وقطر نصيبه من هذا الداء الوبيل فأصبحت هذه الظاهرة "داء العصر" فاستفحل خطرها كونها تهدد أهم فئات المجتمع – مرحلة الطفولة – وأكثرها حساسية، فهي تدمر هذه الفئة من الناحية التكوينية وخاصة من حيث اكتسابها للمهارات المعرفية إذ يمس هذا الاضطراب التلميذ في أولى سنواته الدراسية.

فالدسلكسيا من أهم الاضطرابات العصبية التطورية في ميدان علم النفس العصبي إذ تعدّ هذه الأخيرة اليوم خاصة من خصوصيات الدماغ، ممكن أن تكون مسؤولة عن إعاقة حقيقية ،فهي تمثل ثاني إصابة عصبية منتشرة خاصة لدى جنس الذكر

(Michal,1997.). هذا ما جعل هذا الموضوع يكتسب أهمية بالغة خاصة بالنظر إلى استمرار انتشارها بين أوساط الأطفال المتمدرسين .

فتتواتر الإحصائيات منبئة بخطر "العسر القرائي "، فمن 20% من مجموع التلاميذ في العالم الذين يعانون من صعوبات التعلم نجد أكثر من 80% منهم يعانون مما يعرف بالدسلكسيا وغير بعيد عن حقيقة العالم حتى الدول العربية عانت وتعاني من هذا الاضطراب ،ففي دراسة مجدي شحاتة (1999) في البيئة المصرية على عينة قوامها 442 تلميذ وتلميذة كانت نسبة الذين يعانون من عسر القراءة نحو7% (شحاتة.م، 1999). أما في دراسة أحمد حسن عاشور 2002 على عينة قوامها 471 تلميذة وجد 14% منهم يعانون عسرا في القراءة (عاشور.أ ،2002).

والجزائر كغيرها من دول العالم العربي لم تسلم من خطر انتشار هذا الاضطراب فقد لوحظ أن عدد التلاميذ الذين يعانون من الدسلكسيا في المدرسة الجزائرية في تزايد وهذا استنادا لما ذكره الأخصائيون الأرطوفيون بقولهم " نظرا لعدد التلاميذ الذين يعانون من الدسلكسيا ونظرا لأهمية هذا المشكل ووضعية النظام الدراسي المتبع ... يجب أن تأخذ وزارة التربية والتعليم عدة إجراءات جد مهمة ومستعجلة وخاصة تطبيقية في هذا المجال"، وما يزيد هذا الاضطراب خطورة هو انعكاساته السلبية على مختلف جوانب حياة التلاميذ فهم يتميزون بردود أفعال سلبية نحو الافراط في الحركة. إضافة إلى تدني مفهوم الذات لديهم وذلك لأنهم لا يستطيعون أن يعبروا عن كامل قدراتهم الأكاديمية على الرغم من قدراتهم العقلية الطبيعية.

وبالرغم من الكم الهائل من الدراسات والأبحاث التي مست مختلف المجالات، إلا أنه لم يحصل اتفاق إلى حد الآن حول الأسباب والعوامل الكامنة خلف عسر القراءة ،الشيء الذي يعد مؤشرا على مدى صعوبة وتعقد البحث في هذا الموضوع ما يجعل منه مجالا خصبا للدراسة والبحث.إن هذه الظاهرة وما يكتسيها من غموض واستمرار استفحالها بالرغم من الانجازات العلمية الضخمة التي يشهدها العالم اليوم، يجعلنا ندق ناقوس الخطر لضرورة حل شفرات هذه المعادلة المركبة**"عسر القراءة"**.

فلفهم طبيعة هذا الاضطراب ولمعرفة مواطن الخلل لا بد علينا من معرفة الميكانزمات التي تخضع لها المعالجة الطبيعية لوظيفية القراءة، إذ تعد هذه الأخيرة من العمليات المعرفية العليا التي تنشط داخل الدماغ ضمن باحات نوعية متخصصة، عبر خطوات معينة تتم خلالها المعالجة المعرفية لعملية القراءة، فقد بينت الأبحاث بالاعتماد على تقنيات علمية حديثة أن أدمغة عسيري القراءة تعتمد على مناطق دماغية مختلفة في عملية القراءة عن تلك التي تعتمدها أدمغة القراء العاديين (شعبان. ح).

وقد أكدت إحدى الدراسات الحديثة للوظيفة العصبية التي أجراها "شاويتز وآخرون" أن بعض المناطق النوعية في المخ قد استثيرت أثناء الأداء على مهام فونولوجية ترتبط بالقراءة وأن للمعسرين قرائيا نماذج للاستثارة مختلفة على العاديين (نصرة

.ج ،2002)، ومن جهة أخرى فقد بين عالم النفس الأمريكي (Orton,1925) أن الاضطراب ناشئ عن تأخر في النضج نتيجة إخفاق إحدى نصفي الكرة المخية في السيطرة على النمو اللغوي للطفل (مقيدش.س،2005) .

ونستخلص من هذا أن جوهر عملية القراءة يكمن في المعالجة اللغوية التي تتم داخل المخ ضمن المراكز المسؤولة عن الوظائف اللغوية والتي تكون غالبا مقتصرة على جهة واحدة من المخ هي الجهة المسيطرة أو المهيمنة وفي هذا السياق فقد أجرى العالم نيوتن دراسة (Neuton,1970) قام من خلالها بمقارنة ذبذبات رسم المخ في شقي أدمغة قراء معسرين وآخرين عاديين ،فأسفرت دراسته تلك عن نتيجة مفادها وجود مستوى منخفض من الاستثارة في النصف السائد من المخ وتمييز أقل بين النصفين الكرويين للمخ ، في حين أظهرت المجموعة الضابطة مستوى مرتفع من الاستثارة في النصف السائد من المخ (نصرة.ج ،1995).

وتأكيدا لذات الفكرة فقد قام فريق من بولدر برأسه (David Choucard) بدراسة قارن فيها بين القراء الأسوياء والمعسرين من خلال استنتاجاتهم الفسيولوجية الكهربائية للتنبيه السمعي البصري فأسفرت النتيجة عن كون النشاط الكهربائي في الاستجابة القرائية لدى المعسرين ذا سعة أكبر في النصف الأيمن من الدماغ في حين تبين العكس تماما لدى الأسوياء.

من هنا نصل إلى أن انتقال المعالجة اللغوية من جهة المخ المسيطر (النصف الكروي الأيسر) إلى الجهة المقابلة غير المسيطرة. قد تكون جوهر الخلل في عملية القراءة ذلك أن النصف الكروي الأيمن من المخ غير متخصص في الوظائف اللغوية نحو القراءة هذا ما أدى إلى اضطراب الهيمنة على الوظيفة القرائية للمعالجة التي تخضع لها هذه العملية ضمن مراكزها الطبيعية. (مقيدش.س،2005)

واستنادا إلى كل ما سبق طرحه وإلى الدراسات السابقة المعروضة نلاحظ أن هناك اتفاقا حول ارتباط عسر القراءة بالاضطراب الوظيفي للدماغ أثناء معالجة عملية القراءة ،غير أنه لا يوجد اتفاق حول طبيعة هذا الاضطراب الكامن في نشاط النصفين الكرويين ،هذا ما يحثنا ويدفعنا إلى التحقق من طبيعة هذا الاضطراب ومدى صحة ما ما توصلت إليه افتراضات الدراسات السابقة وذلك تبعا للتساؤلات التي تندرج ضمن موضوع الإشكالية:

- هل للتلاميذ المعسرين قرائيا هيمنة مخية تامة ؟
- هل يوجد اختلاف بين الجنسين في أنماط الهيمنة المخية؟

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف النظرية والتطبيقية يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

الأهداف النظرية :

1. الإحاطة بمختلف الجوانب المتعلقة بمتغيرات البحث (الدسلكسيا،الهيمنة المخية).
2. تسليط الضوء على ظاهرة عسر القراءة (الدسلكسيا) بالتطرق ما أمكن إلى الرؤى النظرية القائمة حولها والاستفادة من نتائج هذه الدراسات لتحقيق دفعة قوية لفهم أكثر لمشكلة عسر القراءة.
3. تناول هذه الظاهرة الخطيرة من منظور نفسي-عصبي ومواجهتها بالبحث بوصفها خللا أو اضطرابا عصبيا.

الأهداف التطبيقية:

1. التعرف على طبيعة الهيمنة المخية عند الطفل الدسلكسي.
2. التحقق مما إذا كان للطفل المعسر قرائيا هيمنة مخية مختلطة.

أهمية الدراسة: إن هذا الموضوع يكتسي أهمية بالغة نستشفها من الجوانب الآتية:

1. هذا البحث يمس أهم شرائح المجتمع ، والمتمثلة في الأطفال في المرحلة الابتدائية والتي تشكل الخطورة الأساسية بالنسبة لهم.
2. باعتبار الاضطراب موضوع الدراسة من أكثر أنواع اضطرابات التعلم انتشارا،وكون الدراسة تناولت أحد أهم القضايا التربوية والنفسية في عصرنا الحالي هي ظاهرة العسر القرائي.
3. كون موضوع الدسلكسيا يعدّ أرضية لتلاقي العلوم الطبية والسيكونورولوجية والسكولوجية والسوسيولوجية ،هذا ما يجعله أخطبوطا له من الجوانب ما يسمح بتناوله من عدة زوايا وفروع ،ومن بينها نجد الجانب العصبي وهو ما يلح على ضرورة تناول هذا الاضطراب من الزاوية النفس-عصبية.
4. نظرا لأن موضوع عسر القراءة يشكل مجالا خصبا للدراسات الحديثة والجادة خاصة وأنه من المشاكل التي أرهقت المسؤولين والمختصين وكذا الباحثين في مجالات متعددة.

تحديد مفاهيم الدراسة

1: الهيمنة المخية Dominance cérébrale

نجد مصطلح الهيمنة المخية بمصطلحات أخرى تحمل المعنى نفسه كالسيادة النصفية، السيطرة الدماغية أو السيطرة الجانبية وتستخدم في مجملها للدلالة على:"ميل الشخص إلى التفكير والتصرف وفقا لخصائص جانب أو نصف واحد من الدماغ أكثر من الجانب الأخر." (آن كامجي ، 2000، ص137)

2: الدسلكسيا Dyslexies

يمكن تعريف الدسلكسيا على أنها" صعوبة محددة في القراءة ذات منشأ عصبي وليست ناتجة عن أسباب بيئية أو أي نوع من أنواع الإعاقات وتكون القدرة العقلية للفرد متوسطة أو فوق المتوسط".

3: التلميذ الدسلكسي

هو ذلك التلميذ الذي يعاني من صعوبة غير عادية ومستمرة في تعلم مكونات الكلمات والجمل وفي الكتابة وفي تعلم كيفية التعبير عن الوقت والتمييز بين فصول السنة ويواجه صعوبة في تحديد الاتجاهات (اليمين أو اليسار،أعلى أو أسفل) كما أنه لا يترك مساحات خالية بين الجمل أثناء تحدثه ويصعب عليه تفسير الإشارات ذات المعنى التي يمكن إحداثها بواسطة الأصابع.

الدراسات السابقة

تعدّ الدراسات السابقة بمثابة السند والدعم النظري الذي يعتمد وينطلق منه الباحث في دراسته لأي موضوع، فلتحقيق الدقة العلمية لابد عليه من العودة إلى التراث العلمي وعصارة الدراسات السابقة.

ومن بين الدراسات التي تسنى لنا الحصول عليها ما يلـي:

1- دراسة نيوتن (Neuton,1970) بعنوان "العلاقة العصبية المباشرة بين نمو الحديث والهيمنة المخية الجانبية "

أوضحت هذه الدراسة اتجاها جديدا للوظائف العصبية المرتبطة بالهيمنة الجانبية ،حيث قارنت ذبذبات رسم المخ في المناطق الأمامية والخلفية والصدغية من النصف الأيمن والأيسر للقشرة المخية في مجموعة من الأطفال المعسرين قرائيا ممن تتراوح أعمارهم بين 8-13 سنة من ذوي الذكاء المتوسط والمتخلفين في القراءة بحوالي أربع سنوات مقارنة بمجموعة ضابطة من القراء الجيدين، وأسفرت الدراسة على النتائج التالية :

- أظهر الأطفال المعسرين قرائيا نشاطا أكثر لموجات ألفا وبيتا مؤكدين مستوى منخفض من الاستثارة في النصف السائد من المخ ، وتمييزا أقل بين النصفين الكرويين للمخ ،أما المجموعة الضابطة فقد أظهرت نشاطا أكثر في النصف غير السائد من المخ.
- الهيمنة الجانبية في الاستثارة بالنسبة للأطفال المعسرين قرائيا هي غير تامة
- 40% من الحالات لديها ضعف عصبي .
- 35% من الحالات لديها تحديد وراثي.
- 20% من الحالات لديها عيوب في كل الجوانب.(نصرة .ج،1995، ص80-81)

2- دراسة دالبي (Dalby,1979) بعنوان "عجز أم تأخر " – نماذج نفسية عصبية – "للعسر القرائي النمائي"

سلطت الدراسة الضوء على النظام العصبي المركزي في اضطرابات القراءة ،حيث عدّته أساس الفشل القرائي، وتحديدا "تلف المخ " بوصفه سببا رئيسا للعسر القرائي النمائي.

هذا وأشارت نتائج الدراسة إلى:

- ضرورة تركيز الانتباه على " نظرية النطق " و " إعادة التشكيل " .
- أشارت الدراسة إلى أن تحديد مصطلح "عسر القراءة النمائي " يكون إجرائيا بعد عزل جملة من العوامل هي على التوالي : الاضطرابات الانفعالية ، الحرمان البيئي ، التدريس غير ملائم (نصرة .ج ،1995).

3- دراسة ساتيان (Satyan,1980) بعنوان "إدارة الأطفال الذين لديهم صعوبات في القراءة مدخل متعدد النظم "

هدفت الدراسة إلى:

- فحص الأطفال الموجودين بالمركز الإكلينيكي لمشكلات القراءة باستخدام "مدخل متعدد النظم"
- الوصول إلى تقييم شامل،حيث يتكون فريق التشخيص من مجموعة من المختصين :الطب ،الاجتماع، التحدث، السمع ،العلاج النفسي. واشتملت الدراسة على الأدوات التالية :

مقياس وكسلر لذكاء الأطفال، مقياس الذكاء لبينيه، اختبار تيرمان، اختبار الإدراك الحسي البصري، اختبار بندر جشتالت للإدراك الحسي البصري، وتم التوصل إلى النتائج التالية :

- عسر قرائي حاد في (48%) من العينة (120%) كان لديهم صعوبة أساسية في نقص جوانب القراءة (بصرية سمعية).
- (17%) المتبقية (42 حالة) فكان لديهم عسر قرائي حاد وخطير (لم يعتبروا قراء أصلا) .

4- دراسة سنيدر (Snyder,1983) بعنوان " تعديل طريقة الاستثارة اللّمسية الثنائية لتخصص نصفي المخ الأيمن والأيسر لدى عينة من القراء الجيدين ومجموعة أخرى من ذوي العسر القرائي ." و هدفت هذه الدراسة إلى :

- الكشف عن علاقة الاستدلال النصف كروي للمخ بالتشغيل اللفظي والمكاني لدى عينة من الذكور الذين يفضلون اليد اليمنى ،وبلغ حجم العينة (66 مفحوصا)

تراوحت أعمارهم بين (9-13 سنة) وكان من شروط العينة أن يكون أفرادها لديهم ذكاء متوسط أو فوق المتوسط ،مع انعدام أي إعاقة حسية أو اضطراب انفعالي .

- استخدم الباحث التحليل العاملي الثلاثي لاختبار الفروض الأساسية .

و أسفرت الدراسة على النتائج الآتية :

- عدم وجود فروق في دقة الاستجابة بين المجموعات .
- وجود فروق داخل المجموعات عن تلك الموجودة بين المجموعات .
- النصف الأيمن من المخ يحتوي مهام تشغيل الأشكال والحروف.
- النصف الأيسر من المخ يحتوي تشغيل مهام الأشياء في المجموعات العادية.

أما بالنسبة للأطفال من ذوي العسر القرائي فإن النصف الأيمن من المخ يشتمل كل المهام (أشكال حروف أشياء) ، فاقترحوا بذلك استخدام استراتيجية معرفية كلية مكانية للمثير سواء كانت لفظية أم غير لفظية. (مقيدش.س ،2005).

5- دراسة بو (Bow,1988) بعنوان "مقارنة مجموعة من الذكور المتفوقين عقليا من ذوي التحصيل الجيد في القراءة بغيرهم من المتفوقين عقليا من دون المستوى بالنسبة للقراءة "- منظور نفسي عصبي-

تهدف هذه الدراسة إلى مقارنة مجموعة من الذكور المتفوقين عقليا وجيدي القراءة بمجموعة من الذكور المتفوقين عقليا كذلك لكنهم دون المستوى بالنسبة للقراءة.

تكونت عينة الدراسة من 40 مفحوصا ،قُسِّموا إلى متفوقين وضعاف طبقا لأدائهم في الفصل ودرجاتهم في القراءة ،وتم انتقاؤهم بالمعيار التشخيصي التالي:

- العمر العقلي من 8-12.
- درجة ذكاء كلية 120 أو أكثر على مقياس وكسلر لذكاء الأطفال –المعدل.
- مستوى اجتماعي مرتفع أو متوسط على مقياس هولينجش (Hollingesh,) .
- فرص تعليمية ملائمة ونموذج منظم للحضور في المدارس العامة.
- عدم وجود مشكلات انفعالية واضحة.
- عدم وجود تاريخ لجرح حاد بالمخ ، والذي يتطلب استشارة عصبية.
- لا يوجد أي علاج أثناء العلاج.

واشتملت الدراسة على الأدوات الآتية :

مقياس وكسلر لذكاء الأطفال، اختبار للتحدث، تقييم إكلينيكي للوظيفة اللغوية، اختبار بندر جشتالت.

اختبار بنيتون لتمييز الشمال من اليمين، اختبار بنيتون لتمركز الأصبع، اختبار الاستعداد للتعلم، اختبار ليلاند لمدى تمييز الانتباه، استفتاء للآباء.

وباستخدام أساليب إحصائية مختلفة ،تم التوصل إلى النتائج التالية:

- وجود فروق دالة في الوظيفة النفسية العصبية الشاملة بين المتفوقين عقليا جيدي التحصيل في القراءة ومنخفضي التحصيل في القراءة.
- وعلى بطارية شاملة للاختبارات النفسية العصبية أظهر المفحوصون من ذوي التحصيل الجيد في القراءة أداء أفضل بصورة دالة عن منخفضي التحصيل.
- كما كانت هناك علاقة ايجابية دالة بين خطورة تخلف القراءة والعيب النفسي النورولوجي الكلي.
- ومنه توصل الباحث إلى أن العيوب النفسية العصبية ترتبط بتخلف القراءة بين الأطفال من ذوي القدرة العقلية العادية والمرتفعة.(نصرة .ج ،1995).

6- دراسة د. حمدي شاكر محمود (1990) بعنوان "علاقة أداء النصفين الكرويين للمخ بإتقان حروف الهجاء والفهم القرائي ،لدى رياض الأطفال بمدينة أسيوط". و تهدف الدراسة إلى :

- محاولة التعرف على علاقة أداء النصفين الكرويين للمخ بإتقان حروف الهجاء بالتعريف على أنماط التعلم والتفكير (أنماط السيطرة الدماغية) في رياض الأطفال.
- تكونت عينة الدراسة من 224 مفحوصا من روضتي بدر للات ودار حراء ممن هم من مدينة أسيوط.

واعتمدت الباحثة لتحقيق أهدافها جملة من الأدوات تمثلت فيما يلي :

- مقياس المستوى الاجتماعي –الاقتصادي.
- اختبار حروف الهجاء لرياض الأطفال.
- اختبار الفهم القرائي لرياض الأطفال .
- اختبار أنماط التعلم والتفكير.

وأسفرت الدراسة عن النتائج التالية :

- وجود فروق ذات دلالة بين البنين والبنات في أداء النصفين الكرويين للمخ وإتقان حروف الهجاء والفهم القرائي ، وفي أداء النمط الأيسر لصالح البنات ،وفي أداء النمط الأيمن لصالح البنين .ولا توجد فروق في النمط المتكامل.

- وجود علاقة ارتباطيه دالة بين النمط الأيسر والنمط المتكامل لدى عينة البنين والعينة الكلية وإتقان حروف الهجاء والفهم القرائي ،والنمط المتكامل لدى عينات البنين والبنات والعينة الكلية

- توجد علاقة ارتباطيه دالة بين النمط الأيمن وإتقان حروف الهجاء والفهم القرائي لدى عينة البنات والعينة الكلية.

- لا يوجد ارتباط دال بين إتقان حروف الهجاء لدى عينة البنين ،ووجدت علاقة ارتباطيه مع النمط الأيمن لعينة البنات والعينة الكلية ، ولم توجد علاقة دالة بين الفهم القرائي والنمط الأيمن لعينة البنين ، مع ارتباط النمط الأيمن بإتقان حروف الهجاء والفهم القرائي لصالح عينة البنات.

ومن الخصائص التي تم اختبارها هي السمات الوالدية ،المستوى الاقتصادي والاجتماعي عمر الوالدين عند ميلاد الطفل ، وعدد الإخوة والترتيب الميلادي . وأسفرت الدراسة على ما يلـي:

الاختبار الموضوعي للخصائص السابقة الذكر أوضحت اتفاقا قويا بالنسبة للموضوعات التالية:

- المركز الخاص بالزواج، وجود الزوج بمفرده أو الزوجة بمفردها لا يتسبب في عسر القراءة.

- تسود علاقات دم قوية بين الأطفال من ذوي عسر القراءة والعكس صحيح.

- لا يوجد دليل قاطع على أن عمر الوالدين يعد من العوامل القوية في ظهور عسر القراءة.

- إن مكانة الوالدين وخصوصا الأمهات بالنسبة للمستوى الاقتصادي والاجتماعي المنخفض وكذلك المستوى التعليمي لا يمكن عزلها على أنها عامل خطير في عسر القراءة والكتابة.

- مستوى تعليم الأم بوصفها عاملا مشكوكا في تأثيره هو يحتاج إلى بحوث أخرى.

- بالنسبة للحالة الاجتماعية توصلت هذه الدراسة بأنه لا يوجد ارتباط دال بين الحالة الاجتماعية للأب والأم من حيث الانفصال، والطلاق ،أو وفاة أحد الوالدين وبين عسر القراءة .

تؤكد الدراسة بشدة على أن المستوى الاقتصادي والاجتماعي يكون له تأثير في حدوث عسر القراءة.

7-دراسة نصرة عبد المجيد جلجل (1993) بعنوان " تشخيص العسر القرائي الغير عضوي لدى عينة من تلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسي مع الدراسة لفاعلية برنامج مقترح " و تهدف الدراسة إلى :

- مسح للرؤى النظرية التي تناولت موضوع العسر القرائي قد يسهم في فهم أعمق للموضوع من كافة جوانبه.
- كيفية التعرف على بعض العوامل المرتبطة بالعسر القرائي.
- إعداد اختبار تشخيصي للعسر القرائي ويتضمن مهارتي القراءة الصامتة والجهرية .
- التأكد من فاعلية برنامج للقدرات المتكررة لتحسين مستوى الأطفال من ذوي العسر القرائي واشتملت عينة الدراسة على (388) منها : (185ذكوراً ،203 إناثا). وتراوحت أعمارهم (7.8-12.4) بمتوسط قدره (9.3) .

وقد اشتملت الدّراسة على الأدوات الآتية:

- أدوات لقياس العمر العقلي للتلاميذ : اختبار وكسلر لذكاء الأطفال .
- أدوات لقياس الاداء الأكاديمي المتمثل في تشخيص مهارات القراءة:اختبار القراءة الصامتة اختبار تشخيصي للعسر القرائي ، استمارة تحليل الأخطاء.
- أدوات لقياس الجوانب العصبية ،الانفعالية ، الاجتماعية ،الأسرية والتمييز السمعي وتشمل على اختبار المسح النور ولوجي السريع، قائمة كورنر لتقدير سلوك الطفل استمارة لقياس المستوى الاقتصادي والاجتماعي ،اختبار التمييز السمعي اللفظي اختبار التمييز البصري اللفظي .

أسفرت الدراسة عن النتائج الآتية :

- حدوث تقدم بالنسبة للأبعاد المختلفة للاختبار التشخيصي للعسر القرائي فقد طرأ تحسين بالنسبة للقراءة الصامتة فيما يخص "التعرف وفهم الكلمة"،" فهم الجملة " وكذلك فهم الفقرة وتحسين أداء التلاميذ من جانب القراءة الجهرية ،والذي انعكس في قلة عدد الأخطاء في الأداء البعدي بالنسبة لجميع الأخطاء (الحذف،الإضافة ،التكرار الإبدال.)
- طرأ تحسن طفيف بالنسبة " لمهارة التعرف " وتحسن ملموس بالنسبة لمهارة " فهم الكلمة " "فهم الجملة " ،" فهم الفقرة " ، وهذا بالنسبة للقراءة الصامتة ، الجهرية

،فقد تحسنت القراءة الجهرية عن طريق انخفاض عدد الأخطاء، الإضافة، الحذف، الإبدال، التكرار.(نصرة .ج ،1995)

- طرأ تحسن بصفة عامة على المهارات الأربع للقراءة وهي مهارة "فهم الكلمة" ،" فهم الجملة"،" فهم الفقرة "، وبالنسبة للقراءة الجهرية فقد طرأ تحسن ملموس بصورة عامة واتضح ذلك من انخفاض عدد الأخطاء: الحذف، الإضافة الإبدال ،التكرار.

- طرأ تحسن بالنسبة لجميع مهارات القراءة الصامتة والمتمثلة في :" التعرف على الكلمات "،" فهم الكلمة"،" فهم الجملة "،" فهم الفقرة " ، خاصة بالنسبة " لمهارة فهم الجملة " وكذا القراءة الجهرية .

- وقد تحسنت القراءة الجهرية بصورة عامة وعكس ذلك انخفاض عدد الأخطاء الحذف الإضافة ، التكرار ،الإبدال .كان عدد الأخطاء قد قل بصورة واضحة بالنسبة لأخطاء الإبدال.

تعليق واستنتاج عام حول الدراسات السابقة:

بناء على العرض المنتقى للدراسات السابقة التي تم اختيارها من بين الدراسات التي تناولت موضوع " العسر القرائي "، وتم التركيز في ذلك على علاقة هذه الأخيرة بالعامل النورولوجي وذلك من منظور **" معرفي – عصبي "** وعليه نجد أنه تم التركيز على بحث العلاقة بين العسر القرائي ومدى اختلال النشاط الوظيفي بالدماغ. وبناء على الدراسات التي تم عرضها يمكن لنا بصفة عامة أن نستشف النقاط الآتية:

1. جل هذه الدراسات تتفق حول الإطار المكاني المناسب لدراسة ظاهرة العسر القرائي وهو " مدارس المرحلة الابتدائية " فقد أشارت أغلب هذه الدراسات أن مؤشرات الدسلكسيا تبرز في السنوات الأولى من بداية تمدرس الطفل.

2. تراوحت المرحلة (الفئة) العمرية التي تم اعتمادها في أغلبية الدراسات بين **"6-15"**سنة ماعدا بعض الدراسات التي تناولت أطفال ما قبل المدرسة مثل دراسة حمدي شاكر محمود (1990) **.**

3. لقد اختلف حجم العينة المعتمد من طرف الباحثين في دراساتهم ،فقد تراوح بين الحجم الكبير (نحو دراسة فيصل خير الزراد-1991-500 تلميذا)إلى الحجم المتوسط (نحو دراستي سندر-1983- وبادين -1986) وصولا إلى الحجم الصغير نسبيا (نحو دراسة بو -1988-) وقد يرجع الاختلاف في اختيار حجم العينة هذا إلى الشروط التي انطلقت منها كل دراسة والأهداف التي كانت ترمي إلى تحقيقها .

4. أهم المتغيرات و النقاط التي ينبغي ضبطها في تحديد مجتمع الدراسة بدقة تتمثل حسب ما أكدته أغلبية الدراسات في النقاط التالية : الفئة العمرية ومدى أهميتها والدليل على ذلك اهتمام مجموع الدراسات والبحوث السابقة بها، المستوى الدراسي،

الجنس، المستوى القرائي، الذكاء ، الحالة الانفعالية، المستوى الاجتماعي والاقتصادي، الجانب الصحي (نحو السلامة البصرية ،السمعية،...)، توفير المناخ المدرسي الملائم .

5. اعتمدت الدراسات السالفة على أدوات لضبط المتغيرات السابقة الذكر سواء كانت هذه الأدوات تقييمية أم أدوات ووسائل تقنية (نحو دراسة نيوتن) ونلاحظ أن هذه الدراسات الأخيرة تعدّ أكثر دقة وموضوعية ومصداقية مقارنة مع تلك التي اعتمدت أساليب تقييمية.

6. اعتمدت هذه الدراسات إلى الجمع بين متغيري "عسر القراءة" و "النشاط الدماغي " ،فمنها من تطرقت إلى الجانب الطبيعي للعسر القرائي وهذا ما نلمسه جليا في دراسة " حمدي شاكر محمود " (1990) فقد تناولت هذه الأخيرة عملية القراءة ضمن نشاطها الطبيعي في الدماغ ، فعُدّت بذلك دراسة مهمة تشكل أرضية أو قاعدة تمكننا من فهم ما يحدث في حالة " العسر القرائي " فقد هدفت إلى الكشف عن أنماط السيطرة الدماغية السائدة في النشاط القرائي لدى الأطفال الأسوياء للاستفادة منها في عدة مجالات كإعداد المعلمين ،ووضع البرامج والمناهج الدراسية وخاصة الحالات الشاذة التي تتطلب توجيها تربويا خاصا .فهذه الدراسة تلعب دورا مهما في استيعابنا للجوانب الخاصة بعملية القراءة بوصفها عملية معرفية ضمن نشاطها الدماغي.وهناك دراسات أخرى سلطت الضوء على النظام العصبي المركزي في اضطراب القراءة كدراسة " دالبي" (1979) والتي أرجعت السبب الرئيس في هذا الاضطراب إلى تلف المخ غير أن هذه الدراسة كانت تفتقر إلى الدقة والأساليب الموضوعية المعتمدة في النتائج المتوصل إليها هذا من جانب ومن جانب آخر نجد دراسة " بو" (1988) التي تناولت الظاهرة في علاقتها مع الجانب العصبي واعتمدت في الكشف عن العيوب النورولوجية الكامنة في عسر القراءة على تحكيم الوظيفة النفسية العصبية ، من خلال تطبيق بطارية شاملة للاختبارات العصبية ،وغير بعيد عن ذلك نجد دراسة " سيندر " (1983) التي ركزت على عملية الاستدلال وعلاقتها بالتشغيل اللفظي والمكاني ،بهدف معرفة كيفية توزيع بعض المهام على النصفين الكرويين بالنسبة للمعسورين قرائيا ، كما نجد دراسة "بيوتن " (1970) التي أكد من خلالها على الأساس العصبي للعسر القرائي مدعما بذلك ما توصلت إليه الدراسات التي سبقته حول وجود ارتباط بين عسر القراءة والخلل الوظيفي بالدماغ.

الفرضيات

استنادا إلى مضمون الإشكالية، والتساؤلات التي ترمي إلى الإجابة عنها، جاءت فرضيات هذه الدراسة كما يلي :

- نتوقع هيمنة النمط الأيمن لدى التلاميذ المعسرين قرائيا في عينة البحث.
- عدم وجود هيمنة مخية تامة لدى التلاميذ المعسرين قرائيا في عينة البحث.

- يوجد اختلاف بين الجنسين في أنماط الهيمنة المخية لدى تلاميذ العينة المدروسة.

منهج الدراسة وإجراءاتها:

أولا:منهج الدراسة

يتمثل موضوع البحث في **"دراسة الهيمنة المخية لدى الطفل الذي يعاني من عسر القراءة (الدسلكسيا)** ، حيث تستدعي طبيعة هذا الموضوع من جهة وسعيا نحو تحقيق هدف الدراسة من جهة أخرى الاعتماد على المنهج الإكلينيكي ، وباعتبار هذه الدراسة تتمتع بطابع * **نفسي –عصبي-معرفي*** وكوننا نتعامل مع السلوك الإنساني فاعتمدنا على المنهج الإكلينيكي القائم على **دراسة الحالة** باعتبارها الطريقة الأساسية للفهم الشامل للحالات الفردية والحصول على قدر كبير من البيانات عن المفحوص وهو تحليل أكثر عمقا للحالة.

ثانيا: إجراءات الدراسة

1. عينة الدراسة: لجأنا إلى المعاينة الاحتمالية في اختيارنا لعينة الدراسة وذلك نظرا لطبيعة الموضوع وتصميم الدراسة،فقد تم الاعتماد على المعاينة العمدية التي ترتكز بدورها على الاختيار القصدي . كما تم اتخاذ من تلاميذ وتلميذات السنة الثانية والثالثة ابتدائي مجالا بشريا خصبا لإجرائها. هذا وقد شملت الدراسة على أربعة (04) أقسام من إحدى ابتدائيات مدينة تمنراست، وبعد سلسلة الخطوات التشخيصية ،والحضور المستمر خلال فترة الدراسة مع التلاميذ في حصص اللغة العربية (القراءة، التعبير، الإملاء، الكتابة) الذي كان منظما في شكل فترات أو حصص عمل برمجت بيومين في الأسبوع موزعة بين الأقسام الأربعة. تم أخيرا ضبط وتحديد الحجم النهائي للعينة والذي قدر بعشرين (20) تلميذا.

2. أدوات البحث: تشمل الدراسة متغيرين أساسيين وهما " الهيمنة المخية "و"عسر القراءة" ولتوفير أكبر قدر من الموضوعية والدقة ،وبغرض إرساء الدعائم العلمية لتحقيق اليقين العلمي صنفت أدوات الدراسة إلى :

أ- أدوات تشخيص "عسر القراءة "

- المقابلة:إذ تعتبر الأداة الأكثر استعمالا في البحوث السلوكية.
- الملاحظة: تم الاعتماد عليها كأداة جدّ مهمة في التشخيص.

- اختبار تشخيص عسر القراءة : حيث يرمي هذا الاختبار إلى تشخيص العسر القرائي لدى تلاميذ السنة الثانية والثالثة بالنسبة للقراءة الجهرية ،وكان الهدف منه تشخيص مؤشرات الدسلكسيا.
- اختبار رسم الرجل " لقياس الذكاء": والذي يكمن هدفه في الحصول على فكرة سريعة عن ذكاء تلاميذ المدرسة الابتدائية.
- استمارة البحث "للدكتور بشير معمريه " تشمل الاستمارة على مجموعة من العوامل الواجب مراعاتها في تشخيص عسر القراءة ،أهمها المستوى الاقتصادي والاجتماعي الثقافي.

ب- أداة تشخيص الهيمنة المخية

استعمل لهذا الغرض اختبار هاريس(Harris) للجانبية الذي يمتاز بسهولته وقصر مدة تطبيقه ويحتوي هذا الاختبار على مجموعة من الاختبارات الفرعية الموجهة لقياس الجانبية لدى الأطفال يطبق هذا على الحالات التي تبدي اضطرابات في القراءة والكتابة أو التي لها اضطرابات في النطق والكلام والحالات التي تعاني من اضطرابات عصبية .

3- تطبيق أدوات البحث

تم تطبيق أدوات الدراسة بإتباع الخطوات الإجرائية التسلسلية التالية:

3-1:المقابلة

كان لوقع المقابلة التي تم إجرائها مع المعلين صدى ايجابي في توصيل فكرة موضوع البحث وطبيعته وأهميته في ضوء الواقع التعليمي والتربوي الذي تعيشه الأسرة التربوية بشكل عام فتم اعتماد هذه المرحلة كأولى خطة عملية في البحث للتعرف على التلاميذ الذين يعانون من صعوبات في القراءة

3-2: إحالة المعلم

نظرا لصعوبة التحديد الاعتباطي غير المؤسس لأفراد العينة المقصودة بالدراسة من جهة، وتماشيا مع مسار البحوث العلمية الجادة من جهة أخرى كان لزاما أن تعتمد الدراسة الحالية في خطواتها التشخيصية التمهيدية على إحالة المعلم .وتم اتخاذ هذه الخطوة كثاني خطوة إجرائية بعد الخطوة الأولى (المقابلة) لأنها كانت تعتمد عليها بالدرجة الأولى، فهي ببساطة خطوة لها من الأهمية ما يجعل منها القاعدة الأساسية في الدراسة، وحجتنا العلمية في ذلك مستخلصة من التراث النظري والمؤكد على دور المعلم (المدرس) الفعال واعتباره المرجعية الأساسية للتلميذ وكونه الفرد الأكثر احتكاكا وإدراكا لميوله ورغباته...ومعوقاته وكذا صعوباته التعليمية.

3-3:الملاحظة

تم الاعتماد على هذه الأداة المهمة بهدف ملاحظة سلوكيات التلاميذ طبيعيا على أرض الواقع،وتمت المشاهدة العيانية المقصودة من خلال الحضور المستمر في حصص اللغة العربية وفق جدول عمل بمعدل يومين في الأسبوع موزعة على الأقسام الأربعة، قد مست وانصبت الملاحظة بشكل مدقق على العينة التي تم إحالتها من طرف المعلمين . إلا أنها لم تقتصر عليهم بل تعدتهم من أجل اكتشاف حالات أخرى.

3-4: الفحص الطبي

لعل الضبط المفاهيمي والتشخيصي للعينة (موضوع الدراسة) ،يستوجب علينا هذه الخطوة التشخيصية المهمة والضرورية في الوقت نفسه ، خاصة في ظل غياب الاختبارات السيكوفيزيولوجية، والاختبارات النورولوجية –حسب علم الطالبة- وكذا غياب الفحوص الطبية المدرسية المنتظمة وهذا للوقوف على الجانب الصحي والتأكد من سلامة عينة الدراسة الحالية (حسب ما أكدته الدراسات السابقة) ولكن نظرا لغياب الفحص الطبي المدرسي (المقرر وزاريا) للأقسام المحددة وبعد جملة المحاولات والاستشارات والتوضيحات تم تحديد الخطوات العملية التالية:

- ضرورة العودة للمعلمين لتعيين التلاميذ الذين يعانون مشاكل (في الرؤية،السمع،...)
- ضرورة العودة للملفات الطبية للتلاميذ (السنة الأولى).
- يتم إبعاد التلاميذ الذين يظهرون من (إحالة المعلم ،الملفات الطبية) أن لديهم مشاكل طبية.

3-5:تطبيق اختبار تشخيص عسر القراءة

وهنا تم إخضاع أفراد العينة إلى اختبار عسر القراءة، وكان الهدف من تطبيق هذا الاختبار هو القيام بتقييم فاصل للعينة السابقة، بفرز عناصرها واستخراج الأفراد الذين لديهم مؤشرات عسر القراءة عن الأشخاص الذين أبدوا صعوبات على مستوى القراءة.

3-6: اختبار الذكاء

لضبط المتغيرات المختلفة التي قد تلعب دور العوامل الدخيلة والمسببة لعسر القراءة،تم اللجوء إلى اختبار رسم الرجل لقياس ذكاء كل حالة من الحالات ،وفيه عمدنا إلى استبعاد الحالات التي تنخفض فيها حاصل الذكاء عن 90 على المقياس.

3-7: تطبيق استمارة البحث للدكتور بشير معمريه

تم توجيه هذه الاستمارة إلى أولياء التلاميذ وكان الهدف منها هو ضبط بعض العوامل والمتغيرات التي اتضحت من خلال الإطار النظري والدراسات السابقة مثل المستوى الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي،...فساعدت الاستمارة في التعرف على عائلات التلاميذ .

8-3: اختبار تشخيص الهيمنة المخية

بعد التشخيص المطول الذي اعتمدناه في الوصول إلى أفراد العينة النهائية الذين يعانون عسرا في القراءة والذين تتوفر فيهم الشروط المطلوبة على درجة من الدقة والموضوعية (قدر الإمكان) تم تطبيق اختبار هاريس للجانبية الذي أعتمد عليه لدراسة نمط الهيمنة المخية لدى أفراد العينة.

نتائـج الدراسـة:

1- النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:

تمت صياغة هذا الفرض على النحو الآتي :" **نتوقع هيمنة النمط الأيمن لدى التلاميذ المعسرين قرائيا في عينة البحث"** .ولقد دلت نتائج تطبيق اختبار هاريس للجانبية على التلاميذ المعسرين قرائيا من أفراد العينة عدم صحة الفرض، أي عدم تحقق هذه الفرضية على مستوى كل الاختبارات الفرعية لهاريس بالرغم من أن ما تحقق من خلال نتائج البحث لا يتوافق مع ما أشارت إليه بعض البحوث والدراسات العلمية التي تمت الإشارة إليها مسبقا ،حيث إنّها ترجع السبب في الدسلكسيا إلى وجود خلل وظيفي في تولي النصف الكروي الأيسر لمهمة القراءة ،ما يؤدّي إلى تحول المعالجة اللغوية لهذه الوظيفة إلى النصف الكروي الأيمن من المخ . وعدم تحقق ما نصت إليه الفرضية الأولى هو عكس ما وصل إليه "حمدي شاكر محمود " من خلال دراسته التي حملت عنوان "علاقة أداء النصفين الكرويين بالمخ بإتقان حروف الهجاء والفهم القرائي لدى رياض الأطفال "، والتي خلص من خلالها إلى وجود علاقة دالة بين النمط الأيمن وإتقان حروف الهجاء والفهم القرائي لدى العينة الكلية للدراسة. ومن جهة أخرى فإنّ النتائج المتوصل إليها حول "هيمنة النمط الأيمن" لا تثبت على الإطلاق وجود خلل على مستوى النصف الكروي الأيسر وهو ما أكدته نتائج الاختبار الفرعي الأولى لهاريس **"القدرة على التمييز بين اليمين والشمال "** والذي تعدّ نسبته دلالة على الاضطراب الوظيفي في النصف الأيسر من المخ وهذا ما أثبتته النسبة التكرارية المرتفعة ل (c) والتي بلغت (45%) ، ما يشير إلى انخفاض التحكم والتناسق في المهارات الحركية ،ما يدل على قصور القدرة على إدراك العلاقات المكانية (القدرة على التوجه المكاني) والتي تعدّ من مهام نصف الكرة المخية الأيسر والخلل على مستواه هوما يبرر عدم القدرة على التعرف على جانبي الجسم والخلط بين الحروف والكلمات المتشابهة وهذا ما لمسناه جليا من خلال تحليلنا لاختبار عسر القراءة عند الحالات.

2- النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية:

تمت صياغة هذا الفرض على النحو الآتي :" **عدم وجود هيمنة مخية تامة لدى التلاميذ المعسرين قرائيا في عينة البحث"**.ولقد أثبتت نتائج التلاميذ المعسرين قرائيا على الاختبارات الفرعية لهاريس تحقق هذه الفرضية بمعنى أن لا وجود لهيمنة مخية

تامة لدى المعسرين قرائيا ما ينجرّ عنه هيمنة النمط المختلط لدى هذه الفئة بالضرورة.وهذا ما يؤكد عدم وجود نظام داخل المخ يحكم مهام كل نصف كروي منه ما يؤدي إلى هيمنة كلا النصفين على وظيفة القراءة ،كما أن الجانبية تتوافق مع اللاتناظر الوظيفي الدماغي للقراءة ،والجانبية المتوافقة والمنسجمة هي التي يسود فيها نمط السيادة المهيمن جانبا واحدا من الجسم ومنه عدّت الجانبية المختلطة أو الشاذة مجالا خصبا لظهور صعوبات القراءة والدسلكسيا بصفة خاصة.وما تم التوصل إليه من نتائج في هذا البحث والتي تثبت صحة الفرض يتوافق مع ما وصل إليه "Bow,1988" من خلال دراسته التي تهدف من منظور نفسي عصبي إلى مقارنة مجموعة من الذكور المتفوقين عقليا من ذوي التحصيل الجيد في القراءة بغيرهم من المتفوقين عقليا من دون مستوى في تحصيل القراءة ،والتي توصل من خلالها إلى وجود فروق دالة إحصائيا في الوظيفة النفسية العصبية بين المتفوقين عقليا جيدي التحصيل في القراءة ،ومنخفضي التحصيل في القراءة ،وأن هناك علاقة ايجابية دالة بين عسر القراءة والعيب النفسي النورولوجي الكلي لدى الأطفال من ذوي القدرة العقلية العادية والمرتفعة. ويؤكد الفكرة ما توصل إليه "نيوتن "هو الآخر من خلال دراسته حول "العلاقة العصبية المباشرة بين نمو الحديث والهيمنة المخية الجانبية "،حيث قام من خلال هذه الدراسة بمقارنة ذبذبات رسم المخ في المناطق الأمامية والخلفية والصدغية من النصف الأيمن والأيسر للقشرة المخية في مجموعة من الأطفال المعسرين قرائيا بمجموعة ضابطة من القراء العاديين،فخلص من خلالها إلى أن الهيمنة الجانبية في الاستثارة بالنسبة للأطفال المعسرين قرائيا هي غير تامة فهم قد أظهروا نشاط أكثر لموجات "ألفا" مؤكدين مستوى منخفض من الاستثارة في النصف السائد من المخ، وتمييزا أقل بين النصفين الكرويين للمخ، أما المجموعة الضابطة فقد أظهرت نشاطا أكثر في النصف السائد من المخ. وهذا يتماشى أيضا مع ما وصل إليه "عبد الوهاب محمد كامل"من خلال دراسته التي تشير إلى وجود خلل وظيفي بالمخ تنعكس أعراضه في صورة صعوبات التعلم وعلى رأسها عسر القراءة.كما تتفق نتيجة الفرض الثاني مع ما توصل إليه عالم النفس العصبي "أورتون" والذي أرجع هذه الظاهرة إلى عدم اكتمال عملية هيمنة "سيطرة" أحد نصفي المخ على هذه الوظيفة ما جعله يتخذ من عامل الهيمنة المخية غير التّامة عاملا رئيسيا يقف خلف عسر القراءة.

3- النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة:

تمت صياغة هذا الفرض على النحو الآتي :" **يوجد اختلاف بين الجنسين في أنماط الهيمنة المخية لدى تلاميذ العينة المدروسة".**يتضح من خلال النتائج المتوصل إليها عدم تحقق الفرضية بمعنى أنه لا يوجد اختلاف بين الجنسين في أنماط الهيمنة المخية لدى المعسرين قرائيا، إذ اتضح من خلال النتائج المعروضة مسبقا سيادة **"النمط المتكامل"** لدى كل من الذكور والإناث. وما تم التوصل إليه من نتائج يتوافق مع ما خلصت إليه الدراسات والبحوث العلمية السابقة ،وما تم الإشارة إليه في العرض النظري والمتمثل في انتشار نمط الهيمنة المخية المختلط يكون متشابها في مختلف

المناطق وبين كل الأفراد المصابين به. ويعدّ عدم وجود اختلاف بين الجنسين (ذكور ،إناث) في أنماط الهيمنة المخية نتيجة منطقية باعتبار أن التلاميذ المعسرين قرائيا(أفراد عينة البحث) يشتركون في مجموعة من العوامل التي تم اعتمادها بوصفها معايير في التشخيص ،وكونهم يعانون من نفس الاضطرابات وباعتبار أن عسر القراءة هو اضطراب ناتج عن وجود خلل الميكانيزم الذي يمهد بروز القدرة القرائية وبالتالي عدم تحقق الفرضية أمر جد منطقي.

المراجع

البحري، م .(2009)، "إسهام بعض المتغيرات النفسية في التنبؤ بالألكسيثيميا لدى عينة من الأطفال من ذوي صعوبات تعلم القراءة لدى الموهوبين موسيقيا".مجلة الدراسات النفسية ،المجلد19،العدد الرابع.

1- آن كامجي. (2000)، "التفكير الايجابي"، ترجمة م.علاء. مركز الخبرات المهنية للإدارة بميك،القاهرة

2- عوض الله ،م. الشحات، م . عاشور ،أ.(2003)،" صعوبات التعلم –التشخيص والعلاج-". دار الفكر، عمان.

3- عاشور،أ.(2002)،" مدى فعالية برنامج تدريبي في علاج بعض صعوبات التعلم النمائية ".كلية التربية،رسالة دكتوراه غير منشورة،جامعة الزقازيق.

4- شحاتة، م .(1999)، "تشخيص وعلاج القصور في حل المشكلات اللفظية لدى التلاميذ ذوي صعوبات التعلم". كلية التربية ،جامعة الزقازيق.

5- نصرة ،ج .(2002)، "قراءات حول الموهوبين من ذوي العسر القرائي-الدسلكسيا-".مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة.

6- مقيدش، س.(2005)، " علاقة السيطرة الدماغية بعسر القراءة".كلية العلوم الإنسانية ،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة باتنة.

8- Michel. H.(1997), "La Dyslexie" : le cerveau singulier, sol al. Marseille.

عدد38 – ديسمبر 2012، ص.ص.215-227

المعوقات السياسية للتنمية في الجزائر

ملخص

يعالج هذا المقال موضوع المعوقات السياسية والإدارية والأمنية لعملية التنمية الشاملة في الجزائر باعتبارها عناصر مهمّة في الإجابة عن أسباب فشل التنمية في الجزائر التي هي مطلب جماهيري ومحدد رئيس في استمرارية النظام القائم وتقويته. إذا حاولنا من خلاله الكشف عن طبيعة النظام السياسي الجزائري وأهم الأزمات التي يعاني منها والمتعلقة أساسا بأزمات التنمية السياسية من أزمة مشروعية ومشاركة واختراق المرتبطة بخصوصية الجهاز الإداري الجزائري والأزمة الأمنية التي عاشتها الجزائر لفترة تطول عن عقد من الزمن والتي كان لها نتائج جد سلبية ليس فقط على الجانب السياسي من التنمية بل كل الجوانب المتعلقة بهذا الموضوع.

أ. مليكة فريمش
كلية العلوم السياسية
جامعة قسنطينة 3
الجزائر

Abstract

This study is concerned with political, administrative and security limitations in the Algerian developmental process. Due to their importance to answer the crucial questions about the causes of underdevelopment, this study attempts to tackle the most important elements of political development crisis such as legitimacy, participation, and administrative penetration that have a close relationship with bureaucracy in Algeria, without neglecting the negative impact of time and insecurity that affected Algeria more than ever before.

مقدمة

لقد أجمع العديد من الباحثين في ميدان العلوم الاجتماعية على فشل النموذج التنموي لدول العالم الثالث أو على الأقل أنه لم يستطع الوصول للأهداف التي سطرتها هذه الدول مرجعين ذلك إلى عوامل عدة مترابطة بل أنها متداخلة مع بعضها البعض سواء كانت ذات بعد سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي، داخلية أو خارجية. ويمكن إسقاط هذا الكلام على الحالة الجزائرية، إذ كثيرا ما يراود أذهان الساسة والباحثين أو حتى المواطن العادي تساؤل مفاده كيف لبلد كبير كالجزائر بمساحته وموارده الطبيعية خاصة منها الطاقوية وثروته البشرية وتاريخه المشرف أن يبقى يتخبط في شباك التخلف ولا يستطيع أن يقوم إلا بخطوات صغيرة

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2012.

نحو التنمية منذ عشرات السنين؟ بمعنى ما الذي يسبب عدم قدرة تحقيق التنمية في هذا الوطن؟

إن الإجابة عن هذا السؤال الجوهري تبدو صعبة ومتعددة الجوانب لتشابك عناصرها، إذ نعتقد أنه من الضروري التعمق في تحليل هذه العناصر معتمدين على تصنيفها حتى وإن كان هذا الأمر لمجرد التنظيم المنهجي الذي يضمن الدقة والشمولية في الإجابة. وعلى هذا الأساس نريد من خلال هذا العمل الوقوف عند المعوقات السياسية والأمنية للتنمية في الجزائر، دون أن نهمل ما للجوانب الأخرى كالمعوقات الاقتصادية وفشل السياسيات الاقتصادية التنموية منذ الاستقلال وتفشي ظاهرة الفساد بجميع أنواعه والمعوقات الاجتماعية كالنمو الديمغرافي غير المتحكم فيه وضعف دور المجتمع المدني في المشاركة في عملية التنمية من الأهمية.

1- طبيعة النظام السياسي:

حتى وإن كانت دارسة طبيعة النظام السياسي تقوم أساسا على دراسة مؤسساته السياسية والإدارية وكيفية عملها وسيرها، إلا أنها غير كافية لفهم الميكنزمات التي يقوم عليها هذا النظام ولهذا لا بد من أن تكتمل بدراسة سياسية اجتماعية حتى تضفي الضوء على الديناميكية العامة التي يتطور بها.

إنّ للنظام السياسي الجزائري هيكلة وديناميكية خاصة به، وله مهمة تاريخية محددة تتمثل أساسا في بناء الأمة والوطن في محتوى يتميز بضعف العوامل الضرورية لتحقيق اندماج وتحديث وطني داخلي، وتبعية خارجية. فبعكس التجارب الأوروبية للقرن 19، لم تكن عملية البناء الوطني قائمة على محددات حركية اقتصادية، وإنما عن طريق جهاز سياسيي يريد من خلال البحث عن أسس تضفي عليه مشروعية البقاء أن يحقق هذا الاندماج. ومن هذا المنطلق ربط فرونتز فانون بين الاتجاه نحو تسلطية الدول المستقلة حديثا وبين غياب العوامل الاقتصادية والاجتماعية المحفزة لاندماج الاجتماعي، فرغم أن هدف كل الأنظمة السياسية هو البحث عن تحقيق الاندماج بين أفراد مجموعة اجتماعية في إطار فضاء معين، إلا أنه مطلوب وقومي ومقترن بالعنف في الوقت نفسه بالنسبة للدولة القومية، ولهذا فإنّ الأنظمة السياسية لا تختلف عن بعضها بوجود العنف من عدمه وإنما تختلف انطلاقا من الكيفية التي تهيكل بها هذا العنف وتديره (1).

لقد أراد النظام السياسي الجزائري الناشئ عن حرب التحرير تحقيق نموذج لاندماج متميز بعلاقات مغايرة لتلك التي كانت سائدة في النظام الاستعماري، إلا أن هذه العلاقة الاندماجية والتهميشية في الوقت نفسه كانت موجودة في النظام الاستعماري نفسه ولم تختف بسرعة مباشرة بعد الاستقلال، فلقد أدت سياسة الدولة المستقلة إلى تعويض نقص الهياكل الاقتصادية والاجتماعية بمبالغة في إعطاء القيمة للهياكل السياسية والأيديولوجية، وبالتالي بات الاستقلال لوحده غير كفيل بتحويل المشروع الوطني إلى مشروع جديد للمجتمع، الذي لم يكن بإمكان تحقيقه بمفرده، ولهذا أخذته

الدولة على عاتقها، ولكن باستعمال مفرط للإكراه والقهر. ويعتقد الأستاذ عبد قادر بن سعدة أن غموض مشروع جبهة التحرير الوطني يكمن في أنها اختصرت المجتمع ككل في الأمة، من حيث إنّ الدولة لا تنشأ فقط الأمة ولكنها تنشأ المجتمع بحجم الدولة، الذي حتى وإن كان الأكثر قومية، إلا أنه لا يمكن أن يكون أمة لأنهما وحدتين مختلفتين تماما، ولهذا فقد خنق الثراء التصارعي للمجتمع الجزائري إلى غاية أحداث أكتوبر 1988، كما أن تسلطية النظام غطت هيمنة مجموعات مسيطرة أخذت السلطة بعد الاستقلال بغطاء إيديولوجي شعبوي: فإن كانت التجربة الأوروبية في القرن 19 قد غطت أروبا بغطاء اجتماعي برجوازي، فإن ذلك مختلف في الدول المستقلة حديثا، لأن القومية ألبست لباسا اجتماعيا شعبيا. صحيح أن عملية البناء الوطني بعد الاستقلال أرادت أن تكون بعيدة عن الديمقراطية البرجوازية، لكن ذلك يضمن حماية العملية الثورية من خطر هيمنة بيروقراطية أدت إلى احتكار للسلطة من طرف جماعة اجتماعية متسلطة، إذ وبحجة بناء نظام نضالي كان فيه الأفلان المصدر الرمزي للسلطة، التي سيطرت عليها مجموعة اجتماعية ذات أصل عسكري تدريجيا ثم التحقت بها مجموعة أخرى ذات أصل بيروقراطي وتقنوقراطي، منها من عارض مشروع الإصلاح السياسي والاقتصادي خوفا من فقدانها لمصالحها السياسية والاجتماعية المكتسبة والمحفوظة منذ فترة الاشتراكية التي لم تستطيع تحقيق المساواة الاجتماعية (2).

ومع هذا يعتقد الكاتب الجزائري محمد إلياس مصلي أنه يجب التفرقة بين ديكتاتور محافظ وديكتاتور ثوري حتى وإن استعمل كليهما الوسائل القهرية للحفاظ على السلطة، فبينما نجد الديكتاتور الثوري يريد تحويل النظام الاجتماعي القائم عن طريق القضاء على اللامساواة الاقتصادية والاجتماعية، نجد الديكتاتور المحافظ يسعى إلى معارضة التقليل من خصومه الاجتماعيين، بما أن كل المجتمعات البشرية تتميز بالصراع الدائم بين ذوي الامتيازات وبين المهمشين. إذ لا نستطيع مقارنة نظام جمال عبد الناصر بنظام بينوشي في الشيلي ولا مقارنة ديكتاتورية لينين بديكتاتوريه ستالين، ولا نظام بومدين بنظام فرانكو. ولهذا فقد عرف التاريخ البشري بعض الديكتاتوريات ذات الطبيعة التقدمية وأخرى رجعية، إذ يقبل هذا الطرح عند التيار الفكري الذي يعتقد بضرورة استعمال جميع الوسائل حتى غير الأخلاقية منها في حالة بناء دولة ووجود خطر يهددها، رغم معارضته للقانون الطبيعي الخاص باحترام الأشخاص. ومع أن البعض يعتبر الديمقراطية على أنها نظام قائم على العلاقة بين الأفراد لا تتناقض مع مبدأ حرياتهم التي لا تعني عدم امتثالهم لأي مسؤولية قانونية، وإنما تعني استقلاليتهم والمساواة بينهم بمعنى إمكانية الجميع التمتع بهذه الاستقلالية (3). بينما يعدّها الآخرون غير متوقفة عند شكل تنظيم سياسي معين وإنما هي طريقة وجود للمؤسسات والأفراد. إذ تفهم على أنها ضرورة أخلاقية، وفي هذه الحالة قد تكون سابقة لمجتمع مازال يحافظ على سلوكيات بدائية، كما أن نظام التسيير الديمقراطي ليس ثابتا في كل الأزمنة والأمكنة، إذ لا يمكن تطبيق ديمقراطية أثينا اليوم مثلا، ولا ديمقراطية

أمريكا في الجزائر إذ أنها مرتبطة بحراك الحياة الاجتماعية. ولكن تؤدي الديمقراطية إلى إقامة دولة القانون التي تتميز بامتثال الحكام الطوعي للقانون، واحترام الإدارة لتلك القواعد القانونية التي تسير المجتمع، الأمر الذي لم يزل لم يتحقق بعد في الجزائر والذي يقترب أكثر من الدولة الشرطي التي تناقض دولة القانون، والدّليل على ذلك كثرة قضايا الفساد وتهم التزوير في الانتخابات وغيرها (4). وتتعقد الأمور أكثر عندما يكون من الضروري الخروج من دولة القانون بأسباب يعتقد أنها قهرية وأن متطلبات بقاء الدولة يتطلب تدخل الجيش، مثل ما حدث بعد أحداث أكتوبر 1988 وتطبيق الحالة الاستثنائية وحالة الطوارئ منذ 1992 إلى غاية 2011.

وكثيرا ما تعارض النظام السياسي الجزائري في مراحله بين واقعه وخصوصياته وبين الأهداف المسطرة، وأحسن مثال هو سياسة التصنيع في الجزائر القائمة على الصناعة المصنعة التي تستقطب تكنولوجيا عالية كانت بعيدة عن المجتمع الجزائري الفلاحي ويعاني من نسبة كبيرة من الأميّة،كما يلتقي مع باقي الأنظمة العربية خاصة والدول النامية عامة في مسألة الأزمات التنمية السياسية التي تميزها والتي يصنفها العلماء إلى: أزمة المشروعية والمعبرة عن الأسس اتخاذ الحكومة لقراراتها ودرجة قبول المجتمع له، ثم أزمة المشاركة وهي تعبير عمّن يملك التأثير في عملية صنع القرار،فأزمة الاختراق الإداري التي تعبر عن مشكلة كيفية إحراز الحكومة المركزية رقابة أكثر فاعلية عن طريق جهازها الإداري.

أ- أزمة المشروعية

إنه من الصعب على أي حاكم أو نظام أو حكومة أن تسير الصراعات بداخلها الأمر الذي يضمن لها حكم أطول واستقرار أكثر الذي قد يتحقق داخل الأنظمة لفترة من الزمن بسبب الخوف أو الاجتياح أو العرف، بينما أحسن العلاقات بين الحكام والمحكومين وأكثرها انسجاما هي تلك المبنية على قبول المحكومين صحة وسمو سلطة الحكام، كما يؤكد ذلك ماكس ويبر Max Weber (5). فبعدما أعطيت عدة تعاريف للمشروعية مثل الجماعة السياسية، الخرافة السياسية، الدعم وتأثير على النظام، يقول Ted Gurr يمكن اعتبار الأنظمة ذات مشروعية انطلاقا من مدى اعتبار مواطنيها لأنفسهم أنهم على أحقية وفقا للقانون وعلى استحقاق للدعم، فهي درجة ومدى وعي النخبة والعامة على أن القادة والأنظمة تتوافق مع المعتقدات الأساسية للمجتمع. فالنظام والقائد الذي يتمتع بمشروعية هو ذلك الذي يتميز بالوطنية الحقيقية، وهو يمثل جزء من تاريخها الوطني يعمل وفقا لقيم المجتمع ويحمي حدودها، حتى وإن بدت بعض القرارات غير حكيمة وكان بعض القادة لا يتسمون بشعبية كبيرة، إذ أن العملية الحكومية أو القيادية التي لا تتسم بالمشروعية لا يمكنها أن تسير أو تستمر في السلطة (6). كما دافيد إيستن أن السلطة هي نوع من القوه السياسية معترف بها على أساس أنها مشروعة ومقبولة من طرف الذين يخضعون لها على أساس أنها تتوافق والقيم والإجراءات المقبولة من طرفهم. " وقد وصف هذه العملية بـ" إن كل جماعة حاكمة والتي لها الجرأة على جمع الصلاحيات والامتيازات لصالحها ،عليها الاستناد على مبدأ

مقبول من طرف هذه الجماعة كتبرير لأدائهم السلطوي ... إن هذه المبادئ المذهبية تسمى بأسس المشروعية" (7).

وتفتقد معظم الأنظمة العربية المعاصرة للمشروعية ويرجع ذلك للطبيعة غير المستقرة والمتغيرة لهذه الأنظمة واحتكار السلطة من طرف شخص واحد، وإلى جانب عدم استقرار هذه الأنظمة كميزة أساسية فيها، يصعب التنبؤ بمستقبلها كذلك، إذ تغذيها الإشاعات ونقص المعلومات الأمر الذي يجعل من العملية السياسية غامضة ومن القادة السياسيين مسكونين بشبح عدم الاستقرار والخوف من المجهول. ومع انعدام أو قلة درج مشروعية لأنظمة العربية نجد الكثير من السلوكيات غير الرشيدة كالاغتيالات والانقلابات العسكرية والقمع التي قد تبدو نتيجة لحسابات عقلانية، الأمر الذي خلق نوع من الشك وعدم الارتياح الشعبي وفقدان الثقة في العملية السياسية فيجعل من عملية التنمية السياسية بعيدة التحقيق.

ولا يخرج النظام السياسي على هذه القاعدة، إذ ورغم أسس المشروعية التي تبناها في مرحلته الأولى أي في مرحلة الاشتراكية والقائمة أساسا على مرتكزات خمس من تاريخ ودين وتحقيق الاندماج والتنمية والسياسة الخارجية (8)، إلا أنّه و في فترات عديدة نجده قد فقد هذه الأسس أو لم يستطع تحقيق أهمها خاصة المتعلقة بتحقيق التنمية الأمر الذي عرضه لغضب شعبي ظهر لاسيما في 5 أكتوبر 1989 ثم ما واكب ذلك من أحداث متعاقبة.

ب- أزمة المشاركة: إن مشاركة جميع أقطاب المجتمع في العملية السياسية تعد من أسس مشروعية الأنظمة المعاصرة بما تعنيه من ازدياد المساهمة الشعبية فيها، سواء من حيث العدد أم من حيث مدى اتساع مجالات هذه المساهمة وديمومتها ووجود الإطار المؤسساتي الذي ينظم هذه المشاركة. وتظهر صور هذه المشاركة من خلال تلك الجهود المبذولة من أجل التأثير على القرارات الحكومية وصنع السياسات العامة وسلوك المواطنين المنظم ضمن اللعبة الديمقراطية كالترشح والاقتراع وتنظيم المظاهرات وتقديم الاحتجاجات والضغط على السلطة واستعمال الوسائل التكنولوجيا في إسماع الرأي والمشاركة، ناهيك عن العمل النيابي بمختلف صوره. وأزمة المشاركة السياسية في الجزائر تمثلت خاصة من خلال عجز المؤسسات السياسية عن استيعاب القوى السياسية الاجتماعية، إذ صاحب حكم الحزب الواحد قمع للحريات الفردية والجماعية وفرض قوالب جاهزة stéréotype منعت من خلالها روح المبادرة المبدعة، وتأكيد الأحادية المتعسفة وتراكم عناصرها لسنوات عديدة. ومن هنا برزت رغبة النخب الحاكمة في عدم إشراك القوى الأخرى ذات التوجه السياسي واحتكارها الكامل للتمثيل في إطار سياسة تعبوية تفتقر إلى المشاركة، وإتباع نهج التأييد والحشد والمساندة لبعض القرارات دون الإسهام الحقيقي في صنعها نتيجة ضعف الحزب وهيمنة النخبة العسكرية وعدم تمكين القوى من التعبير عن مصالحها ومطالبها، وبالتالي افتقاد وجود قنوات شرعية أخرى، لذلك انفتح الباب أمام العنف لتوصيل المطالب وإعلان الاحتجاج.

ويمكن تبيان أزمة المشاركة في الجزائر خصوصا من خلال إقصاء شريحتي النساء والشباب، الذي لا يمكن القول بأن هناك عزوفا له عن السياسة، لأن كلمة العزوف تعبر عن إطلاق حكم مسبق، فحتى وإن لم يريد الشباب الاهتمام بها، فهي قد فرضت نفسها عليه لاسيما مع تسارع الأحداث في العالم عامة وفي الوطن العربي والجزائر بصفة خاصة، بل يمكن القول أن هناك إقصاء أو تهميشا لهذه الفئة المهمة جدا من المجتمع الجزائري سواء من طرف الأحزاب السياسية التي لم تستقطبهم أو من طرف السلطة ومراكز اتخاذ القرار .فالشباب مازال بعيدا عن الأحزاب السياسية حتى وإن رفعت بعضها شعارات التشبيب، والتي تبقى بالنسبة لهم ضمن نوعية الخطاب الخشبي والمجرد والشعارات الرنانة التي ترفعها هذه الأحزاب لأنها هي نفسها تغيب فيها اللعبة الديمقراطية التي أساسها مبدأ التداول على السلطة، حتى وإن صنفت بعضها ضمن التيار الديمقراطي، إضافة إلى ضعف عملية الاتصال بينهما لأن أغلبية الأحزاب ما تزال تستعمل وسائل الاتصال التقليدية التي لم تعد تستقطب الشباب، ولم تستطع الأحزاب تكييف نفسها والطبيعة الثائرة والقليلة الانضباط للشباب والتي ترفض عادة إتباع الصور والأنماط الجاهزة. وأعتقد أن ما زاد الهوة بين المجتمع السياسي والشباب هي نوعية الثقافة الأبوية المنتشرة في المجتمع الجزائري والتي تعطي الأولوية بل في كثير من الأحيان القطعية لكبر السن الذي يعتبر معيارا للرصانة والخبرة وتفرض على الشباب الامتثال والطاعة لهم، الأمر الذي يبقيهم بعيدين عن مراكز القيادة والتفكير بل حتى التشاور في المجتمع.

أما عن مكانة المرأة في عملية اتخاذ القرار السياسي والاقتصادي، فرغم اتجاه الدولة نحو تعزيز حقوق المرأة السياسة من خلال التعديل الدستوري لسنة 2008، ثم القانون العضوي المتعلق بتمثيل النساء في المجالس المنتخبة، إلا أن الواقع يقر بعدم استعداد المجتمع السياسي لهذا الأمر. كما يظهر ضعف تواجد المرأة كذلك من خلال المكانة البسيطة التي تحتلها في عملية اتخاذ القرار الاقتصادي حيث تمثل نسبة النساء ربات العمل ب 6% فقط سنة 2006، ويعتبر عدد النساء في الوظائف العليا ضعيفا جدا مقارنة بعدد الرجال حيث من بين 3823 رجل نجد فقط 131 سنة 1995 وهذه الأرقام لم تتغير كذلك في سنوات 2000 حيث من بين 40489 رجل يحتل وظيفة عليا نجد 367 امرأة . كما أن عدد الوزيرات في الحكومة سن 2002 هن أربعة، وهو نفس الرقم سنة 2006 لينقص إلى 03 وزيرات في الحكومة الحالية (9).

2- طبيعة الإدارة الجزائرية: ترتبط الإدارة في الجزائر ارتباطا وثيقا بالمظاهر التالية:

- تفشي عناصر التخلف الإداري والسياسي اللذان يتسما بضعف المشاركة في عملية اتخاذ القرار وتفشي الفساد مما أضعف دور المجالس المنتخبة ومؤسسات المجتمع المدني. إذ أنها تعاني من ظاهرة البيروقراطية كمرض من تفشي مظاهر الفساد الإداري كالرشوة والمحسوبية واختلاس المال العمومي وهدره.

- غياب الشفافية في الرقابة والمساءلة وحكم القانون وتفشي الغموض في أساليب العمل والتسيب.
- فشل سياسات الإصلاح الإداري الذي يستهدف العنصر البشري وأساليب العمل والإدارة فمن حيث التعريف العلمي للإصلاح الإداري يؤكد على أن هدف كل إصلاح هو التنمية الشاملة عن طريق التغير الشامل، فهو لا يستورد إذ من الضروري أن يخضع لخصوصيات الإدارة وبيئتها الاجتماعية والثقافية والحضارية والاقتصادية التي تتفاعل معها ويعبر عن مقتضياتها .ورغم قيام الدولة بعمليات إصلاحات إدارية متكررة وسن العديد من القوانين تماشيا مع الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية مند الاستقلال بدءا بقوانين إصلاح الإدارة المركزية إلى غاية اليوم مع قانون البلدية الجديد، إلا أن هذه الإصلاحات عرفت الفشل والتصدي لها بسبب عدم الإيمان بها ونقص التعبئة والدعاية لها. كما أن الخصوصية الاجتماعية للطبقة الموظفة في الجزائر بل اليد العاملة بصفة عامة التي يعود أصلها إلى الريف والتي قدمت إلى المدينة في إطار النزوح الريفي الذي عرفته الجزائر مند الاستقلال والذي أدى إلى تغيير وجه المدينة والريف على السواء إلى جانب الأزمة الاقتصادية لسنوات الثمانينات وما عرفته الجزائر من أزمة متعددة الجوانب خاصة الأمنية منها ساعد على ظهور قوى خفية نافست الدولة في ميادينها السياسية الحيوية عرقلت كل إرادة تغير عن طريق محاولة بناء رأي عام مغاير تماما لمشروع الدولة الإصلاحي.
- الاعتماد على الأساليب القديمة في التسيير والقائمة على سد الثغرات ووضع الحلول المؤقتة والآنية التي لا يمكن أن تكون علاجا شافيا للمشاكل وإنما نجد أن هذه الحلول نفسها تتحول إلى مشاكل جديدة، وضعف الاعتماد على الأساليب الجديدة في التسيير كأسلوب الإدارة بالأهداف أو إدارة الجودة الشاملة.
- تفشي ظاهرة المحسوبية والولاء القبيلة والعرش، من حيث استبدلت القواعد والإجراءات التنظيمية التي تحكم أي إدارة عصرية بنوع من العلاقات قائم على العصبية والولاء الأبوي وتأثير الأعيان المحليين والزوايا عليها. وفي الحقيقة إن هذه الميزة تشترك فيها معظم الدول العربية التي أسست الدولة القومية فيها على أساس العصبية وعلى هوية قبلية قوية، فأدّى هذا الولاء القبلي والأبوي إلى التأثير سلبيا على الرشاد في التسيير وإضعاف إمكانية الإنتاج (10)، إلى جانب إهمال مصالح المواطن والمصلحة العامة (11).
- عدم وضوح السياسيات العامة للإدارة العامة عموما والإدارة المحلية خصوصا.
- انخفاض مستوى أداء العمالة الأمر الذي أدى إلى الضعف في مستوى أداء الخدمة ورداءة التواصل مع المواطنين وهدر لموارد الدولة.
- إن ضعف الأداء الوظيفي ناتج إلى حد كبير عن ضعف التدريب وعدم وجود حوافز تدفع بالموظفين إلى الإبداع والابتكار.
- تسييس موظفي الإدارة، الأمر الذي طغى على ولائهم للوظيفة والتزامهم

بالأعباء والمسؤوليات التي على عاتقهم.

- بطئ عملية التشريع وعدم الاعتماد على المعايير العلمية إلى جانب بطئ سيرورة التغيير والتحديث.
- ضعف الرقابة والمحاسبة الشعبية بل انعدامها في كثير من الأحيان وهذا راجع في أغلب الحالات إلى عدم انتشار الوعي بضرورة المشاركة في الأنشطة العمومية من جهة ولقلة آليات المحاسبة الشعبية ونوافذها من جهة أخرى، أضف إلى ذلك إحباط المواطنين من النشاط السياسي بسبب عدم الالتزام بالعهود والسلوكيات النافية للأخلاق والالتزام رغم تعاقب الأحزاب والأشخاص على هذه الإدارات، فقد تساوى الجميع مهما كانت اتجاهاتهم أو حزبهم في هذا الأمر .
- التهرب من المسؤولية وانتشار ثقافة الاتكال على الغير من طرف الموظفين وهذا لعدم وجود حوافز قوية تغرس فيهم البحث عن التجديد والتغيير ومحاولة تكييف الأساليب الأنجع والأحسن والتي أثبت كفاءتها في التسيير مع خصوصية الإدارة المحلية في الجزائر.
- الارتباط بنموذج إدارة المستعمر مما تنساق وراءه رغم وجود نماذج قد تكون الأحسن أو الأنسب لخصوصية إدارتنا المحلية بعد تكيفها وفقا للثقافة والعادات المحلية.
- التناقض بين الوضع الرسمي والواقع ويتجلى ذلك في إظهار ما يجب أن يكون وليس ما هو كائن، فيكون بمثابة هروب من الواقع وعدم الاعتراف بكثير من المشاكل أو التقليل من حجمها الأمر الذي ينتج نتائج مغايرة تماما لما كان متوقعا ويبقى الأمور دون حل إن لم يزدها تعقيدا وتفاقما للمشاكل.
- عدم المشاركة الفعلية للإدارة المحلية في ميدان التنمية المحلية والتنمية البشرية ومتطلباتها من ضرورة القضاء على البطالة وتنظيم الأسرة وحماية البيئة (12).

وقد نلخص أهم العوائق التي يعاني منها الجهاز الإداري في الجزائر بما يسمى بأزمة الاختراق الإداري والتي تعبر عن ضعف قدرة السلطة للوصول إلى مختلف قطاعات ومستويات المجتمع والتغلغل في كافة أنحاء إقليمها، والامتزاج بالمواطن بما يمكنها من تنفيذ القوانين وتحصيل الضرائب ووضع وتنفيذ سياساتها (13).

ونتيجة لهذه المظاهر بات من الضروري استكمال إصلاح الإدارة وخاصة الإدارة المحلية عن طريق : مراجعة قانون البلدية والولاية الذي ستفضي إلى تحميل الجماعات المحلية المزيد من المسؤوليات في الاستجابة لتطلعات المواطنين وفي التنمية المحلية وكذا المساهمة في التنمية الاقتصادية عبر كامل التراب الوطني . ويؤكد الرئيس بوتفليقة في هذا الموضوع بأن" التقسيم الإداري الجديد الذي يجري استكماله حاليا سيمكن تقريب الإدارة من المواطن أكثر فأكثر. ومن أجل توفير شروط نجاحه فإن هذا المسار سيتم مباشرته باستحداث ولايات منتدبة جديدة . كما ستواصل الإدارة الإقليمية والإدارات المركزية إصلاحاتها بالاعتماد على رفع مستوى الموارد البشرية وكذا تحديث وسائلها ومناهج عملها وسوف يسهم في ذلك مشروع الحكم الإلكتروني الذي سيستكمل في غضون السنوات الخمسة المقبلة وكل ذلك سيتيح إمكانية الحد من التثاقل البيروقراطي وتخفيف الملفات الإدارية وتحسين خدمات المرفق العمومي " (14).

3-الأزمة الأمنية: لقد كلفت العشرية السوداء الكثير بالنسبة للجزائر، إذ كادت تقضي على الدولة الجزائرية، وتسببت في قتل نحو 200 ألف وخسارة ما يفوق 20 مليار دولار (15). ولهذا أردنا البحث في خصوصيات الأزمة الأمنية في الجزائر التي نراها وراء تأخرها عن ركب التنمية لسنوات عديدة. ويرى البعض أنه لا يمكن فهم أسباب الأزمة الأمنية وظهور ظاهرة الإرهاب في الجزائر بدون فهم طبيعة النظام السياسي الجزائري وطريقة تعامله مع الأزمات التي رافقته طوال امتداده الزمني بل قد سبقته في الظهور، لأنه خلق عن طريق نوعان من العنف: الأول هو عنف ثوري إيجابي شرعي استعمل كأداة لتحرير من استعمار دام أكثر من 130 سنة أراد طمس هوية وشخصية شعب بأكمله؛ أما النوع الثاني فهو عنف نعتبره سلبيا لأنه كان بين قادة الثورة قبل الاستقلال أو ما يسمى بأزمة صائفة 1962التي تطورت إلى مواجهات مسلحة بين قيادة أركان جيش التحرير والحكومة المؤقتة بقيادة بن يوسف بن خدة وانتهت بوصول أحمد بن بلة إلى السلطة بدعم من قيادة أركان جيش التحرير بعدما خرج الشعب إلى الشارع رافعا شعار "سبع سنوات تكفي ". وواصل هذا العنف ملازمة النظام السياسي الجزائري بعد ذلك في إدارته لأزماته ابتداء من أحداث القبائل لسنه 1963 عندما اختار أيت أحمد العمل المسلح كتعبير عن معارضته للنظام، ثم مع الانقلاب العسكري الذي قام بع العقيد هواري بومدين في 19 جوان 1965 ووصوله إلى الحكم عن طريق القوة العسكرية رغم تأكيده على أن حركته عملية تسهم في تحرير المؤسسات واستعادة سيرها العادي بعد أن كانت كلها متمركزة في يد شخص واحد، وأن هدفها لم يكن الإطاحة بنظام سياسي أو تغير لنظام اقتصادي واجتماعي، وإنما كان الهدف هو إبعاد الشخص الذي تسبب في عرقلة السير العادي للمؤسسات. ثم بعد ذلك محاولة الانقلاب التي قام بها العقيد الطاهر الزبيري قائد أركان الجيش سنة 1967 على نظام بومدين نفسه. لنصل إلى الصراع العنيف بين الجبهة الإسلامية لإنقاذ والسلطة بعد توقيف المسار الانتخابي في جانفي 1992 . هذا الصراع الذي كلف الجزائر ثمن غالي، من حيث إنّ العنف والإرهاب خلفوا حوالي 200000 قتيل وحوالي 20000 (16). مفقود رغم إصدار قانون مكافحة الإرهاب الذي يشرك كل قوات الأمن في مكافحة الإرهاب ثم تشكيل القوات الخاصة لمكافحة الإرهاب بقوة تقدر ب 15 ألف سنة 1993 ليصل هذا العدد إلى 60 ألف سنة 1998 أضف إلى ذلك قوات الحرس البلدي ب 100 ألف (17).

وإن أردنا البحث في أصل هذا الصراع الدموي الذي عرفته الجزائر فيرجع الباحث الجزائري هواري في شق كبير منه إلى الصراع بين التيارين المشكلين للوطنية : التيار الأول الموروث عن جبهة التحرير يسميه بالوطنية السياسية، أما التيار الثاني فهو التيار الإسلامي المتمثل في الجبهة الإسلامية لإنقاذ التي يعتبرها صورة عن الوطنية الثقافية le nationalisme culturel religieux. إذ يعتبر عدي أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ تطور للتيار الديني للحركة الوطنية ما قبل الاستقلال المتمثل في جمعية العلماء المسلمين والتي رفضت في بداية تشكيلها أن تكون حزبا سياسيا وأخذت

على عاتقها أهداف تربوية واجتماعية، لكنها بعد الاستقلال تصالحت مع السلطة بقيادة هواري بومدين - بعد تهميشها من طرف نظام بن بلة - وقبلت بحقائب وزارية معينة كالتربية والقضاء والشؤون الدينية. فلقد اقترب نظام بومدين من الجمعية من أجل كسب مشروعية دينية، كما يعتقد أن جبهة التحرير الوطني قد أعادت إنتاج نفس الأيديولوجية السياسية للعلماء الأمر الذي سمح للثقافة الإسلامية (19) بالانتشار خاصة عن طريق التعليم (18).

ولا يقف هواري عدي في اللقاء بين الجبهة الإسلامية للإنقاذ وجبهة التحرير الوطني في هذا النطاق، بل يذهب إلى التعمق في التحليل السوسيولوجي لهما ويعتبر أن كل من حزب الشعب كأصل للأفلان تغلغل في سنوات الأربعينات داخل الطبقة الشعبية الفقيرة والكادحة الريفية والحضارية، الأمر الذي نجده قد حدث مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ في سنوات التسعينات حين استهدف نفس الشرائح الشعبية التي جندها حزب الشعب من قبل. كما يلتقي الحزبان في تبني نفس الأيديولوجية التي يسميها بالشعبوية populisme التي يعرفها على تلك الأيديولوجية التي تعظم الشعب، وتعتبره كوحدة سياسية متجانسة يحتاج لحزب واحد يمثلها ويسيرها ، مع اعترافه بوجود الاختلاف بينهما يعود إلى الجبهة الإسلامية للإنقاذ تعتقد أن جبهة التحرير الوطني فقد مصداقيته أثناء ممارسته للسلطة وأنه لم يعد قادر على التعبير عن الشعبوية وضمانها كأيديولوجية سياسية (19).

وعموما فإننا نعتقد أن أصل الأزمة الأمنية في الجزائر يعود بالدرجة الأولى إلى إخفاق النظام في تحقيق التنمية السياسية و التحول للديمقراطية بشكل سلمي، الأمر الذي عبر عنه البعض بتزامن مشروعين متناقضين: مشروع السلطات العسكرية التي تزعم أن أساس الأزمة ليس سياسيا بل هو مع بعض دعاة الخلافة المستغلين للإسلام للوصول للسلطة، وهي تحارب المسلحين حتى تحمي القوى الديمقراطية ودولة الحق والقانون من بطش الإسلاميين؛ ومشروع المسلحين الذي يزعم أن الأزمة سياسية وتتمثل في رفض السلطات العسكرية وأعوانها كل معارضة سياسية حقيقية ملتزمة بالطرق السلمية القانونية. ثم أخفقها بنسبة كبيرة في تحقيق الأمن مع فشل المخطط الوطني للأمن وكل السياسات الأمنية السابقة والتي كان آخرها ميثاق السلم والمصالحة الوطنية، وعدم قدرتها على القضاء على الإرهاب والدّليل على ذلك استمرار العمليات المسلحة التي تحصد الأرواح والتي سجل رمضان 2011 الأكثر دموية.

خاتمة

وبصفة عامة يمكن القول أن النظام السياسي الجزائري شأنه شأن باقي الأنظمة العربية والدول النامية يعاني من مسألة أزمات التنمية السياسية، ويلتقي أيضا معها في فقدانه في أغلب مراحله للمشروعية كنتيجة لطبيعته غير المستقرة والمتغيرة إلى جانب احتكار السلطة من طرف شخص واحد أو مجموعة صعبة الاختراق، الأمر الذي يخلق صعوبة التنبؤ بمستقبل مصيره خاصة مع كثرة الإشاعات ونقص المعلومات، مما

يجعل من العملية السياسية غامضة وصعبة الدراسة، أضف إلى ذلك تخوف القادة السياسيين من عدم الاستقرار والخوف من المجهول، فتولد نوع من الشك وعدم الارتياح الشعبي وفقدان الثقة في العملية السياسية لتصبح عملية التنمية السياسية بعيدة التحقيق، خاصة مع حدة أزمة المشاركة السياسية التي تتجسد من خلال عجز المؤسسات السياسية عن استيعاب جل القوى السياسية والاجتماعية خاصة فئتي الشباب والنساء اللتين تجدان نفسيهما بعيدتين عن مركز صنع القرار، إذ يكون الاهتمام بهما فقط وقت الحاجة، فكثيرا ما يستعملان كورقة انتخابية رابحة في أغلب الأوقات تخرج في الوقت المناسب قصد الحصول على مكاسب من ورائها وليس لصالحها .

وعموما فقد أدى فشل الدولة في تحقيق المهمة التي أخذتها على عاتقها والتي كان الشعب ينتظرها منها - أي عملية التنمية- بمجالاتها المتعددة سواء الاقتصادية أم السياسية أم الاجتماعية إلى خلق شعور بالكبت وخيبة أمل كبيرة لدى الأكثرية من شرائح المجتمع الجزائري، بل أدت الممارسات غير النزيهة والبعيدة عن تحقيق قيم العدالة والمساواة إلى خلق شعور قوي عند الجزائريين بالتهميش والظلم والحقرة، فغذى إحساس قوي بالتذمر خاصة عند الشباب ورغبة قوية إما بالانتقام من النظام ورموزه أو الهجرة والبحث عن أرض أخرى حتى لا نقول وطن آخر تمنحه فرصة تحقيق الذات والبروز.

الهوامش

1-Mohamed Tahar Ben Saada. Algérie restructuration et réformes économiques (1979-1993). Alger : édition O.P.U 1994. p 8

2- Mohamed Tahar ben Saada. OP-CIT . p 12.

3- René Capitant. démocracie et Participation Politique. Paris: bordas.1972. p 7

4- Mohamed Elyes Mesli. L'Algérie en question.Alger : Editions

5- Max Weber. The Theory of Social and Economic Organization (translated by A.M Henderson and Talcot Parson). New York: Oxford University Press. 1947.pp124-126. نقلا عن Michael C. Hudson. Arab Politics the Search For Legitimacy. London: Yale University Press. 1977. P 1

6- Michael C. Hudson. Arab Politics the Search For Legitimacy. London: Yale University Press. 1977. P 2

7- Mohamed Tahar Ben Saada. Op-cit. P 108.

8- Ibid . p 108

9- République Algérienne Démocratique et Populaire. CNES. Rapport National sur le Développement Humain 2007.p47

10- Quelle marge de manœuvres du gouvernement algérien pour une nouvelle gouvernance locale face à la pression des tribus ? voir le site :

http://www.emarrakech.info/Quelle-marge-de-man/euvres-du-gouvernement-algerien-pour-une-nouvelle-gouvernance-locale-face-a-la-pression-des-tribus_a33847.html.

11- طاشمة بومدين . **الحكم الراشد و مشاكل بناء قدرات الإدارة المحلية في الجزائر**. من موقع :
http://sciencesjuridiques.ahlamontada.net/montada-f23/topic-t197.htm

12- سيد عليوة وأخرون. **علم السياسة**. الإسكندرية : مطبعة الجمهورية. 1999. ص317.

13- http://www.bouteflika2009.com/arabe/content/view/233/93

14- تقية الحواس." المصالحة الوطنية في الجزائر ..علاج الأزمة وأزمة العلاج". من موقع :

http://www.annabaa.org/nbanews/49/259.htm

15- لقد عرفت سنتي 1997 و1998 وحدهما مجازر عديدة منها : مذبحة ثاليت في 3 افريل 1997 في المدية وقتل فيها 52 شخص من مجموع 53 من سكان القرية. مذبحة حوش خميستي في 21 افريل 1997 وقتل فيها 93 قروي في 3 ساعات. مذبحة دائرة لابقوير في 16 جوان 1997 وقتل فيها 50 مدنيا. مذبحة سي زيروق في 27 جويلية 1997 وقتل فيها حوالي 50 مدنيا. مذبحة قويد الحاد ومزوارة في 3 أوت 1997 وقتل فيها ما يقارب 76 مدنيا. مذبحة سوهاني في 20 أوت 1997 وقتل فيها 64 مدنيا. مذبحة بني علي في 26 أوت1997 وقتل فيها ما يقارب 100 مدنيا. مذبحة ريس في 29 أوت1997 وقتل فيها 400 شخص.

مذبحة بني مسوس في 5 سبتمبر 1997 وقتل فيها 87 مدنيا. مذبحة جويلب الكبير في 19 سبتمبر 1997 وقتل فيها 53 مدنيا. مذبحة بن طلحة في 22 سبتمبر 1997 وقتل فيها 200 قرويا. مذبحة سيد العنتري في 23 ديسمبر 1997 وقتل فيها 117 مدنيا. مذبحة ولاية غليزان في 30 ديسمبر 1998 وقتل فيها 1280 مدنيا. مذبحة سيدي حميد في 11 جانفي 1998 وقتل فيها 103 مدنيا. مذبحة قويد بواجة في 26 مارس 1998 وقتل فيها 52 مدنيا. مذبحة تاجينا في 8 ديسمبر 1998 وقتل فيها 81 مدنيا. مذبحة الكاليتوس في 12 ديسمبر وقتلت فيها عائلة من 14 مدنيا. مذبحة الكاليتوس في 28 جوان وقتل فيها 22 مدنيا.

16- صبرينة حملة، أسباب الإرهاب في الجزائر تداعياته،(مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية،) كلية الحقوق، جامعة لخضر بلحاج، باتنة، 2002_2003.

17- وهنا يفرق عدي بين الثقافة الإسلامية المستمدة من المعرفة المعمقة للقرآن وبين والثقافة الإسلاموية التي هي سلوك سياسي للتعبئة تقوم على تفسير التطورات السياسية من خلال انعدام الأخلاق.

18-Lahouari Addi. L'Algérie et la Démocratie. Pouvoir et crise dans l'Algérie contemporaine. Paris : Editions la Découverte. 1995. pp17-28.
19- Lahouari Addi.op-cit . p 97.

مجلة العلوم الإنسانية —— عدد38- ديسمبر 2012، ص.ص.229- 248

الدراسات الأمنية بين الاتجاهين التقليدي والحديث

أ. صليحة كبابي
كلية العلوم السياسية
جامعة قسنطينة 3
الجزائر

ملخص
هذه قراءة متواضعة في محاولة لفهم محددات هذه الجاذبية، اتخذت الدراسات الأمنية جزءا كبيرا من البحوث العلمية التي اختلفت في تحليلها وتفسيراتها وفقا لآراء ونظرة المفكرين والباحثين عبر الزمان والمكان، فلكل زمان خصوصياته ولكل مكان حدوده وميزاته. لهذا السبب تمايزت الأفكار والنظريات في تناول مفهوم الأمن بالدراسة، بدءا بالجانب الفلسفي من التفكير مع التصور المثالي مرورا بالطرح العقلاني للمدرسة الواقعية وروادها التقليديين والجدد، ووصولا إلى الاتجاهات الجديدة التي ميزت فترة ما بعد الحرب الباردة، وذلك من خلال حركية التفاعل النظري بين العديد من المدارس وفي كل المجالات.

Abstract
Security is the primary and foundational requirement of the State, modern understanding of politics, and International Relations, not only by reference to specific political theorists but also by reference to the discourses of States. With a wider discussion on the changing approach to security studies, this research focuses on the extended security perspective including not only states, but also the individuals' security.

مقدمة

بنهاية الحرب الباردة شهد المجتمع الدولي تحول في المنظومة المفاهيمية التي وجّهت ولفترة طويلة مسار العلاقات الدولية وميزت مختلف مجالات الدراسة فيها. من هذه المفاهيم : القوة والسيادة والخطر والأمن، وغيرها من المصطلحات التي استجدت في إطار محاولات عدة لصياغة أو وضع أسس نظرية وعلمية جديدة قادرة على فهم وتفسير ثم تبرير كل تلك التحولات، سيما المتعلقة بمفهوم الأمن الذي شكل ومنذ الأزل العنصر الأهم في الحياة البشرية. ولقد اتخذت الدراسات الأمنية جزءا كبيرا من البحوث العلمية التي اختلفت في تحليلها وتفسيراتها وفقا لآراء ونظرة المفكرين والباحثين عبر الزمان والمكان، فلكل زمان خصوصياته ولكل مكان حدوده وميزاته. لهذا السبب تمايزت الأفكار

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2012.

والنظريات في تناول مفهوم الأمن بالدراسة، بدءا بالجانب الفلسفي من التفكير مع التصور المثالي مرورا بالطرح العقلاني للمدرسة الواقعية وروادها التقليديين والجدد، ووصولا إلى الاتجاهات الجديدة التي ميزت فترة ما بعد الحرب الباردة، وذلك من خلال حركية التفاعل النظري بين العديد من المدارس وفي كل المجالات.

لقد ظل حقل الدراسات الأمنية في حالة من التطور الدائم نظرا لصعوبة تحديد معنى شامل للدلالة على مفهوم الأمن من جهة، ولاتساع طبيعة ومجال وكذا مستويات التحليل المرتبطة بالظواهر ذات الصلة المباشرة وغير المباشرة بالأمن من جهة أخرى، و ولأن هذه الدراسات هي كذلك محاولة لبناء مقاربة تحليلية متكاملة لبحث الظاهرة الأمنية في كل مستوياتها وبجميع مظاهرها. لذا سأحاول من خلال هذه الورقة البحثية تجميع أهم الأفكار النظرية التي تناولت الأمن ليس كوضع وإنما كمسار وذلك بالإجابة عن الإشكالية الآتية:

إلى أي مدى تمكنت الاتجاهات النظرية التقليدية من تفسير الظاهرة الأمنية، وما هي الاتجاهات الجديدة لمراجعة مقاربة المعضلة الأمنية لما بعد الحرب الباردة؟

ستكون الإجابة عن هذا التساؤل عبر تناول شرح المعادلة الأمنية الآتية:

1) ما أو من نؤمن؟ 2) من يؤمن؟ 3) كيف ولماذا؟

في إجابتنا عن السؤال الأول سنتطرق إلى الشيء أو الشخص الذي يتلقي فعل التامين.

في الجواب الثاني ستكون الجهة المعنية بوظيفة التأمين هي وحدة التحليل كانت الدولة أم الفرد أم المنظمة أم...

سؤال كيف ولماذا هو بحث في الوسائل والأدوات المستخدمة لضمان الأمن في كل مستوياته وكذا معرفة سبب القيام بفعل التأمين الذي يرتبط بمختلف أنواع التهديد والخطر التي تحدد كيفية المواجهة.

وستكون هذه الورقة لمحة عن جل النظريات التي تناولت مفهوم الأمن وذلك بتقديم الأسس الفكرية التي انطلقت منها لدراسة الظاهرة الأمنية بكل عناصرها. ولكن قبل ذلك تجدر الإشارة إلى بعض التعريفات اللّغوية والاصطلاحية للمفهوم.

تعريف الأمن

الأمن لغة من فعل "أمن" ومن "الأمان" و"الأمانة"، ويقول الشخص أمنت فأنا آمن، وأمنت غيري أي ضمنته ضد الخوف[1]. وأصل الأمن في اللغة "طمأنينة النفس و زوال الخوف "، ولا يكون الإنسان آمنا حتى يستقر الأمن في قلبه. فكلمة الأمن ككلمة السلم أو السلام من الكلمات المتداولة في العلاقات الدولية وهي مثلها مثل كلمة السلم تفقد إلى تعريف قاطع يمكن الرجوع إليه ، وكثيرا ما يتم الحديث عن أمن المواطن ولكن الأمن يقصد به في العادة" أمن الدولة " ولأنه يرتبط بفكرة السلطة التي

تتدخل لتنظيم المجتمع حتى يتوافر للمواطن أمنه . ولما كان الأمن من طمأنينة النفس وزوال الخوف فهو مرتبط بالإنسان وهو الحاجة الأولى والمطلب الدائم له. واشتقت كلمة الأمن من الكلمة اللاتينية (Securitas/Securus) وهي كلمة مركبة من: «sine» و «cura» وتعني"دون"(without)، و(cura) أو(curio) وتعني "الخوف"(troubling)،أو الألم (pain) أو القلق(anxiety) أو الحزن(sorrow and grief) الخ...

وبذلك تكون كلمة (securitas) الحرية والتحرر من الخوف والقلق والألم والحزن وغيرها. وقد استعمل "شيشرون" الكلمة للتعبير عن الحرية من أي خلل عقلي وسلامة واستقرار العقل. كما استخدمها "أوغستين" للدلالة على ضمان الأمن من كل شك أو واجب.[2] أما مفهوم الأمن اصطلاحا فحسب دائرة المعارف البريطانية هو:"حماية الأمة من خطر القهر على يد أجنبية"[3]. ولكن المصطلح ارتبط أكثر بحالة اللاأمن الناتجة عن التهديد العسكري لما بعد الحرب العالمية الثانية، ومرحلة السباق نحو التسلح وتم إغفال باقي المعاني التي يحملها الأمن في مضمونه الإنساني. وجاء في القاموس الانجليزي(The Oxford English Dictionary) أن الأمن هو الوضعية التي تكون فيها آمنا والتي تتضمن:

-أ- أن تكون بعيدا عن أي خطر أو تهديد.

-ب- الحرية من أي شكل من القلق والخوف.

-ج- الشعور بالاستقرار.

وقد اختلفت التعاريف الاصطلاحية للمفهوم حسب اختلاف الآراء والمفكرين، حيث عرف "ارنولد وولفرز"(Arnold Wolfers) منذ 1950 الأمن على "أنه من جانب موضوعي يحدد غياب التهديدات على القيم المركزية(الموجودة) أو من جانب ذاتي هو الخوف من أن تتعرض هذه القيم المركزية للهجوم."[4] وذهب "كوفمان"(Kaufman) إلى أن أغلب وجهات النظر حول مفهوم الأمن تلتقي في جوهرها عند قاسم مشترك وهو إدراكها أن الأمن وان دل على شيء فإنما يدل عموما على الخوف، ويدعم جوزيف ناي ذلك بقوله:"الأمن لا يعني بالمحصلة إلا الشعور بغياب التهديد أو الخطر."[5] ويعرفه باري بازن (Barry Bazan) "بأنه استمرار الحرية من أي تهديد"[6] وقد أثار هذا" العديد من التساؤلات أكثر مما فسر مفهوم الأمن، ومنها :

- ما هو موضوع الأمن؟ أي ما هي الوحدة المرجع المعنية بحماية قيمها المركزية:الدولة-الأمة، وحدة مشتركة غير الدولة، الإنسانية أم الفرد؟
- ما هي التهديدات التي يجب أن تختفي؟ هل هي تهديدات عسكرية وغير عسكرية (اقتصادية وبيئية وأيديولوجية،...)؟

-كيف تتحدد الأخطار؟ هل موضوعية أو ذاتية؟ وما هو الخطاب الذي يجعل من الخطر رهانا للأمن؟

- ما هي القيم التي يجب حمايتها؟ هل الاستقلال الوطني والوحدة الترابية والرفاه الاقتصادي والهوية الثقافية والحريات الإنسانية...؟ (7)

الإجابة عن هذه الأسئلة تباينت حسب الإطار الفكري تبعا للنظرية التي تم من خلالها النظر للمصطلح. فالتوسع الوظيفي لمفاهيم الخطر والأمن أخذ حيزا كبيرا من عمليات الدفاع التقليدي وهي عمليات اتسمت بمظهرين:(8)

الأول: وهو أشكال العنف التي تمثل قلب السياسة الأمنية الذي اتسع وتحول من الحروب بين الدول ليشمل أنماطا مختلفة من الصراعات، كالحروب الأهلية والمتمردين داخل وخارج الدول(الإرهابيين مثلا) وانتشار الجريمة والعنف بكل أنواعه. وبغض النظر عن إلحاق الضرر بالناس فإن ما هو مشترك بين هذه الأشكال جميعا هو تهديدها باحتكار القوة. لهذا فان الهدف الأمني لأية دولة وحكومة وطنية هو توفير الحماية لمواطنيها وحقوقهم ضد كل أشكال الاضطرابات دون الفصل بين الأمن الداخلي والأمن الخارجي.

الثاني: هو مدى أهمية الأمن كظاهرة حتى ولو لم يكن هناك أي شكل من أشكال الصراع ، وهذا بسبب ما يعيشه سكان العالم من آفات وأمراض (ايدز والفلوانزا الخنازير ...وغيرها) وفقر مدقع، وكذا الاضطرابات المناخية والبيئية التي قد تصيب البشر والمحاصيل وأحداث أخرى قد يسببها الاحتباس الحراري وكذلك التصحر وتناقص الموارد الطبيعية.

لكن قبل أن نقدم أهم الأفكار النظرية ربما سنجيب عن سؤال:هل فعلا توجد نظريات للأمن؟

الإجابة هي نعم إذا ما لاحظنا الوسائل المتاحة للتفكير في الأمن، وإذا أحصينا الجهود المبذولة لتقديم مصطلحات لمختلف الممارسات.

ونقول لا: لأن الأمن يتعلق بإشكالية خاصة ورغم كونه جزء من العلاقات الدولية، فيمكن اعتباره مستقل، ولقد قدم عدد من الكتاب الخطوط العامة للدراسة الأمنية التي ترتبط بثلاثة عناصر أساسية:

1- التهديد (La menace)

2- المعني بالتهديد (Ce qui est menacé)

3- المحافظة على هذا الشيء(Maintenir l’objet menacé)

ومع تنوع أشكال الأمن وأهميته فلقد تناولته العديد من المقاربات للبحث في هذه العناصر، والتي سنتناولها في بحثنا هذا وفق محورين:

<u>المحور الأول</u> وفيه لمحة عن أهم النظريات التقليدية لمفهوم الأمن.

<u>المحور الثاني</u> يتطرق إلى أهم الأفكار الحديثة في الدراسات الأمنية.

I – النظريات التقليدية ومفهوم الأمن

قبل الحرب العالمية الثانية كانت الدراسات الأمنية من اختصاص العسكريين والاستراتجيين، ولأن الحرب العالمية الأولى أوضحت أنه لا يمكن أن تترك الحرب بيد الجنرالات،أدى تدخل المدنيين في الحرب العالمية الثانية إلى تحول الدراسة في المجال الأمني والتي عرفت حسب المفكر"ماك سويني"(Mc Sweeney) أربعة مراحل في تطورها:

المرحلة الأولى: وتبدأ بانتهاء الحرب العالمية الأولى إلى أواسط الخمسينيات وارتبطت بمصطلح الأمن الجماعي وكانت دراسة الأمن جزء من دراسة القانون الدولي والمنظمات الدولية والنظرية السياسية.

المرحلة الثانية: منذ منتصف الخمسينيات بدأت مرحلة جديدة مع تطور البحث في علم السياسة وأثناء الحرب الباردة تطور البحث في المقاربات العلمية للتهديد واستعمال القوة للدفاع عن مصلحة الدولة واستتباب الأمن. كما ظهرت مصطلحات جديدة كنظام الأمن(Régime de sécurité) والأمن الدولي(Sécurité Internationale) تؤكد اعتماد الدول فيما بينها.

المرحلة الثالثة: وكانت مع بداية الثمانينيات وعرفت إعادة النظر في المقاربات النظرية الموجودة ونجاح نظريات الاعتماد المتبادل ومقاربات السياسة الاقتصادية الدولية مع "جيلبان"(Gilpin) و"كيوهان"(Keohane).

المرحلة الرابعة: وهي مرحلة ما بعد الحرب الباردة، أين اتخذت الدراسات الأمنية أبعادا أخرى بدخولها كل الميادين والمجالات.

1- التصور الواقعي للأمن

لقد اعتبرت معظم الدراسات في السياسة الدولية أن الدولة أهم وحدات النظام السياسي وأن الوحدات- الدول تتباين من حيث الإمكانات المادية والبشرية والحضارية والقيمية، لذا تختلف تصوراتها وتتمايز مصالحها الوطنية القومية ووسائل تحقيقها. ولما اختلفت التصورات وتمايزت المصالح وأصرت الدول على تحقيقها لتأكيد مركزها وهيبتها الدولية، أصبحت حالة صراع واصطدام المصالح السياسية وغير السياسية حالة قائمة ومستمرة. لهذا لا تمانع الدول من اللجوء راغبة أو مكرهة إلى القوة كوسيلة نهائية لحسم الصراع إذا تعذر سلميا، وهي بذلك لا تحمي مصالحها وأمنها العسكري فحسب بل وقيمها وعاداتها وتقاليدها الاجتماعية وأهدافها السياسية والاقتصادية[10]. ولقد اتفق الواقعيون على أن الأمن هو الهدف الدائم للسياسة الخارجية للدول رغم أنهم اختلفوا في أهمية مقارنته بالأهداف الأخرى:القوة والثروة والشهرة....فمن ناحية يرى "ارنولد وولفرز" أنه":ليست كل الأمم تجعل القيم الأخرى تابعة للأمن... حتى وان اهتمت وفي أغلب الوقت- وهذا من حقها- بأمنها وقبلت بتقديم التنازلات لدعم نفسها"[11]. ومن ناحية أخرى اعتبر "كنيث وارتز" أن "الأمن هو

الهدف الأول للدولة والذي يشجعه النظام الدولي،لأنه بضمان بقائها- أي الدول- تبحث عن تحقيق أهداف مثل الاستقرار والمصلحة والقوة"[12]. لذلك وبعد أن أثبتت الحربين العالميتين الأولى والثانية أن القوة هي المفسر للعلاقات الدولية، هيمنت الواقعية في تفسير الظاهرة الأمنية، خاصة وقد ارتبط مفهوم المصلحة الوطنية بالأمن القومي وكذلك من منطلق أن الأمن ملائم للعلاقة بين الدول فقط وأن ضمانه مرتبط ببناء توازنات عسكرية سواء كانت تقليدية أم نووية. وهذا ما يضمن القضاء على مصادر التهديد[13]، خاصة في ظل الفوضى الأبدية التي ميزت النظام الدولي في تلك الفترة ووصفها "والتر ليبمان" بالحرب الباردة وعرف الأمن من خلالها على أن:" الدولة تكون آمنة عندما لا تضحي بشرعية مصالحها لتجنب الحرب... وتكون قادرة في حالة المواجهة على إبقاء هذه المصالح بالحرب"[14]. ولأن العلاقات الدولية تدور في وسط تغيب فيه السلطة المركزية، وكل دولة تجد نفسها باستمرار عرضة للخطر من قبل دولة أخرى عسكريا، وفق مبدأ (الاعتماد على النفس لوالتز)، وفي إطار يغذيه خوف دولة "أ" من "ب" أو ما يعرف حسب "اوبر بترفيلد" (Butterfield Hubert) بالخوف الهوبزي (La peur Hobbesienne) [15]. كما ساعد ميزان التهديد الذي ساد بفضل النووي في النصف الثاني من القرن العشرين على ربط أمن الأفراد بحكوماتهم بصفة أكثر وجعل من الدولة المسؤول الأول والوحيد على حماية مواطنيها مقابل الحصول على ولائهم وذلك في شكل عقد اجتماعي[*] وخاصة مع تأثر زعيم الطرح الواقعي "هانس مورغنتو" بهوبز[16].

لكن السؤال الجوهري الذي يطرح هو عن طبيعة الأخطار والتهديدات، وكيف يمكن أن يحدد التهديد؟

يرى الواقعيون في الأخطار العسكرية أهم تهديد لأمن الدولة وخاصة التهديدات الخارجية، وعليه فإنّ الدراسات الأمنية حسب "والتز" يجب أن تركز على دراسة التهديد واستعمال ومراقبة القوة العسكرية [17] وإبقاء الأمن في نطاق دولاتي- عسكري من خلال استعمال الوسائل التقليدية كأضمن حل وأكثر ضمان للأمن. على هذا الأساس يمكن تحديد مفهوم الأمن تقليديا على أنه"حماية مصالح الدولة الوطنية والقومية من التهديدات الخارجية التي تحول دون تحقيقها باستخدام القوة كوسيلة نهائية لاستئصال مصادر التهديد وضمان استمرارية تحقيق تلك المصالح."[18]

لذلك كان أمن الدولة يفهم على أنه أمنها العسكري فقط، وأدى إلى أن لجأت الدول الأكثر مقدرة إلى التحالفات لمواجهة الأخطار المحتملة لضمان الأمن الجماعي للدول كدعم لفكرة الاعتماد المتبادل فيما بينها. ورغم ما قدمته الواقعية من أفكار-لا يعتبرها كثيرون نظرية- إلا أنها اعتبرت بعيدة عن الدراسات الأمنية لأنها استندت إلى مفاهيم غامضة لعدم وجود مناهج أكيدة لدراستها. فمثلا فكرة توازن القوى كمفهوم أمني قائم على فكرة عقلانية لم يكن واضحا، وهو كثقافة ارتكز على تحقيق الحد الأقصى للأمن بدلا من ثقافة التوازن بمرتكزاتها الأساسية كالدبلوماسية والتحكيم والوساطة وكل الوسائل السلمية.وهذا ما أدى إلى المأزق الأمني الذي حاول الواقعيون الجدد إيجاد

تفسير له وتدارك اللبس الفكري الذي وقع فيه الواقعيون التقليديون. ارتكزت الواقعية الجديدة على فكرة أن الفوضى هي سمة النظام الدولي الذي تغيب فيه سلطة مركزية قادرة على ضبط سلوك الدول، وأن ازدياد درجات الصراع حتى في وضعية اللاّحرب يجعل من احتمال قيام الحروب أمرا متوقعا على الدوام. ولأن الريبة والشك تؤدي إلى فقدان الثقة[19] وأن وجود التعاون بين الدول أمر متوقع وقائم ولكنه محدود ومقيد بمنطق التنافس الأمني المسيطر عليه والذي لا يزول مهما كان حجم التعاون، فالسلام الحقيقي والدائم في العالم مرهون بالمعضلة الأمنية.

<u>متغير المعضلة الأمنية في الطرح الواقعي</u>

أول من استعمل المصطلح هو"جون هارز"(John Herz) ويعرفها على أنها:"أين يوجد مجتمع فوضوي...يظهر ما يعرف بمعضلة الأمن، وأين الجماعات والأفراد يكونوا متخوفين على أمنهم بسبب احتمال خطر الهجوم من جماعات أو أفراد آخرين. ولتجنب هذه الأخطار تلجأ الجماعات والأفراد إلى الحصول على القوة لمواجهة قوة الآخر...ولأن لا أحد متأكد من ضمان أمنه في عالم تتنافس فيه الوحدات، يتواصل السعي للقوة في إطار الحلقة المفرغة للأمن والقوة."[20] فالمعضلة الأمنية هي أحد الخيارات الصعبة التي تواجه بعض الحكومات التي تكون قادرة على تحقيق جهودها الدفاعية بهدف تسهيل العلاقات السلمية -والمشكلة هنا هي أن تجعل بلدها أكثر ضعفا أمام أي هجوم- من جهة، وهي قادرة من جهة أخرى على تقوية إجراءاتها الدفاعية وهذا الأمر قد يدل على نية غير مقصودة تؤدي إلى تهديد الأمن على المدى الطويل، ويثير الشكوك الدولية ويقوي الضغوط من أجل خوض سباق التسلح. وقد يؤدي ذلك إلى نزاع عسكري كما أكده عديد المحللين عند تناولهم الحربين العالميتين الأولى والثانية كنموذج للمعضلة الأمنية[21] خاصة وأن الواقع يقول أن كل دولة تفسر كل ما تقوم به سلوك دفاعي وسلوك الآخرين كتهديد محتمل[22]. فمعضلة الأمن تظهر من فكرة اللاّثقة الموجودة في الفوضى الدولية على أساس بنيوي يزداد حدة بسبب الميول المحافظة التي نفهمها لدى واضعي الخطط الدفاعية، كي يتحضروا للأسوأ ويركزوا على قدرات خصومهم بدلا من اعتمادهم على نواياهم الحسنة. كما أن حدة المعضلة الأمنية ما هي إلا نتيجة لطبيعة القدرات العسكرية العنيفة والزاوية التي تنظر منها الدول إلى الآخرين بوصفهم مصدر تهديد بدلا أن يكونوا حلفاء، وهذان عاملان متغيرين بفعل الزمان والمكان. وحدة المعضلة الأمنية تتنوع بشكل غير متساوي بين الدول على النحو الآتي:[23]

1)- تختلف حدة المعضلة الأمنية بالنظر إلى الدرجة التي نميز بها بين الأسلحة الدفاعية والأسلحة الهجومية، وعلى العلاقة فيما بينها ولأنه يمكن استخدام الأسلحة بشكل هجومي ودفاعي في آن واحد. ويرى الداعون إلى ما يسمى بالدفاع غير الهجومي إلى أن المعضلة الأمنية يمكن تحويلها باتّباع المخططات العسكرية الأقل إثارة لإجراءات مضادة لدى الدول الأخرى.

2)- تختلف حدة المعضلة الأمنية بحسب العلاقات السياسية بين الدول، إذ ينبغي عدم النظر إلى القدرات في إطار من فراغ سياسي ولا تكون درجة الثقة والإحساس بالمصلحة المشتركة في النظام العالمي ثابتة أو ذات طابع واحد.

مبادرات لإعادة النظر في إشكالية الأمن

لتفادي تفاقم المعضلة الأمنية كانت هناك العديد من الاقتراحات لبعض المفكرين الذين ورغم انتمائهم للواقعية كنظرية وطرح إلا أنهم طالبوا بضرورة توسيع مفهوم الأمن وكان ذلك في إطار ما عرف بمدرسة كوبنهاغ وعرفوا بالتوسعيين(Widners). ولقد انطلق هؤلاء من أن تحليل مفهوم الأمن يجب أن يكون بعيدا عن سؤال القوة والسلام، وأن التعاون الدولي هو الحل لمعضلة الأمن ولأن مفهوم الأمن كما يقول "باري بازن"(Buzan Barry) يثير النقاش حول مقاربة فهم السلوك، فالقوة والسلام ما هما إلا محوران لفهم السلوك[24]. كما أضاف "اول ويفر" (Waever Ole) و"غالتغ" (Gultung) وآخرون من رواد المدرسة مصطلحات جديدة للدراسات الأمنية مثل "الفوضى الأكثر نضوجا"، والتي تدرك فيها الدول الأخطار الشديدة التي تنطوي عليها مواصلة المنافسة الشديدة في عالم النووي.[25] واستخدمت المدرسة لتوضيح ذلك منهجية بتوظيف منهجية "فعل الكلام"(The Speech Act)[*] لمعرفة وتقدير إن كان الخطر يهدد الأمن أم لا، وقد يكون الخطر عسكريا أو غير عسكري.

(*) يعرف (Waever) أنه من خلال نظرية الكلام يمكن اعتبار الأمن كفعل، وفي هذه الحالة يكون الأمن غير مهم كدليل ومرجع لشيء واقعي، ولكن النطق بكلمة "أمن" بحد ذاته فعل يتطلب تمثيلا سياسيا من جهة وضمان الحق باستعمال الوسائل الضرورية للتحكم في النتائج من ناحية أخرى.

هذه المنهجية تسمح بتقديم تعريف سلوكي للأمن أكثر من كونه تعريفا تعاقديا (الطرح الواقعي)، على اعتبار أن الفرد هو وحدة للتحليل كذلك[26]، وأن الدولة لم تعد الموضوع المرجعي الوحيد لفهم وتفسير الظواهر الأمنية على المستوى الإقليمي والعالمي، والموضوع المرجع يتغير بتغير القطاع الأمني قيد الدراسة ويتأثر بعوامل وبمجالات خمسة وعليه نكون أمام أشكال الأمن الآتية[27]:

1- **الأمن العسكري**: ويرتبط بالقدرات الهجومية والدفاعية للدول وكذلك القدرات التصورية للقدرات العسكرية لدولة أخرى.

2- **الأمن السياسي**: ويتعلق بالهجوم ضد استقرار التنظيم داخل الدولة وهو موجه ضد الحكومة وضد مؤسسات وأيديولوجيات تعبر عنها الدولة.

3- **الأمن البيئي**: ويتعلق بالحفاظ على البيئة والطبيعة كعنصر متغير أساسي للحياة والتهديد، قد تكون في شكل زلازل وبراكين وفيضانات أو تلويث للبيئة...وقد يكون التهديد العسكري خطرا على القطاعات الخمس.

4- **الأمن الاقتصادي**: الحصول على الموارد والمال والثروة بهدف المحافظة على الصحة كأهم مؤشر للأمن.

5- **الأمن الاجتماعي**: ويرتبط بالأخطار ضد الهوية الوطنية أو الاجتماعية والقيمية... وغيرها.

إذن لقد حاول التوسعيين الإجابة عن السؤال المتكرر والمرتبط بما يجب تأمينه وقالوا "الجماعات" (collectivités)[28] دون تحديد الجماعات المعنية والواجب تأمينها. وقام "بازن" بوصفه أهم مفكر في مدرسة "كوبنهاج" (Copenhagen) بتطوير مفاهيم أخرى مرتبطة بالأمن ، كالأمن الإقليمي والأمن المجتمعي وغيرها. وحسب "بازن" لا يمكن فهم أمن الدول دون الأخذ بعين الاعتبار "الإطار الذي يوجد فيه (الإقليم)، ودراسة الوحدات "تحت-الأنظمة"(Sous-systèmes)- التي تتميز بجمع الدول المتقاربة جغرافيا. ولأن الأمن هنا يفهم وفقا للعلاقة صديق/عدو؛ والتركيز على الأخطار المشتركة لهذه المجموعة من الدول التي لا يمكن أن يقوم أمن إحداها بعيدا عن الأخرى مع وجود شعور موحد لتهديد بعينه[29]. على هذا الأساس ربط مفكرو المدرسة دراسة التهديد بالتركيز على نوعية إدارة التهديد باستعمال وسائل متميزة، وعلى التهديدات الموجودة وتهدد الأشياء(الدول،المجتمعات، الأمم...). ويتم هذا تحت القطاعات سابقة الذكر ووفق مستويات التحليل الآتية[30]:

1- النظام الدولي، 2- تحت النظام(Le Sous-système)، 3- الوحدات(مثل الدول)، 4- ما تحت الوحدات (Les Sous-Unités) (كاللولبيات، البيروقراطيات...) 5- الأفراد.

2-الطرح اللبرالي للأمن

انطلقت اللبرالية من فكر سياسي كلاسيكي وبمجموعة من الأهداف العملية والمثاليات أساسها أن الفرد هو وحدة التحليل الأهم والمطلوب توفير الحقوق له، وأن دور الدولة هو دور جزئي في المجتمع اللبرالي، وهي تتصرف بشكل أساسي كحكم في النزاعات بين الأفراد وضمان توفير الشروط التي يتابعون بها الحصول على حقوقهم كاملة. فرغم وجود اختلاف بين المنظرين اللبراليين إلا أنهم أجمعوا على أهمية الفرد وعلى دور الدولة كوجود محدود لتحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي والبيئي والاقتصادي والذي يمكن الأفراد من التفاعل والكفاح للوصول بخياراتهم إلى النهاية[31]. ومع اختلاف اللبراليين كذلك مع الواقعيين في مبادئهم، فقد التقوا معهم في فكرة أن حالة الفوضى التي تميز عالم السياسة تسهم في زيادة اللاثقة والارتياب فيما بين الدول، وتكون عائقا أمام التعاون والسلام. ولكنها تفترض انه وكما يمكن أن يكون انسجام في المصالح بين الأفراد داخل الدولة، سيكون انسجام في المصالح بين الدول[32]. وتضمنت اللبرالية اتجاهات فكرية أهمها اللبرالية البنيوية واللبرالية المؤسساتية.

2- 1- اللبرالية البنيوية

استندت إلى فكرة السلام الديمقراطي التي ظهرت في ثمانينات القرن العشرين موضحة إن انتشار الديمقراطية من شأنه أن يؤدي إلى زيادة الأمن الدولي، وهي مصدر أساس للسلام. وتعود فكرة السلام الديمقراطي إلى الأبحاث التي قام بها كل من "سمول مالفين" (Melvin Small) و"دافيد سينغر"(David Singer) وكانت في مقال نشر لهما سنة 1976 في صحيفة القدس للعلاقات الدولية، بعد أن قاما بتوسيع فكرة "ايمانويل كانط" (Emmanuel Kant) لعام 1796 في مقاله "السلام الدائم" والذي اعتبر فيه أن الحكومات الجمهورية تجنح للسلم عكس الحكومات التي يحكمها متسلطون يسعون لتحقيق رغباتهم(33). كما دعم الفكرة فيما بعد "مايكل دويل" (Doyle Michael) و"بروس روست" (Russet Bruce). فقد أشار "دويل"إلى أن التمثيل الديمقراطي والالتزام الأيديولوجي بحقوق الإنسان والترابط العابر للحدود الوطنية هي العناصر الأساسية المفسرة لاتجاه (الميل للسلام) الذي يميز الدول الديمقراطية، وأن اهتزاز الأمن مرتبط بغياب الصفات والقيم الديمقراطية التي من دونها يحل منطق القوة محل منطق التوفيق(34).

كما يؤكد اللبراليون أن الحروب بين الديمقراطيات نادرة أو لا وجود لها، وأنه من الأكثر احتمال أن تسوي الديمقراطيات خلافاتها المتعلقة بتعارض المصالح فيما بينها دون استخدام القوة العسكرية أو التهديد باستخدامها. ولأن المعايير والقيود المؤسسية المشتركة تعني عدم لجوئها إلى تصعيد النزاعات إلى حد التهديد باستخدام القوة ضد بعضها البعض ، وتلجأ إلى الوساطة والمفاوضات لحل خلافاتها أو إلى أي شكل من أشكال الدبلوماسية السلمية. ويرى "روست" أن القيم الديمقراطية ليست العامل الوحيد الذي يجنب الدول الحرب بل إنّ القوة والاعتبارات الاستراتيجية تؤثر كذلك في حسابات جميع الدول بما في ذلك الديمقراطيات. وأحيانا يكون لهذه الاعتبارات القول الفصل رغم ما للقيم الديمقراطية المشتركة من دور في كبح المعضلة الأمنية وتحقيق المزيد من الأمن وإيجاد عالم أكثر سلام(35).

2-2- اللبرالية المؤسساتية

وجاءت للرد على الواقعية الجديدة التي تزعمها"كنيث والتز"، وظهرت في ثمانينات وأوائل القرن العشرين. ويعتمد أصحاب هذا الطرح أن النمط الناشئ للتعاون المؤسساتي بين الدول يفتح المجال أمام فرص لم يسبق لها مثيل في السنوات القادمة، وأن المؤسسات الدولية تلعب دورا في المساعدة على تحقيق التعاون والاستقرار. ويرى "كيوهان"(Keohane) و"مارتن" (Martin) :"أن بإمكان المؤسسات توفير المعلومات وخفض تكاليف العمليات، وجعل الالتزامات أكثر موثوقية وإقامة نقاط تركيز من أجل التنسيق والعمل على تسهيل إجراءات المعاملة بالمثل(36) ". فالمؤسسات تسهم في التغلب على العداوة التقليدية بين الدول الأوروبية، ولو أن الأوروبيين تأثروا بالحسابات الضيقة للقوة لما قام أو تلاشى

الاتحاد الأوروبي أو الحلف الأطلسي. ومع أن المؤسسات قد لا تمنع الحروب إلا أنها تخفف من مخاوف الغش وتلطيف المخاوف التي تنشأ أحيانا من المكاسب غير المتكافئة الناتجة عن التعاون، وهي آلية مهمة في تحقيق الأمن الدولي رغم استمرار القوة العسكرية في العلاقات الدولية (الطرح الواقعي).

من أبرز اللبراليين كذلك نجد"جوزيف ناي" (Nye Joseph) الذي قدم مقاربة (القوة الناعمة) كفكرة وسط بين الواقعية واللبرالية، الأمر الذي جعله واقعي-لبرالي(مثل ستانلي هوفمان). وعرف"ناي" القوة الناعمة بـ:"القدرة على تحقيق النتائج المرجوة من خلال الجذب والإقناع بدلا من اللجوء إلى الوسائل الإكراهية التقليدية، فهي باهضة وغير مضمونة، وبدلا منها تستعمل تكنولوجيا المعلومة والمعرفة :هي أهم استراتجيات لضمان الأمن.[37]"

II- المقاربات الحديثة للأمن

لفترة طويلة ظل حجم التهديدات ومدى المخاطر أثناء الحرب الباردة مركزا على الصفقات التي تضم دولا-أمما تقليدية والتحالفات التي تقودها(نموذج وستفاليا). بعد 1990 أصبح تحليل المشكلات الأمنية وحلولها يتصدر الاهتمامات ويلقي الضوء على فواعل أخرى داخل الدولة وخارجها؛كحركات التمرد المجتمعات الاثنية والإقليمية، الشركات متعددة الجنسيات والأطراف وغيرها.كما تناولت البعد الدولي كالأعمال الإرهابية الإجرامية، واتسعت لتشمل الأبعاد الإنسانية التنموية.ولقد حدث هذا التحول لأسباب عدة أهمها[38]:

1- أن مشاكل الأمن ليست نفسها بالنسبة للدول(متطورة أو نامية)، وبالتالي تحليل المشاكل لا يكون بنفس الطريقة.

2- التهديد بالنسبة للدول يتطور وفقا للتحول في العنف (إستراتيجية غير مباشرة أو نزاعات أو إرهاب...) ووفقا للمحيط الدولي. ولهذا كان الحديث عن الأمن الطاقوي في السبعينيات وتغير الحديث بعد أحداث 11سبتمبر 2001.

3- السلطات السياسية لم ترغب ولا تريد أن يكون تعريف الأمن ضيقا حتى لا تتحدد قدراتها أمام مواجهة الأخطار ضد أي مصلحة حيوية.

4- هذا ما أدى إلى ظهور مجموعة من الأفكار النقدية التي ومع اختلافها في نواحي معيّنة إلا أنها اشتركت في جوانب عدة، وبالنسبة للنقديين فالأمن هو بناء اجتماعي ويعرفونه على أنه الانعتاق: وهو غياب التهديدات وتحرر الأفراد و الجماعات من المشاكل المادية والإنسانية التي تمنعهم من القيام بخياراتهم. فالأمن والانعتاق هما وجهان لعملة واحدة، وأن الانعتاق وليس القوة هي التي تؤدي إلى الأمن [39] الذي أصبحت الدولة عاجزة عن ضمانه. فالأمن الحقيقي حسب "كين بوث" " (K.Booth) لا يمكن تحقيقه إلا إذا تمكنت الدولة من رؤية الآخرين ليس كوسيلة ولكن كهدف وأن الأمن الدائم لن يكون لأحد إلا إذا ضمنه الآخر[40].

1-النظرية التفسيرية الاجتماعية

وقامت على فكرة تفسيرية(*) مفادها أن البني الإنسانية للسياسة هي بني اجتماعية وليست مادية فقط، وأن تغير الطريقة التي نفكر بها في شأن العلاقات الدولية يمكن أن يحدث مزيد من التحول على مستوى الأمن. ويركز أصحاب هذا الطرح على أن البنية تتكون من توزيع القدرات المادية وهي نتاج لعلاقة اجتماعية أساسها المعرفة المشتركة والموارد المادية والممارسات. وهذه البني تعرف جزئيا من خلال المفاهمات والتوقعات والمعارف المشتركة، ورغم أن سياسة القوة هي التي تحدد تصرفات الدول إلا أنها لا تصف كل السلوكيات –بين الدول- التي تتأثر بأفكار أخرى كحكم القانون وأهمية التعاون والمؤسسات الفاعلة[41]. وبالنظر إلى دور المنظمات الإقليمية والدولية في تفعيل عملية التعاون وخلق نقاط للالتقاء بين دول كانت في السابق أعداء لبعضها البعض، فان الفهم الصحيح للبنى الاجتماعية من شأنه تطوير عمليات التفاعل والسياسات التعاونية للقضاء على أوجه العنف خاصة مع انتشار التراخي [42] بوصفه مظهرا ساعد على تغيير السلم الاجتماعي وأدّى إلى التحول نحو السلام بدلا من اللجوء إلى القوة.

2- آراء ما بعد الحداثة

تطور استعمال هذا المصطلح مع ثلاثينيات القرن العشرين، ويشير إلى أثر الأفكار في بناء مفهوم الأمن وإلى أهمية الخطاب وكيفية الحديث مع الناس عن السياسة والأمن في التأثير على سلوك الدول وتصرفاتها. وأن الدراسات الأمنية هي دراسة مقارنة لخطابات أمنية متباينة ومحاولة استبدال القوة للواقعية والمنافسة الأمنية بخطاب اجتماعي يؤكد على السلام والانسجام. ووفقا لنظرية المعرفة (Epistémologie) شديدة الاختلاف عن الواقعية، فقد قال "جون ميرشيمر" (John Mearsheimer) :"أنه لا يوجد عالم ثابت يمكن معرفته ولا معان ثابتة،لا أرض آمنة ،ولا أسرار عميقة، لا بني اجتماعية أو حدود للتاريخ...لا يوجد إلا التفسير... والتاريخ نفسه يفهم على أنه سلسلة من التفسيرات المفروضة على تفسيرات- ما من واحد منها أساسي وجميعها اعتباطية[43]."

وحسب "ديفيد كومبل"(David Campbell) فإن الأخطار تقدم الوسائل اللازمة لتأمين هوية مجتمع ما في مرحلة فقدان مرجعياتها (une perte de repères)، وتكون الدولة بحاجة إلى تطوير خطابها حول الأمن لتقديم أو وصف دين، حقيقة معينة أو جديدة، أيديولوجيا...وتوضيح حول من نكون وما أو من يجب أن نخاف.ولقد ركز "كومبل" وآخرون على الكيفية التي يشكل بها الخطاب (الآخر) (L'autre) ويقدمه كتهديد ،لأن الأمن هو نوع من الاتفاق حول ما يجب اعتباره في وقت معين كتهديد له[44]. وما يهم في هذه الحالة هو فهم الميكانيزمات التي تؤمن شيء sécuriser un objet (دولة أو أمة أو أفراد أو جماعات...) وكيف نفهم المشاكل(العيش والحس والبيئة والعنف والهجرة...) على أنها رهانات أمنية، فالأمن هو مجموعة خطابات

تاريخية وممارسات تقوم على شرح المؤسسات. وهنا نعود إلى فكرة "ويفر" التي تطرح سؤال:متى يمكن أن نتكلم عن الأمن؟ حول ماذا؟ وما هي نسبة توفيقه؟ للإجابة عن السؤال قدم "ويفر" ثلاثة اقتراحات[45]:

1- أن معرفتنا بالمواضيع والمبادئ والممارسات في السياسة الدولية ليست موضوعية (بالمفهوم المادي للمعنى) وهي مرتبطة بالتفسيرات التي نحملها.

2- يجب استعمال طريقة للتفسير تسمح بفهم الشروح التي يقدمها الفواعل للعالم وللتهديدات التي يجب مواجهتها.

3- الهدف من الدراسة هي فهم وتقدير الميكانيزمات التي يقدر بها الفواعل الحقيقة. ولقد أسهمت أفكار ما بعد الحداثة في إعادة تقديم تصور جديد لمفهوم الأمن الشامل من خلال إثارة أسئلة جديدة كانت مهمشة وتحتاج إلى خطاب جماعي جديد بشأن الأمن.

3-التصور البنائي للأمن

لقد اقترن التصور البنائي للأمن بإسهامات "ألكسندر وانت"(A .Wendt) التي قامت على أساس البحث في جذور الأمن والتساؤل ما إذا كانت الحقيقة تسبق الفكرة أو العكس. واعتبر "وانت" أن العلاقات الدولية لا تتأثر بعلاقات القوة بقدر ما تتأثر بالمصطلحات والصور التي تمنحها معنا، والأمن ما هو إلا مسألة تصور وصناع القرار هم الذين يقدمون تصورات للعناصر المادية والمحتملة وليس العكس[46]. كما حاول "وانت" تفسير الأمن عبر تناوله لمعضلة الأمن كبنية اجتماعية تتألف من مفاهيم ذاتية بين الأفراد وتفرض على الدول سلوكيات معينة وتفرض عليها طريقة تحديدها لمصالحها من منطلقات (العون الذاتي)[47]. واقترح بدلا من المعضلة الأمنية الجماعة الأمنية التي هي معرفة مشتركة تثق فيها الدول بعضها البعض وتلجأ إلى الحلول السلمية، خاصة مع صعوبة الجزم بإمكانية تفادي المعضلة الأمنية بتركيباتها التي تبنى اجتماعيا، وهذا لا يعني بالضرورة أنها تتغير إذ "أن البني الاجتماعية تفيد التصرف في بعض الأحيان لدرجة أن تصبح الاستراتيجيات التحويلية متعذرة وغير ممكنة[48]". إذن الدراسات الأمنية عند البنائيين هي دراسة لدور الأفكار والبني الاجتماعية في تفسير التفاعل بين الوحدات السياسية المكونة للبناء الدولي ومدى إدراك هذه الوحدات وتصورها لمفهوم التهديد والقوة التي تعتبر تصورا ماديا وإدراكها من قبل الدول يختلف لأن التهديد ليس محصورا في الخطر الخارجي أو الداخلي وإنما إدراكه مرهون بالأفكار المسبقة عن التهديد والتصور الجماعي لمدى خطورته. واعتبرت البنائية أن متغير الهوية كذلك جزء من الأمن وهو عنصر أهملته جل النظريات رغم أهميته في تشكيل مصالح الفواعل وتحديد اتجاه سلوكاتهم إما عن طريق التعاون أو التنافس.

4- التوظيف الجديد للأمن

بعد أن تناولنا مفهوم الأمن بدلالة علاقته بالعامل النفسي من خلال فكرة التحرر من الخوف، وبدلالة علاقته بالبعد السياسي في دور الدولة كوحدة تحليل، تغيرت الدلالات وتعددت استعمالات الأمن بعد الحرب الباردة لتكون أكثر تعقيد وبعلاقات متشعبة أضافت خانات للأجندة الأمنية من خلال طبيعة التهديد(عنف جسدي وعنف غير عسكري) وكذا الموضوع المعني بالتهديد(من الدولة إلى الفرد). وكلها تهديدات تقلص من فضاء الممارسة للإنسان باعتباره وحدة التحليل الأساسية في الدراسات الأمنية الجديدة التي أخذت التوأمة أمن=إنسان وإنسان=أمن بعين الاعتبار وأصبح الحديث عن امن للإنسان.

ما هو الأمن الإنساني؟

يركز مفهوم الأمن الإنساني على الفرد بدلا من الدولة كوحدة للتحليل. ولقد حاول كثيرون تعريف المفهوم إلا أن حدوده كانت أكثر غموض لأننا حينما نتكلم عن أمن الدولة فذلك يعني وجود سياسة أمنية تهدف إلى تحقيق أمن الدولة بجانب أمن الفرد، ولكن كثيرا ما يتعارض أمن الدولة مع أمن مواطنيها وقد تكون هي نفسها مصدرا لتهديدهم فكان لا بد من الفصل بينهما فظهر مفهوم الأمن الإنساني. وكان ذلك في النصف الثاني من تسعينيات القرن العشرين بعد أن تأكد قصور المنظور الواقعي في التعاطي مع طبيعة القضايا الأمنية وضرورة إعادة النظر في المعادلة الأمنية التقليدية، خاصة مع تراجع دور الدولة أمام تزايد عدد الفواعل الدولية من غير الدول من ناحية والتحول في مصادر التهديد وأشكالها من ناحية أخرى. هذه التهديدات هي أكثر مساسا بالحرية وأكثر إثارة للخوف من التهديدات العسكرية، وقد تعجز الدولة عن الإحاطة بها أو حتى التنبؤ والتحكم بها كالأوبئة والأمراض الفتاكة والفقر ولتلوث البيئي والجريمة المنظمة والإرهاب الدولي... كلها أخطار قد تفوت أخطارها آثار التهديد العسكري المباشر.

ويقول "رولاند باريز"(Paris Roland):"مصطلح الأمن الإنساني واسع ومطاط ويحمل عددا من التقديرات بدءا من الاهتمامات الغذائية إلى بقاء الجماعات...فالأمن الإنساني كالعلامة المميزة لكل أنواع البحوث حول التهديدات غير العسكرية التي تمس أمن الأفراد والجماعات والمجتمعات"[49]. والتهديد وفقا للأمن الإنساني ليس من خارج الدولة فقط بل هو من داخل حدودها كذلك (كالنزاعات المسلحة والصراعات الإثنية...). وجاء في تقرير الأمم المتحدة لعام 1999 "عولمة ذات وجهين" أن المخاطر على الأمن البشري تتزايد وتصيب الأفراد في الدول الغنية والفقيرة على حد السواء، وحدد سبعة تحديات تهدد أمن الإنسان[50]:

- عدم الاستقرار المالي (أزمات مالية مثلا).
- غياب الأمان الوظيفي وعدم استقرار الداخل.
- غياب الأمان الصحي كانتشار الأوبئة.
- غياب الأمان الثقافي:انتقال الأفكار والمعرفة مثلا أدى إلى امتزاج الثقافات وخلطها.
- غياب الأمان الشخصي:انتشار الجريمة المنظمة وبتكنولوجيا عالية.
- غياب الأمان البيئي كتلويث الطبيعة وازدياد المصانع ونفاياتها.
- غياب الأمان السياسي والمجتمعي:تزايد النزاعات الداخلية مثلا.

وجود هذه التهديدات كانت سببا في مراجعة مفهوم الأمن والتحول إلى الأمن الإنساني كمقاربة مستقلة رغم ارتباطها بالمقاربات الحديثة في دراسة الأمن والسلم الدوليين، والتي تقوم على أن امن وسلم أية دولة هو أمن وسلامة الدول الأخرى، وأن أمن الدولة هو جزء من أجزاء البناء الأمني المتكامل الذي ينطلق من أسفل(الفرد) إلى أعلى (العالم). فالبناء الأول هو أمن الفرد وتحدد على أنه الحرية من الخوف وهو بهذا أمن مجتمعي(Sécurité Sociétale)، والبناء الثاني هو تكامل بين الدول لمواجهة مصادر التهديد الإنساني وهو أمن عالمي(Sécurité Globale).

أ- <u>الأمن المجتمعي (Sécurité Sociétale)</u>

وارتبط بالأمن الإنساني للدولة ويتناول استقرار النظام والحكومة والأيديولوجيات التي تمنح شرعية للسلطة. وقد يهتم الأمن المجتمعي بالبعد الهوياتي عندما لا يكون هناك تناسق بين البنية الدولية والأمة (تعدد الهويات يعرض الدولة للاضطراب واللا أمن. ويعتبر النقديون في هذه الحالة المجتمع المدني المؤسسة الأقوى على تحويل القواعد وتصرفات الدول كمسؤول أول عن تهديد الأمن الإنساني والمجتمعي. وبالنسبة للواقعية تبقى الدولة الوسيلة الأفضل لضمان احترام حقوق الإنسان والحريات الفردية وكذا التدخلات الإنسانية[51].

<u>ب-الأمن العالمي (Sécurité Globale)</u>

وظهر كمصطلح مع المفكر"رشارد أولمان" (Ullmann Richard) الذي ربط الأمن بمفهوم التدهور والتخلف ويقول أن الأمن يكون مهددا في اللحظة التي تحدث فيها تطورات الأخطار على نوعية الحياة لشعب في دولة معينة، مما يؤدي إلى تقليص – إلى درجة معينة- الخيارات وهامش عمل الحكومة والوحدات غير الحكومية داخل الدولة[52].

بناء على ما تقدم يتضح أن رواد فكرة الأمن الإنساني يسعون إلى إعادة ترتيب المفاهيم الأمنية بصورة تضمن دعم السلم وتقوية المنظمات المدافعة عن حقوق

الإنسان والتنمية الاقتصادية وإعادة النظر في مرجعيات الأمن الأساسية،وكذا في دور الفواعل خارج إطار الدول لإقامة أمن شامل عالمي أساسه أمن الفرد. ولأن الأمن كمتغير يتميز بخصوصيات أهمها:

1)- **النسبية** : وتعني أن أغلب الدول تركز على مدى الانسجام من عدمه بين مصالحها ومصالح غيرها أثناء صناعتها لسياساتها الأمنية والخارجية (طبيعة العلاقة بين الدول) (53).

2)- **الديناميكية**: وتفترض أن عملية صياغة الأمن كأمر بديهي تتضمن الإجراءات التي تعتمد لمجابهة جميع الحالات السلبية المحتملة. ونظرا لعدم سهولة حصر هذه الاحتمالات،فمن الصعب التنبؤ المسبق والدقيق دوما بما قد يحدث من أخطار على الصعيدين الداخلي والخارجي.

3)- **الانعكاسية**: وفيها يكون الشعور الأمني محصلة لتقييم ذاتي لدلالات التغير والتحول والتي قد تحدث داخل وخارج الدولة، فيبنى الشعور بالأمن وبالسياسة الأمنية. وعليه لا تسعى الدولة للأمن بحد ذاته وإنما تريد من خلاله ضمان استمرار قيم ومصالح مختلفة النوعية، ونظرا لأهميتها يصبح الدفاع عنها وصياغتها شرطا أساسيا لبقاء الدولة (54).

بعد التعرض إلى أهم المقاربات النظرية لدراسة الأمن بوصفه مفهوما متشابكا ، ربما نتساءل عن أهمية الأمن كممارسة ومدى قدرة الدول على الاستجابة للتحديات الأمنية الجديدة في ظل المتغيرات الراهنة وعلى كل المستويات: مستوى الدولة، مستوى الإقليم، ومستوى النظام الدولي.

ولعل أهم تساؤل هو علاقة هذه الأفكار النظرية التي عادة ما توصف أنها ذاتية وغير كاملة بالواقع ومشاكله، خاصة وأن المعيار المحدد لا يزال غامضا فيما يتعلق بالأولويات القيمية وإنّ الحديث عن الأمن اليوم هو حديث عن الديمقراطية والتنمية وحقوق الإنسان والرشادة وغيرها من القضايا التي أثارت فضيلة الباحثين والمحللين ولكنها عجزت عن صياغة قواعد مشتركة تلتقي فيها القرارات السياسية للفواعل داخل البيت الكبير للنظام الدولي.

المراجع

1- الفيروز،أبادي،القاموس المحيط،ص.199

2- DILLON (Michael), Politics of Security :Towards a Political Philosophy, London and New York, Roudledge, 1996.

3- فائزة الباشا،"الأمن الاجتماعي والعولمة"،المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر،2006.

4- WOLFERS (Arnold) (1952),National Security as an Ambiguous Symbol, Dans WOLFERS(Arnold)(Discord and Collaboration Baltimore, Johns Hopkins University Press,1962, pp147-165.

5- مازن إسماعيل الرمضاني، "مقدمة في الجوانب النظرية لمفهوم الأمن الخارجي"، (في الأمن والجماهير، السنة الثانية،العدد 04- تموز-يوليو 1981)، ص70.

6-BATTISTELLA(Dario), Théories des Relations Internationales, Paris, Presses deع Sciences Po, 2006, p462.

7-Ibid., p463.

8- أليسون.ج.ك.بيلز،"عالم أبحاث الأمن والسلام في منظور أربعين عاما"،(في التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي، مركز دراسات الوحدة العربية،الطبعة، نوفمبر 2006، ص ص75-76.

9-Mc SWEENEY (Bill), Security, Identity and Interests. A Sociology of International Relations, Cambridge, Cambridge University Press, 1999. pp20-21.

10- ثامر كامل الخزرجي،العلاقات السياسية الدولية وإستراتيجية إدارة الأزمات، ط2005،1، ص 317.

11- BATTISTELLA(Dario), Opcit, p 464.

12-WALTZ(Kenneth),Theory of International Politics, New York, Mac-Graw-Hill,1979 ,p126.

13- RICHMOND(Olivier), " Broading Concepts of Security in The Post Gold Era: Implications for The EU and The Mediterranean Region", (In www.vdg.ac.uk/eis/research/emc/puplication/rishmond.htm,26 Mars,2000).

14- WALTER(Lippmann), *US Foreign Policy*, London: Hamish Hamilton,1943,p32.

15- BATTISTELLA(Dario), Opcit, p 465.

16-HOUGH (Peter), Understanding Global Security, London New York , Routledge,2004,p11.

17- Walt, Stephen M. (1991) ‘The Renaissance of Security Studies’, International Studies Quarterly, 35, p. 212.

18- ثامر كامل الخزرجي ، مرجع سابق، ص 319.

19- جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، دبي ،طبعة عربية أولى، 2004.ص417.

20- HERZ(John),"Idealist Internationalism and The Security Dilemma",World Politics(2),Jannuary,1950,PP157-180.

21- مارتن غريفيش وتيري أوكالاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، دبي طبعة عربية 2008 ،ص389.

22-BATTISTELLA(Dario), Opcit, p 467

23- مارتن غريفيش وتيري أوكالاهان، مرجع سابق، ص ص390-391.

24-GUNNARSSON (Malin), “Regionalism and Security – Two Concepts in the Wind of Change”, Dans BUZAN (Barry) (1991), People, States and Fear. An Agenda for International Security Studies in the Post-Cold War Era, Boulder: Lynne Rienner Publishers,p187.

25- جون بيليس وستيف سميث، مرجع سابق، ص 423.

26-HOUGH (Peter),p17.

27-BUZAN (Barry) (1991), People, States and Fear. An Agenda for International Security Studies in the Post-Cold War Era, Boulder: Lynne Rienner Publishers, pp 116–134.

28- VIAU(Helene), "La Théorie Critique et Le Concept de Sécurité en Relations Internationales" ,Notes de Recherches CEPES, Université de Québec-Montréal .N° :08,(In www.upama/note/cepes/note 8.htm).

29- Notes provisoires rédigées par Barbara Delcourt "Théories de La Sécurité", Année académique 2006-2007, Dans BUZAN (Barry), WAEVER(Ole) & DE WILDE(Jaap), Security –A New Framework for , Analysis, Boulder/London, Lynne Rienner, 1998.

30- Ibidem, p41.

31- د.عامر مصباح،الاتجاهات النظرية في تحليل العلاقات الدولية،الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية،12-2006،ص 300،301.

32- نفس المرجع،ص303.

33- ROCHE(Jean-Jacques),Théories de La Sécurité ;Définitions, approches, et concepts de la sécurité internationales ,Paris, Editions Montchrestien, E.J.A , 2002,p95.

34- M.W.Doyle, "On The Democratic Peace", International Security, n°:180, p4.

35- RUSSET(Bruce),"The Democratic Peace",International Security 19(4),1995,p175.

36- Keohane and Martin,"The Promise of Institutionalist Theory", International Security 20(1), 1995, p42.

37- ROCHE(Jean-Jacques), Théories de La Sécurité ; Définitions, approches, et concepts de la sécurité internationale, p98.voir NYE(Joseph), Le Leadership -Americain,Quand les règles du jeu changent ,Nancy ,Press Universitaire,1992.

38- أليسون.ج.ك.بيلز، مرجع سابق،ص77.

39- ROCHE(Jean-Jacques), Opcit, p19.

40- BOOTH.K,"Security and Emancipation", Review of International Studies, 17(4), oct1991, pp313-326.

41- جون بيليس وستيف سميث، مرجع سابق، ص434.

42- نفس المرجع،ص435.

43- نفس المرجع،ص437.

44- CAMPBELL (David), Writing Security-United States Foreign Policy and The Politics of Identity, Minneapolis, University of Minnesota Press, 1998, p1.

45- Barbara Delcourt, Opcit, p42.

46- ROCHE(Jean-Jacques), Opcit, p104.

47- WENDT.A,"Anarchy is what States make of It: The social Construction of Power Politics ", In International Orgaization, Vol.46, Printemps1992, p418.

48- جون بيليس وستيف سميث، مرجع سابق، ص435.

49-PARIS(Roland),"Human Security ,Paradigm Shift or Hot Air? ",In International Security,Vol.26,Automne 2001,pp87-102.

50- في إسلام أون لاين-الأحد،سبتمبر7، 2003.

51- ROCHE(Jean-Jacques), Opcit, p114.

52- Ibidem, p116.

53- HOLSTI .KJ, International Politics, LONDON, Prentices International ING,2end Edition, 1974,PP363-364.

54- ثامر كامل الخزرجي، مرجع سابق، ص68.

وظيفة متابعة ومراقبة عملية الخوصصة
- واقع التجربة الجزائرية -

أ. محفوظ بولقصيبات
كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير
جامعة 08 ماي 1945- قالمة- الجزائر

ملخص

تعمل الدراسة التي بين أيدينا على عرض واقع التجربة الجزائرية في مجال مراقبة ومتابعة عملية الخوصصة، من خلال التجربة التي عاشتها مختلف الهيئات المكلفة بتسيير العملية، والتي توجهنا إليها لمعرفة الآراء والانطباعات التي ترسمت لديها من واقع الممارسة العملية ، بحيث نعمل على تحليل ودراسة تلك الآراء والانطباعات من أجل إعطاء صورة أوضح للواقع العملي لهذه الوظيفة.

Abstract

This study aims to shed light on the Algerian experience in management and monitoring of the privatization process .To achieve this aim, we collected data from the different organizations and institutions, relying on their opinions and evaluations criteria of their real practice and experience. The analyzed data helped us to elaborate a clear and real idea of privatization management and monitoring experience in the Algerian context.

مقدمة

إن تبني أية سياسات اقتصادية من شأنها أن تنمي مستوى الفعالية والأداء في قطاعات اقتصاد ما، ينصب أساسا على تلك الإصلاحات التي تمس مؤسسات تلك القطاعات، وتعد الخوصصة من أهم ما درجت عليه الدول المنتمية لمعتقد التسيير الاشتراكي لاقتصاد الدول سابقا، في إطار إصلاحاتها وتحولها نحو الانفتاح واقتصاد السوق، فالخوصصة تمثل صورة من صور استراتيجيات الإصلاح التي تتضمن حركية وتحولات كبيرة ، تتطلب الإحاطة والإلمام بمنهجيتها وأدواتها وكذا مختلف تقنياتها، وذلك حتى تكون مفضية إلى ما هو مراد من تبنيها، حيث أن أي إصلاح يصاحبه تنظيم وإعداد مسبق، كسن القوانين وضبط

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر2012.

المراحل والطرق ، وتجنيد وتبني تقنيات وإجراءات خاصة أو عامة مع واجب التحكم فيها، وذلك بوصفه شرطا أساسيا لتحقيق نجاح ذلك الصلاح.

ودراستنا هذه هي رافد من روافد دراسة أوسع تخص هذه الإستراتيجية الإصلاحية في الجزائر،حيث تنصب في اهتماماتها على مجال المراقبة أو المتابعة لعملية الخوصصة في بلادنا ،حيث لم نصادف دراسات متخصصة و متعمقة في هذا المجال الشيء الذي جعلنا نرى له من الأهمية ما هو دافع قوي لدراسته و إجلاء الغموض عنه، بحيث إنّ الدراسة التي بين أيدينا تعمل على إيضاح أهم المفاهيم المرتبطة بواقع هذا الجانب في تجربة الخوصصة الجزائرية، والتي على الرغم من وضوح التوجه نحو تجميدها كخيار استراتيجي للإصلاح في السنتين الأخيرتين، إلا أن بقاءها كملجأ أخير لبعض المؤسسات العمومية التي يصعب تقويم وضعيتها ورفع مستوى الأداء فيها، يرجعنا إلا الاهتمام بمدى التحكم في مراقبة التحول نحو الخوصصة ولو في الحالات الاستثنائية أو المفروضة بحكم الواقع الصعب لمثل تلك المؤسسات، وهذا ما أعطى مبرر الاستمرار في تناول مثل هذا الموضوع بالدراسة والتحليل محاولين الاستفادة قدر الإمكان من واقع التجربة الجزائرية وكشف حيثياتها، وذلك من خلال العمل على الإجابة على الإشكال التالي:

- ما طبيعة التنظيم المعمول به للرقابة والمتابعة في إطار عملية الخوصصة في الجزائر؟.

- ما طبيعة الإجراءات المتبعة في ذلك؟.

- ما مدى فعالية إجراءات المتابعة من وجهة النظر الفعلية العملية ، في إنجاح عملية الخوصصة؟.

- وهل تعاني العملية من صعوبات معتبرة وجب العمل على إلغائها؟.

قد عملنا في طيات هذه الدراسة على الإجابة على الإشكالية المطروحة، في ضوء التأكد من الفرضيات البحثية التالية:

- إن الجزائر وعلى الرغم من إتمامها للكثير من عمليات خوصصة مؤسسات اقتصادية، تبقى تعاني من نقائص تنظيم أو تفعيل في مجال المتابعة والرقابة تتطلب تكملتها وتحسينها .

- إن النقص الذي قد يظهر في هذا المستوى قد يعود لأسباب مختلفة من حيث طبيعتها.

*** المنهج والأدوات المستخدمة:**

1- المناهج المستعملة:

تندرج هذه الدراسة ضمن نوع الدراسات الاستكشافية، والتي ممّا يميزها أنها قليلة التناول في المجال التنظيمي و الإجرائي المهتم به في هذه الدراسة، بحيث يعطي هذا تميزا لهذه الأخيرة على الأقل من حيث مجال الدراسة المعتمد.

قد حاولنا استعمال مناهج البحث المساعدة على الإحاطة ما أمكن بجوانب الموضوع، بحيث استعملنا المنهج الوصفي، والذي من حيث كونه وصفيا فهو يهتم بوصف مجال الدراسة، محاولين من خلاله ضبط حقيقة الواقع المعاش لمجال اهتمام الدراسة، بالشكل الذي يسمح بحصر أهم البيانات المرتبطة به، والعمل على دراستها و تحليلها لكون ذلك ضروريا لصياغة إجابة كاملة عن الإشكالية المطروحة، والتأكد من الفرضيات المقدمة.

كما استعملنا المنهج الإحصائي الرياضي من خلال الاستعانة بالتقنيات الإحصائية، والمتمثلة في تحليل النسب، سواء في تلك المرتبطة بميدان الدراسة أم تلك النسب المتعلقة بتحليل الإجابات المقدمة من طرف العينة الإحصائية المستجوبة في الجانب الميداني للدراسة. وقد استعملنا أسلوب المسح الشامل لأفراد المجتمع المدروس نظرا لخصوصية ميدان الدراسة.

2- الأدوات البحثية المستعملة:

ولقد استخدم هذا البحث وسائل بحثية مختلفة تتلخص في ما يلي:

- الاستبيان: والذي يعدّ الأداة البحثية المحورية لهذه الدراسة، بحيث شملت فيه الأسئلة المكونة له، مختلف النواحي المرتبطة بموضوع الدراسة.

- المقابلات : وذلك من خلال كون استرجاع تلك الاستمارات، قد صوحب في أغلب الأحيان بإجراء مقابلة مع مسؤولين متكفلين بعملية الخوصصة، على مستوى الهيئات و شركات تسيير المساهمات التي شكلت أفراد العينة المدروسة، وذلك في محاولة لتعميق فهم واقع التجربة.

- الملاحظة : حيث استعملت بالتوازي مع المقابلات، لتسمح بضبط صورة أكثر وضوحا وواقعية، خاصة في حالات تجنب بعض أفراد العينة الإجابة على الاستبيان أو بعض أسئلته.

***المصادر البحثية المستخدمة:**

استخدمت في الدراسة مصادر بحثية مختلفة، حيث استعملت بالدرجة الأولى المعلومات المستقاة من الاستبيان الموزع، ثم بدرجة أقل بعض المراجع والكتب ذات الصلة بأدبيات الموضوع، إلى جانب بعض التقارير للهيئات المسؤولة عن تسيير

عملية الخوصصة، وقد حاولنا التوفيق بين معطيات هذه المراجع و معطيات الجانب الميداني تعظيما للفائدة ما أمكن.

وفي هذه الدراسة التي بين أيدينا تناولنا محورا أساسيا من محاور التجربة الجزائرية في مجال الخوصصة ، ألا وهو المحور الذي يرتبط بالناحية العملية لوظيفة المتابعة.

وقد استُهلت هذه الدراسة بجانب نظري يعمل على ضبط مختلف الأدبيات التي تخدم الموضوع حول وظيفة الرقابة من وجهة النظر العلمية الإدارية، ثم نتحول للجانب العملي من خلال عرض تنظيم هذه الوظيفة على مستوى الهيئات المكلفة بها، ثم ندعم ذلك بالجانب الميداني والذي نعمل من خلاله على عرض وتحليل نتائج الإجابة عن أسئلة الاستبيان الخاصة بوظيفة المتابعة، حسب تجربة الهيئات الممارسة.

I - الرقابة وظيفة تحكم

I -1: مفاهيم عامة حول الرقابة:

I –1-1: المفهوم: إن من مسلمات الثقافة التسييرية أن الرقابة تعد من أهم الوظائف المستخدمة بشكل فاعل في سبيل بلوغ الأهداف المنشودة من خلال العمل على تتبع الإجراءات والعمليات الفعلية وجعلها ما أمكن متوافقة مع الخطط المسطرة، وفي هذا السياق نجد أن " فايول " يعرفها على أنها« عملية تقوم على التحقق مما إذا كانت الأحداث أو الممارسات تسير وفقا للمخططات الموضوعة والتعليمات الصادرة والمبادئ المحددة »[1] .

وهي في ذلك تتفاعل مع وظيفة التخطيط بشكل مباشر كما يتضح من التعريف، بحيث تشكل الوظيفتين معا (الرقابة والتخطيط) طرفي مقص يبين تطابقهما كل النقائص أو الزيادات في الأداء الفعلي ، حيث تشكل النقائص والزيادات ما يعرف بالانحرافات، ونجد أن Goetz يؤكد على العلاقة بين هذين الوظيفتين حيث يقول:« التخطيط يبحث في وضع برامج مناسبة ومتكاملة، بينما تبحث الرقابة في إرغام الأحداث على أن تجري وفقا للخطط الموضوعة»[2] .

I –1- 2:خطوات ومبادئ ومجالات الرقابة:

- أولا: خطوات الرقابة: عادة ما تنحصر خطوات الرقابة في خمسة خطوات أساسية هي.

أ – تحديد المواصفات والمعايير: وهي تستمد أساسا من الخطط المسطرة، وعلى هذا المستوى يبرز التكامل بين الرقابة والتخطيط، ويمكن أن تنحصر أهم هذه المعايير في:

- معايير الربحية: الهوامش، نمو الأرباح، رقم الأعمال المستهدف..الخ .

- معايير تسويقية: كخطة حملات الترويج، منافذ التوزيع، واستهداف قطاعات معينة من السوق...الخ. هذا إلى جانب جملة من المعايير المرتبطة بالإنتاجية ،والمعايير الزمنية و التكنولوجية، والمالية تكاليفية ،ومعايير تسيير الأفراد والقوى العاملة.

ب – قياس النتائج: باستخدام مختلف وسائل التتبع والقياس للحصول على نتائج التنفيذ الفعلي.

ج – مقارنة النتائج بالتقديرات: هذه الخطوة تمكن من حساب واستخراج الفروق والانحرافات بين الأداء المتوقع والأداء الفعلي الناتج عن التنفيذ والممارسة.

د – القيام بالإجراءات التصحيحية: وهذا في الحالات التي تكون فيها الانحرافات في غير صالح المنظمة أو الهيئة المعنية بها، بحيث تتخذ الإجراءات التصحيحية، أما إذا كانت الإجراءات في صالحها، فإن هذا العنصر يتوجه نحو الحفاظ على تلك النتائج من خلال العمل على فهم أسبابها والعمل على توفير هذه الأسباب قدر المستطاع، ثم البحث في إمكانية تطويرها(3).

- ثانيا: مبادئ الرقابة:

إن الرقابة بوصفها وظيفة أساسية للإدارة تمارس باحترام جملة من المبادئ تتلخص فيما يلي(4):

- مبدأ التوجه نحو المستقبل وتحديد النقاط الرقابية.

- مبدأ الرقابة بالاستثناء: بحيث تختار الميادين المهمة، ويتوجب هنا على الرقابة أن تحقق فوائد تفوق التكاليف المتحملة في إنجازها، وهذا المبدأ يتوافق ومبدأ مراقبة النقاط الإستراتيجية.

- مبدأ التصنيف العشوائي: وهذا في اختيار العينة المراقبة، سواء في الرقابة بالاستثناء أم رقابة النقاط الإستراتيجية.

- مبدأ الاقتصاد، ومبدأ المسؤولية: حيث يركز هذا المبدأ على أن تكون للرقابة مردودية ناجمة عن اقتصاد النفقات، كما تسمح بتحديد المناصب المسؤولة عن الانحرافات قبل اتخاذ أي قرار.

- ثالثا: مجالات الرقابة:

وفقا لما سبق فإن مجالات تدخل الرقابة متنوعة ومتعددة، يمكن أن نحصر أهمها فيما يلي[5]:

أ- الرقابة على الأهداف: بحيث تضمن الرقابة على أن تكون الأهداف تتماشى مع الطموحات المراد تحقيقها، وأن هذه الأهداف تخدم في تحقيقها الأهداف العليا للمنظمة أو الهيئة التي سطرتها، حيث إنّه لا يخفى أن تحقيق الهدف الأسمى يتطلب تقسيم الأهداف العامة إلى أهداف دونها إجرائية.

ب- الرقابة على السياسات: وهي أشمل من الرقابة السابقة بحيث توافق الأهداف العامة، وتمارس من خلال مراقبة ما إذا كانت السياسات المسطرة تتوافق مع بيئة ورسالة المنظمة.

ج- الرقابة على الإجراءات: وهي العمل على مراقبة تفصيل الأداء إلى إجراءات عملية والتأكد من مدى مساهمتها في بلوغ الأهداف.

د- الرقابة على التنظيم: وفي مجالات التقاطع بين وظيفتي الرقابة والتنظيم ، بحيث تمس مدى ملائمة المهام الموكلة للأفراد والمصالح، ومدى تناسقها بشكل يخدم الأهداف والخطط المرجو تنفيذها.

وأمام توسع مجالات تطبيق وظيفة الرقابة باعتبارها وظيفة إدارية، فإنه من المسلم به أن تتوسع هذه الوظيفة باتساع ذلك النطاق، فالرقابة في المنظمات والهيئات الصغيرة ليست بالطبيعة نفسها في المنظمات والهيئات والإدارات الكبيرة، حيث إن في هذه الأخيرة يتطلب نجاح وظيفة المراقبة فيها أن تكون موكلة لهيئة أو جهاز متخصص، ويتطلب الأمر أن تتمتع هذه الأجهزة بما يلي :

- الاستقلالية: بحيث تمثل أساسا في موضوعية التقارير وأداء الوظيفة الرقابية.

- الاستمرارية: وهذا ضمانا لأن تكون نتائج الرقابة متكاملة ومتراكمة بشكل يجعل الأداء في تحسن مستمر، وهذا لا يمكن أن يضمن إلى من خلال الحفاظ على استمرارية هيكل أو جهاز الرقابة في ممارسة مهامه بشكل فعال [6].

I –1- 3: أنواع الرقابة ومتطلبات فعاليتها:

-أولا: أنواع الرقابة: يوجد لوظيفة الرقابة وفقا لهذا الجانب المتعدد الأبعاد، عدة تقسيمات تختلف باختلاف النظرة المتبناة في ذلك[7]، فنتج تقسيم بحسب النظرة السياسية أو الإدارية أو على أساس المستوى التنظيمي، أو تقسيم للرقابة بحسب توقيت إجرائها وتنفيذها، وهذا التقسيم الأخير الذي نتناوله باعتبار كونه الأكثر تماشيا مع طبيعة الدراسة التي بين أيدينا، بحيث نجد فيه الأنواع التالية[8].

أ- الرقابة السابقة: وهي تسمى كذلك بالرقابة الوقائية ، وهي تمس مراجعة الخطط والإجراءات المسطرة، وذلك تجنبا لأن يكون الخطأ في الخطط، باعتبارها تعبيرا أوليا عن الأهداف المنشودة التحقيق، فالرقابة هنا دورها وقائي .

ب- الرقابة المتزامنة: وهي رقابة آنية متزامنة مع الأداء، بحيث يكون الغرض منها اكتشاف الأخطاء عند ارتكابها، ومحاولة إجراء التصحيحات اللازمة والآنية حتى لا يتسع مدى تلك الأخطاء في المستقبل.

ج- الرقابة اللاحقة: وهي تسمى أيضا بالرقابة البعدية أو العلاجية، بحيث تكون بعد الممارسة والانتهاء من التنفيذ لمختلف الخطط والإجراءات، وهنا يكون التدخل من أجل علاج الانحرافات و أخذها في الحسبان، عند أي عملية أو إجراء مماثل في المستقبل.

-ثانيا: متطلبات الرقابة الفعالة:

إن وظيفة الرقابة مهما كان نوعها، تقتضي توفر جملة من المتطلبات حتى تحقق فعاليتها كوظيفة إدارية تسييرية هادفة، ويمكن أن تتلخص هذه المتطلبات فيما يلي(9):

أ- الترابط مع التخطيط واتخاذ القرار: فالرقابة تبنى أصلا على أساس وجود خطط دقيقة واجبة الاتباع، وهي في ذلك تشكل رابطا فعالا مع منظومة اتخاذ القرارات، حيث إنّ القرارات التصحيحية لاسيما منها تلك الناجمة عن الرقابة المتزامنة، تتطلب اتخاذ قرارات صائبة و دقيقة، تتوافق وطبيعة الوقت الضيق التي تتخذ وتجرى فيه.

ب- الترابط مع التنظيم: وهذا يمثل تدخل الرقابة في ضبط شكل التنظيم و الهيكل التنظيمي، والتأكد ممّا إذا كان يتوافق في صيغته مع متطلبات تحقيق الأهداف، من حيث توزيع الأهداف والمسؤوليات.

ج- المرونة: بحيث يتوجب على نظام الرقابة أن يكون متسما بالمرونة، بالشكل الذي يتوافق مع متطلبات تغيير المفاجئ للخطط لسبب أو لآخر، أو ظهور طوارئ تعيق الأداء الجيد أو تحول دون تحقيق الأهداف المرجوة، وهذا لا يتسنى إلى من خلال توفر مرونة جيدة في أداء الوظيفة الرقابية.

د- السرعة في كشف الانحراف: حيث إنّ التوقيت الجيد في كشف الانحراف يمثل جزءا مهما في التعرف عليه والتحكم في مسبباته، واتخاذ القرارات والإجراءات التصحيحية اللازمة والمناسبة، من حيث توقيت التدخل ومدة الإجراءات التصحيحية.

هـ- التكلفة: حيث تراعى تكاليف العمل الرقابي من حيث مدى المنفعة التي قد يذرها على المنظمة، والعمل على تحقيق التوازن بين الجانبين أمثل ما يمكن في حالة ما إذا تعذر أن تكون المنافع أكثر من التكاليف.

و- الوضوح : بحيث يتوجب الأمر لنجاح الرقابة أن تكون هذه الأخيرة واضحة بحد سواء بالنسبة لمطبقيها كما لمن تطبق عليهم، وذلك من خلال الإعلام أو الدورات التدريبية والتكوينية ،خاصة إذا اقتضى الأمر إتباع إجراءات معقدة أو وسائل متطورة في الأسلوب والتقنية، والتي بدورها تتطلب التحكم فيها بدقة وفاعلية.

ز- الدقة والموضوعية: حيث تشمل الدقة كل المعطيات المقدمة والتي يكون مصدرها الوسائل المستخدمة، أما الموضوعية فتمس تقييم المعطيات بمصداقية والتجرد من الذاتية.

I -1-4: البعد النظمي للوظيفة الرقابية:

نظرا لأهمية الرقابة في العمل على تحقيق التوازن، ونظرا لارتباطها الوثيق من الناحية العملية بوظائف،التفتيش، المتابعة والإشراف،التقييم والتحكم،فنجدها تعمل وفقا لذلك على تحقيق الأهداف المرجوة ، من خلال التأكد من ملائمة الإجراءات لما هو مخطط، والإشراف والمتابعة على مستوى كل العمليات والمراحل، وذلك بهدف تقييم درجة تحقق الأهداف والسيطرة والتحكم في سيرورة الأداء ، عن طريق الإجراءات التصحيحية عند ظهور الانحرافات.

ومن هذا المنطلق تم إدراج مفهوم " السيبارنيتيك"[(10)] (Cybernétique) الذي طور من طرف "وينز"، ليشمل بعدها وظيفة الرقابة في الإدارة النظرة الحديثة للمؤسسات (الأنساق والأنساق المفتوحة)،والتي تعطي مكانة مهمة لنظرية النظم في المؤسسة، وخاصة مفهوم التغذية العكسية والتصحيح الذاتي للنظام.

وتطرقنا إلى مفهوم نظام الرقابة لا نقصد به كما يذهب العديد من المتناولين لنظم المعلومات بالمؤسسة بأنها نظم معلوماتية، فالكلام هنا عن نظام يتعامل مع جملة من المدخلات، ويقدم مجموعة من المخرجات، ويتمتع بتغذية عكسية تساعده على تقييم وتقويم أدائه، ويمكن أن نقدم الشكل التالي كتبسيط لمفهوم نظام الرقابة:

الشكل: الرقابة وتعديل النظام.

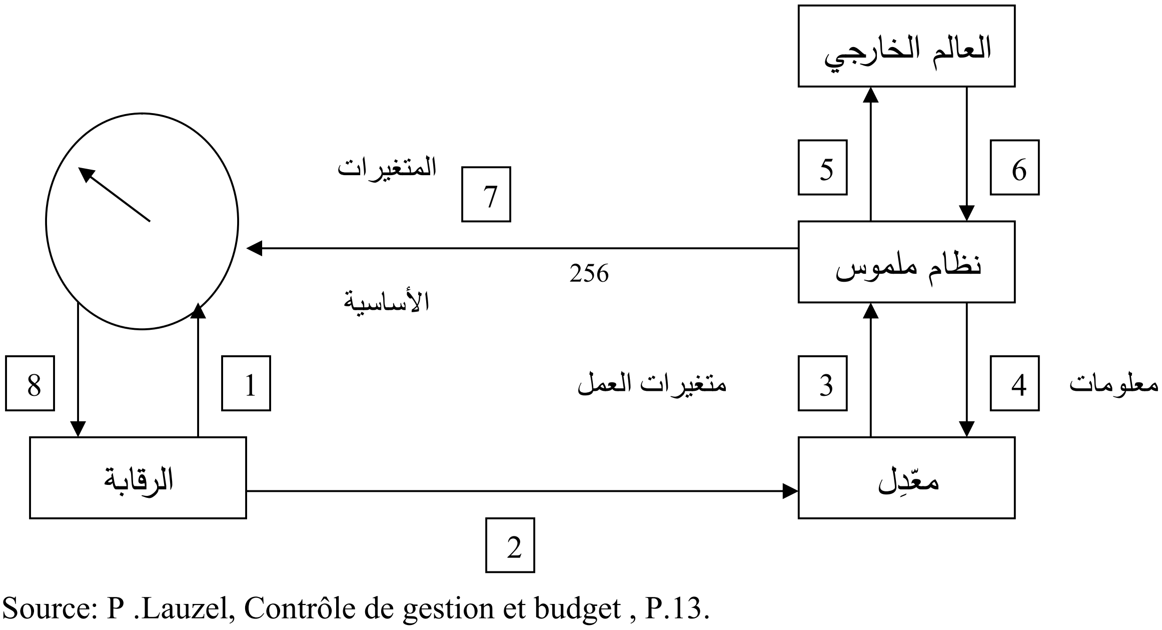

Source: P .Lauzel, Contrôle de gestion et budget , P.13.

ويظهر لنا الشكل أربعة أطراف متفاعلة: الأول النظام الفيزيائي الملموس ويمثل المؤسسة أو المنظمة ، ثم العالم الخارجي : وهو المحيط الذي تعمل فيه المنظمة، ثم نجد نظام التعديل، والرقابة.

ونجد أن الرقابة تسهم في تحديد الأهداف(السهم01) ، هذه الأهداف المشار إليها باسم متغيرات أساسية، وهي بذلك تعدل من متغيرات العمل للنظام العدِّل الذي يتفاعل مع الجانب المادي الملموس للمنظمة أو المؤسسة، والتي تدور نشاطاتها في تفاعل مع محيطها أخذا وعطاء (السهم05-06)، وتعمل هذه الأطراف الثلاثة (المحيط، المنظمة ،نظام التعديل)، من أجل توفير المتغيرات الأساسية (السهم 07)، وفي حالة تحقيق تلك المتغيرات بقيم مقبولة، تتدخل الرقابة بالإعلان عن الانحرافات (السهم 8)، وتحدد القيم الجديدة لمتغيرات عمل النظام العدل(السهم 2)،وإذا كان هناك فشل في المحاولة يمكن أن يكون هناك تغير في الأهداف (السهم 1)[11] .

ومن خلال الشكل يظهر كيف أن الرقابة تتفاعل وتتكامل مع نظم اتخاذ القرار في المؤسسة، وإلى جانب أهدافها ومبادئها ومتطلباتها المختلفة وطرائق أدائها يظهر أهمية الرقابة ومكانتها لمختلف التنظيمات، وقد أكدها "صاموبل إيلون"[12] في كتابه (الرقابة المناجمنت- Magement control) بقوله:" لا يمكن أن يكون مناجمنت من دون عملية رقابة".

وتبقى الإشارة إلى أن توفير نظام الرقابة وتصميمه من حيث مكوناته، لا يعني بالضرورة أن هذا النظام سيعمل بطريقة صحيحة تحقق الهدف المرجو من وضعهن حيث يمكن أن تخضع الأشياء للرقابة من دون وجود ضمان لتحقيق الأداء الأمثل[13] ، وإنما يتم التأكد من هذا والعمل على تفاديه من خلال عمل النظام وتحديد نقاط ضعفه والعمل على تقويتها مع الوقت،حتى لا يكون النظام ذا تكلفة أكبر مما هو منتظر أن يقدمه من وفرات في التكاليف والنفقات.

- الرقابة والمتابعة:

من بين التعابير والمصطلحات التي تصادفنا كثيرا في الدراسات التسييرية ، نجد كلمة "متابعة" والتي تنوب كثيرا في روحها عن كلمة المراقبة، وهو المصطلح الذي نميل إلى استعماله فيما تبقى من بحثنا هذا، بحيث نراه الأصلح في ضبط المفهوم التصوري للرقابة على الإجراءات والتوصيات وأساليب الرقابة على عملية الخوصصة في الجزائر، إلى جانب كون هذا المصطلح يحافظ على جوهر الوظيفة ويخفف التصور السلبي لمفهوم الرقابة باعتبارها مراقبة لصيقة ذات طابع كلاسيكي جاف، ويمكننا أن نعدّ المتابعة هنا بمثابة ذلك النوع من الرقابة التي تشارك فيها الجهة المراقَبة الجهة المراقِبة في أداء وظيفة الرقابة على أحسن ما يكون بحيث تحرص كل جهة على بلوغ الأهداف المنشودة بأفضل الطرق كما يتضمن هذا المفهوم "المتابعة" مفهوم الرقابة المتزامنة والتي تعني أنها وظيفة مستمرة مع عمليات الخوصصة من بداياتها حتى النهاية، بحيث تعطي ذلك الطابع الجدي في القيام بالمسؤولية المناطة بالجهة المتكفلة بعملية الرقابة، والتي نعرج على تبيانها والتعرف عليها أكثر من خلال الجزء التالي للدراسة التي بين أيدينا.

II – تنظيم مراقبة ومتابعة عملية الخوصصة في الجزائر:

بالرجوع إلى الأمر01/04 المتعلق بتنظيم و تسيير خوصصة المؤسسات الاقتصادية العمومية(14)، فيما يخص مراقبة ومتابعة سير العمليات وتنفيذها، نجد أنه يشير بوضوح إلى تكليف وزارة الصناعة وتسيير مساهمات الدولة بهذه المهمة، و تكرست هذه المهمة كذلك من خلال المرسوم التنفيذي 05-309 المؤرخ في 07 سبتمبر2005(15)، والمتعلق بتبيان المهام الموكلة لوزارة مساهمات الدولة، والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- السهر على متابعة التزامات المشترين للمؤسسات المخوصصة.

- متابعة تسيير مساهمات الدولة في المؤسسات التي تكون فيها الدولة ذات الأقلية، إلى جانب حيازة الدولة لأسهم خاصة في المؤسسات المخوصصة.

- متابعة تنفيذ توصيات وقرارات مجلس مساهمات الدولة وعمليات الخوصصة المرتبطة بها.

ومن وجهة النظر الهيكلية فإن عملية المراقبة لسيرورة الخوصصة في الجزائر أنشئت لها لجنة مراقبة في إطار المرسوم 01/04 المذكور أعلاه، ثم وضحت مهامها وتسييرها بالمرسوم التنفيذي 01-354 الذي يضعها تحت وصاية الوزير الأول ثم الوزير المكلف بمساهمات الدولة، بحيث تتكفل نظريا بالحكم على الملفات التي يطرحها هذا الأخير عليها وفقا لقواعد الصدق والشفافية والعدالة(16).

وخدمة لهذا الغرض أنشئت على مستوى الوزارة هيئة تتكفل بجانب متابعة العمليات، وأطلق عليها اسم :" دائرة دعم ومتابعة العمليات" " DAST"، وهي تتكفل بمجالات المتابعة التالية:

- متابعة تنفيذ قرارات مجلس مساهمات الدولة(م.م.د).

- متابعة تنفيذ التزامات كل من الدولة والمشترين للمؤسسات العمومية المخوصصة.

- متابعة تسيير مساهمة الدولة في حالة كونها تمثل أقلية ،وتسيير السهم الخاص.

II-1:طبيعة عملية المتابعة: تتسم عملية المتابعة بنوعين متكاملين في الأداء هما:

أ - متابعة إدارية: تمثل الجانب يختص بمتابعة مستوى التأطير الإداري لمختلف المعاملات و التحولات، بحيث يخدم عملية الخوصصة من حيث تراكم الخبرات وكذا تنميط وتوحيد عمليات التحويل، وهي في ذلك تتعلق بـ:

- توفير فعلي لجملة إجراءات مركزية تخدم كل الوزارة، وتمكن من جمع وتصنيف مختلف الملفات والوثائق المتعلقة بكل عملية خوصصة، وذلك على مستوى دائرة الدعم، بحيث تشكل مرجعا لكل الوثائق ومكونات ملفات الخوصصة والمعاملات.

- توفير قائمة لمختلف عمليات الخوصصة والشراكة، والتي تحتوي على قائمة العمليات المرخصة من طرف مجلس مساهمات الدولة.

- ضمان تجديد وتحديث القوائم لمختلف العمليات بشكل يحافظ على ترتيبها الزمني، ويبين كل التطورات اللاحقة بكل عملية، والتأكد من تحقق الالتزامات من طرف كل الأطراف المتعاقدة.

- التأسيس لإجراءات خاصة من شأنها أن تسهل من ممارسة المسؤوليات الموكلة و كذا تنفيذ التوصيات، وتجنب التصلب والتعقيد غير الضروري في الإجراءات الإدارية.

ب – متابعة تقنية: وهي تهتم بالجانب التقني لعملية الخوصصة، وتهتم بما يلي:

- متابعة التنفيذ الفعلي لمختلف الإجراءات الظاهرة في توصيات وقرارات مجلس مساهمات الدولة.

- حماية حقوق المشترين للمؤسسات عند إنهاء عقود التنازل بالشروط المحددة من طرف م. م. د.

- القيام بالمراجعة والتدقيق خاصة في حالة النزاعات،بهدف تحديد المسؤولية واستحقاقات الالتزامات المقدمة بين شركات تسيير المساهمات والمستثمرين المشترين لمؤسسات.

- وضع إطار تشاوري بين المالكين الجدد وشركات تسيير المساهمات والإدارات العليا، يتم من خلاله حل النزاعات بطريقة ودية، تجنبا لتعليق أو إلغاء المعاملات.

- تقديم تقارير لمجلس مساهمات الدولة حول تنفيذ القرارات المتخذة.

II – 2: التنظيم المعمول به في متابعة المعاملات:

يعطي التنظيم المعمول به حاليا دورا محوريا لشركات تسيير المساهمات، ويبقى التدخل على مستوى الوزارة من أجل مراقبة ومتابعة العمليات، ودعم مختلف الإجراءات المتخذة من طرف تلك الشركات لتنفيذ القرارات المختلفة.

فعلى المستوى الداخلي للوزارة المكلفة، تضمن عمليات المتابعة من طرف الهيئة المشار إليها سابقا " DAST" – دائرة دعم ومتابعة المعاملات- والتي ترتكز في عملها على ما يلي:

- السهر على التنفيذ الفعلي لقرارات الخوصصة، وإتمام العمليات الموكلة لشركات تسيير المساهمات ، على ضوء قرارات وتوصيات مجلس مساهمات الدولة.

- السماح بممارسة كامل مسؤوليات الوزارة، دون المساس بمهام شركات تسيير المساهمات.

- إعداد تقارير نزيهة ودورية، حول الأهداف المنجزة وإرسالها إلى مجلس مساهمات الدولة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن على مستوى وزارة الصناعة ومساهمات الدولة توجد ثلاثة هيئات متكفلة بعملية الخوصصة:

- دائرة العلاقات مع المؤسسات الاقتصادية العمومية "DREPE".

- دائرة المؤسسات الكبرى"DGE".

- دائرة دعم ومتابعة المعاملات "DAST".

II- 2-1:حقل اختصاص دائرة دعم ومتابعة المعاملات:

يضبط حقل اختصاص هذه الدائرة من خلال ما نص عليه المرسوم التنفيذي المشار إليه سابقا وهو المرسوم 05-309 المؤرخ في 07 سبتمبر 2005 ، كما ينظم هذا المرسوم تنظيم هذه الدائرة بحيث تسير رئاستها من طرف منصب رئيس للدائرة، وساعده على تفعيلها 14 منصب للمسؤولية، فيهم مديران-02- للدراسات، وخمسة

رؤساء للدراسات فقط من يشغلون مناصبهم حتى السداسي الأول من سنة 2008 [(17)].

وتتدخل عملية متابعة المعاملات في مراحل حساسة لعملية الخوصصة، حيث مع إعطاء مجلس مساهمات الدولة موافقته على إتمام أي عملية وإعطاء القرار المعني بها ، تتدخل مباشرة دائرة الدعم والمتابعة، من أجل ضمان موافقة التنفيذ الميداني للقرارات وجعل ذلك التنفيذ عمليا من خلال التدخل لمساعدة شركة تسيير المساهمات على التغلب على مختلف العراقيل التي قد تصادفها.

II- 2-2: دور دائرة العلاقة مع المؤسسات الاقتصادية العمومية:

تتحدد مهام هذه الإدارة على عدة مستويات،فقبل بداية عملية الخوصصة تقوم بضبط القواعد التي تقوم عليها عملية المتابعة للمعاملات والتي تحدد بناءا على قرارات ووثائق قانونية محددة مسبقا، ونجد أن هذه الدائرة تتدخل على مستويين مهمين في عملية الخوصصة، الأولى في قرار الموافقة على ملف الخوصصة،والثانية على مستوى تحرير القرارات.

كما تتولى هذه الدائرة مهمة الأمانة التقنية لمجلس مساهمات الدولة، متكفلة في ذلك بما يلي:

- ضمان صلاحية واكتمال الملفات المقدمة لمجلس مساهمات الدولة.
- صياغة القرارات الصادرة عن المجلس أعلاه.
- تحويل نسخ من القرارات المتبناة إلى دائرة "DAST"، وإلى شركات تسيير المساهمات للتنفيذ.
- التكفل بإنشاء أرشيف لمختلف القرارات في صورتها الأصلية.

كما تعمل على توحيد التصور بين مختلف دوائر الخوصصة ودائرة المتابعة، حيث إنّ نوعية ودقة لغة القرارات المتخذة، لها تأثير فاعل في مدى نجاح وإتمام مختلف وثائق المعاملات وكذا نجاح عملية المتابعة البعدية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن القرارات المتخذة من طرف مجلس مساهمات الدولة قد تتعلق بعملية للخوصصة كما قد تتعلق بعدة عمليات خوصصة.

II- 2-3: دور شركات تسيير المساهمات(SGP):

تتكفل شركات تسيير المساهمات بتفويض من مجلس مساهمات الدولة، بانجاز وتسيير عمليات الخوصصة بما في ذلك عملية المتابعة البعدية، وقد دعم مجال تخصصها بمهام بينها المرسوم التنفيذي 06-32 المؤرخ في 29 جوان 2004 الصادر عن مجلس مساهمات الدولة، والذي ينص على توكيل شركات تسيير المساهمات

بالتفاوض والإسهام في فتح رأسمال المؤسسات الاقتصادية العمومية، كما يسمح لها بتتبع و إتمام ملفات عمليات الخوصصة، بغرض عرضها على المجلس السابق الذكر.

كما تعمل هذه الشركات على متابعة تنفيذ قرارات مجلس مساهمات الدولة، وهو الدور الذي ظهر ونما مع الوقت بتطور ونماء محفظة تلك الشركات من المؤسسات الموجهة للخوصصة، كما ظهرت الحاجة الماسة للمتابعة على هذا المستوى خاصة في مجال حل المنازعات التي قد تظهر.

ومن أجل التكفل بتلك المهام أنشئت على مستوى كل شركة تسيير، خلية متابعة المعاملات، والتي تتكفل بمتابعة عملية الخوصصة والشراكة، بما يتوافق مع قرارات وتوصيات مجلس مساهمات الدولة. هذه الخلية هي بمثابة أداة بيد الشركات كل حسب مجال تخصصها، تسهر من خلالها على الجانب العملياتي لسيرورة عملية الخوصصة تنفيذا وتأطيرا.

وتوضع خلية متابعة المعاملات تحت المسؤولية المباشرة لأحد الإطارات المسيرة لمجلس إدارة الشركة وتوكل لها عادة المهام التالية (18):

- مراقبة تطبيق العقود عند التنازل، ومتابعة برنامج الإجراءات المسطر وفقا للتواريخ الملتزم بها، ومتابعة احترام الأطراف المشاركة للاتفاقات البينية.

- تطبيق الإجراءات القانونية المرتبطة بالقرارات الخاصة بعمال المؤسسات الاقتصادية العمومية،وضمان متابعة التزامات المالكين الجدد.

- التكفل بحالات المنازعات والخلاف وسوء التفاهم الطارئة خلال عملية إتمام المعاملات.

إلى جانب هذا فإن خلية متابعة العمليات تعمل على إبلاغ كل المعلومات، وإرسال تقارير حول تنفيذ القرارات إلى دائرة دعم ومتابعة المعاملات على مستوى الوزارة، كما تتلقى هذه الهيئة تقارير حول الاجتماعات مع المشترين أو الملاك الجدد في إطار عمليات تحويل الملكية أو فيما يتعلق بحالات تسوية الخلاف.

II- 3: وسائل عملية المتابعة: تتلخص هذه الوسائل في أربعة وثائق أساسية تتمثل في:

أ - وثيقة إثبات صلاحية عقود ووثائق التنازل:

في إطار مراقبة تنفيذ قرارات مجلس مساهمات الدولة، وضعت وزارة الصناعة ومساهمات الدولة إجراء أو تنظيما للتأكد من الصلاحية القانونية، من حيث الشكل والمضمون، لمختلف الوثائق المستخدمة في المعاملات، والتي تنشأ وتعد من طرف شركات تسيير المساهمات،بحيث تتخذ تلك الوثائق كمنطلق قانوني لعمليات التحويل، باعتبار أنها تحتوي عقود التنازل و الاتفاقات بين الشركاء، حيث إنه قبل البداية في

الإمضاء على هذه الوثائق، تقوم شركات تسيير المساهمات بإرسال الصيغ النهائية لها إلى الوزارة المكلفة، من أجل التأكد والإقرار بصلاحية الوثائق الخاصة بكل عملية.

حيث في حالة وجود خلل في إحدى النقاط من جهة عدم التوافق مع التوصيات، لا يعطى الإقرار بالصلاحية لشركة تسيير المساهمات المعنية ، حتى تقوم بالإجراءات التصحيحية المرتبطة بتلك النقاط مع إعادة إرسالها للتأكد ، وعند موافقة كل النقاط لما هو مطلوب من تعليمات ، تحرر وثيقة الإثبات ، بالتأشير عليها بملاحظة " موافقة...Conforme "، وذلك على كل النقاط المراجعة.

ب- وثيقة متابعة العملية: وهي وثيقة تسمح بجمع كل المعلومات المتعلقة بأصل من الأصول أو مؤسسة ما، وذلك في وثيقة واحدة، وهي تبين كل الممارسات الواجب الالتزام بها وتنفيذها لكل الأطراف المعنية، سواء بالنسبة للإجراءات المرتبطة بإتمام المعاملات أم فيما يخص الالتزامات المتعهد بها من طرف المالكين الجدد للأصول المتنازل عنها. (كالحفاظ على مناصب العمل، ومخطط التسديد المؤجل ...).

ج- قائمة لعمليات الخوصصة: إن قائمة عمليات الخوصصة تبين إحصاء لكل عمليات الخوصصة التي راجعها مجلس مساهمات الدولة وسمح بإجرائها، وهي بمثابة قاعدة بيانات يعاد تجديدها وتحديثها في كل دورة من دورات مجلس مساهمات الدولة، وذلك بناء على التوصيات والقرارات المتخذة من طرف هذا الأخير، وهو ما يسمح كذلك بضبط إحصائيات مجمعة سنويا حول المؤسسات وشركات تسيير المساهمات وقطاعات الأنشطة المختلفة وبرامج الاستثمارات المزمع إجراءها، سوق العمل، أنواع وأصناف العمليات، سوق المشترين...الخ.

ونجد أن كل عملية وجب أن تحتوي على[19]:

- عنوان دقيق: حيث عادة ما يكون هذا العنوان هو اسم العملية، والذي يكون قد أشير إليه في القرارات المعنية بتلك العملية من طرف مجلس مساهمات الدولة، في حين قد تصدر قرارات تنشئ عدة عمليات ، تختص كل عملية في بلوغ هدف محدد، ويبقى دائما اسم العملية أو العنوان يشكل المسار المتبع لمتابعة أي عملية.

- *رقم خاص:* حيث تعطى كل عملية رقما خاصا بها، ويتشكل هذا الرقم عادة كما يلي:

رقم الجلسة	رقم القرار	تاريخ الجلسة	رقم الأمر في القرار

حيث إنّ رقم العملية الحالي يعود عادة إلى آخر قرار يخص العملية ذلك بشكل يمكن من توفير نوع من الاستمرارية في القرارات المتعلقة بالمؤسسة نفسها أو عملية الخوصصة ذاتها، وهذا ما يظهر بالخصوص في حالات توالي الرجوع لعدة مرات

إلى مجلس مساهمات الدولة حول نفس العملية، ، حيث تبقى قاعدة البيانات في الأرشيف مسار كل القرارات التي تتعلق بالعملية الواحدة نفسها.

د – ملف المعاملة : حيث وجب أن يحتوي الملف على كل الوثائق اللازمة لأي عملية خوصصة، وبالخصوص دفتر الشروط للعملية (إشعارات العروض، محاضر فتح الأظرفة أو العروض، اختيار الفائز في العروض وصاحبها المستفيد، قرارات مجلس مساهمات الدولة، عقد النازل،اتفاق الشركاء...).

III- مراقبة ومتابعة الخوصصة حسب تجربة الهيئات المكلفة بالعملية:

III-1 بناء وتوزيع وجمع الاستبيان:

تمت عملية بناء الاستبيان الموجه لغرض دراسة التجربة الجزائرية في مجال الخوصصة وكان من أهم محاورها المحور الذي يعنى بجانب الرقابة والمتابعة، وهو المحور الذي نعكف على عرض و مناقشة نتائجه في هذه الدراسة .

وقد شملت الاستمارة على أسئلة مقيدة، قصدنا من خلالها التركيز على موضوعاتها بتقييد الإجابة وإعطاء الاحتمالات الواردة خدمة لعنصر الزمن ومساعدة للمجيبين خاصة أولئك الممتنعين عن الإجابة بضغط المهام والالتزامات بحيث نحاول أن نستفيد منهم قدر الإمكان.

كما شملت الاستمارة أسئلة مفتوحة، وهذا بعد أن يكون المجيب قد اندمج مع أسئلة الاستبيان وتكون الأسئلة المفتوحة قد أثارت عنده أهم النواحي المرتبطة بعملية الخوصصة، مما يسمح في النهاية على استحضار أكبر قدر ممكن من الإسهامات في إثراء الإجابة عن الاستبيان بالمقترحات البناءة من خلال الخبرة والممارسة الميدانية الفعلية.

حيث شمل توزيع الاستبيان مجتمع دراسة متكون من مختلف الهيئات المكلفة بتسيير العملية، وتشكل إجابات الإطارات المسؤولة عن عملية الخوصصة هذه الهيئات أهم مصدر للمعلومات، إلى جانب الاستعانة في فهم بعض الأرقام والتحليلات بما استنبطناه أثناء عملية توزيع واسترجاع للاستبيان في إطار الملاحظات و جلسات المقابلات.

فتوجهنا بالدرجة الأولى إلى وزارة الصناعة وترقية الاستثمار باعتبارها ممثلا لمجلس مساهمات الدولة وعلى مستواها لجنة المراقبة، ثم وزعنا الاستبيان على ثمانية وعشرين(28) شركة تسيير للمساهمات، مستخدمين أسلوب الاتصال والتسليم المباشر لاستمارة الأسئلة، لتجمع على مدى زمني مقدر بحوالي ثلاثة أشهر(جويلية - سبتمبر 2009).

III-2- معدل الاستجابة:

بعد أن قمنا بتوزيع تسعة وعشرين(29)استمارة، تم استرجاع وتحصيل ستة عشر(16) استمارة، والباقي تعذر جمعها بسبب رفض الهيئات المعنية للإجابة عنها بدعاوى وأسباب مختلفة، كالتذرع بأن الأسئلة لا تقع في مجال تخصص الهيئة وإنما تخص وزارة الصناعة وتسيير الاستثمار باعتبارها المسؤول الأول عنة عملية الخوصصة، أو التحجج بكون بعض الشركات لم تنجز على مستواها أي عملية للخوصصة لحد الآن، أو أن تجربتها بسيطة تتمثل في خوصصة مؤسسة واحدة أو مؤسستين فقط، لتبقى نسبة الاستجابة المقدرة بـ: 55.55% وهي تعدّ نسبة معتبرة تمكن من رفع مصداقية النتائج وتحليلها.

III- 3- تحليل نتائج الاستبيان:

شمل المحور المرتبط بعملية متابعة ومراقبة عملية الخوصصة ستة أسئلة نعرض نتائجها من خلال ما يلي:

أ-من حيث إجراءات عملية المتابعة:

اختلفت آراء المستجوبين من حيث كون عملية الخوصصة لها هيئات مكلفة بعملية المتابعة فنجد ما نسبته 93.75 % من المستجوبين يرون أن لعملية الخوصصة في الجزائر هيئات وإجراءات متابعة وهي بالأساس الهيئات المناط بها ذلك(لجنة المراقبة، ومجلس مساهمات الدولة) وهما الهيئتان المتكفلتان قانونا بالعملية كما سبق وأن أشرنا، غير أن من المستجوبين ما نسبته 06.25 % لا يرون أن هناك هيئات مراقبة ومتابعة فعلية لعملية الخوصصة وذلك باعتبار أن الأجهزة الموجودة غير فعالة وإجراءاتها غير واضحة مما يجعلهم يحكمون على أن هذه الهيئات غير موجودة فعلا.

وبالنسبة للمعتقدين بوجود الإجراءات المتعلقة بتنفيذ عملية المتابعة، فقد وضع سؤال من خمس درجات تتدرج فيه الإجابة حول كون تلك الإجراءات من معقدة جدا إلى بسيطة جدا، بحيث نجد أن 46.67 % يعتقدون أن تلك الإجراءات بسيطة من حيث الممارسة، وذلك أمام 33.33 % من المستجوبين الذين يرون أن الإجراءات تتسم بالتعقيد إلى حد ما ، في حين يرى 20 % من المستجوبين أن إجراءات المتابعة تعدّ معقدة .

وفي منظورنا أن هذه الإجابات مرتبطة بدرجة كبيرة مع تجربة كل شركة حيث نعلم أن تجربة خوصصة المؤسسات تختلف من شركة تسيير مساهمات إلى أخرى،فباختلاف القطاع وحجم المؤسسة تختلف طبيعة الإجراءات وتعقيداتها مما تختلف حولها آراء المعنيين بتنفيذها، وكالما كانت عملية الخوصصة أكثر طولا وتعقيدا كلما كانت إجراءات المتابعة الخاصة بها أكثر تعقيدا وهذا ما يفسر اختلاف الآراء أعلاه، الشيء الذي يدعنا إلى الكلام عن إمكانية وجود عوائق تصادف عملية المتابعة ومحاولة ضبط طبيعة تلك العوائق .

ب- من حيث عوائق عملية المتابعة:

مما لا شك فيه أن من يتكلم عن عوائق في متابعة عملية الخوصصة إنما ينطلق مبدئيا من ما خلصت إليه التجربة الميدانية التي عاشها، حيث باختلاف الممارسات المعاشة قد تختلف المواقف والانطباعات، خاصة وأن تجربة شركات تسيير المساهمات تتفاوت من حيث حجم العمليات التي أتمتها في خوصصة المؤسسات التي تضمها محافظتها.

وقد بينت نتائج الاستبيان أن 56.25 % من المستجوبين لا يرون أن هناك عوائق معتبرين، حسب ما أبداه البعض عند المقابلات، أن هذا الجانب مضبوط من طرف القوانين والتعليمات والتي مبدئيا تنمط عملية المتابعة وتجعلها أكثر وضوحا.

في حين نجد أن الباقي وهو ما نسبته 43.75 % يرون عكس ذلك وأنّ عملية المتابعة تعاني من عراقيل شتى،ونجد أن هذا الفريق كان هو المعني بالإجابة على السؤال المرافق والمتعلق بحجم تلك العراقيل والتي تباينت آراءهم حولها في درجات مقترحة- من كثيرة جدا إلى قليلة جدا- بحيث نجد فيهم من يرى أن تلك العراقيل مع وجودها فهي قليلة وهذا بنسبة 57.14 % ،أما من كانوا يرون بأنّ هذه العراقيل كثيرة فيمثلون ما نسبته 28.57 %، في حين نجد أن الباقي والذين يمثلون 14.29 % يرون بأن هذه العراقيل قليلة جدا.

ويبقى من المهم أن نشير إلى أن نسبة 43.75 % فقط من المستجوبين كما سبق قد أجابوا عن هذا السؤال مما يفسر النزعة الكبيرة عند أولئك الممتنعين على الإجابة، إلى اعتبار أن هذا السؤال يخرج عن نطاق صلاحياتهم في الإجابة كما تبين من خلال المقابلات، وهو ما يفسر كذلك ما هو ظاهر من خلال الفارق الكبير بين من أجابوا على سؤال وجود إجراءات المتابعة بالإيجاب 93.75 %. ونسبة الإجابة على هذا السؤال.

ولما كانت أهم المتابعات لعملية الخوصصة الموكلة لشركات تسيير المساهمات، تتعلق بالاتفاقات والشروط المبرمة مع المشترين للمؤسسات المتنازل عنها أو عن جزئها، فقد ارتأينا أن نخص هذا الجانب بسؤال مستقل نبين من خلاله ما إذا كانت عملية المتابعة تعاني من عراقيل في هذا المستوى، وذلك من منطلق أن العراقيل ، حسب العديد من المقابلين، لا تقتصر عادة على الإجراءات والهيئات فقط ، وهو ما نتناوله في العنصر الذي يلي.

جـ- من حيث عراقيل متابعة التزامات المشتري:

تبين من الإجابات التي تخص هذا الجانب أن هناك نسبة معتبرة من المستجوبين تقدر بـ 62.50 % يقرون بوجود فعلي لعراقيل في متابعة التزامات المشترين المستفيدين من العروض المقدمة لحيازة وامتلاك المؤسسات المتنازل عنها، في الوقت الذي نجد أن الباقي وهو ما نسبته 37.50 % ينفون وجود عراقيل في هذا المستوى.

وبالرجوع إلى المستجوبين الذين يرون بوجود عراقيل نجد أن نصفهم 50 % يرى أن تلك العراقيل قليلة جدا، في الوقت الذي ينقسم فيه رأي الباقي بين من يرون أن العراقيل المصادفة في متابعة التزامات المشترين كثيرة وهذا بنسبة 30 % منهم، ومن يرى أن تلك العراقيل كثيرة نوعا ما بالنسبة المتبقية، 20 % ممن يقر بوجود عراقيل.

وحتى تزيد جوانب عملية متابعة سيرورة الخوصصة اتضاحا، ارتأينا أن نعمل على تبيان طبيعة العراقيل التي قد تصادف الممارسين المعنيين بهذه المهمة من خلال العنصر الموالي.

د- من حيث طبيعة العراقيل المصادفة في متابعة عمليات الخوصصة:

وفيما يخص العراقيل التي تواجه الهيئات المعنية في إتمام عمليات الخوصصة فقد تبين من الاستطلاع أن 62.50 % من المستجوبين يشيرون إلى وجود عراقيل ذات **طابع قانوني**، وهو الجانب الذي كثيرا ما اشتكوا منه عند المقابلات بحيث يطرح تحديات كبيرة لاسيما على مستوي فك نزاعات الملكية بين المؤسسات ومصالح أملاك الدولة وكذا المنازعات بين المالكين ولا سيم في حالات المؤسسات المتنازل عنها لصالح العمال، كما أظهر لنا العديد من المستجوبين أن في الكثير من الأحيان يصعب فهم وتنفيذ بعض النصوص القانونية التي تفتقد لتبيان الجانب الإجرائي في التنفيذ وعلى كل حال فإن هذا الجانب غني حسب الكثير من المستجوبين بجوانب النقص سواء من حيث النصوص أم من حيث الإجراءات.

و أمام البدائل المقدمة من طبيعة العراقيل المصادفة في عملية المتابعة يذهب ما نسبته 56.25 % من المستجوبين، إلى الاتفاق على أن كثيرا ما يصادف عملية الخوصصة ومتابعتها وجود عراقيل ذات طابع اجتماعي، وهذا الجانب مرتبط بالجدلية الدائمة والدائرة في فلك الموازنة بين هدفي المحافظة على مناصب الشغل و مصلحة الملاك الجدد من حيث مردودية الأداء وتحقيق الأرباح المرجوة، خاصة وأن عنصر الأجور يعدّ من أكبر مصادر التكلفة التي قد تكون عائقا فعليا في تحقيق النمو المرجو من وراء عملية الخوصصة، ففي هذه الحالة يعتبر تسريح العمال من أبرز التحديات التي تواجه الهيئات المكلفة بإتمام ومتابعة عملية التحول في الملكية، هذا إلى جانب التعويضات المقدمة لهم وتنظيم حملات الخروج الاختياري، وهو الجانب الذي يظهر صداه في المجال القانوني المذكور سابقا، كما أن هذا الجانب يكرس طرح فكرة التوجه إلى صيغ التنازل عن المؤسسات لصالح عمالها، وهو الجانب الذي أظهر العديد من التحديات وانتهى حسب الكثير من المقابلات المجراة إلى طريق مغلق حولت المؤسسة بعده إلى التنازل الكلي لأطراف أخرى أو بيعها في شكل أصول مادية فقط.

فإلى جانب تعقد الجانب القانوني والتشريعي الناتج عن تلك المشاكل والعوائق الاجتماعية، قد تطفوا مشاكل وعراقيل تسييرية وتنظيمية وهذا ما يذهب إلى تبنيه جزء معتبر كذلك من العينة المستجوبة والذي يشكل ما نسبته 31.25 % حيث من المسلم به أن العراقيل التي تظهر في الجانبين القانوني والاجتماعي لا تنفك أن تظهر آثارها الملموسة على الجانب التسييري والتنظيمي، وذلك من منطلق أن العنصر البشري يمثل محور النشاط لأي مؤسسة مهما كان قطاعها و مجال تخصصها، ولا نجد مثالا أحسن في ذلك من احتجاجات الحركات النقابية التي شاهدتها العديد من عمليات الخوصصة والتي أدت إلى توقيف نشاطها لعدة شهور،وعادة ما يكون من أسبابها عدم التأقلم مع المعطيات التنظيمية الجديدة، والتي قد تحد من حرية الحركة التي كانت النقابات تتمتع بها في إطار الملكية العامة للمؤسسة، كما قد يكون هذا نتاج سوء الإعداد النفسي للعمال من أجل التكيف مع طبيعة التغيير الحادث.

وبالنسبة السابقة نفسها يذهب 31.25 % من المستجوبين إلى الإقرار بوجود عراقيل ذات طابع اقتصادي، والذي قد يفسر حسبما توصلنا إليه من خلال المقابلات المنجزة بتضارب مبدأ الحفاظ على مناصب الشغل، والذي تنزع السياسة المتبناة في مجال الخوصصة إلى فرضه على المالكين الجدد للمؤسسات، والمبدأ الاقتصادي الرامي إلى تحسين وضعية المؤسسات المخوصصة من الناحية المالية والتسييرية والتوسع ما أمكن في الاستثمارات وتنميتها وهذا ما يتطلب إعداد موجات تشريعية وتنظيمية لمناخ الاستثمار والمنافسة، بشكل يجعل في متناول المستثمرين الجدد في السوق أن يجدوا مناخا استثماريا آمنا، قبل أن تقف تلك المؤسسات على قدميه، هذا ما يزيد من التأكيد على ضرورة أن تكون الخوصصة تسير في إطار إصلاحات اقتصادية متكاملة، حيث تنمو النزعة إلى تحرير الأسعار والتخلي على دعم الدولة للكثير من السلع الاستهلاكية ولو بشكل تدريجي .

كما يعد تنامي نسبة البطالة بمثابة معطى اقتصادي اجتماعي يشكل تحديا وجب أن يؤخذ في الحسبان في أي برنامج خوصصة، لاسيما أمام بطئ وتيرة خلق مناصب شغل فعلية جديدة.

وقد يلحق بالعراقيل الاقتصادية تلك العراقيل المالية الضريبية والتي تذهب نسبة 25 % من المستجوبين إلى إقرار وجودها في مختلف التجارب التي عاشوها، بحيث نجدهم يشيرون عند المقابلات إلى مشكلة مسح ديون الشركات العمومية، إلى جانب متابعة الوفاء بالالتزامات المالية المرتبطة بتعهدات المستفيدين من حيازة ملكية المؤسسات المخوصصة لصالحهم، من حيث تحسين مستوى الأجور وتسديد الأقساط المستحقة التسديد في الآجال اللازمة والملتزم بها عند تقديم العروض والتفاوض.

ويبقى أن نشير إلى أن من العينة المستجوبة قد ذهب ما نسبتهم 06.25 % إلى اعتبار العراقيل السياسية من بين أهم العراقيل التي تصادف متابعة عملية الخوصصة، بحيث مما لاشك فيه أن الإرادة السياسية لها دورها الفعال في تشجيع أو تثبيط عملية

الخوصصة ككل ناهيك عن عملية متابعة الخوصصة ، حيث إنّ مجرد التخمين أن عملية خوصصة مؤسسة ما هي بموجب قرار سياسي سوف يفقد عملية المتابعة جزءا مهما من روحها الحيادية، ونجد أن أصحاب هذا الرأي عادة ما يشيرون إلى تراخي وتيرة الخوصصة في الآونة الأخيرة محاولين ربط ذلك بالتصريحات الأخيرة لسياسيين بارزين كالسيد رئيس الجمهورية أو الوزير الأول ، معتبرين أن مجرد التلميح لا التصريح بضرورة إعادة النظر في سياسة الخوصصة من طرف الجهة السياسة المشار إليها ، كان دافعا لتراجع نشاط العديد من شركات تسيير مساهمات الدولة قبيل و خلال الفترة التي أجريت فيها هذه الدراسة وبعدها، وهم يرون أن من المتوقع أن تسير العملية إلى إعادة نظر فعلي، مما يكرس فكرة تدخل الإرادة السياسية في تسيير عملية الخوصصة بدءا وانتهاء.

غير أنه وجب حسب رأينا أن لا ننظر إلى تدخل الجهات السياسية دائما من منظور سلبي باعتبار أن الكثير من القرارات الاقتصادية التي يكسوها الطابع السيادي تتوجب تدخل مثل تلك الأطراف لاتخاذ القرارات حاسمة فيها، كما لا يخفى أن تلك الجهات سوف يحسب عليها أي فشل قد تؤول إليه عمليات الإصلاح الاقتصادي، وعليه فيجب القول أن للجانب السياسي دورا فاعلا في إنجاح العملية، غير أنه وجب أن لا تكون الإرادة السياسية عائقا أمام اتسام عملية متابعة سيرورة الخوصصة بالحيادية والموضوعية اللازمة في سبيل إنجاحها.

وفي سبيل الاستفادة ما أمكن من تجربة الممارسين القائمين على تسيير عملية الخوصصة، ارتأينا أن نفتح مجالا لإسهامهم في إثراء البحث بمقترحات خاصة بالمتابعة، وذلك من خلال ما يلي.

هـ- مقترحات المستجوبين:

فتحنا في هذا الجزء من الاستمارة المقدمة للمستجوبين المجال أمام إسهامهم في إعطاء مقترحات تنمي وتحسن عملية المتابعة، وذلك على مستويين:

- حول عقود تحويل الملكية:

وهو جانب يكتسي أهمية بالغة في تسيير عملية الخوصصة، وفيه تتضمن كل المحتويات عقود التنازل، والتي تبنى أساسا على الشروط الواردة في دفتر الشروط إلى جانب نتائج المفاوضات القائمة على العروض المقدمة.

وفي هذا الصدد امتنع مانسبتهم43.75 % من المستجوبين على تقديم أية اقتراحات، في الوقت الذي أسهم فيه الباقون 56.25 % ببعض الاقتراحات كانت تتمحور بالأساس حول جعل تلك العقود أكثر وضوحا والعمل على تنميطها من طرف مجلس مساهمات الدولة بحيث تتحرر المفاوضات بين شركات تسيير المساهمات والمستثمرين، إلى جانب وضع إجراءات كفيلة بتجنب أي سوء فهم بعد إمضاء العقود،

واتي يفترض أن تنمط في نماذج موحدة المعايير تحترم فيها التوجيهات الرسمية، وقواعد التنازل حسب الجانب التشريعي والقانوني المؤطر لها.

- حول إجراءات المتابعة عموما:

وأمام فتح مجال الاقتراحات حول إجراءات المتابعة عموما نجد أن النسبة نفسها من المستجوبين الذين لم يقدموا مقترحات أعلاه لم تقدم مقترحات في هذا الصدد وهي نسبة43.75 % من العينة، لتبقى الفئة الثانية 56.25 % والتي قدمت مقترحات عامة تتمحور في الأساس حول ما يلي:

*وضع ميزانية سنوية للعروض من بدايتها حتى اتخاذ القرار النهائي بشأنها، سواء كانت مجدية أم غير مجدية، مع ضبط العراقيل المختلفة، ثم العمل على حصرها أو تقليلها ومعالجتها.

* ضبط أكثر من طرف مجلس مساهمات الدولة لإجراءات المتابعة، سواء لعملية الخوصصة ككل أم لعملية متابعة التزامات المشترين للمؤسسات المخوصصة، مع تعيين لجان خاصة بالمتابعة التقنية و الإدارية.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، هو ذلك التوافق والتطابق الملحوظ بين النسب من المستجوبين الذين كانوا يعتقدون بوجود عراقيل في متابعة عملية الخوصصة وبين هذه النسب الأخيرة من المستجوبين الذين قدموا مقترحاتهم، وهذا ما يشكل مدخلا للحكم على جدية المستجوبين في التعامل مع الاستمارة بتوجه موحد في الإجابة من بداية الاستمارة إلى نهايتها .

خاتمة

إن تنظيم عملية المتابعة وتفعيلها في سبيل إنجاح إستراتيجية الخوصصة، قد يعد من المسلمات الواجب الإيمان بها والسعي إلى تحقيقها. غير أن هذه الدراسة بينت أن التنظيم الوظيفي وحده لا يكفي لذلك، حيث أن ممارسة هذه الوظيفة إنما يكون بالتفاعل مع بيئة متعددة الأبعاد، وهو ما يتطلب إلى جانب التحكم في معطيات التنظيم المتكفل بها، التحكم في معطيات تلك البيئة والتكيف معها .

فعملية متابعة الخوصصة في الجزائر تبين أنها تتمتع بتنظيم، يتوفر على متطلبات نجاحها خاصة من الجانب الإجرائي، إلا أن هذا التنظيم لا يزال يعاني في تفعيله بحسب النقص الذي تبين في فراغ المناصب المكلفة بتسيير لجنة المراقبة من جهة، وإشارة بعض الأطرف إلى وجود غموض وتعقيد في بعض النواحي لهذا التنظيم.

وقد تبين أنه إلى جانب تلك النقائص الذاتية في تنظيم متابعة الخوصصة ، هناك عراقيل خارجية عن التنظيم أسهمت عمليا في تخفيض مستوى أداء هذه الوظيفة، حيث إنّ تلك العراقيل توزعت من حيث طبيعتها إلى عدة أنواع، فمن عراقيل متعلقة بالمشترين المالكين الجدد للمؤسسات المخوصصة، من حيث عدم احترام التزاماتهم

المختلفة إلى عراقيل تنظيمية وقانونية عامة مرتبطة بواقع العقارات والذمم المالية والضريبية الخاصة بالمؤسسات المتنازل عنها، وطبيعة تنظيم تلك المؤسسات وتضارب مصلحة المشترين للمؤسسات من حيث الربحية والتوسع، مع الأهداف الاجتماعية للخوصصة الرامية للحفاظ ما أمكن على مناصب الشغل.

وفي ظل هذه المعطيات نرى أنه من الجدير بالاهتمام أن توضع لهذه الوظيفة أساليب تفعيل أكثر عملية وذلك من خلال ما يلي:

- إجراء حصر دوري للعراقيل التي تصادف عملية المتابعة، والتشاور حول الحلول الممكن أن تسهم في التغلب عليها، مع تنميط أسلوب التعامل مع العراقيل المصادفة، حتى تكسب العملية طابعا نموذجيا يرجع إليه بشكل دائم.

- إشراك الخبرات العلمية في دراسة عملية الخوصصة من مختلف جوانبها الإدارية والتسييرية.

- التنميط ما أمكن لإجراءات عقود التنازل من حيث التنظيم والشروط، مع ترك مجال التعامل مع خصوصية بعض المؤسسات، والتي قد يكون من الضروري التعامل معها حالة بحالة.

- تفعيل مقترح تنظيم حملات رقابة دورية ومستقلة عن الهيئات المكلفة بذلك مركزيا.

- إثارة نقاشات وتبادل خبرات بين شركات تسيير المساهمات ذات الخبرة الكبيرة في الخوصصة، والشركات متواضعة التجربة، من حيث العمليات التي أتمتها على مستوى المحافظة الموكلة لها.

- إدخال الوساطة البنكية في تسوية مستحقات المستثمرين المالكين الجدد، بحيث تبقى العلاقة ثنائية بين البنك والمشتري وتخرج الدولة من متابعة التزامات التسديد.

- تكوين ورسكلة الإطارات المكلفة بالعملية بشكل دوري، خاصة في المجال القانوني والتنظيمي.

- الاستعانة بالخبرة المهنية في التشخيص والقانون والتقييم، والمتابعة للمراحل من خلال التعاقد مع مهنيين خبراء، خاصة وأن التحول في النظام المالي والمحاسبي الجديد يضفي تحديا أكبر مما سبق في تحديد القيم والتشخيصات، والتي بدورها تعدّ محور التفاوض عند التنازل ، وتبنى عليه مواقف واتفاقات قانونية خاصة بوضعية كل مؤسسة متحولة على حدة.

قائمة الهوامش:

1- B.Turgeuon, La pratique du management, 2eme Edit, Mc- Graw Hill éditeurs,1989, p.438.

2- زكي محمود هاشم، أساسيات الإدارة، المكتبة العالمية، مصر، 2006، 436 .

3- B.Turgeuon,Ibid.p.446.

4- B.Turgeuon,op-cit.p.452.

5- رضا صاحب أبو حامد، سنان كاظم الموسوي، الإدارة: لمحات معاصرة، دار الوراق، الأردن، 2006 ، ص440 .

6- زكي محمود هاشم، مرجع سابق، ص.443.

7-حزام ماطر المطيري، هاني يوسف خاشقجي، الرقابة الإدارية بين المفهوم الوضعي والمفهوم الإسلامي، مجلة الملك عبد العزيز للعلوم والإدارة،المجلد 10، سنة 1997، ص70 .

8- عمر وصفي عقيلي، الإدارة المعاصرة، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، 2007،ص 446 .

9- خليل محمد حسن،مبادئ الإدارة، دار المسرة ، عمان، الأردن،2004، ص..312

10- كمال أبو صقر، العولمة التجارية الإدارية والقانونية، دار الوسام، بيروت، 2001، ص..53

11-P.Lauzel,R.Teller: Contrôle de gestion et budget ,6emeEDT, Edit-Sirey,1992,p.14.

12- P . P.Lauzel,R.Teller,ibid, p.10.

13- صلاح الشنواني، اقتصاديات الأعمال، مركز الإسكندرية للكتاب، 1995، ص308 .

14- الأمر 01/04 المؤرخ في 20أوت، 2001 المتعلق بتنظيم وتسيير خوصصة المؤسسات الاقتصادية العمومية ، الجريدة الرسمية 47/.2001

15- المرسوم التنفيذي 05-309 المؤرخ في 07 سبتمبر2005، والمتعلق بتبيان المهام الموكلة لوزارة مساهمات الدولة، الجريدة الرسمية 61/.2005

16- كشرود بشير، إنجاح عملية خوصصة المؤسسات العمومية لصالح عمالها، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2009، ص189 .

17- تقرير الخوصصة، مجلس مساهمات الدولة، وزارة الصناعة وتسيير المساهمات، فيفري 2008، ص11 .

18- تقرير الخوصصة، المرجع نفسه،ص12 .

19- تقرير الخوصصة، المرجع نفسه، ص13.

أثر تطبيق نموذج إدارة علاقة الزبون "CRM" في تحقيق الميزة التنافسية

أ.الياس بوضياف
د. عزالدين بن تركي
كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير
جامعة قسنطينة 2
الجزائر

ملخص

نسعى من خلال هذه الدراسة بصفة أساسية إلى قياس تأثير إدارة علاقات الزبون في إحداث الميزة التنافسية عن طريق الوظائف الداعمة لها، وذلك بوضع نموذج يبين العلاقة بين متغيرات الدراسة - إدارة علاقة الزبون والميزة التنافسية – بأبعادها، وقد أجريت الدراسة على عينة مكونة من 12 وكالة تابعة لشركة نجمة لخدمات الهاتف النقال معتمدين في ذلك على أسلوب الاستبيان لجمع المعلومات وتحليلها بواسطة مجموعة من المؤشرات الإحصائية وبمساعدة البرنامج الإحصائي SPSS V16 والاستعانة باختبارT لإثبات صحة الفرضيات. حيث تبين كنتيجة لهذه الدراسة وجود العلاقة التي تثبت مدى تأثير تبني المؤسسة لإدارة علاقة الزبون ومساهمتها كمورد غير ملموس في تحقيق الميزة التنافسية.

Résumé

Notre étude consiste à mesurer l'impact de la gestion de la relation client sur l'avantage concurrentiel, à partir d'un sondage effectué sur un échantillon de 12 agences de l'opérateur de téléphone mobile Nedjma. L'analyse, réalisée à l'aide à l'aide du programme statistique SPSS V16, confirme cette corrélation.

مقدمة

مر التسويق ومنذ نشأته العلمية في القرن الماضي، بالعديد من المراحل التي أدت إلى تطور مفهومه وفلسفته، فمن التركيز على التسويق الاستهلاكي في الخمسينات من القرن الماضي، إلى التسويق الصناعي في الستينات منه، مرورا بالتسويق في المنظمات غير الهادفة للربح في السبعينات، إلى تسويق الخدمات في الثمانيات، ثم التسويق بالعلاقات في التسعينات من القرن الماضي وحتى الآن، وأصبح البحث في مستقبل التسويق هو محور البحث مع بدايات القرن الحادي والعشرين .ومثل هذه التحولات في مجال المفاهيم الأساسية للتسويق، كانت جلية في التحول من مفهوم التسويق التقليدي المعروف ب Transaction Marketing إلى المفهوم القائم على اعتبار العملاء شركاء للمنظمة، وأن على المنظمة بناء علاقات طويلة الأجل مع

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2012.

عملائها، من خلال التأكيد على الجودة والخدمة والإبداع والابتكار الدائم، والذي يعرف بالتسويق بالعلاقاتRelationship marketing كأهم ما يمكن أن تحققه المنظمة من ميزة تنافسية، في ظل أسواق تتصف بشدة الصراع التنافسي، وزيادة الوعي لدى العملاء، نظرا لثورة الاتصالات التي تتيح لهم كما
هائلا من المعلومات ومن مختلف المصادر. لذا يمكن اعتبار هذا التحول تحولا جذريا في الفلسفة التي يقوم عليها التسويق، والتي من الممكن أن تساعد في التعامل مع الفرص والتحديات التي تواجه التسويق في القرن الحادي والعشرين، من خلال ما يحققه تبني مفهوم التسويق بالعلاقات من فوائد لكل من المنظمة والعملاء.

المحور الأول: منهجية الدراسة

تهدف مضامين هذه الفقرة إلى بناء الأسلوب الذي تم بموجبه إدارة الدراسة بجزئيها النظري والتطبيقي من خلال الاستفادة من خلاصات الأدبيات السابقة والمرتكزات النظرية لمتغيراتها، وعليه فقد اشتملت على الفقرات الفرعية الآتية:

1. إشكالية الدراسة:

إن تسويق العلاقات الذي يتضمن تحالفات و شبكات إستراتيجية قد ابتكرته المنظمات في المقام الأول لتأكيد أهمية بناء أفضل العلاقات التفاعلية بينها و بين جمهورها المستهدف، وذلك لخلق و تدعيم الميزة التنافسية، وعليه يمكن تحديد إشكالية الدراسة كما يلي: ما مدى اهتمام الشركة قيد الدراسة بتبني نموذج إدارة علاقة الزبون؟ و هل استطاعت الشركة قيد الدراسة أن تحقق الميزة التنافسية من خلال تبني هذا النموذج؟

2. أهداف الدراسة :

نسعى من خلال هذه الدراسة بصفة أساسية إلى قياس تأثير إدارة علاقات الزبون في إحداث الميزة التنافسية من خلال الوظائف الداعمة لها، ليكون دليلاً للشركات قيد الدراسة بهدف خلق الوعي وإثارة الاهتمام حول هذا الأسلوب لغرض الوقوف على حاجات وتوقعات الزبائن فيما يحقق التفوق على المنافسين.

3. أنموذج الدراسة الفرضي:

صمم الأنموذج الافتراضي للدراسة بناءً على الفقرات والمضامين الهادفة إلى تحقيق فرضيات الدراسة، كما موضح في الشكل (1).

الشكل (1) أنموذج الدراسة الفرضي

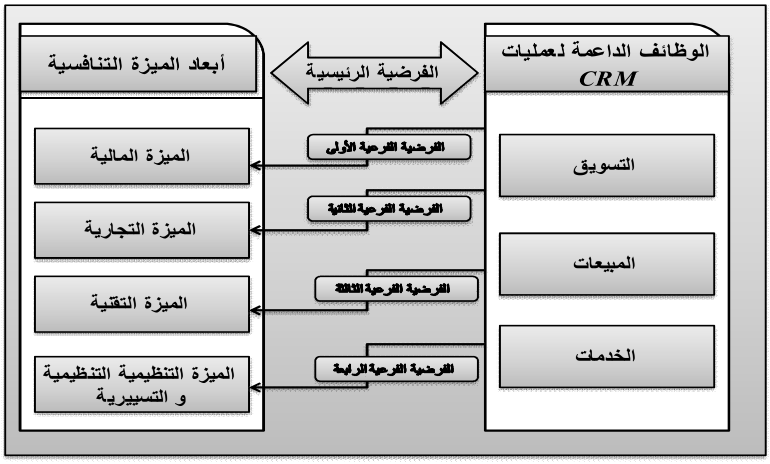

المصدر: إعداد الباحثين اعتمادا على فرضيات الدراسة

4. فرضية الدراسة :

لقد تم صياغة فرضية الدراسة الرئيسة والفرضيات الفرعية وفقاً لأنموذج الدراسة الفرضي كما يلي:

1.4. الفرضية الرئيسة:

وجود علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى 0.05 =α بين أبعاد إدارة العلاقة مع الزبون CRM و ابعاد الميزة التنافسية

2.4. الفرضيات الفرعية

- هناك علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى 0.05 = α بين أبعاد إدارة العلاقة مع الزبون CRM والميزة المالية.
- هناك علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى 0.05 = α بين أبعاد إدارة العلاقة مع الزبون CRM و الميزة التجارية
- هناك علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى 0.05 = α بين أبعاد إدارة العلاقة مع الزبون CRM والميزة التقنية.
- هناك علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى 0.05 = α بين أبعاد إدارة العلاقة مع الزبون CRM والميزة التنظيمية والتسييرية .

5. حدود الدراسة:

تقع حدود الدراسة الزمانية ضمن المدة المحصورة بين(جويلية 2011إلى ديسمبر2011)، أما الحدود المكانية للدراسة فقد اقتصرت على 22 وكالة تابعة لشركة نجمة لخدمات الهاتف النقال نظرا لكونها تنشط في قطاع استراتيجي للاقتصاد الوطني من جهة، ولخدمات المستهلك

الجزائري من جهة أخرى.

6. مجتمع وعينة الدراسة:

يتضمن مجتمع الدراسة جميع الوكالات التابعة لشركة نجمة ،حيث تم توزيع استبيان الدراسة المحكم على **(12)** وكالة صالحة لأغراض التحليل الإحصائي من بين **(16)** استبيان موزع ، استخدم لغرض إثبات صحة فرضيات الدراسة وهي تمثل **20%** من مجموع الوكالات التي تقدر بـ **60** وكالة.

7. الأساليب والمؤشرات الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

اعتمدت الدراسة في الجانب النظري على المراجع والأدبيات العربية والأجنبية ذات الصلة بموضوع الدراسة، فضلاً عن استخدام شبكة الانترنت. بينما تم أنجاز الجانب التطبيقي بالاعتماد على أسلوب الاستبيان. فيما تم تحليل البيانات بالاستعانة بمجموعة من المؤشرات الإحصائية وبمساعدة البرنامج الإحصائي (**SPSS V16**)، وهي:

- مؤشرات خاصة بوصف متغيرات الدراسة وتشخيصها كالمتوسط الحسابي، الانحراف المعياري، معامل الاختلاف.
- معامل الارتباط الرتبي (معامل Spearman) لقياس العلاقة بين متغيرات الدراسة.
- اختبار (T) لإثبات صحة الفرضيات.

المحور الثاني: الإطار النظري للدراسة

ساعد التطور التكنولوجي خاصة في مجال المعلومات والاتصالات في إرساء ثقافة عالمية جديدة، أو بالأحرى غير قواعد اللعب في السوق العالمية ، وهذا ما جعل السلطة تنتقل من المنتج إلى الزبون حيث أضحى نقطة التوجه الرئيسية. كما أصبحت المؤسسات على يقين تام أن سر بقائها وتطورها في السوق هو حفاظها على زبائنها الدائمين؛ وعدم التخلي عنهم بالإضافة إلى كسب زبائن جدد كهدف ثان؛ وهذا لن يتسنى لها إلا بالحصول على رضاهم ووفائهم عن طريق تبني التوجه نحو الزبون وجعله محور اهتمام المؤسسة، " لأنه بكل بساطة قلب المؤسسة وسبب وجودها" (1) والتوجه زبون أو التسويق الموجه نحو الزبون، هو الذي "يدل على أن المؤسسة تخضع نشاطها التسويقي لتلبية احتياجات المستهلك بشكل كامل. " (2).

1. إدارة العلاقة مع الزبائن:

بدأ مفهوم إدارة العلاقة مع الزبون يتبوأ مكانة مرموقة كعنصر رئيسي من عناصر الإستراتيجية العامة في العديد من المؤسسات، حيث أصبح الزبون الكلمة الأكثر استعمالا في نهاية التسعينيات، ليتولد نتيجة لهذا وفي حقل التسويق مفهوم جديد ألا وهو إدارة العلاقة مع الزبائن :." CRM.(3)

وقد تطور سوق CRM ليشهد نموا هائلا بمعدل % 25 سنويا، حيث أن هذا التطور يشمل مختلف التحسينات والتعديلات والإضافات التي أدخلت على نظام CRM وكذلك جانب شعبية وانتشار استعماله واعتماده في المؤسسات حيث وصل معدل اعتماده في المؤسسات الأوروبية 95 %سنة 2002. (4)

إن إدارة العلاقة مع الزبون عبارة عن نظام متكامل يعتمد على بنية تحتية صلبة وناعمة جد متطورة ومواكبة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وعلى قوة بشرية

كفؤة، إضافة إلى التكنولوجيا العالية التي تتعاون فيما بينها للوصول إلى تحقيق مفهوم "الزبون رأسمال "وبالتالي إنشاء" القيمة للزبون". (5)

إن توجه السوق وتسويق العلاقات هما مرتبطين مفاهيميا كلاهما يركزان على إن مفتاح الميزة التنافسية هو جذب رضا الزبائن والاحتفاظ بهم من خلال الاستجابة المستمرة لاحتياجاتهم، فلقد قامت فكرة تسويق العلاقات على فرضية العلاقات طويلة الأجل واعتبرت هذه الفكرة أساسا للشركات التي تريد إرضاء زبائنها وبالتالي تحقيق ربحية مستمرة .مما يجعل فكرة توجه السوق فكرة ملائمة بل وضرورية للتنفيذ الناجح لإستراتيجية تسويق العلاقات (6).حيث أن العلاقات طويلة الأجل في الأسواق الصناعية قد تضيف بعدا مختلفا لتوجه السوق باعتبارها فلسفة موجهة طويلة الأجل وكذلك في ممارسة النشاطات التسويقية من خلال فهم وتفسير الاحتياجات الحالية والمستقبلية للزبائن (7).

1.1. تعريف إدارة العلاقة مع الزبون

تعرف إدارة علاقة الزبون بأنها عملية بناء علاقات أبدية مع الزبائن المربحين والحفاظ عليها عن طريق تسليم أفضل قيمة- أفضل العروض التي تتماشى مع حاجياتهم وتطور أذواقهم- مقارنة بالمنافسين بغية إرضاء الزبائن وخلق وفائهم للمؤسسة (8).

2.1 فلسفة التسويق بالعلاقات

يقوم التسويق بالعلاقات على توجهات فلسفية مفادها

- التركيز على حصة الزبون (9)– الرأسمال الزبوني- بدل حصة السوق
- التركيز على الاحتفاظ بالزبون المربح الذي يعتبر اقل كلفة من كسب زبون جديد
- الإصغاء التام للزبون وتتبع ردود أفعاله تجاه ما تعرضه المؤسسة.
- ولتحقيق الهدف من وراء كل هذا يجب تحويل كل طلبات الزبون إلى منتجات/ خدمات ذات قيمة اكبر مما يوفره المنافسون من اجل إرضاء الزبون وخلق وفائه للمؤسسة موفرة كل الوسائل والدعائم المادية و المعنوية لتحقيق ذلك. (10)

3.1. متطلبات تطبيق التسويق بالعلاقات:

لتحقيق العلاقة مع الزبون لابد من توفر عدة متطلبات أهمها:

- تعريف الزبون المستهدف (الزبون المربح) (11) وتحديد خصائصه وحاجاته.
- بناء علاقات قوية مع العملاء هو الغاية الأساسية في المؤسسة وهدف جميع الأنشطة و التطبيقات التسويقية للمنظمة.
- قياس وإدارة العلاقة مع العملاء باعتبارها ميزة تنافسية للمؤسسة.

- اعتماد المؤسسة في إدارة علاقاتها بالعملاء على ما توفره تكنولوجيا المعلومات من إمكانيات بناء نظم وقواعد المعلومات عن العملاء ووسائل الاتصال الشخصي معهم (12).

2. الميزة التنافسية:

تعتبر الميزة التنافسية أول هدف تسعى إليه المؤسسات في ظل ما يشهده السوق من صراع كبير وذلك للاستحواذ على اكبر مكاسب سواء كانت مادية أو معنوية كتحسين صورة المؤسسة وإنماء العلامة التجارية و لقد تعددت التعاريف بخصوصها وفيما يلي أهمها.

1.2. تعريف الميزة التنافسية

يعرف بورتر Porter الميزة التنافسية على أنها" : العنصر الذي يقدم فرصة جوهرية لكي تحقق المؤسسة ربحية دائمة مقارنة بمنافسيها" (13) فهي إذن الخصائص والصفات التي تحوزها المؤسسة سواء تعلقت بمنتجاتها أو العلامة التي تحملها والتي تعطي للمؤسسة الأفضلية عن المنافسين. (14)

ويؤكد بورتر بأن ":الميزة التنافسية تنشأ من مجموع وظائف المؤسسة المتعلقة بالتصميم، الإنتاج، أساليب التسويق، البحث والتطوير، ولتحليل مصادر الميزة التنافسية على المؤسسة تشخيص وبصفة دقيقة لكل نشاطاتها " (15) ، ويشير إلى تحليل سلسلة القيمة.

فالتعريفان السابقان يركزان على أن تحقيق الميزة التنافسية تتم من خلال تطبيق إستراتيجية تنافس معينة والتي تعرف على أنها":مجموعة متكاملة من التصرفات تؤدي إلى تحقيق ميزة مستمرة عن المنافسين . " (16)

كما يمكن أن تعرف الميزة التنافسية على " أنها مجموعة الكفاءات المميزة والمستدامة التي تخلق هذه الميزة وذلك بتكييفها مع السوق وشروط المنافسة التي تؤدي إلى أفضل ربحية " . (17)

فحسب هذا التعريف فإن مصدر الميزة التنافسية هي الكفاءات المميزة التي تتكيف مع السوق والمنافسة بما تضمنه من إنتاج السلع الخدمات ذات جودة أحسن وتحقيق أرباح أفضل من المنافسين.

2.2. مكونات إستراتيجية التنافس:

تتحدد إستراتيجية التنافس من خلال ثلاثة مكونات أساسية و هي:

1.2.2. أسلوب التنافس: ويشمل التنافس على المنتج من حيث التصميم واستخدام التكنولوجيا طرق الاتصال والترويج، تحديد الموقع وإدارة قنوات التوزيع، التحكم في التكاليف و بالتالي السيطرة عن طريق السعر...الخ؛

2.2.2. إطار التنافس: و يتضمن اختيار ميدان التنافس، الأسواق و المنافسين؛

3.2.2. أساس التنافس: و يشمل الأصول و لمهارات (18) المتوفرة لدى المؤسسة والتي تعتبر أساس الميزة التنافسية الدائمة. (19)

3.2. شروط تحقيق الميزة التنافسية:

تقوم المؤسسة بتنفيذ إستراتيجية التنافس محققة للقيمة المميزة وهذا باستيفائها معيارين و هما:

- صعوبة تطبيق هذه الإستراتيجية من قبل منافسيها الحاليين أو المحتملين مستقبلا؛
- عدم قدرة المنافسين على تحقيق نفس مزايا تلك الإستراتيجية على الأقل في الفترة القصيرة؛

كما أن هناك شروطا أساسية تتوفر في الميزة التنافسية لكي تؤدي الغرض منها وهي:

- أن تكون الميزة التي تمتلكها المؤسسة كبيرة بحيث تمكن المؤسسة من تحقيق مزايا و منافع ذات قيمة في حالة الدخول إلى سوق أو جزء معين من السوق؛
- أن تكون هذه الميزة مستمرة ومتواصلة نسبيا بمعنى عدم إمكانية تقليدها بسهولة من جانب المؤسسات المنافسة الأخرى؛
- أن يكون أثرها ملموسا وملحوظا لدى الزبائن المستهدفين مما يعمل على تحفيزهم للتعامل مع المؤسسة (20) ؛

4.2. أبعاد الميزة التنافسية

للميزة التنافسية بعدين أساسين هما

1.4.2. الميزة التنافسية الخارجية :

هذا عند منح قيمة مضافة للمتعاملين مع المؤسسة خاصة الزبون من خلال جودة المنتج أو تخفيض تكلفته أو تعدد استعماله . وهذا راجع إلى توظيف التكنولوجيا و التقنيات الحديثة في التسيير مما يجعل المؤسسة تمتلك قوة التفاوض في السوق.

2.4.2. الميزة التنافسية الداخلية

تركز على أفضلية المؤسسة في التحكم في التقنيات وطرق التسيير مما يتيح للمؤسسة التحكم في الجودة، التكلفة، الزمن، ترشيد القرارات هذا ما ينعكس على تحسين الأداء والمتأتي من المهارات التنظيمية والتكنولوجية للمؤسسة. (21)

5.2. مصادر الميزة التنافسية:

تعددت مصادر الميزة التنافسية حسب ظروف المؤسسة ولعل أهمها ما يلي:

1.5.2. الابتكار:

إن الانفجار المتزايد في عدد المؤسسات والذي صاحبه انفجار تنافسي على المستوى العالمي ،أدى إلى تصاعد اهتمام المؤسسات بالابتكار والتركيز عليه إلى درجة اعتباره الحد الأدنى في الأسبقيات التنافسية إلى جانب التكلفة والجودة . وأصبحت هذه القدرة

الابتكارية مصدرا متجددا للتنافسية.

2.5.2. الزمن:
يعتبر الزمن سواء في إدارة الإنتاج أو في إدارة الخدمات ميزة تنافسية أكثر أهمية مما كان عليه في السابق فالوصول إلى العملاء أسرع من المنافسين يمثل ميزة تنافسية و يمكن تحديد الميزات التنافسية و التي تمثل جوهر المنافسة على أساس الزمن كالأتي:

- السرعة في تقديم المنتجات الجديدة إلى الأسواق ويتحقق ذلك من خلال اختصار زمن دورة حياة المنتج؛
- تخفيض زمن دورة التصنيع للمنتجات؛
- الالتزام بجداول زمنية محددة و ثابتة لتسليم المكونات الداخلة في عملية التصنيع.

3.5.2. المعرفة:
إذا كانت المعرفة هي حصيلة أو رصيد خبرة ومعلومات وتجارب ودراسات فرد أو مجموعة أفراد أو مجتمع معين في وقت محدد، فإننا نعيش حتما حالة " انفجار المعرفة " حيث أصبحت هذه الأخيرة المورد الأكثر أهمية في خلق الميزة التنافسية. و في ظروف التطور السريع في الأسواق و التكنولوجيا والمنافسين، فالمؤسسات الناجحة هي التي تنشأ بشكل متكامل المعرفة الجديدة وتجسيدها في تكنولوجيا وأساليب وسلع وخدمات جديدة." (22)

المحور الثالث: الإطار التطبيقي للدراسة

1. وصف آراء واستجابات العينة حول متغيرات الدراسة:

تنص هذه الفقرة على عرض وتحليل البيانات التي يتضمنها الاستبيان حول أبعاد أنشطة الوظائف الداعمة لعمليات الـ (23) CRM (التسويق، المبيعات، الخدمة)، وأبعاد الميزة التنافسية التي تمثلت في (الميزة المالية، الميزة التجارية، الميزة التقنية، الميزة التنظيمية والتسييرية) إذ تم استخدام مقياس(Likert) الخماسي، الذي يتوزع من أعلى وزن إلى أدنى وزن فيه (1,2,3,4,5) لتتماثل مع حقل الإجابات (مستوفي للمتطلبات، اتفق، بعضها مستوفي، أحيانا يستوفي، لا يستوفي أبدآ) على الترتيب والخاصة بالمحور الأول المتعلق بأبعاد أنشطة الوظائف الداعمة لعمليات الـ CRM في حين كان حقل الإجابات (مستوفي، أغلبها مستوفي، بعضها مستوفي، أحياناً يستوفي، لا يستوفي ابدآ) على الترتيب والخاصة بالمحور الثاني المتعلق بأبعاد الميزة التنافسية. وقد تم استخدام الأوساط الحسابية الموزونة (XW) والانحرافات المعيارية (SD_i) ومعاملات الاختلاف (.C.V) للتعرف على مدى التجانس والانسجام في استجابات عينة البحث، هذا من جهة. أما من جهة ثانية، فقد تم اعتماد الوسط الحسابي الفرضي البالغ (3) كمعيار لقياس وتقييم درجة استجابات العينة، وذلك ضمن التقدير اللفظي لأوزان الاستبيان، علماً بان الوسط الفرضي (3) بوصفه معياراً لقياس وتقييم درجة استجابة العينة.

1.1. وصف إجابات عينة الدراسة حول أبعاد إدارة العلاقة مع الزبون: (24)

1.1.1. التسويق:

يمثل البعد الأول من الأبعاد المعتمدة في تحديد إدارة علاقات الزبون في هذه الدراسة، وقد تضمن خمس أسئلة موجهة إلى المستفيدين بهدف التعرف على مدى توافر تطبيق التسويق بالعلاقات في الوكالات محل الدراسة، وكانت إجابات المسؤولين كما موضح في الجدول أدناه.

الجدول(1) الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية ومعاملات الاختلاف لبعد التسويق

الرمز	مؤشرات وظيفة التسويق X1	XW	SDi	CV %
X11	تعتمد الشركة في عملياتها التسويقية على منهج تسويق العلاقات	4.08	0.900	22.05
X12	تعتمد الشركة على الوسائل الحديثة للمعلومات والاتصال في حملاتها الترويجية.	4.42	0.793	17.94
X13	تستخدم الشركة المعلومات المتوفرة في قواعد البيانات لصياغة استراتيجية التسويق الموجهة نحو الزبون.	4.25	0.754	17.74
X14	تقوم الشركة بإجراء الدراسات الميدانية بهدف التعرف على حاجات ورغبات الزبون المحتمل وتفضيلاته في الشراء.	3.08	0.900	29.22
X15	تستفيد الشركة من المعلومات التي يوفرها موظفي تسويق العلاقات للتنبؤ بسلوكيات الشراء للزبون المحتمل	4.25	0.866	20.37
	المؤشر الكلي	**4.016**	**0.8426**	**21.46**

المصدر: إعداد الباحثين وفقاً لنتائج SPSS V 16. *N=12*

يظهر من الجدول أعلاه، أن (78.54%) من أفراد عينة الدراسة متفقين على توافر بعد التسويق في تطبيق إدارة التسويق مع الزبون، مقابل (21.46%) غير متفقين على ذلك، وقد بلغ الانحراف المعياري الكلي لهذا البعد (0.8426) ووسط حسابي موزون كلي مقداره (4.016).

2.1.1. المبيعات

يمثل البعد الثاني من الأبعاد المعتمدة في إدارة علاقة الزبون في هذه الدراسة، وقد تضمن خمس أسئلة موجهة إلى المستفيدين بهدف التعرف على مدى توافر هذا البعد في تطبيق إدارة علاقة الزبون في الوكالات محل الدراسة، وكانت إجابات المسؤولين كما موضح في الجدول أدناه.

الجدول(2) الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية ومعاملات الاختلاف لبعد المبيعات

CV %	SDi	XW	مؤشرات وظيفة المبيعات X2	الرمز
17.73	0.798	4.50	تمتلك الشركة سجلات رقمية حول أنشطة المبيعات.	X21
17.73	0.798	4.50	تحافظ الشركة على سرية المعلومات في السجلات الرقمية من خلال إجراءات وقائية (حمائية) تدرج ضمن تعليمات الشركة.	X22
17.94	0.793	4.42	تتجدد قواعد البيانات بنتائج وتقارير عمليات البيع بصورة مستمرة.	X23
20.37	0.866	4.25	ترتبط أنشطة المبيعات بالعمليات المحاسبية للشركة من خلال برامج تقنية معدة لهذا الغرض.	X24
21.32	0.853	4.00	يستفاد من معلومات المبيعات في إعداد برامج خاصة لاكتساب الزبون المحتمل للشركة.	X25
19.02	**0.8216**	**4.334**	**المؤشر الكلي**	

المصدر: إعداد الباحثين وفقاً لنتائج SPSS V 16

N=12

يظهر من الجدول أعلاه، أن (80.98%) من أفراد عينة الدراسة متفقين على توافر بعد المبيعات في التطبيقات الخاصة بإدارة علاقة الزبون ، مقابل (19.02%) غير متفقين على ذلك، وقد بلغ الانحراف المعياري الكلي لهذا البعد (0.8216) ووسط حسابي موزون كلي مقداره (4.334).

3.1.1. الخدمات

يمثل البعد الثالث من الأبعاد المعتمدة في تحديد إدارة علاقة الزبون في هذه الدراسة، وقد تضمن خمس أسئلة موجهة إلى المسؤولين بهدف التعرف على مدى توافر الخدمات في تطبيق إدارة علاقة الزبون، وكانت إجابات المسؤولين كما موضح في الجدول أدناه.

الجدول(3) الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية ومعاملات الاختلاف لبعد الخدمات

CV %	SDi	XW	مؤشرات وظيفة الخدمة X3	الرمز
8.05	0.389	4.83	تقوم الشركة بتوجيه رسائل تعريفية للزبون حول الخدمة المقدمة بواسطة الإنترنت أو الهواتف النقالة.	X31
17.94	0.793	4.42	تستجيب الشركة بسرعة لأي استفسارات أو شكاوى يتقدم بها الزبون.	X32

X33	تسعى الشركة إلى الاحتفاظ بالزبائن الحاليين من خلال تقديم خدمات إضافية تشعرهم بالرضا.	4.50	0.798	17.73
X34	تسعى الشركة إلى تعزيز وفاء الزبون من خلال تقديم خدمة غير متوقعة مقارنة بالمنافسين.	4.83	0.389	8.05
X35	تسعى الشركة إلى استرداد الزبائن السابقين من خلال برنامج يساهم في تحفيزهم على إعادة الشراء مرة أخرى.	4.33	0.778	17.96
	المؤشر الكلي	**4.582**	**0.6294**	**13.94**

المصدر: إعداد الباحثين وفقاً لنتائج SPSS V 16 ***N=12***

يظهر من الجدول أعلاه، أن (86.06%) من أفراد عينة الدراسة متفقين على توافر بعد الخدمات في تطبيق إدارة علاقة الزبون، مقابل (13.94%) غير متفقين على ذلك، وقد بلغ الانحراف المعياري الكلي لهذا البعد (0.6294) ووسط حسابي موزون كلي مقداره (4.582).

2.1. وصف إجابات عينة الدراسة حول أبعاد الميزة التنافسية:

تتضمن هذه الفقرة مؤشرات الميزة التنافسية التي يمكن للمؤسسة تحقيقها من خلال الاعتماد على نموذج إدارة علاقة الزبون **CRM**.

1.2.1. الميزة المالية:

يتمثل البعد الأول للميزة التنافسية المعتمدة في هذه الدراسة، وقد تضمنت خمس أسئلة موجهة إلى المسؤولين كمؤشرات للتعرف على مدى تحقق الميزة المالية الناتجة عن ممارسة أسلوب إدارة علاقة الزبون CRM، وكانت إجابات المسؤولين كما موضح في الجدول أدناه.

الجدول(4) الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية ومعاملات الاختلاف لبعد الميزة المالية

الرمز	مؤشرات الميزة المالية Y1	XW	SDi	CV %
Y11	نمو في رقم الأعمال	4.33	0.778	17.96
Y12	الزيادة في الأرباح	4.25	0.754	17.74
Y13	رفع نسبة المردودية	4.00	0.853	21.32
Y14	رفع نسبة رأس المال الدائم	3.92	0.793	20.23
Y15	رفع نسبة الاستقلالية المالية	3.83	0.718	18.74
	المؤشر الكلي	**4.066**	**0.7792**	**19.20**

المصدر: إعداد الباحثين وفقاً لنتائج SPSS V 16. *N=12*

يظهر من الجدول أعلاه، أن (80.80%) من مؤشرات الميزة المالية في الوكالات قيد الدراسة محققة مقابل (19.20%) غير محققة لذلك، وقد بلغ الانحراف المعياري الكلي لهذا البعد (0.7792) و وسط حسابي موزون كلي مقداره (4.066).

2.2.1. الميزة التجارية:

يتمثل البعد الثاني للميزة التنافسية المعتمدة في هذه الدراسة في الميزة التجارية، وقد تضمنت خمس أسئلة موجهة إلى المسؤولين كمؤشرات للتعرف على مدى تحقق هذه الميزة الناتجة عن ممارسة أسلوب إدارة علاقة الزبون CRM، وكانت إجابات المسؤولين كما موضح في الجدول أدناه.

الجدول(5) الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية ومعاملات الاختلاف لبعد الميزة التجارية

الرمز	مؤشرات الميزة التجارية Y2	XW	SDi	CV %
Y21	تحسين رؤية الشركة	4.50	0.798	17.73
Y22	تحسين صورة الشركة	4.00	0.739	18.47
Y23	تحسين جودة الخدمة المقدمة للزبون	4.25	0.754	17.74
Y24	تحسين الأثر الرجعي للزبون	4.08	0.793	19.43
Y25	تنمية وفاء الزبون	4.50	0.798	17.73
	المؤشر الكلي	**4.266**	**0.776**	**18.22**

المصدر: إعداد الباحثين وفقاً لنتائج *SPSS V 16*.
N=12

يظهر من الجدول أعلاه، ان (81.78%) من مؤشرات الميزة التجارية في الوكالات قيد الدراسة محققة مقابل (18.22%) غير محققة لذلك، وقد بلغ الانحراف المعياري الكلي لهذا البعد (0.7764) و وسط حسابي موزون كلي مقداره (4.266).

3.2.1. الميزة التقنية:

يتمثل البعد الثالث للميزة التنافسية المعتمدة في هذه الدراسة في الميزة التقنية، وقد تضمنت خمس أسئلة موجهة إلى المسؤولين كمؤشرات للتعرف على مدى تحقق هذه الميزة الناتجة عن ممارسة أسلوب إدارة علاقة الزبونCRM ، وكانت إجابات المسؤولين كما موضح في الجدول أدناه.

الجدول(6) الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية ومعاملات الاختلاف لبعد الميزة التقنية

الرمز	مؤشرات الميزة التقنية Y3	XW	SDi	% CV

Y31	تحسين تدفق المعلومات و استغلالها.	4.33	0.778	17.96
Y32	تحسين جودة المنتج أو الخدمة المقدمة	4.25	0.754	17.74
Y33	ابتكار منتجات/ خدمات جديدة	4.00	0.739	18.47
Y34	تقليل الجهود الضائعة وتلخيص العمليات	4.42	0.793	17.94
Y35	تقليل الزمن الضائع	4.33	0.778	17.96
	المؤشر الكلي	**4.266**	**0.7684**	**17.97**

المصدر: إعداد الباحثين وفقاً لنتائج *SPSS V 16*.

N=12

يظهر من الجدول أعلاه، أن (82.03%) من مؤشرات الميزة التقنية في الوكالات قيد الدراسة محققة مقابل (17.97%) غير محققة لذلك، وقد بلغ الانحراف المعياري الكلي لهذا البعد (0.7684) ووسط حسابي موزون كلي مقداره (4.266).

4.2.1. الميزة التنظيمية والتسييرية:

يتمثل البعد الرابع للميزة التنافسية المعتمدة في هذه الدراسة في الميزة التنظيمية و التسييرية، وقد تضمنت خمس أسئلة موجهة إلى المسؤولين كمؤشرات للتعرف على مدى تحقق هذه الميزة الناتجة عن ممارسة أسلوب إدارة علاقة الزبون CRM، وكانت إجابات المسؤولين كما موضح في الجدول أدناه.

الجدول (7) الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية ومعاملات الاختلاف لبعد الميزة التنظيمية و التسييرية

الرمز	مؤشرات الميزة التنظيمية و التسييرية Y4	XW	SDi	CV %
Y41	تحسين الكفاءة الإدارية	4.08	0.900	22.05
Y42	تحسين الفاعلية التنظيمية	4.17	0.937	22.47
Y43	تطوير طرق و تقنيات مراقبة المنافسة	4.33	0.888	20.50
Y44	التقليل من تكاليف الاتصالات الغير مجدية	4.33	0.778	17.96
Y45	تحسين جودة اتخاذ القرار	4.17	0.835	20.02
	المؤشر الكلي	**4.216**	**0.8676**	**20.60**

المصدر: إعداد الباحثين وفقاً لنتائج *SPSS V 16*.

N=12

يظهر من الجدول أعلاه، أن (79.40%) من مؤشرات الميزة التقنية في الوكالات قيد الدراسة محققة مقابل (20.60%) غير محققة لذلك، وقد بلغ الانحراف المعياري الكلي لهذا البعد (0.8676) ووسط حسابي موزون كلي مقداره (4.216).

2. اختبار فرضيات الدراسة:

للتأكد من صحة وثبوت الفرضية الرئيسة والتي مفادها (وجود علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين أبعاد إدارة علاقة الزبون CRM وبين أبعاد الميزة التنافسية) ، لابد من اختبار الفرضيات الفرعية الأربع وإثبات صحتها كما يلي:

1.2. اختبار الفرضية الفرعية الأولى:

- فرضية العدم (H_0): عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى α=0.05 بين أبعاد إدارة العلاقة مع الزبون CRM والميزة المالية
- فرضية الوجود (H_1): توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى α=0.05 بين أبعاد إدارة العلاقة مع الزبون CRM والميزة المالية.

ومن أجل قبول الفرضية أعلاه، من عدم قبولها، لابد من اختبار معاملات الارتباط الرتبي (سبيرمان)، والواردة بالجدول (8).

أبعاد إدارة علاقة الزبون CRM / الميزة التنافسية	التسويق X1	المبيعات X2	الخدمات X3	قيمة (T) الجدولية	
الميزة المالية Y1	0,878**	0,820**	0,876**	5%	1%
قيمة (T) المحسوبة	5.800	4.530	5.743	2.2281	3.1693
النتيجة (القرار)	توجد علاقة ارتباط موجبة وذات دلالة معنوية عند المستوى (5%) و كذا عند المستوى (1%)	توجد علاقة ارتباط موجبة وذات دلالة معنوية عند المستوى (5%) و كذا عند المستوى (1%)	توجد علاقة ارتباط موجبة وذات دلالة معنوية عند المستوى (5%) و كذا عند المستوى (1%)	درجة الثقة	
				95%	99%

الجدول (8) نتائج اختبار الفرضية الفرعية الأولى
المصدر: إعداد الباحثين وفقاً لنتائج *SPSS V16*.
df =10
* تعني أن معاملات الارتباط معنوية عند مستوى المعنوية (5%).
** تعني أن معاملات الارتباط معنوية عند مستوى (1%).

يتضح من نتائج الجدول (8)، أن قيم (T) المحسوبة هي أكبر من قيم (T) الجدولية البالغة (2.2281) عند مستوى المعنوية (5%) و (3.1693) عند مستوى معنوية (1%) وهذا يعني رفض فرضية العدم (H0) مما يستدل على وجود علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى $\alpha = 0.05$ بين أبعاد إدارة العلاقة مع الزبون CRM والميزة المالية.

2.2. اختبار الفرضية الفرعية الثانية:

- فرضية العدم (H_0): عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى $\alpha = 0.05$ بين أبعاد إدارة العلاقة مع الزبون CRM والميزة التجارية
- فرضية الوجود (H_1): توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى $\alpha = 0.05$ بين أبعاد إدارة العلاقة مع الزبون CRM والميزة التجارية.

ومن أجل قبول الفرضية أعلاه، من عدم قبولها، لابد من اختبار معاملات الارتباط الرتبي (سبيرمان)، والواردة بالجدول (9).

الجدول (9) نتائج اختبار الفرضية الفرعية الثانية

أبعاد إدارة علاقة الزبون CRM / الميزة التنافسية	التسويق X1	المبيعات X2	الخدمات X3	قيمة (T) الجدولية	
الميزة التجارية Y2	0,818**	0,833**	0,776**	5%	1%
قيمة (T) المحسوبة	4.497	4.761	3.890	2.2281	3.1693
النتيجة (القرار)	توجد علاقة ارتباط موجبة وذات دلالة معنوية عند المستوى (5%) و كذا عند المستوى (1%)	توجد علاقة ارتباط موجبة وذات دلالة معنوية عند المستوى (5%) و كذا عند المستوى (1%)	توجد علاقة ارتباط موجبة وذات دلالة معنوية عند المستوى (5%) و كذا عند المستوى (1%)	درجة الثقة	
				95%	99%

المصدر: إعداد الباحثين وفقاً لنتائج *SPSS V16*.

df =10

* تعني أن معاملات الارتباط معنوية عند مستوى المعنوية (5%).

** تعني أن معاملات الارتباط معنوية عند مستوى (1%).

يتضح من نتائج الجدول (9)، أن قيم (T) المحسوبة هي أكبر من قيم (T) الجدولية البالغة (2.2281) عند مستوى المعنوية (5%) و (3.1693) عند مستوى معنوية (1%) وهذا يعني رفض فرضية العدم (H0) مما يستدل على وجود علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى α= 0.05 بين أبعاد ادارة العلاقة مع الزبون CRM والميزة التجارية.

3.2. اختبار الفرضية الفرعية الثالثة:

- فرضية العدم (H_0): عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى α = 0.05 بين أبعاد إدارة العلاقة مع الزبون CRM و الميزة التقنية.
- فرضية الوجود (H_1): توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى α = 0.05 بين أبعاد إدارة العلاقة مع الزبون CRM و الميزة التقنية.

ومن أجل قبول الفرضية أعلاه، من عدم قبولها، لابد من اختبار معاملات الارتباط الرتبي (سبيرمان)، والواردة بالجدول (10).

الجدول (10) نتائج اختبار الفرضية الفرعية الثالثة

أبعاد إدارة علاقة الزبون CRM / الميزة التنافسية	التسويق X1	المبيعات X2	الخدمات X3	قيمة (T) الجدولية	
الميزة التقنية Y3	0,886**	0,969**	0,822**	5%	1%
قيمة (T) المحسوبة	6.055	12.430	4.574	2.2281	3.1693
النتيجة (القرار)	توجد علاقة ارتباط موجبة وذات دلالة معنوية عند المستوى (5%) و كذا عند المستوى (1%)	توجد علاقة ارتباط موجبة وذات دلالة معنوية عند المستوى (5%) و كذا عند المستوى (1%)	توجد علاقة ارتباط موجبة وذات دلالة معنوية عند المستوى (5%) و كذا عند المستوى (1%)	درجة الثقة	
				95%	99%

المصدر: إعداد الباحثين وفقاً لنتائج *SPSS V16.*

df =10

* تعني أن معاملات الارتباط معنوية عند مستوى المعنوية (5%).

** تعني أن معاملات الارتباط معنوية عند مستوى (1%).

يتضح من نتائج الجدول (10)، أن قيم (T) المحسوبة هي أكبر من قيم (T) الجدولية البالغة (2.2281) عند مستوى المعنوية (5%) و (3.1693) عند مستوى معنوية (1%) وهذا يعني رفض فرضية العدم (H0) مما يستدل على وجود علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى 0.05 =α بين أبعاد ادارة العلاقة مع الزبون CRM و الميزة التقنية.

4.2. اختبار الفرضية الفرعية الرابعة:

- فرضية العدم (H_0): عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى α = 0.05 بين أبعاد إدارة العلاقة مع الزبون CRM والميزة التنظيمية والتسييرية.
- فرضية الوجود (H_1): توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى α = 0.05 بين أبعاد إدارة العلاقة مع الزبون CRM والميزة التنظيمية والتسييرية.

ومن أجل قبول الفرضية أعلاه، من عدم قبولها، لابد من اختبار معاملات الارتباط الرتبي (سبيرمان)، والواردة بالجدول (11).

الجدول (11) نتائج اختبار الفرضية الفرعية الرابعة

أبعاد إدارة علاقة الزبون CRM / الميزة التنافسية	التسويق X1	المبيعات X2	الخدمات X3	قيمة (T) الجدولية	
الميزة التنظيمية و التسييرية Y4	**0,876	**0,924	**0,900	5%	1%
قيمة (T) المحسوبة	5.743	7.658	6.543	2.2281	3.1693
النتيجة (القرار)	توجد علاقة ارتباط موجبة وذات دلالة معنوية عند المستوى (5%) و كذا عند المستوى (1%)	توجد علاقة ارتباط موجبة وذات دلالة معنوية عند المستوى (5%) و كذا عند المستوى (1%)	توجد علاقة ارتباط موجبة وذات دلالة معنوية عند المستوى (5%) و كذا عند المستوى (1%)	درجة الثقة	
				95%	99%

المصدر: إعداد الباحثين وفقاً لنتائج *SPSS V16.* *df =10*

* تعني أن معاملات الارتباط معنوية عند مستوى المعنوية (5%).

** تعني أن معاملات الارتباط معنوية عند مستوى (1%).

يتضح من نتائج الجدول (11)، أن قيم (T) المحسوبة هي أكبر من قيم (T) الجدولية البالغة (2.2281) عند مستوى المعنوية (5%) و (3.1693) عند مستوى معنوية (1%) وهذا يعني رفض فرضية العدم (H0) مما يستدل على وجود علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى α= 0.05 بين أبعاد إدارة العلاقة مع الزبون CRM والميزة التنظيمية والتسييرية.

واستنادا إلى ما تقدم، وبعد إثبات صحة الفرضيات الفرعية الأربع المنبثقة عن الفرضية الرئيسة، تأكد ثبوت صحة الفرضية الرئيسة والتي مفادها " وجود علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى α = 0.05 بين أبعاد إدارة العلاقة مع الزبون CRM والميزة التنافسية بأبعادها الأربعة.

النتائج:

1- اتضح من خلال التحليل الإحصائي اتفاق عينة المستجوبين حول أبعاد إدارة علاقات الزبون، كما أن الأوساط الحسابية لإجابات العينة كانت عالية نسبياً وبانحرافات معيارية لم تتجاوز الواحد صحيح لجميع الأبعاد سواء المتعلقة بممارسة التسويق بالعلاقات أو الأبعاد المحددة للميزة التنافسية.

2- تؤكد النتائج المتعلقة بالمؤشرات المعتمدة في التحليل الإحصائي لمتغيرات الدراسة ثبات صحة الفرضيات الأربع، وتأسيساً على ذلك تأكد صحة الفرضية الرئيسة للدراسة التي تشير إلى وجود علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى α = 0.05 بين أبعاد إدارة علاقة الزبون CRM وأبعاد الميزة التنافسية.

3- من خلال التحليل الإحصائي حول الإجابات الخاصة بأبعاد إدارة العلاقات مع الزبون (التسويق، المبيعات ،خدمة الزبائن) كانت هذه الأنشطة مستوفية لمبادئ CRM ، وبدرجات عالية نسبياً كانت على التوالي 78.54% 80.98% 86.06%. وقد تصدر بعُد (الخدمات) في أعلى سلم الأهمية كونها جوهر نموذج إدارة علاقة الزبون الذي يعمل على تلخيص العمليات وتوفير الجهود وذلك للتحكم في التكاليف و تحقيق الفعالية التسويقية وتليه الأبعاد الأخرى (المبيعات، التسويق) على التوالي.

4- من خلال التحليل الإحصائي حول الإجابات الخاصة بأبعاد الميزة التنافسية (الميزة المالية، الميزة التجارية ،الميزة التقنية، الميزة التنظيمية و التسييرية) كانت هذه الأبعاد مستوفية، وبدرجات عالية نسبياً كانت على التوالي 80.80% 81.78% 82.03% 79.40% وقد تصدر بعُد (الميزة التقنية) في أعلى سلم الأهمية كون إدارة علاقة الزبون تهدف إلى تحسين تقنية التعامل مع الزبون بالاعتماد على التكنولوجيات الحديثة وتليه الأبعاد الأخرى (الميزة التجارية، الميزة المالية و الميزة التنظيمية و التسييرية) على التوالي.

5- تعد المعلومات جوهر عمليات CRM ، لذا من الضروري توفيرها بالجودة المطلوبة، بالكيفية الملائمة و في الوقت المناسب كونها توفر للمؤسسة معرفة

الأوضاع السوقية المحيطة بدءا بفئات الزبائن الحالين و المحتملين ومن ثم الزبون المستهدف.

6- اتضح من خلال تأثير تبني المؤسسة لنموذج إدارة علاقة الزبون CRM على الميزة المالية التي تسعى إليها المؤسسة ، أهمية هذا الأسلوب في زيادة حجم الأرباح، و حجم المبيعات(حصة الزبون) كونها تركز على عينة الزبائن المربحين - الرأسمال الزبوني -

7- من خلال تحليل تأثير تبني المؤسسة لنموذج إدارة علاقة الزبون CRM على الميزة التجارية ، نلاحظ التأثير المباشر خاصة من حيث تنمية وفاء الزبائن و هو الدور الرئيسي لإدارة علاقة الزبون بالإضافة إلى تحسين رؤية الشركة وذلك بالتركيز على حصة الزبون بدل حصة السوق مما يجعل المؤسسة على إطلاع اكبر بمجريات إدارة العلاقة مع الزبائن المستهدفين .

8- من خلال نتائج تحليل تأثير إدارة علاقة الزبونCRM على الميزة التقنية ،يتضح ارتفاع مؤشر الأهمية النسبية لكافة الفقرات الخاصة بهذا البعد خاصة تقليل الجهود الضائعة وتلخيص العمليات بالإضافة إلى تقليص الزمن المستغرق في أداء النشاط الناتج عن الاتصال بالزبائن وتتبع تطور أذواقهم مما يتيح للمؤسسة التحكم في إدارة العلاقة معهم.

9- كما يتضح من خلال تحليل تأثير التسويق بالعلاقات على الميزة التنظيمية والتسييرية، أن CRM يساهم في تحسين الكفاءة الإدارية والتقليل من الاتصالات غير المجدية كونه يختصر على مجموعة محدودة ومعروفة من الزبائن المربحين.

الاستنتاجات :

في ضوء النتائج السابقة يمكن استنتاج ما يلي: من اجل تبني نموذج إدارة علاقة الزبون CRM و تحقيق الغرض منه يجب

1- إجراء دراسات مستفيضة وبصورة مستمرة حول المعلومات الجيدة عن السوق بهدف تحديد وترتيب الزبائن ذات الربحية الأعلى في سلم الأهمية باعتبارها الركيزة الأساسية في تحسين مستوى أداء عمليات CRM.

2- الاعتماد على التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال وتوفير قواعد البيانات في تطبيق نموذج إدارة علاقة الزبون مما يوفر السرعة والدقة في التطبيق مما يحقق ميزة تنافسية للشركة.

3- تعزيز مناطق القوة في أنشطة الوظائف الممثلة لإدارة علاقة الزبون CRM التي حصلت على أعلى درجات الأهمية النسبية نظراً لتأثيرها المباشر على الميزة التنافسية ،فضلاً عن معالجة مناطق الضعف أو التقليل من أثرها السلبي لكي تتمكن الشركة من التفوق على المنافسين في هذا المجال .

4- في ظل البيئة التنافسية الصعبة التي تنشط فيها شركات الهاتف النقال في الجزائر، على الشركة أن تقوم بدراسة وفهم حاجات الزبائن ويتم ذلك من خلال إجراء الدراسات الميدانية وتكثيف الجهود البحثية الخاصة بتحديد الزبائن المستهدفين لاكتساب اكبر عائد و بأقل جهد.

5- العمل على إعداد وتهيئة البرامج الخاصة باسترجاع الزبائن السابقين للشركة من خلال إيجاد وتوفير التوافق بين الإستراتيجية التسويقية والمزايا الفعلية التي توفرها المؤسسة.

6- المحافظة على الزبائن الحاليين للشركة، وذلك بالتركيز على دورة حياة الزبون بدءاً من معرفة موقع الزبائن في حلقة الوفاء للشركة والعمل على كسب ثقتهم وتجديدها من خلال تقديم خدمات استثنائية- مبتكرة - تتماشى على الأقل مع توقعاتهم لضمان علاقة طويلة الأمد، وهذا هو جوهر عمليات CRM.

الهوامش

1- Supizet Jean, « Le management de la performance durable», édition d'organisation, Paris, 2002, p202.

2- فليب كوتلر وآخرون، «التسويق»، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، سوريا، 2002 ، ص127 .

3- Allard Christophe, «Le management de la valeur client», Dunod, Paris, 2002, p10.

4- Allard Pierre, Dirringer Damien ; « La stratégie de relation clients », Dunod, Paris, 2000, p41.

5-Demeure Cloud, « marketing », 4eme ed, édition Dalloz, Paris, 2003, p 351.

6- McDermott, R. «Why information Technology inspired but cannot deliver knowledge management» ، California management Review.N 41.1999. pp103-117

7- Moorman,C. «Organizational marketing information process», Cultural antecedents &new product outcomes". Journal of marketing Research.N32.1995. pp318-335

8- Kotler .P et Dubois .B, «Marketing Management», 11eme Edition, edition Française réalisée par Delphine Manceau, Pearson education, Paris, France, 2003.p81

9- حصة الزبون وتعني كمية أو قيمة المشتريات للزبون الواحد.

10- Chaffey, & et al, « Internet Marketing: Strategy, Implementation and Practice Limited», England, Pearson Education, 2000, p 115.

11- الزبائن المربحين هم فئة الزبائن الذين يمثلون 20 %من عدد الزبائن المساهمين في 80 %من دخل المؤسسة.

12- إبراهيم احمد محمد أبو رحمة، «متطلبات تطبيق إدارة الجودة التسويقية (التسويق الكلي) دراسة حالة شركة الاتصالات الخلوية الفلسطينية جوال»، رسالة مقدمة ضمن متطلبات الحصول على شهادة ماجستير في إدارة الأعمال، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 2010 ص71 .

13- Porter .M, «L'avantage concurrentiel» ، Dunod édition، paris ، France, 1999 ، pp 41-42.

14- Lambin Jean Jacques, «le marketing stratégique»، Science édition , Paris,

France, 2éme édition, 1993, pp 209-210.

15- Porter .M, Op, Cite .p42.

16- نبيل مرسي خليل، «الإدارة الإستراتيجية: تكوين و تنفيذ استراتيجيات التنافس»، دار المعارف للنشر، الإسكندرية ، مصر، 1995 ، ص227 .

17- Lendrevie Jacques, Lindon Denis, «Mercator», 7 ° édition, Dalloz, Paris, France, 2003, p 676.

18- **الأصل** : وهو ما تحوز عليه المؤسسة يتصف بالتميز عن المنافسين كاسم العلامة مثل شركة TOYOTA و PHILIPS ، **أما المهارة** :فهي كيفية العمل الذي تقوم به المؤسسة مثل طرق الاتصال والتعامل ، التصنيع بكفاءة واستعمال التكنولوجيا - من حيث السرعة والدقة - أو التصنيع بجودة عالية، و تكون الأصول والمهارات بمثابة العوائق والحواجز امام المنافسين فلا يمكن تقليدها أو مواجهتها ، ومن ثم يمكن ديمومة الميزة التنافسية الناتجة عن الابتكار و التجديد.

19- نبيل مرسي خليل، (1995) مرجع سبق ذكره ، ص 228 .

20- نبيل مرسي خليل، « الميزة التنافسية في مجال الأعمال»، الدار الجامعية للطباعة، الإسكندرية، مصر،1996 ، ص85 .

21- Lambin Jean Jacques, Op, Cite, p 210.

22- رتيبة نحاسية،« أهمية اليقظة التنافسية في تنمية الميزة التنافسية للمؤسسة»، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم التسيير، غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر، الجزائر،2003 ، ص ص59 -61.

23- CRMهي اختصار لمصطلح إدارة علاقة الزبون باللغة الانجليزية **C**ustomer **R**elationship **M**anagement

24- يتكون الاستبيان من جزئين إدارة علاقة الزبون والميزة التنافسية وللأمانة العلمية فالجزء الأول من الاستبيان – إدارة علاقة الزبون - مستوحى من دراسات مشابهة لـ م.ليث علي الحكيم، م.م.عمار عبد الأمير زوين « قياس جودة معلومات الوظائف الداعمة لعمليات إدارة علاقات الزبون باستخدام نشر دالة الجودة دراسة تطبيقية في شركة آسيا سيل للاتصالات / فرع النجف» ، مجلة القادسية للعلوم الإدارية والاقتصادية - المجلد 11 العدد 3 لسنة 2009، كلية الإدارة والاقتصاد ، جامعة الكوفة مع إجراء بعض التعديلات أما الفارق فهو مطبق على عينة مختلفة تماما و الوصول إلى نتائج مختلفة هي الأخرى.

المراجع

المراجع باللغة العربية

- إبراهيم احمد محمد أبو رحمة، 2010، متطلبات تطبيق إدارة الجودة التسويقية (التسويق الكلي) دراسة حالة شركة الاتصالات الخلوية الفلسطينية جوال، رسالة مقدمة ضمن متطلبات الحصول على شهادة ماجستير في إدارة الأعمال، جامعة الأزهر، غزة ،فلسطين .
- رتيبة نحاسية،2003 ، أهمية اليقظة التنافسية في تنمية الميزة التنافسية للمؤسسة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم التسيير، غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر.

-فليب كوتلر وآخرون، 2002،التسويق، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، سوريا.
-نبيل مرسي خليل، 1996، الميزة التنافسية في مجال الأعمال، الدار الجامعية للطباعة، الإسكندرية، مصر.
-نبيل مرسي خليل،1995، الإدارة الإستراتيجية: تكوين و تنفيذ استراتيجيات التنافس، دار المعارف للنشر، الإسكندرية ، مصر.

المراجع باللغة الاجنبية

- Allard Pierre, Derringer Damien, 2000, « *La stratégie de relation clients* » Dunod, Paris.
- Allard Christophe, 2002, «*Le management de la valeur client*», Dunod, Paris.
- Chaffey, & et al,2000,*« Internet Marketing: Strategy, Implementation and Practice Limited»*, Pearson Education, England.
- Demeure Cloud, 2003,« *marketing* », 4eme ed, édition Dalloz, Paris.
- Kotler.P et Dubois.B, 2003, «*Marketing Management*», 11eme Edition, édition française réalisée par Delphine Manceau, Pearson education, Paris.
- Lambin Jean Jacques, 1993, «*le marketing stratégique*», 2éme édition, Science édition , Paris.
- Lendrevie Jacques, Lindon Denis, 2003, «*Mercator*», 7 ° édition, Dalloz, Paris.
- Mc Dermott *,R*, *1999*,«Why information Technology inspired but cannot deliver knowledge management», *California management Review.N41.*
- Moorman,C, 1995,«Organizational marketing information processe» *,Cultural antecedents &new product outcomes". Journal of marketing Research*, *N32.*
- Porter .M, 1999, *«L'avantage concurrentiel»* ,Dunod édition، paris , France.
- Supizet Jean, 2002, « *Le management de la performance durable*», édition d'organisation, Paris.

قراءة في حق رئيس الجمهورية في الاعتراض على القوانين في النظام الدستوري الجزائري (دراسة مقارنة)

أ. باديس سعودي
كلية الحقوق والعلوم السياسية
جامعة أم البواقي
الجزائر

ملخص

إن هذا البحث يعالج موضوعا وإشكالية آنية مستمرة، " سلطة المنع " لرئيس الدولة، " حق رئيس الجمهورية في الاعتراض على القوانين "، إنه يقدم نظرة مقارنة (دراسة مقارنة) لسلطة المنع في الجزائر، مع لفت انتباه خاص من حيث المقارنة من جانب لفرنسا، حيث هذه السلطة تمارس تحت شكل " طلب مداولة جديد أو ثانية " للقانون (والتي تميز غالبية الأنظمة البرلمانية) ، ومن جانب آخر الولايات المتحدة الأمريكية، التي تمارس فيها هذه المكنة في صورة " حق فيتو موصوف " (والتي تميز غالبية الأنظمة الرئاسية) .

Résumé

Ce travail, que nous avons voulu comparatif, traite d'un sujet d'actualité le droit du président de la république de s'opposer aux lois, et ce, avec une attention particulière pour la France et les Etats Unis, où cette faculté est pratiquée différemment. Elle est réalisée dans l'une, ainsi que dans la plupart des régimes parlementaires, sous forme de demande d'une nouvelle ou deuxième délibération de la loi, dans l'autre, de même que dans la plupart des régimes présidentiels, sous forme de « droit de veto qualifié ».

مقدمة

يشكل الاعتراض جزءا من ميكانيكية التوازن التي تعتمدها عادة الأنظمة القائمة على مبدأ الفصل بين السلطات، و بهذا الخصوص يمكن القول بأن الاعتراض يمثل قبل كل شيء سلاحا تمسك به الهيئة التنفيذية في مواجهة الهيئة التشريعية . وبموجب حقه في الاعتراض يستطيع رئيس الجمهورية، مواجهة البرلمان، وكل ذلك يبدو طبيعيا خاصة إن كان الرئيس ليس بحاجة إلى الحصول على توقيع رئيس الحكومة أو الوزير المعني، ليكون إلى جانب توقيعه عند توجيه طلب المداولة الثانية بخصوص قانون تم التصويت عليه من قبل البرلمان، ففعل " يمكن " يجعل من الاعتراض حقا أو امتيازا شخصيا يترك استعماله لتقدير رئيس الجمهورية.

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر2012.

وتبعا لذلك أبقى التطور الدستوري على ذات الوسيلة التقليدية المقررة لرئيس الجمهورية، بصدد العلاقة بين السلطتين في مجال العمل التشريعي، ونقصد بذلك مبدأ الاعتراض الرئاسي الذي ينال من مضمون النص التشريعي بموجب مداولة ثانية، وفقا لنص المادة 127 من الدستور وإن كنا نجد فضلا عن ذلك استعمالا آخر غير مألوف للاعتراض على ما يصدر عن السلطة التشريعية وفق أساليب أخرى، بقدر ما يراه رئيس الجمهورية شرطا لازما لسير المؤسسات سيرا حسنا .

وبمقتضى هذا المنطق الأخير الذي أفضى إليه التطور الدستوري، وما إلى ذلك مما انتهى إليه هذا التطور من تقوية السلطة التنفيذية في المجال التشريعي، رغم ما يمكن أن يؤديه الاعتراض من وظائف مهمّة في الدولة وعلى جميع الأصعدة، فكان لذلك دور كبير في صقل مستوى ممارسة حق الاعتراض على القوانين بموجب طلب مداولة ثانية من المجلس الشعبي الوطني .

من هنا تأتي إشكالية الموضوع والمتعلقة ببحث طبيعة وتنظيم حق رئيس الجمهورية في طلب مداولة ثانية ؟ وهل عدم ممارستها إلا نادرا، يعني أن هناك توافقا بين السلطتين بشكل شبه تام ودائم، أي إلى أي حد توافقت الممارسة العملية مع طبيعة النظام الدستوري، أم أن هذا النظام جعل من استخدام تقنية الاعتراض بموجب طلب المداولة الثانية ليس إلا أمرا نادرا، وأن طبيعة هذا النظام يؤسس لوسائل أخرى أكثر أهمية قد تقلل من أهمية هذا الطلب ؟

من هذا يتبين لنا تناول الموضوع في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صورة الاعتراض في التنظيم القانوني الجزائري

انتهي الأمر في النظام الدستوري الجزائري إلى أن تتوسع سلطة الهيئة التنفيذية توسعا يؤدي بها إلى إظهار إرادتها في التشريع، فالنص التشريعي الذي وافق عليه البرلمان بحضور الحكومة يغدو غير قابل للإصدار سوى بعد إعادة النظر في مضمونه ثانية من قبل المجلس الشعبي الوطني بموجب اعتراض الرئيس في صورة طلب مداولة، بمعنى يتوجب إعادة النظر في النص التشريعي وفق رغبة الرئيس(1).

ومع التسليم بفاعلية هذه الأداة القانونية التي تخدم وتدعم مكانة الرئيس والهيئة التنفيذية، توجب البحث بشيء من التفصيل عن ماهيتها من جهة (الفرع الأول)، وطبيعتها من جهة أخرى (الفرع الثاني).

الفرع الأول: ماهية طلب المداولة الثانية للقانون بوصفها اعتراضا رئاسيا

باستعراض جميع الأحكام الخاصة بهذا الإجراء الدستوري، يتبدى لنا أن التنظيم الدستوري استقر في ذلك على تكريس قاعدة جامعة، تتلخص في أن الاعتراض وفق نظرة المؤسس الدستوري الجزائري إجراء صريح يمكن رئيس الجمهورية من الاعتراض على النص التشريعي، و بالتالي يطلب من المجلس الشعبي الوطني مداولة ثانية له، مع افتراضه لأغلبية مشددة وهي ثلثي (2/3) أصوات النواب لإمكان التغلب

على اعتراض الرئيس، حيث تنص المادة 127 من الدستور على ما يلي: " يمكن لرئيس الجمهورية أن يطلب إجراء مداولة ثانية في قانون تم التصويت عليه في غضون الثلاثين (30) يوما الموالية لتاريخ إقراره .

وفي هذه الحالة لا يتم إقرار القانون إلا بأغلبية ثلثي (2/3) أعضاء المجلس الشعبي الوطني "(2).

ليتبين أن المؤسس الدستوري قد حافظ على التطور الدستوري نفسه الذي سبقه فيه دستوري 1989 و 1976 ، وإن كان دستور 1963 لم يفترض هذه الأغلبية، وحسبنا دليلا على ذلك ما ورد في المادة 50 التي ترتب ما يلي: " يجوز لرئيس الجمهورية أن يطلب من المجلس الوطني برسالة مبينة الأسباب خلال الأجل المحدد لإصدار القوانين، للتداول في شأنها مرة ثانية، ولا يمكن رفض طلبه هذا ".

فإذا كان هذا التنصيص سليما باعتبار أن استعمال مصطلح "طلب مداولة ثانية" يتوافق ومضمون النص وشروطه، إلا أنه يصبح من الغرابة استعمال ذات المصطلح من طرف المؤسس الدستوري، ثم ينتقل من الاعتراض البسيط veto simple - الذي يخول للمجلس الموافقة على النص بذات الأغلبية التي أقرته أول مرة (3) - إلى الاعتراض الموصوف veto qualifié ، الذي يستلزم أغلبية خاصة مثلما هو عليه الحال في التطور الدستوري الحاصل العمل به، ثم يجعل هذا الطلب فيما بعد يقتصر على المجلس الشعبي الوطني دون مجلس الأمة لتستمر بعد ذلك الغرابة أكثر، دون أن ينتبه إلى التفسير القانوني لعبارة (مداولة ثانية) ، أي une nouvelle délibération ، حيث إنّ مدلولها في الأصل لا يتسع للأغلبية التي يتطلبها دستور 1996، والمحددة بثلثي (2/3) أعضاء المجلس الشعبي الوطني، فمداولة المجلس الأولى قد حسمت على أساس الأغلبية البسيطة، بينما يتسع في الأصل ليشمل أعضاء مجلس الأمة، باعتبار أن ماهية أو مدلول المداولة البرلمانية للنص التشريعي، تشمل إجراءات ومراحل إعداد النص التشريعي في كلا الغرفتين إلى غاية المصادقة عليه من طرف مجلس الأمة، ولهذا فإن مدلول الاعتراض حسبما هو مكرس في المادة 127 من دستور 1996 لا يتوافق ومقتضى المداولة الثانية، حيث إن الاعتراض وفق أغلبية مشددة أو موصوفة، و بالخصوص عندما يقدم هذا الطلب لغرفة واحدة (المجلس الشعبي الوطني، دون مجلس الأمة) يتناقض تماما ومفهوم طلب المداولة الثانية .

إنّ ما هو مقرر في دستور 1996 وسابقيه، عبارة عن فيتو موصوف وما هو مقرر في دستور 1963 مداولة ثانية أو جديدة، على شاكلة ما هو جاري به العمل في فرنسا بموجب المادة 10 من دستور 1958(4). فالمداولة الثانية بطبيعتها، لا تستلزم إجراء برلماني خاص، ولا أغلبية مشددة بثلثي (2/3) أو ثلاثة أخماس (3/5) الأصوات لإعادة إقرار ذات النص التشريعي، إن القانون المرسل للبرلمان يدرس بالإجراء التشريعي نفسه و يصوت عليه بأغلبية عادية، فهي تفترض أن البحث الجديد يمر بالإجراء التشريعي نفسه في كلا المجلسين على الأقل، فلا يقرر ذلك الاختصاص

لمجلس دون آخر، بينما الفيتو الموصوف يستلزم أن يتم التصويت على القانون المرسل إلى البرلمان في إطار إعادة بحثه، بأغلبية مشددة من الأصوات دائما تفوق الأغلبية المطلقة، سواء بثلاثة أخماس (3/5) أو بثلثي (2/3) أصوات أعضاء البرلمان، باعتباره يمثل فيتو تشريعي – شبه جامد – يمكن تجاوزه ولكن بصعوبة كبيرة من قبل البرلمان، تبعا لإجراء تشريعي خاص، و بالخصوص بتصويت جديد يتطلب أغلبية موصوفة (5).

فالفيتو الموصوف على شاكلة ما هو عليه في الولايات المتحدة الأمريكية يؤثر على وجود القانون نفسه، ولا يمكن إعادة إقرار ذات النص إلا بأغلبية الثلثين في كل من غرفتي الكونغرس، أي أنها أغلبية مختلفة وغير عادية، فيصبح مجرد مشروع قانون بسيط يجب إعادة إقراره بأغلبية خاصة (6).

و بالتالي، وضع هذا الطرح موضع الاعتبار، فمن ذلك، يتوجب إعادة النظر في أحكام المادة 127 من الدستور، و بالتالي المادة 45 من القانون العضوي رقم 99 – 02 المنظم لقواعد تنظيم وسير غرفتي البرلمان والعلاقات الوظيفية بينهما و بين الحكومة، التي جاءت لتؤكد الأمر نفسه بقولها: " يمكن رئيس الجمهورية، وفقا لأحكام المادة 127 من الدستور، أن يطلب مداولة ثانية للقانون المصوت عليه، و ذلك خلال الثلاثين (30) يوما الموالية لمصادقة مجلس الأمة عليه .في حالة عدم المصادقة عليه بأغلبية ثلثي (2/3) النواب يصبح نص القانون لاغيا ".

أي يجب حذف عبارة "مداولة ثانية" بناء على ما تتضمنها من فكرة تتخلص في عدم ارتباطها بالنصاب المطلوب من جهة، وتخصيص الغرفة الأولى دون الثانية في هذا الشأن، و بالتالي إما إعادة النظر في النسبة المطلوبة، وتوسيع الاختصاص لمجلس الأمة ومن ثم عدم تقرير المجلس الشعبي الوطني لوحده في شأن إعادة مداولة النص التشريعي، حيث يصبح الأمر يتماشى مع مفهوم وماهية طلب مداولة أو قراءة ثانية (7) ، أو ترك الأمر على حاله، وحذف مصطلح مداولة ثانية، ليبقى في صورة اعتراض موصوف.

الفرع الثاني: طبيعة طلب المداولة الثانية حسب ما هو جاري عليه التنصيص الدستوري

رأينا بصدد المفهوم التقليدي لطلب المداولة الجديدة، أنها عبارة عن سلطة بسيطة تجذب انتباه غرفتي البرلمان حول بعض المساوئ، والتي تعتقد السلطة التنفيذية بوجودها في الإجراء التشريعي المصوت عليه من طرفها، وهذا حسب ما يذهب إليه Raymond Carré de Malberg ، أو كما يقول Michel Ameller " هذا الحق يشكل إجراء مقررا للسماح للبرلمان بإعادة النظر في الإجراءات التي لم يأخذها بعين الاعتبار، إذ لا يؤثر بشكل كبير في طبيعة القانون ولا يمس الإجراء التشريعي الذي سبق العمل به في المداولة الأولى، فهو يعتبر دعوة بسيطة للمجلس إلى التأمل "(8). فهو حق بسيط ومرن باعتبار أن ممارسته لا تتطلب أي شرط برلماني خاص، ولا

تتطلب أي أغلبية خاصة موصوفة أو مشددة لإجراء التصويت الجديد على القانون، فيتداول عليه البرلمان مرة ثانية في الشروط نفسها وحسب الإجراء نفسه الذي طبق في المرة الأولى، و بالخصوص أن التصويت يكون بنفس الأغلبية أي البسيطة أو العادية للأصوات كما هو الشأن في التصويت الأول(9).

وعلى عكس ذلك، إن كان إجراء طلب مداولة ثانية ما هو إلا إجراء توقيفي، لأن العمل الذي يضفي على النص الصفة القانونية هو التصويت الذي يقوم به المجلس الشعبي الوطني، ومع ذلك يمكن اعتباره مشاركة في ممارسة الوظيفة التشريعية، مع علمنا بأن الرئيس هو حامي الدستور، مما يؤكد القوة القانونية للطلب، إذ أن فعل إعادة رئيس الجمهورية النص التشريعي إلى النواب واشتراط نصاب معين بالثلثين (2/3) من الأصوات ، يماثل فيتو رئاسي، أي رفض القانون المصادق عليه من قبل البرلمان والامتناع عن توقيعه (10) ، وإن كان للبرلمان إمكانية تجاوز اعتراض الرئيس إن تم إقرار القانون مرة ثانية بالأغلبية المقررة دستوريا داخل الغرفة الأولى، وذلك حيث يشعرهم بمسؤوليتهم ولفت نظرهم إلى تقدير نتائج تصرفهم الأخير (11).

فقد ظل المبدأ المذكور هو السائد، بمقتضى أحكام الدستور، كإحدى سلط الهيئة التنفيذية تتمتع به، مثله في ذلك مثل حق المبادرة بالتشريع تماما، فيدور في محور السلطة المخولة للرئيس و بصفة تقديرية، وبالتالي في وضع قانوني كهذا، يصبح التصرف شديد الارتباط بفكرة الرئيس المعرقل لنفاذ القانون، طالما أن موافقة الرئيس على النص التشريعي تعد شرطا لازما وأساسيا من الجانب الدستوري، الأمر الذي يجعل من الاعتراض حاجزا يحول دون تطبيقه، و يزيد من تقوية وهيمنة السلطة التنفيذية على المجال التشريعي بطريقة أخرى، فمن نتائجه توسيع صلاحيات الرئيس التشريعية لتتحول من وسيلة دفاعية إلى وسيلة تشريعية (12).

لقد غدا طلب مداولة جديدة بمثابة **" فيتو دستوري "**، مفاده تدعيم الدور التشريعي للهيئة المذكورة (13) ، فلا يصدر القانون ولا ينشر في الجريدة الرسمية سوى بعد أن يعيد المجلس الشعبي الوطني تلاوته مرة ثانية، وتعديله وفق توجيهات الرئيس أو إعادة إقراره بموجب النصاب المحدد دستورا في هذا القبيل.

فالاعتراض في هذه الصورة توقيفي للقانون الذي أقره البرلمان، و يعدّ في حكم الطلب لإجراء المراجعة، فيمارس بذلك الرئيس هذا الاختصاص لا بوصفه رئيسا للجمهورية فحسب، وإنما بوصفه المشرع الأوّل، باعتبار أن هذه الأغلبية المشددة لا تشترط إلا بمناسبة القرارات الخطيرة، فهو بذلك معتمد لا على أحكام المادة 127 من الدستور فقط، بل أيضا على أحكام المادة 70 التي تجعل منه حامي الدستور(14) ، يوقف بذلك خروج القانون(15) للوجود طيلة مدة معينة فقط، و بعدها يحدد مصير القانون المعترض عليه، فإما أن تعاد دراسته من قبل السلطة التشريعية و يحصل على نصاب الثلثين (2/3) المحدد في الدستور، فيكون بذلك الرئيس مجبرا على إصداره حين ذاك، وإما أن لا يحصل على ذلك النصاب، وعندها ينتظر تقديم اقتراح أو

مشروع قانون حول موضوعه لدراسته من جديد (16).

إن هذا الغرض يتأكد باعتبار أنه دون موافقة الرئيس لا يتحول النص إلى قانون، فاعتراض الرئيس هنا أو عدم موافقته الصريحة تحول دون تحول الاقتراح أو المشروع إلى قانون، حيث إنّ الدستور لم يأخذ بما هو عليه الحال بالنسبة لدستور 1963 ، الذي أخذ بالاعتراض الضمني الذي من خلاله ينقل الحق في إصدار النص آليا إلى رئيس المجلس الوطني، ومهما كان فإن الاعتراض يبقى توقيفيا إلى أن يحدد المجلس الشعبي الوطني مصيره بالتصويت عليه بثلثي(2/3) النواب أو تعديله وفقا لمشيئة رئيس الجمهورية .

المطلب الثاني : تنظيم حق الاعتراض أو طلب المداولة الثانية

إذا ما رفض رئيس الجمهورية نصا تشريعيا تم إقراره من طرف البرلمان، يرسل إلى هذا الأخير من جديد في الأجل المحدد دستوريا لإجراء مداولة ثانية (17). فالمادة 127 دستور 1996 تحدد كيفية ممارسة رئيس الجمهورية لهذا الحق، وعلى المنوال نفسه جاء تأكيد نص المادة 45 من القانون العضوي رقم 99-02 بنصها على ما يلي: "يمكن رئيس الجمهورية، وفقا لأحكام المادة 127 من الدستور، أن يطلب مداولة ثانية للقانون المصوت عليه، وذلك خلال الثلاثين (30) يوما الموالية لمصادقة مجلس الأمة عليه. في حالة عدم المصادقة عليه بأغلبية ثلثي (2/3) النواب يصبح نص القانون لاغيا" (18).

ومن ثم يتوجب إظهار ما له من شكل ومضمون (الفرع الأول)، وإلى أي جهة يتم إرساله باعتبار أن من الدول من يفرد هذا الاختصاص بغرفة دون أخرى، وإن كان على نطاق ضيق جدا (الفرع الثاني).

الفرع الأول : شكل ومضمون طلب المداولة الثانية

لم يحدد الدستور شكلا معينا ومحتوى أو إجراء نوعي لممارسة سلطة المنع هذه، بحيث يجري ذلك كما هو الحال في إرسال مشاريع القوانين إلى البرلمان، وذلك تحت شكل مرسوم رئاسي موقع عليه من قبل رئيس الدولة (19). و بذلك فهو غير مقيد شكلا بخصوص طلب مداولة ثانية (أولا) ، ولا مضمونا حيث له أن يطلب قراءة ثانية قد تكون كلية أو جزئية (20) (ثانيا) ، و بالتالي يجب أن لا يغيب عن البال أنه في النهاية مجرد إجراء جاء ليدعم مكانة السلطة التنفيذية فيما لم تتوفق فيه أمام البرلمان (21).

أولا- من حيث الشكل:

في استطاعة رئيس الجمهورية رفض القانون وطلب إعادة النظر فيه، دون أي شرط من حيث الشكل، فهو غير ملزم بتسبيب طلبه هذا، أو أن يقع إلى جانب توقيعه توقيع رئيس الحكومة أو الوزير المختص.

I- عدم إلزامية تسبيب الاعتراض:

إن المنطق يفترض من رئيس الجمهورية أن يدمغ الرسالة المرفقة لطلب إجراء مداولة ثانية بدليل قوي، يتضمن الأسباب التي دفعت به إلى أن يعترض على إصدار النص التشريعي، إلا أنه لوحظ على واضع الدستور الحالي خروجه على خلاف الدستور الأول فيما كان مقررا في هذا الشأن.

إن أهمية قاعدة تسبيب الطلب تكمن في تصحيح الأخطاء الفنية المتواجدة في النص، و بذلك إن أعيد النظر فيما يرى الرئيس، فإن ذلك يحقق التقارب بين العمل التشريعي والتنفيذي (22) ، و بهذا يكون الدستور قد خول للرئيس سلطة تقديرية تمكنه من تقييم العمل التشريعي للبرلمان باعتباره غير مقيد بأي شرط.

إن المؤسس الدستوري الجزائري يكون بذلك قد جارى نظيره الفرنسي بموجب دستور 1958 في مادته العاشرة 2/10، حيث لم ينص على شرط التسبيب ولم يحدد الأسباب التي تعطي لرئيس الجمهورية الحق في طلب مداولة ثانية (23) ، ليكون كل من الدستورين قد تدرجا نحو التخلي عن هذا الشرط كما كان مقررا في دستور 1963 بالنسبة للجزائر، ودستور 1946 بالنسبة لفرنسا .

فدستور 1963 كان يلزم رئيس الجمهورية إن اعترض برد التشريع مصحوبا باعتراضاته إلى المجلس الوطني أثناء الفترة الزمنية المقررة للإصدار، أي إذا طلب الرئيس إجراء مداولة ثانية فإن طلبه هذا يكون مرفقا برسالة يشرح فيها أسباب رفضه وإن لم يحدد طبيعة هذه الرسالة (24) ، وكذا الحال كان عليه الدستور الفرنسي لسنة 1946 في المادة 36 منه، التي أقرت لرئيس الجمهورية حق إصدار القوانين على أن يتم ذلك خلال عشرة (10) أيام من تاريخ تقديم مشروع القانون إليه وتخفض هذه المدة إلى خمسة (5) أيام في الأمور العاجلة (25) ، وخلال هذه الفترة يجوز لرئيس الجمهورية أن يطلب مداولة جديدة لمشروع القانون، وذلك بموجب خطاب مسبب message motivé ، يوجه إلى البرلمان بهدف تصحيح ما شاب المشروع المقدم إليه من أخطاء في التحرير والصياغة مثلا، أو فيما تتضمنه النصوص من مخالفات للدستور(26).

إن الدستور الأمريكي الحالي قد حذا حذو هذين الدستورين الأخيرين (27) ، فهناك إلزام بتسبيب الاعتراض وإرسال القانون يبين فيه اعتراضاته (28) في رسالة تسمى "رسالة الاعتراض" يشرح فيها أسباب رفضه.

فتسبيب الاعتراض إذن ليس مجرد التزام دستوري، وإنما هو وسيلة الرئيس لإقناع المجلس الشعبي الوطني بتعديل القانون في المعنى الذي يريده (29) ، ومما لا شك فيه أن عدم تعليل طلب إجراء قراءة ثانية، سيجعل هذا الإجراء من قبيل التعسف في استعمال الحق إضرارا بالسلطة التشريعية، إلا أنه يلاحظ قد تم الأخذ به عمليا من الجانب العملي في كل من الجزائر وفرنسا.

II- انعدام التوقيع المجاور:

يبدو أن جل الدساتير الجزائرية قد خلّصت الرئيس من القيود التي تحدّ من مجال حركة الرئيس في ممارسة أهم سلطاته، ونذكر في هذا الصدد انعدام خاصية التوقيع المجاور،" توقيع رئيس الحكومة لوحده، أو رئيس الحكومة إلى جانب الوزير المعني، أو الوزير المعني فقط " (30).

إن ذلك ما يؤكد الطبيعة الشخصية والمطلقة التي تمتاز بها سلطة رئيس الجمهورية في هذا الشأن، والتي تخفي انعكاساتها على الواقع السياسي فضلا عن المجال المؤسساتي، حتى وإن كان هناك مجال لإثارة المسؤولية طالما أن الرئيس غير مسؤول (31) ، فلا تثار صعوبة استخدام حق الاعتراض أو استحالته باعتبار أن الرئيس قد خلصه الدستور الجزائري من هذا القيد (32).

لا شك أن طبيعة النظام الرئاسي تعدّ من أهم الأسباب التي تؤدي إلى مثل هذا الوضع واستعماله على هذا النحو، فالرئيس الأمريكي يباشر سلطاته الدستورية بنفسه ويسأل مباشرة أمام الشعب، ولذلك فهو يستخدم حقه في الاعتراض باستقلال تام ودون توقيع مجاور، فتحرير إرادة الرئيس من قاعدة التوقيع المجاور ومسؤولية مستشاريه – وزرائه - أمامه مباشرة من أهم الأسباب التي تساعد على حرية الرئيس في استخدام هذا الحق وتحريره من القيود التي تكبله في النظام البرلماني (33).

وإن كان هذا هو الحال في الجزائر والولايات المتحدة، فإن الدستور الفرنسي يعدّ قاعدة التوقيع المجاور ضرورة لصحة تصرف الرئيس بموجب طلب مداولة ثانية (34) ، إذ لرئيس الجمهورية طلب مداولة ثانية للقانون أو بعض مواده (المادة 10 من دستور 1958) موقع عليه من قبله ومن قبل الوزير الأول، وعند الاقتضاء من قبل الوزراء المسؤولين (المادة 19 من الدستور) ، في أجل (15) يوما التي تلي تحويل القانون إلى الحكومة وقبل الإصدار(35) ، و يستنتج ذلك من المادة 19 التي تعفي صراحة من التوقيع الوزاري المواد 11، 12، 16، 18 ، 54، 56، و61 من الدستور، ومن بينها لا تظهر المادة 10 المتعلقة بحق الإصدار وكذا طلب مداولة جديدة (36).

إن حقا كهذا إذا أصبح امتيازا يتم استعماله بموافقة الوزارة التي تعتمد على أغلبية المجلس يكاد يكون من المستحيل استعماله، فلو أن الوزارة كانت ترى فساد القانون الذي أقره المجلس، و بالتالي عدم إمكان تطبيقه لمحاربته أمام المجلس، و بالتالي فالرئيس لا يستطيع أن يستعمل حق الاعتراض إلا بواسطة وزرائه، حيث تكمن فائدة التوقيع الوزاري في أن الوزارة التي تستند إلى أغلبية في البرلمان بطبيعة الحال لن تستعمل حق الاعتراض، وعلى ذلك يجد رئيس الدولة نفسه في مركز لا مخرج منه، فإما أن يخضع لرأي المجلسين وعلى ذلك لا يمارس حق الاعتراض وإما أن يلجأ إلى حل المجلس النيابي(37).

ثانيا- من حيث الموضوع:

إن لرئيس الجمهورية سلطة تقديرية أيضا من حيث تقرير ما هو ملائم من مواد

النص وما هو غير ملائم منها، ولو قرر المجلس الدستوري تطابق النص مع أحكام الدستور، فللرئيس أن يسحب اعتراضه على مجمل النص وإن كان في الواقع العملي ينصب على مادة أو اثنتين في أغلب الأحوال . فعلى الرغم من صمت القاعدة الدستورية إلا أنه باستطاعته رفض بعض بنود مواده، وفي هذه الحالة لا يعيد طرح النص التشريعي برمته على المناقشة، بل إنه يرجع النص لإعادة النظر في البنود التي جرى الاعتراض عليها (38).

والملفت للنظر حقا، أن طلب قراءة ثانية غير مجدي تعميمه على كامل مواد النص لكون الشيء الوحيد الذي يؤدي إليه هذا الإجراء هو مراجعة قلة من المواد لا غير، و بالتالي هذا القول غير مردود لأن الجانب التطبيقي يدل على صحة ذلك، وهذا ما يلمس من الرجوع إلى المواضيع التي جرى بشأنها طلب مداولة ثانية، بمعنى الاعتراض غير شمولي (39).

إن المؤسس الدستوري الفرنسي يذهب صراحة لتكريس هذا المبدأ بموجب المادة 2/10 من دستور 1958 التي تضمنت حق الرئيس في أن يطلب من البرلمان إجراء مداولة جديدة للقانون كله أو لبعض مواده، فلم يعد هذا الحق قاصرا على مشروع القانون كله، بل يمكن استخدامه حيال بعض نصوصه (40).

وعلى خلاف ذلك بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، سواء كان الاعتراض صريحا أو مستترا يكون اعتراضا كاملا على مشروع القانون، فالرئيس إما أن يوافق على مشروع القانون كله، أو أن يعترض عليه بأكمله، بمعنى أن الرئيس لا يملك سلطة الاعتراض الجزئ item veto . والحكمة من ذلك منعه من أن يتساوى تماما مع الكونغرس في العملية التي هي سلطته الأساسية باعتبار أن ذلك من شأنه تقوية السلطات الرئاسية بشكل كبير جدا (41). إلا أنه قد ثارت الحاجة إلى الاعتراض الجزئي عندما أصبح الكونغرس يستغل قاعدة عدم جواز الاعتراض الجزئي على مشروع القانون، وخاصة بالنسبة لمشروعات القوانين التي تتضمن اعتمادات مالية. لهذه المخاطر التي تهدد الميزانية العامة، كان إقرار الاعتراض الجزئي بتاريخ 9 أفريل 1996 في شكل قانون مصوت عليه من قبل الكونجرس. وقد كان الرئيس Clinton هو أول رئيس للولايات المتحدة، استعمل سلطة الفيتو المتخصص أو الجزئي، لأول مرة بتاريخ 11 أوت 1997، فكان مجموع اعتراضاته في هذا القبيل اثنين وثمانين (82) مرة، مخفضا نفقات مقررة في (11) مشروع قانون (42) ، وإن كان النص الذي أجاز الاعتراض الجزئي تم إقراره لمدة ثمانية (8) سنوات فقط، وهو الوقت المفترض للسماح للرئيس بكبح العجز المزاني الفدرالي والمديونية العمومية وإعادة التوازن بين النفقات والمداخيل الفدرالية، فتم وقف العمل به بتاريخ 31 ديسمبر 2004 طبقا للقسم الخامس منه.

الفرع الثاني : اختصاص المجلس الشعبي الوطني دون مجلس الأمة بطلب المداولة الثانية

إذا كـان الإشكال لا يطـرح قبـل دسـتور 1996، حيـث ظلـت القـوانين تصـدر فـي مجملها من قبل برلمان ذي غرفة واحدة، فالدستور الجديد اتخذ جملـة إجراءات قانونيـة فعالة تحقق النجاعة لمؤسسات الجمهورية حسب نظر المؤسس الدستوري، فعمـل علـى استحداث الآليات الكفيلة لتجنب البلاد الوقوع في الانزلاقات وتفادي تكرار مـا وقـع فـي سنـة 1991(43). فمـن بـين جملـة مـا جـاء بـه استحداث مجلس الأمـة كهيئـة تـوازن إضافية، غايتها الحرص على احترام تطبيق الدستور والدراسـة الوافيـة قبـل الفصـل فـي مضمون القوانين وقبل دخولها حيز التنفيذ (44) ، حيث يتقاسم كل من المجلس الشـعبي الوطنـي ومجلس الأمة ممارسة السلطة التشريعية والرقابـة فـي حـدود أحكـام المنظومـة القانونيـة السـارية المفعول (45) ، وقد تـم تقرير ذلـك صـراحة فـي أحكـام ومـواد هـذا الدستور ولا سيما أحكام المادة 98 منه والتـي تقرر بأنـه: **"** يمـارس السلطة التشـريعية برلمان يتكون من غرفتين، وهما المجلس الشـعبي الـوطني ومجلـس الأمـة. ولـه السيادة في إعداد القانون والتصويت عليه **"**.

إن نص المادة 98، يعطـي لمجلس الأمـة بصـفة صـريحة نفس صـلاحيات المجلـس الشعبي الـوطني فـي المجـال التشريعي، باعتبـار أن القـراءة السياسية لهـذه المـادة تقـول بأن المساواة تامة وكاملـة بـين غرفتـي البرلمـان فـي القيـام بمتطلبـات السلطة التشـريعية في كل مراحلها إعدادا وتصـويتا، ذلـك، أنـه **"** يجـب أن يكـون كـل مشـروع أو اقتـراح قانون موضـوع مناقشة من طرف المجلس الشعبي الوطني ومجلس الأمـة علـى التـوالي حتـى تتم المصـادقة عليه ... **"**(46).

فالتفسير الحرفي واضح ولا غموض فيه ولا يفتح المجال لأية تأويلات (47) ، ومـن هنـا يفتـرض أن لمجلـس الأمـة، كالحـال بالنسبة للمجلـس الشـعبي الـوطني الاختصـاص بصدد إعادة مداولـة الـنص التشـريعي المعتـرض عليـه مـن قبـل الـرئيس بموجـب المـادة 127، لأن المادة 98 أعطت السيادة في إعداد القوانين للبرلمـان بغرفتيـه بـدون أي قيـد كما أشرنا إليه آنفا، غير أن صـياغة التنصيص الخـاص بالمداولـة الثانيـة بموجـب نـص المادة 127 من الدستور أورد واقعا عمليا يتنـاقض مـع تصـور المـادة 98 الآنفـة، حيـث استقرت علـى تأويل آخر يقضـي بإحداث المغايرة بين المجلسين بإبعاد مجلس الأمـة عـن ممارسة حقه في إعادة مداولة النص التشريعي المعترض عليه، الأمر الذي يظهـره فـي مركز أقل من المجلس الشعبي الوطني صـاحب سلطة التقرير حينئذ، وعليه طبقـا للمبـدأ القـانوني المعـروف الخـاص يقيـد العـام، فالمـادة 127 تقيـد المـادة 98 فـي مجـال طلـب مداولة ثانية، إن ما يؤكد هذه الهوة صـياغة المـادة 45 مـن القـانون العضـوي رقـم 99-02 ، والتي تؤكد إلزامية الحصـول علـى ثلثـي (2/3) أصـوات نـواب المجلـس الشـعبي الوطنـي .

ومـن هنـا فالسـؤال الجـوهري الـذي يجـب أن يطـرح يتعلـق فيمـا إن كـان المؤسـس الدسـتوري الجزائـري عنـدما خـص المجلـس الشـعبي الـوطني دون مجلـس الأمـة بطلـب المداولة الثانية فهل هي المغايرة بين المجلسين (أولا) ، أم أن هنـاك أسـبابا خفيـة تـرد وراء التنصيص بالمغايرة، تتعلق بكواليس السياسة (ثانيا) .

أولا- اختصاص المجلس الشعبي الوطني بالمداولة الثانية دون مجلس الأمة: مغايرة من حيث الاختصاص لتجسيد الفعالية

تشكل فكرة حصر طلب المداولة الثانية على الغرفة الأولى موضوع ما يسمى بمبدأ المغايرة في الاختصاص، الذي يفسر بالرجوع إلى ما تذهب إليه عادة دساتير الدول من تفريق في عدة مسائل لها علاقة بالمهمة التشريعية أو الرقابية على السلطة التنفيذية داخل كل غرفة (48). إن علة المغايرة فيما هو حاصل في هذا الإطار – إفراد المجلس الشعبي الوطني بإعادة مداولة النص التشريعي – تعود إلى أن المجلس الأول يعكس روح الإصلاح والتطور السياسي، بحيث تترجم الأغلبية الحزبية أفكارها على نطاق واسع، و بالتالي فتأثير الأحزاب وسيطرة الأغلبية تكرس برنامجا في اتجاه سياسي وحزبي معين، في حين أن مجلس الأمة وضع ليحد من جموح السياسة وليأخذ بروح المحافظة على تقاليد الأمة و يستخدم ميزان العقل شكلا ومضمونا، وفي هذا الإطار كانت خصوصية الدستور الجزائري بإفراد المجلس الشعبي الوطني بالمداولة الثانية (49) دون مجلس الأمة، حيث إن اشتراط نصاب معين من أصوات النواب (50) ، يشير إلى استبعاد أعضاء مجلس الأمة (51) ، فليس لهذا الأخير أن يتدخل في مسألة مداولة ثانية باعتباره اختصاص قصري للمجلس الشعبي الوطني(52) ، الأمر الذي يؤكده نص الفقرة الثانية من المادة 45 من القانون العضوي الذي جاء فيه: **"** في حالة عدم المصادقة عليه بأغلبية ثلثي (2/3) النواب يصبح نص القانون لاغيا ".

إن هذا التنصيص يجرنا إلى الحديث عن نظام الغرفتين غير المتعادل، حيث إنّ تحقيق نوع من التوازن بين الغرفتين يتم بإيجاد مجموعة من التقنيات المستعملة في إطار هذا النظام (53) ، فيوصف نظام الغرفتين بأنه غير متعادل إذا ما كانت السلطات الممنوحة للغرفتين غير متكافئة، ليس في موضوع العمل البرلماني ولكن في سلطات أخذ القرار(54) ، وفي وسائل الضغط المسلطة على غرفة دون أخرى. فإذا كانت الغرفة الأولى هي التي تهيمن على الغرفة الثانية في مجال موضوع العمل البرلماني التشريعي، فقد أفردت باختصاص المداولة الثانية باعتبارها صاحبة المبادرة في مجال موضوع العمل البرلماني التشريعي كما أنها الجمعية المنتخبة عن طريق الاقتراع العام والممثل الحقيقي للأمة .

إنها القاعدة نفسها التي تحكم مسائل عديدة تم إقصاء مجلس الأمة من ممارستها في نطاق السلطة التشريعية المخولة للبرلمان، فإلى جانب المغايرة في التكوين بين المجلسين يبدو أن الحقيقة تكمن في أن المؤسس الدستوري الجزائري قد راعى شرط المغايرة على مختلف مستوياته (55) ، فالمؤسس الدستوري يكون بذلك قد أفرط بخصوص المغايرة في الاختصاص في مجال العمل التشريعي و بحجة إحداث التوازن المهم بين الغرفتين امتدت سلسلة المغايرة بشكل موسع في مجال العمل التشريعي بحرمان الغرفة الثانية من حق المبادرة بالقوانين وحق التعديل في هذا الإطار(56) ، و بالمقابل جعل لمجلس الأمة حق المصادقة على القوانين (57) ، وحق إبداء الرأي في اللجنة المتساوية الأعضاء، فإن كان مجلس الأمة يظهر بمظهر الشريك الثانوي الذي

لا تظهر أهميته في المرحلة الأولى من إعداد النص التشريعي، وهو ما تؤكده المواد 39 إلى 41 من القانون العضوي نفسه والمواد من 58 إلى 61 من النظام الداخلي لمجلس الأمة فإن دوره ينعدم نهائيا بصدد إعادة مداولة النص التشريعي المعترض عليه .

بينما في نظام الغرفتين المتعادل الذي يتقرر حينما تتمتع كلا الغرفتين داخل البرلمان بنفس السلطات، لا سيما في ميدان التشريع، بمعنى آخر لا يمكن لأي من الغرفتين أن تصدر قانونا بدون موافقة الغرفة الأخرى (58) ، حيث يفترض هذا النظام إقامة حوار دائم بين الغرفتين حول النص القانوني المراد إصداره إلى غاية الانتهاء إلى صياغة نهائية له، بما في ذلك النص المعترض عليه وهذا هو الحال في كل من الولايات المتحدة وفرنسا، حيث يتقرر إعادة بحث النص ومداولته بواسطة فيتو تشريعي أو طلب مداولة جديدة من قبل كلى الغرفتين كميكانيزم للضغط على الغرفتين تجنبا لأي شلل للنشاط الحكومي أو النشاط البرلماني .

ثانيا- المغايرة تحجج بالفعالية النظرية وتستر بعالم السياسة الفعالة:

إن ما يؤخذ على المؤسس الدستوري إذن بعد تعديل 1996، أنه قصر على رئيس الجمهورية عند طلب المداولة الثانية التوجه نحو المجلس الشعبي الوطني دون ذكر مجلس الأمة مع أن آليات التشريع كما ذكرنا سالفا، لا تسمح بإدخال أي تعديل على نص دون مروره بمجلس الأمة باعتباره الغرفة الثانية، وهو ما لم يتداركه أيضا القانون العضوي المنظم للعلاقات الوظيفية بين غرفتي البرلمان و بينهما و بين الحكومة (59).

إن إفراد المجلس الأول بطلب المداولة الثانية، يعد خروجا عما عرفته الأنظمة المقارنة من تنظيم دستوري، فالمعروف أن الجزائر منذ استقلالها سنة 1962 اعتمدت نظام الغرفة الواحدة عبر دساتيرها الثلاث لأعوام (1963، 1976، 1989)، وإليها كسلطة تشريعية يرد أمر طلب إجراء مداولة ثانية، في حين أنه في دستور 1996 أصبح البرلمان ذو غرفتين يمارس سلطة التشريع بكل سيادة حسب نص المادة 98 منه، إلا أنه ذهب لحرمان الغرفة الثانية من العديد من الصلاحيات في مجال سن النصوص القانونية، إحداها إفراد المجلس أو الغرفة الأولى بطلب قراءة ثانية دون الغرفة الثانية، فنص شارك مجلس الأمة بثلاثة أرباع (3/4) أعضائه في وضعه على صورته النهائية قبل الإصدار، ثم يتم إقصاؤه إثر طلب مداولة ثانية وترك الأمر للمجلس الشعبي الوطني بذلك دونه، يعني ذلك أن مسألة طلب تصحيح النص التشريعي تخرج عن مغزاها، فالنص وضع بشراكة الغرفتين، بل إن سلطة القرار في إقراره كانت من قبل الغرفة الثانية، و بالتالي الأمر يفترض التنسيق إذن بين الغرفتين إلى أن تتم الموافقة على ذات النص(60).

ولما كان الثابت بشأن البرلمان قد يتعسف بغرفتيه، فما يستنبط من وراء هذا التنصيص هو خوف المؤسس الدستوري من عدم اقتران الأغلبيتين الرئاسية

والبرلمانية في كل من المجلسين، فأخذ المؤسس الدستوري، بوسيلة مراقبة أخرى على التشريعات التي تصدر عن البرلمان ومن أجل ذلك أفرد هذا الأخير بطلب المداولة الثانية و بأغلبية مشددة، لكي يصدر النص عن المجلس الشعبي الوطني، ومن هذا التطور ارتأى المؤسس الدستوري التدخل لأجل ذلك وفصل في المسألة بصريح النص، فلرئيس الجمهورية أن يوجه إلى الغرفة السفلى طلب مداولة ثانية و يرقب موقفها ووضعها أمام مسؤوليتها طالما أنها الممثل الحقيقي للأمة، وأنها المعنية أكثر من شقيقتها الغرفة الثانية لسبب حسم فيه الدستور، وذلك من خلال الأدوات التي مكنها منها (61) في مجال المبادرة بالتشريع، ومن ذلك تتراجع عما قد سبق لها وأن شرعته أو تشد في مجمل النص بالموافقة عليه حسب النسبة المطلوبة ولا تلفت الانتباه بالتالي إلى بعض الأخطاء التي تحصل فيه حسب وجهة نظر الهيئة التنفيذية بسبب التسرع في اتخاذ القرارات .

فعلى الأقل أن فكرة تفوق نص تشريعي قامت بدراسته كل من الغرفتين، أو أن فكرة مجلس الأمة جهة لتحقيق التوازن وسلامة وعقلنة التشريع هي فكرة تتلاشى أحيانا بسرعة بسبب ظروف غير عادية أو استثنائية، وعلى سبيل المثال نص القانون الوضعي المتعلق بالقضاء رغم التوصل إلى اتفاق بصدده عبر اللجنة المتساوية الأعضاء إلا أن المجلس الدستوري قد فصل بعدم دستوريته، و بالتالي لا أثر له، فحتى وإن كان قد سجل لمجلس الأمة نجاحه في أن يكون مؤسسة أسهمت بفعالية في ضمان التوازن المؤسساتي في مجال التشريع عن طريق الاعتراض وتسوية الخلاف في إطار اللجنة المتساوية الأعضاء بالتعاون مع بقية المؤسسات الدستورية الأخرى - المجلس الشعبي الوطني والحكومة - فإن ذلك لا يتحقق دائما بفعل ما قد تتعرض له من ضغوط من قبل أغلبية فاعلة في الغرفة الأولى، إن هذا الفرض قد يحدث إذا تماثلت الأغلبية في كلا الغرفتين وعلى نحو معارض للرئيس، يعود إلى احتمال التغيير المفاجئ في الأغلبية بالمجلس الشعبي الوطني إثر انتخابات عامة مسبقة أو بعد نهاية العهدة .

فطلب المداولة الثانية يفترض أننا أمام حالة خلاف حاد، ولكن بين طرفين يفترض النظام القيام عليهما لوحدهما هما رئيس الجمهورية والمجلس الشعبي الوطني، أين يكون الخلاف مرجعيته اختلاف وجهة النظر السياسية بين السلطتين بسبب الاختلاف في الانتماء السياسي للأغلبية البرلمانية والرئاسية، مما يؤثر على التوجه التشريعي بشكل عام، فيستوجب الأمر رد القانون من جديد إلى المجلس الشعبي الوطني لإعادة بحثه، واستمرار الخلاف بالتالي هنا قد يفتح المجال أما حالات الأزمة في الصراع بين السلطتين، لأنه و ببساطة يملك رئيس الجمهورية حق عدم الالتزام بالنص بما أنه ليس هناك من جزاء يجبره على إصدار النص، بل إنه حامي الدستور الذي له أن يخضع المجلس الشعبي الوطني لوسائل ضغط لا يخضع لها مجلس الأمة، فهو الذي له أن يستفتي الشعب في أي قضية ذات أهمية وطنية، في حالة نشوب نزاع بينه و بين السلطة التنفيذية – رئيس الجمهورية أو الحكومة- حيث يفصل الشعب طواعية في

مسألة أعاد إثرها المجلس الشعبي الوطني إقرار النص نفسه، و بشكل عام لم يستجب لما طلب منه الرئيس من تعديل وفق توجه معين(62) ، كما أن للرئيس الحق في حل المجلس الشعبي الوطني إذا ما حاد عن الأغراض المخصصة له، تفاديا للانزلاقات التي قد تؤدي إلى عدم الانسجام والاستقرار في المؤسسات(63) ، باعتباره وسيلة ضغط عليه لدفعه للتصالح مع الهيئة التنفيذية بصدد النص المعترض عليه وهذا لعقلنة توازن سير السلطات في الدولة على نحو يخدم الصالح العام، فالدستور أقر للرئيس من الوسائل والإجراءات المعرقلة للقانون الصادر عن البرلمان، أو عن المجلس الشعبي الوطني الذي أعاد إقرار ذات النص التشريعي إثر طلب مداولة ثانية، ما يمكن الرئيس من تجاوز البرلمان (64) .

إن طبيعة العناصر التنظيمية لمجلس الأمة جعلت من وضعه الحالي أشبه ما يكون بجهاز توازن مؤسساتي للسلطة التنفيذية من جهة ومن جهة أخرى للمجلس الشعبي الوطني، يعاونهما معاونة اختيارية وليس إجبارية في بعض المسائل التي يشتد الخلاف وعدم الانسجام بينهما حولها (65) ، و بهذا أراد المؤسس الدستوري الجزائري ألا يكون للمجلس سلطات تشريعية قانونية بحتة يشارك بها المجلس الشعبي الوطني وكمجلس ثان تحت قبة البرلمان، فهذا الإجراء لا يشجع مجلس الأمة في اعتراضه على النصوص الصادرة عن الغرفة الأولى بصورة متكررة، مما يؤدي إلى صدور القرار السياسي والتشريعي على ضوء الاعتبارات السياسية الحاصلة، إذ لا يمكن مقارنة ما يجري في مجلس الأمة من مناقشات بما هو عليه الأمر في المجلس الشعبي الوطني فيجب التفرقة بين المناقشة التي تحمل ملاحظات، انتقادات معينة للأعضاء، وإجراء المصادقة الذي يعد في الغالب موقفا سياسيا (66).

و بالتالي يظهر أن المؤسس الدستوري أراد عدم إعطاء المجلس الشعبي الوطني كامل الحرية في تحديد طبيعة الأغلبية المطلوبة للتصويت على المشاريع والاقتراحات التي تعرض عليه بعد طلب المداولة الثانية، فهو بذلك يريد أن يفرده و يقيده بنصاب ثلثي (2/3) نوابه، بينما مجلس الأمة فقد سبق تقييده في هذا الخصوص حيث فرض عليه و بحكم دستوري بأن يصادق بأغلبية ثلاثة أرباع (3/4) الأعضاء وليس الحاضرين (67) ، فلا معنى في أن يفصل في ذلك مرة ثانية بأقل نصاب (2/3)، ومن هنا فضل المؤسس الدستوري وضع المجلس الشعبي الوطني أمام مسؤوليته لوحده، حتى إن لم يمرر القانون ولم يحصل على النصاب المطلوب أو لم يعدل حسب نظرة الرئيس فهو من يتحمل نتائج ذلك، طالما أن الرئيس لا يستطيع أن يسحب قانونا تمت الموافقة عليه ولا يتصور أن يخضع كذلك لرأي المجلس فحق طلب إجراء مداولة ثانية وما يمكن أن ينجر عنه يسمح له بمواجهة الموقف والحفاظ على سموه أمام البرلمان، بل حل المجلس لو تنبأ بنيل النص للنصاب المطلوب (2/3 النواب) مما يؤدي بنا إلى التسليم بتبعية النواب أو البرلمان بصفة عامة للرئيس وتثبيت التوجه السلطوي غير المتعارض القائم على فكرة هيمنة رئيس الدولة.

إن هذا نتاج تصور أنصار تضييق السلطة البرلمانية لصالح الجهاز التنفيذي، إذ أن

المجلس الشعبي الوطني وحده قابل للحل في حالة تعارضه الأقصى مع السلطة التنفيذية إذ يبقى وحده عرضة للطي والتطويع دون الغرفة الثانية التي يفترض أن تكون بمنأى عن ضغوط الجهاز التنفيذي (68) ، فهي عبارة عن وسيلة ضغط على الغرفة الأولى، أو أنه بموجبها يسمح لرئيس الجمهورية سويا بترك الكلمة الأخيرة للغرفة الأولى حيث يفترض أن النص متفق عليه بين الغرفتين على الأقل من الجانب الشكلي، باعتبار أن النص قد صدر عن الغرفتين في صورة متطابقة، ومنه فالخلاف ليس بين الغرفتين ولكنه بين البرلمان – المجلس الشعبي الوطني أساسا بسبب ما خوله الدستور من آليات العمل في مجال إعداد القوانين – ورئيس الجمهورية الذي هو من سيتقدم بطلب مداولة ثانية ككلمة أخيرة للغرفة الأولى، وإن كان بناء على طلب رئيس الحكومة أحيانا.

إن ما فعله المؤسس الدستوري هو استثناء فريد، إذ بموجب المداولة الثانية التي قد تفضي إلى تعديل النص يكون بذلك قد أوجد نصا قانونيا قابلا للإصدار لم يخضع للموافقة عليه في الصيغة نفسها من قبل مجلس الأمة، فيشكل بذلك عودة لنظام المجلس الواحد في ظرف ولسبب مؤقت واستثنائي(69).

فإن كان منشأ هذا الوضع أسباب قانونية في مجموعها فإن الأسباب الحقيقة لا علاقة لها بالنظرية، وإنما هي أسباب سياسية تستمد سبب وجودها من إشكالية التجربة البرلمانية الجزائرية عموما و بالخصوص من الأزمة السياسية التي عرفتها الجزائر بعد توقيف المسار الانتخابي سنة 1991 . وكلها تنصب في إطار العلاقة القائمة بين غرفتي البرلمان، فلا زالت علاقة شكلية بعيدة عن النظام البيكاميرالي الحقيقي(70). فبمصادقته على النص يفترض أن مهمته قد انتهت، وما إفراد المجلس الأول دون الثاني بالمداولة الثانية إلا لفظ الخلافات التي قد تحدث بين السلطتين التشريعية - المجلس الشعبي الوطني بالخصوص - والسلطة التنفيذية - رئيس الجمهورية أساسا - وفق طريقة أو أخرى باعتبار أن هذا الأخير غير مجبر على إصدار النص فهو مفتاح قبة النظام .

المطلب الثالث: مستوى ممارسة طلب المداولة الثانية

إن مسألة ممارسة أو طريقة تنظيم حق الاعتراض بشكل عام، هي من صميم طبيعة النظام الدستوري المقرر، و بذلك فإن استعمال هذا الحق والتحرك به يجسد واقع العلاقة بين السلطتين (71) ، فبقطع النظر عن المحيط السياسي الذي سيقت فيه المادة 118 من دستور 1989 والتي تحمل المضمون نفسه للمادة 127 من الدستور الأخير إلا أنها تبدو كإحياء لنص المادة 155 من دستور 1976 ، حيث يمكن أن يؤدي الاعتراض في دستور 1989 دورا مماثلا للذي كان يؤديه في ظل الحزب الواحد، و يبدو أن الأمر كما حدث في عهد الأحادية الحزبية (الفرع الأول)، فقد استمر في ظل التعددية السياسية (الفرع الثاني).

الفرع الأول: استعمال متشائم في عهد الوحدوية الحزبية

إذا كان حق الاعتراض أو القراءة الثانية، كما هو مسمى في الدساتير الجزائرية هو تقنية من تقنيات الفصل بين السلطات، حيث يفترض عدم وجود انسجام أو عدم اتفاق بين المؤسستين التنفيذية والتشريعية، فإنه يتناقض تماما مع مبدأ وحدة السلطة، وافتراض الصراع والتنافس بينهما (72) ، ومن ذلك فلا يطرح الإشكال في عهد الحزب الواحد باعتبار عدم إمكان حصول تناقض بين السلطة التنفيذية والتشريعية (73) ، إذ يفسر الموقف في ظل محدودية السلطة والحزب بطبيعة النظام الشمولي.

فأمر استخدام الاعتراض أمر غير وارد أو مستبعد في دستور 1963 لأن ذلك يتوافق مبدئيا مع نظام وحدة السلطة، حيث تكون المؤسسات الدستورية مرتبة وفقا لتدرج هرمي، وتخضع جميعها لقمة هرم السلطة المجسدة في شخص رئيس الجمهورية، أي أن العلاقة بين هذه المؤسسات تكون مبنية على مبدأ التبعية والخضوع، فهذه الدساتير قد سنت بما يعزز قوة رئاسة الدولة وهيمنتها على مؤسسات الدولة، وهنا طبعا في ظل تبعية الحزب أو التنظيم السياسي لمؤسسة رئاسة الجمهورية، وتبعية السلطتين التشريعية والقضائية للحزب أو التنظيم الحاكم عبر أعضائها وموظفيها الأعضاء في الحزب الحاكم والوحيد في فترات كبيرة (74) ، فلرئيس الدولة من الوسائل التي تمكنه من الحفاظ على امتيازاته دون الحاجة إلى طلب مداولة ثانية .

و يبدو أن الأمر يستمر كذلك في ظل دستور 1976 ، أين يتعارض الاعتراض مع وحدة السلطة التي ازدادت حدة في هذا النظام، حيث إن طبيعته ترفض أية أزمة بين الحكومة والمجلس الشعبي الوطني، إذ كان لتأثير وحدة السلطة أن جعل من السلطة السياسية رهينة الحزب الواحد الذي اعتمد على مبدأ المركزية في اتخاذ القرارات السياسية (75) ، ورفضه لمبدأ الفصل بين السلطات الذي اعتبرته الأنظمة الحرة الرأسمالية خاصية متميزة للأنظمة الديمقراطية عن الأنظمة الكلية والديكتاتورية (76) ، وكذا رفضه لمبدأ المشاركة في الحياة الإدارية والاقتصادية العامة ليتواجد على مستوى سلطات القرار الهامة في الدولة (77) ، فلا مجال لدراسة العلاقة بين السلطات من قبل هذا الدستور لعدم وجود هذا الفصل بين السلطات، لأنه في الواقع أن رئيس الجمهورية هو السلطة الفعلية في البلاد وما تبقى تعتبر أدوات لعمل هذه السلطة (78).

إن اعتماد نظام الحزب الواحد في الدستور وتقرير أن جبهة التحرير الوطني هي التي تحدد سياسة الأمة، وتوحي بعمل الدولة وتراقب عمل المجلس الوطني والحكومة، وكونها هي التي تتشخص فيها المطامح العميقة للجماهير ورائدها في تحقيق مطامحها، وأن الترشح للمجلس التشريعي يتم من قبل قيادة جبهة التحرير الوطني، وأنه قد أصبحت الحكومة تسيطر على جبهة التحرير، لاسيما بعد تولي رئيس الجمهورية مهام الأمين العام للحزب. كل ذلك يعني بأن المجلس ما هو في الحقيقة سوى أداة في يد الأمين العام رئيس الجمهورية، وتأكيدا لذلك أن كل ما تقدم للمجلس من الحكومة يعتبر تنفيذا لسياسة الحزب الذي يترأسه رئيس الجمهورية و يمثله النواب في المجلس، و بالنتيجة يتبين أن النظام السياسي يكاد ينحصر في شخص واحد، هو

رئيس الدولة ورئيس الحكومة والأمين العام للحزب إلى غير ذلك من السلطات والمسؤوليات الأخرى، مع عدم مسؤوليته لا سياسيا ولا جزائيا، لا في الحزب ولا في الدولة مع مسؤولية كافة المؤسسات والأجهزة التي يشرف عليها سواء في الحزب أو في الدولة أمامه، مما جعل النواب بسبب الانتماء والالتزام السياسيين يحجمون عن المبادرة في موضوع ما إذا كانت المؤسسة التنفيذية لا ترغب في ذلك، مما ترك المجال واسعا أمام الحكومة في مجال المبادرة، فبدا البرلمان بدور ضعيف وعديم الإمكانيات والوسائل القانونية التي تمكنه من القيام بدور فعال خاصة أمام رئيس الجمهورية الذي يمكنه في أي وقت أن يقرر ودون ذكر أي مبرر في اجتماع يضم الهيئة القيادية للحزب والحكومة حل المجلس الشعبي الوطني أو إجراء انتخابات مسبقة له (79) ، مما جعل المجلس مضطرا دائما للتعاون مع السلطة التنفيذية من موقف ضعيف (80). إن هذه المبادئ التي تشكل أساس التنظيم في الجزائر في ظل الحزب الواحد، بقيت ثابتة من برنامج طرابلس إلى غاية 1989.

الفرع الثاني : بقي ذلك في عهد التعددية السياسية بسبب طبيعة النظام الرئاسي المشدد

اختلف نظام الحكم الذي أقره دستور1989، اختلافا بينا عن نظامي الحكم المعتمدين في دستوري 1963 و1976، إذ حصل بموجبه مبدأ الفصل بين السلطات، ومنه تم تنظيم السلطات على أساس الفصل بينها، وهو ما يظهر من خلال العديد من المصطلحات، فقد استعمل الدستور تعبير تنظيم السلطات موزعا إياها بين السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية، خلافا لدستور 1976 الذي استعمل تعبير تنظيم السلطة ووزعها بين وظائف ستة، هي السياسية والتنفيذية والتشريعية والقضائية ووظيفة المراقبة والوظيفة التأسيسية، وكفالة لذلك أنشئت مؤسسة دستورية أنيطت بها مهمة الرقابة على دستورية القوانين (81) ، ولتثبيت هاته الدعائم يكون دستور 1989 قد أخذ بمبدأ التعددية الحزبية، إذ أن المجلس قد تمثلت فيه أحزاب عديدة وأخذ بمبدأ مسؤولية الحكومة أمام المجلس الشعبي الوطني.

و يتدعم هذا التوجه أكثر من خلال دستور 1996 ، الذي أكد على أن تدعيم هذه المبادئ لا رجعة فيها متميزا عن سابقيه بأخذه بالازدواجية البرلمانية، ليكون التنصيص على مبدأ الاعتراض وفق ما سبق من الضروريات، باعتبار ورود احتمال اللجوء إلى هذا الطلب أصبح متزايدا لاحتمال ورود التناقض بين السلطات، بإصرار البرلمان على صدور القانون كما وضعه في أول مرة، وهو ما يفترض أن تكون الأغلبية البرلمانية معارضة للرئيس(82).

إن المعطيات الجديدة التي أتى بها دستور 1989 وما تبعه، تحتم منطقيا أن يتغير الوضع السابق جذريا، إلا أن الوضع استمر كذلك من حيث الممارسة، فالظاهر ليس للاعتراض التقليدي مكانة عملية من حيث التطبيق بل مكانة ثانوية جدا، وإن كان من أبرز المبادئ المكرسة عبر كامل مراحل التطور الدستوري الجزائري، فمنطق النظام

السياسي ككل يفترض ذلك، بل و يفرض على رئيس الجمهورية عدم اللجوء باستمرار إلى استعمال هذا الحق القانوني، لكون ذلك غير مقبول سياسيا وإن كان مسموحا به دستوريا، حيث ينشأ اضطراب بين الحين والآخر إن مارس الرئيس هذا الاختصاص على الدوام، فالحقيقة أن استعمالا غير مألوف للاعتراض من شأنه إضعاف مركز رئيس الجمهورية سياسيا، لاسيما وأن موقفه مرتبط بنتيجة المداولة الثانية، حيث أن إعادة إقرار النص من جديد من شأنه أن يؤثر على مركزه، وإطلاق يده في استعماله على أساس أنه سلطة تقديرية وحصرية، لم يكن أن يؤدي به إلا إلى ممارسة غير ديمقراطية .

وحسبنا دليلا على ذلك تطبيقاته، حيث لم يلجأ الرؤساء الجزائريون منذ الاستقلال إلى طلب مداولة ثانية إلا مرتين فقط في عمر الجمهورية الجزائرية، وكان ذلك في عهد الرئيس **" الشاذلي بن جديد "**(83).

الأولى: تتعلق بمخالفة الدستور، وذلك بخصوص المادتين 3 و7 من القانون المتضمن تحديد المدة القانونية للعمل التي خفضها تعديل برلماني من (44) ساعة إلى (40) ساعة (84). و**الثانية**: بخصوص قانون الإعلام (85).

فالبادي إن كان النظام الحالي يحتمل مسألة التناقض بين السلطتين التشريعية والتنفيذية لتعدد التيارات السياسية، إلا أن أمر ذلك مستبعد إن لم نقل يستحيل أن يحصل داخل البرلمان، حيث أن الدستور يكون قد ذهب إلى وضع هذه الهيئات تتلاحم عند اتخاذ القرار(86) ، فيترتب على هذا التلاحم توجيه تنفيذي للبرلمان على كل الأصعدة، فبعد أن يمنح المجلس الشعبي الوطني التواجد للحكومة، يصبح بإمكان هذه الأخيرة أن تجر البرلمان معا نحو ما ترغب فيه بمقتضى ما لها من إمكانية المبادرة والتدخل، ومن ذلك يحاول البرلمان إبداء رأيه و بلورته بشكل لا يؤثر على مبتغى الحكومة، وهو ما قد عبر عن ندرة استعمال هذا الحق .

إن ظاهرة التوجيه البرلماني من قبل السلطة التنفيذية تبدو حقيقة وواقعا، بمعنى ليس أمرا افتراضيا وكل ذلك من أجل المحافظة على السلطة (87) ، فالنظام الدستوري الجزائري قيد مجال اختصاص البرلمان وأخضع طرق عمله لإرادة الحكومة، ومنح رئيس الجمهورية صلاحيات تنفيذية وتشريعية واسعة جدا، وهذا ما جعل الأستاذ الأمين شريط يلخص مسألة تركيز السلطة في الجزائر في معادلة بسيطة، وهي أن رئيس الجمهورية هو مفتاح قبة النظام، وحتى وإن كانت قراءة التطور الدستوري اللاحق تسمح ظاهريا بالقول بوجود فصل للسلطات فإن الممارسة السياسية وخاصة في ظل دستور 1996 قد أدت إلى جعل المبدأ مجرد صورة باهتة للفراغ وما للفراغ من صورة، حيث أصبح رئيس الجمهورية القابض الوحيد على السلطة، التي تشخّصت فيه، فأصبحت مختلف الأجهزة الأخرى الممارسة للسلطة معه تستمد وجودها الفعلي منه.

فرئيس الجمهورية في هذا النظام ليس إلا ملكا على رأس جمهورية (88) ، هكذا

يصور ميشال كامو وحدة السلطة في النظام الدستوري الجزائري، فهي وحدة من طبيعة خاصة تختلف عن وحدة السلطة التي كانت سابقة في عهد الحزب الواحد، إنها من نفس طبيعة ووحدة السلطة التي نجدها في أنظمة الفصل بين السلطات سواء ذات الحزب الواحد الفعلي أو المتعددة الأحزاب، فلا غرابة إذن أن يتعايش مبدأ وحدة السلطة في الجزائر، مع ميكانيزمات مبدأ الفصل بين السلطات، التي تهدف بالضبط إلى تحقيق هذا النوع من وحدة السلطة. وإذا كان مبدأ الفصل بين السلطات يوجد مستترا في ظل مبدأ وحدة السلطة، فقد أصبح هذا الأخير يوجد مستترا في ظل مبدأ الفصل بين السلطات ما يدل على التواصل في طريقة سير النظام الدستوري (89) ، الذي يتميز بخاصتي هيمنة رئيس الدولة على كامل السلطة من جهة، وتهميش البرلمان من جهة أخر.

خاتمة

لقد ذكرنا أن المؤسس الدستوري أبقى على ذات الوسيلة التقليدية المقررة لرئيس الجمهورية في مجال الاعتراض على القوانين، والقصد بذلك الاعتراض بموجب طلب مداولة ثانية، إلا أن سلطة الهيئة التنفيذية في هذا المقام- بواسطة رئيس الجمهورية – تمتد إلى الاعتراض عبر وسائل أخرى، هذه الأخيرة يمكن أن تنال من النصوص التشريعية التي هي بصدد المصادقة عليها من طرف البرلمان أو حتى تلك التي صادق عليها، فللسلطة التنفيذية الاعتراض بوسائل أخرى غير تقنية طلب المداولة الثانية، كوسائل للتعبير عن عدم رضاها عما هو آت من البرلمان.

وتستعمل في ذلك كافة التقنيات التي خولها إياها الدستور ابتداء مما أدرج بموجب التطور الدستوري الحاصل لسنة 1996، والمتعلقة أساسا بتقنية الازدواجية البرلمانية، وصولا إلى ما تكرس من قبل المؤسس الدستوري بخصوص القاعدة المستحدثة والمتمثلة في إخطار المجلس الدستوري، ومرورا بحق الإصدار الذي أوكل لرئيس الجمهورية وحده، دون غيره، ودون تقرير جزاء لامتناعه عن إصدار القوانين، فكلها وسائل رد أمرها إلى السلطة التنفيذية و بالذات إلى رئيس الجمهورية. إن هذا الاعتراض بشتى طرقه على ما يبدو وعلى غرار استخدام التقنية التقليدية المتمثلة في طلب مداولة ثانية، يمكن أن يؤثر في العمل التشريعي سواء بالإلغاء أو التعديل، حسبما يتبدى للسلطة التنفيذية من نوايا تجاه عمل السلطة التشريعية وبالخصوص المجلس الشعبي الوطني، ومن هذا المنطلق تتوارى تقنية الاعتراض التقليدي وتختفي من مجال الممارسة الدستورية والسياسية.

الهوامش

1- عبد الله بوقفة . العلاقة بين السلطتين التنفيذية و التشريعية من خلال تطور النظام الدستوري الجزائري . الجزء الثاني . العلاقة الوظيفية . (رسالة دكتوراه دولة في القانون

العام) . الجزائر . 2001 . ص 348 .

2- المادة 127 من التعديل الدستوري لسنة 1996 ، المادتين 118 و 155 من دستوري 1989 و 1976 على التوالي .

3- عبد الله بوقفة . أساليب ممارسة السلطة في النظام السياسي الجزائري . الجزائر : دار هومة . 2002 . ص 278.

4- تنص المادة 10 من دستور (1958) الفرنسي على ما يلي :

Le président de la république promulgue les lois dans les quinze jours qui suivent la transmission au gouvernement de la loi définitivement adoptée .

Il peut avant l'expiration de ce délai demander au parlement une nouvelle délibération de la loi ou de certains de ses articles cette nouvelle délibération ne peut être refusée.

5- Joy . Fouad . Tabet . La faculté d'empêcher du chef de l'Etat en droit comparé : Droit du chef de l'Etat de s'opposer aux lois. Première édition octobre 2001. p 209.

6- البند الثاني والثالث / الفقرة السابعة من المادة الأولى الدستور الأمريكي.

7- عبد الله بوقفة . أساليب ممارسة السلطة في النظام السياسي الجزائري . مرجع السابق . ص 279 (هامش) .

8- Vedel George . manuel élémentaire de droit constitutionnel . recueil sirey .1949 . p 488 .

9- J . F .Tabet . op . cit . pp 73 -74 .

10- Khalfa Mamri . réflexions sur la constitution algérienne du 22 novembre 1976 . Algérie : s .n .
e .d / o . p . u . p 114 .

11- عبد الله بوقفة . علاقة السلطة التشريعية بالسلطة التنفيذية في الدستور الجزائري عام 1963 . (أطروحة ماجستير) . معهد الحقوق و العلوم الإدارية جامعة الجزائر . 1997 . ص 141 . (غير منشورة) .

12- الأمين شريط . خصائص التطور الدستوري في الجزائر . (رسالة دكتوراه) . جامعة منتوري . قسنطينة . 1990 . ص 446 . (غير منشورة) .

13- عبد الله بوقفة . أساليب ممارسة السلطة في النظام السياسي الجزائري . مرجع سابق . ص 263 .

14- تنص المادة 70 من تعديل 1996 : " يجسد رئيس الجمهورية رئيس الدولة وحدة الأمة و هو حامي الدستور ..." .

15- قائد محمد طربوش . السلطة التنفيدية في الدول العربية ذات النظام الجمهوري . بيروت : المؤسسة الجامعية . 1966 . ص 284 و ما يليها .

16- سعيد بو الشعير. النظام السياسي الجزائري . الطبعة الثانية . الجزائر : دار الهدى عين مليلة . 1993 . ص 255 .

17- عفيفي كامل عفيفي . مرجع سابق . ص 189 .

18- للتذكير هي نفس المواد 118 و 155 من دستوري 1989 و 1976 على التوالي .

19- J . F . Tabet . op . cit . pp 276 - 277 .

20- الأمين شريط . مرجع سابق . ص 446 .

21- عبد الله بوقفة . العلاقة بين السلطتين التشريعية و التنفيذية من خلال تطور النظام القانوني الجزائري . مرجع سابق . ص 358 .

22- عبد الله بوقفة . أساليب ممارسة السلطة في النظام السياسي الجزائري . مرجع سابق . ص 279 .

23- أحمد سلامة بدر . الاختصاص التشريعي لرئيس الدولة في النظام البرلماني . (دراسة مقارنة) . "مصر – فرنسا - أنجلترا" . القاهرة : دار النهضة العربية . 2003 . ص 187 .

24- عبد الله بوقفة . علاقة السلطة التشريعية بالسلطة التنفيذية في الدستور الجزائري عام 1963 . مرجع سابق . ص 139 .

25- Vedel George , Devolvé .P . droit constitutionnel . Sirey Thémis . 1992 . p 487 .

26- أحمد سلامة بدر . مرجع سابق . ص ص 184 - 185 .

27- يحيى السيد الصباحي . النظام الرئاسي الأمريكي والخلافة الإسلامية . دار الفكر العربي . (بدون تاريخ نشر) . ص 279 .

28- J . F . Tabet . op . cit . p 287 .

29- عمر حلمي فهمي . الوظيفة التشريعية لرئيس الدولة في النظامين الرئاسي والبرلماني . (دراسة مقارنة) . الطبعة الأولى . القاهرة : دار الفكر العربي . 1980 . ص 176 .

30- J . F . Tabet . op .cit . pp 260 - 277 .

31- شريط الأمين . مرجع سابق . ص 514 (هامش) .

32- مرجع أخير . ص 513 .

33- عمر حلمي فهمي . مرجع سابق . ص 184 (هامش) .

34- J . F . Tabet . op . cit . p 262 .
35- Portelli Hugues . droit constitutionnel . 4ème édition . Paris : Dalloz . 2001 . p 211 .
36- J . F . Tabet . op . cit . p 268 .
37- السيد صبري . مبادئ القانون الدستوري . الطبعة الرابعة . المطبعة العالمية . 1949. ص 346 وما بعدها .
38- عبد الله بوقفة . العلاقة بين السلطتين التنفيذية و التشريعية من خلال تطور النظام القانوني الجزائري . مرجع سابق . ص 359 .
39- مرجع أخير . ص 353 .
40- أحمد سلامة بدر . مرجع سابق . ص 187 .
41- يحيى السيد الصباحي . مرجع سابق . ص 282 .
42- J . F . Tabet . op . cit . p 439 et ss .
43- عبد القادر بن صالح . بصفته رئيس مجلس الأمة . ((مجلس الأمة ... عهدة ... و تجربة)) . مجلة الفكر البرلماني . نشريات مجلس الأمة . عدد خاص . ديسمبر 2003 . ص ص 12- 13 .
44- مرجع أخير . ص 21 .
45- بو جمعة هيشور . ((مجلس الأمة في عهدته الأولى 1998 – 2004)) . مجلة الفكر البرلماني . نشريات مجلس الأمة. عدد خاص . ديسمبر 2003 . ص 53 .
46- المادة 1/120 من دستور 1996 .
47- بوزيد لزهاري . ((الدور التشريعي لمجلس الأمة على ضوء المادة 120 من الدستور)). مجلة الفكر البرلماني . نشريات مجلس الأمة. العدد 7. 2004 . ص 46.
48- إبراهيم عبد العزيز شيحا . النظم السياسية و القانون الدستوري . 2000 . ص 357 .
49- محفوظ لعشب . التجربة الدستورية في الجزائر . الجزائر : المطبعة الحديثة للفنون المطبعية . 2001 . ص 176 .
50- تنص المادة 127 في فقرتها الثانية على ما يلي : " و في هذه الحالة لا يتم إقرار القانون إلا بأغلبية ثلثي (2/3) أعضاء المجلس الشعبي الوطني " .
51- محفوظ لعشب . مرجع سابق . ص 182 .
52- طالب الطاهر . ((اللجان البرلمانية المتساوية الأعضاء في تسوية الخلاف بين الغرفتين البرلمانيتين)) . الملتقى الوطني حول نظام الغرفتين في التجربة البرلمانية الجزائرية و

الأنظمة المقارنة . نشريات وزارة العلاقات مع البرلمان . الجزء الثاني . أكتوبر 2002 . ص 71 .

53- العربي شحط عبد القادر و عدة جلول محمد . ((دعائم و خصوصيات نظام الغرفتين في الأنظمة السياسية المقارنة)) . الملتقى الوطني حول نظام الغرفتين في التجربة البرلمانية الجزائرية و الأنظمة المقارنة . نشريات وزارة العلاقات مع البرلمان . الجزء الثاني . أكتوبر 2002 . ص 21 .

54- مرجع أخير . ص 25 .

55- مزود حسن . ((الموازنة بين الهيئة النيابية ذات المجلسين و الهيئة النيابية ذات المجلس الفردي)) . الملتقى الوطني حول نظام الغرفتين في التجربة البرلمانية الجزائرية و الأنظمة المقارنة . نشريات وزارة العلاقات مع البرلمان . الجزء الثاني . أكتوبر 2002 . ص 37 .

56- حرم مجلس الأمة من حق التعديل لقرار المجلس الدستوري رقم (04 / ر. ن. د/م . د / 98) بتاريخ 10 فيفري 1998، و بشكل عام في شأن ما تمت المغايرة فيه بين المجلسين، راجع : آية العربي مقران . : نظرة على مجلس الأمة في نهاية العهدة الأولى . مجلة الفكر البرلماني . عدد خاص . نشريات مجلس الأمة . ديسمبر 2003 . ص ص 68- 69 .

57- راجع المادة 3/120 من دستور 1996 .

58- العربي شحط عبد القادر و عدة جلول محمد . : دعائم وخصوصيات الغرفتين في الأنظمة السياسية المقارنة . الملتقى الوطني حول نظام الغرفتين في التجربة البرلمانية الجزائرية والأنظمة المقارنة . نشريات وزارة العلاقات مع البرلمان . الجزء الثاني . 2002. ص 22 .

59- القانون العضوي رقم 99-02 مؤرخ في 1999/03/08 ، يحدد تنظيم المجلس الشعبي الوطني و مجلس الأمة و العلاقة الوظيفية بينهما و بين الحكومة (جريدة رسمية رقم 15) .

60- عبد الله بوقفة . أساليب ممارسة السلطة في النظام السياسي الجزائري . مرجع سابق . ص 186 .

61- موسى بودهان . الفصل بين السلطات في النظام القانوني الجزائري . مجلة النائب . العدد الثاني . 2003 . ص 35 .

62- إن أراد الرئيس تجنب طلب مداولة ثانية، قد يلجأ إلى استفتاء الشعب طالما أنه اختياري بصدد القوانين الغير دستورية، وإن قيد دستوريا بمسألة ذات أهمية وطنية – دون تحديد مفهومها (المادة 8/77) ، و بالتالي له أن يختار بنفسه هذه المسائل ذات الأهمية الوطنية، فالبادي ليس هناك ما يمنع الرئيس من أن يستفتي الشعب في قانون أقره البرلمان، إن هته الحالة تسمح بتحقق استعمال صورة الفيتو الناقل أو الاستفتائي . أنظر : J . F . Tabet . op

. cit . pp 80 – 84

63- نظام الغرفتين في العالم واقع و آفاق . الملتقى الوطني حول نظام الغرفتين في التجربة البرلمانية الجزائرية و الأنظمة المقارنة . نشريات وزارة العلاقات مع البرلمان . الجزء الثاني . أكتوبر 2002 . ص 108 .

64- الأمين شريط . مرجع سابق . ص 447 .

65- بوجمعة صويلح . ((مجلس الأمة عهدة وجيزة ... خطوات واعدة)) . مجلة الفكر البرلماني . نشريات مجلس الأمة . عدد خاص . 2003 . ص 82 .

66- عبد المجيد جبار . ((دور مجلس الأمة في الحياة السياسية الوطنية و الدولية)). الغرف العليا و ترقية الديمقراطية. نشريات مجلس الأمة. 2004. ص ص 26-27 .

67- عبد المجيد جبار . دراسات و وثائق : المنطلقات الفكرية و السياسية لمجلس الأمة . الندوة الثانية . نشريات مجلس الأمة . الجزائر. 1999 . ص 47 .

68- مجلس الأمة بعد سنتين من تنصيبه . نشريات مجلس الأمة . المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر و الإشهار . وحدة الرويبة .ص 30 .

69- محفوظ لعشب . مرجع سابق . ص 57 .

70- شحط عبد القادر وعدة جلول محمد . مرجع سابق . ص 27 .

71- محمد قائد طربوش . السلطة التنفيذية في الدول العربية ذات النظام الجمهوري . بيروت : المؤسسة الجامعية . 1966 . ص 233 .

-72الأمين شريط . خصائص التطور الدستوري في الجزائر . مرجع سابق . ص 446 .

73- محمد كامل ليلة . النظم السياسية : الدولة والحكومة . بيروت لبنان : دار النهضة العربية للطباعة والنشر. 1969 . ص ص 1041- 1042 .

74- محمد قائد طربوش . مرجع سابق . ص 233 .

75- محفوظ لعشب . مرجع سابق . ص 8 .

76- سعيد بو الشعير . النظام السياسي الجزائري . مرجع سابق . ص ص 87- 88 .

77- محفوظ لعشب . مرجع سابق . ص 8 .

78- مرجع أخير . ص 43 .

79- محفوظ لعشب . مرجع سابق . ص 77 .

80- سعيد بو الشعير . النظام السياسي الجزائري . مرجع سابق . ص 55 .

81- مرجع أخير . ص ص 173- 174 .

-82الأمين شريط . خصائص التطور الدستوري في الجزائر . مرجع سابق . ص 447 .

83- عبد الله بوقفة . أساليب ممارسة السلطة التشريعية في النظام السياسي الجزائري . مرجع سابق . ص 268- 269 . (هامش) .

84- أنظر في ذلك الجريدة الرسمية لمداولات المجلس الشعبي الوطني رقمي 95 من سنة 1982 . و كذلك رقم 97 من سنة 1982 .

85- لجأ الرئيس إلى حق الاعتراض بخصوص قانون الإعلام، حيث أعاده إلى المجلس الشعبي الوطني الذي أجرى بصدده تصويتا بدون مناقشة، فتم رفضه ب (181) صوتا، و(29) صوتا لصالحه، وامتناع (57) نائبا من بينهم (22) غائبا، وذلك في افتتاح الدورة الخريفية في 20 نوفمبر 1989 ، جريدة رسمية رقم 123- 128 .

86- محفوظ لعشب . مرجع سابق . ص 131 .

87- عبد الله بوقفة . أساليب ممارسة السلطة التشريعية في النظام السياسي الجزائري . مرجع سابق . ص 48 .

88- الأمين شريط . خصائص التطور الدستوري في الجزائر . مرجع سابق . ص 383 .

89- الأمين شريط . خصائص التطور الدستوري في الجزائر . مرجع سابق . ص ص 383- 384 .

مراجع البحث:

النصوص القانونية

[1]- التعديل الدستوري لسنة 1996 .

2-دستور 1989 .

3-دستور 1976 .

[4]- الدستور الفرنسي للجمهورية الخامسة 1958 .

[5]- الدستور الأمريكي.

[6]-القانون العضوي رقم 99-02 مؤرخ في 1999/03/08 ، يحدد تنظيم المجلس الشعبي الوطني و مجلس الأمة و العلاقة الوظيفية بينهما و بين الحكومة (جريدة رسمية رقم 15) .

[7]- الجريدة الرسمية لمداولات المجلس الشعبي الوطني رقم 95 لسنة 1982 .

8- الجريدة الرسمية لمداولات المجلس الشعبي الوطني رقم 97 لسنة 1982 .

[9]- جريدة رسمية رقم 123- 128 .

قرارات

-قرار المجلس الدستوري رقم (04 / ر. ن. د/م . د / 98) بتاريخ 10 فيفري 1998

الرسائل

1-الأمين شريط . خصائص التطور الدستوري في الجزائر . (رسالة دكتوراه) . جامعة منتوري . قسنطينة . 1990 . (غير منشورة) .

2-عبد الله بوقفة . العلاقة بين السلطتين التنفيذية و التشريعية من خلال تطور النظام الدستوري الجزائري . الجزء الثاني . العلاقة الوظيفية . (رسالة دكتوراه دولة في القانون العام) . الجزائر . 2001 .

3-عبد الله بوقفة . علاقة السلطة التشريعية بالسلطة التنفيدية في الدستور الجزائري عام 1963 . (أطروحة ماجستير) . معهد الحقوق و العلوم الإدارية جامعة الجزائر . 1997. (غير منشورة) .

مؤلفات

1- سعيد بو الشعير. النظام السياسي الجزائري . الطبعة الثانية . الجزائر : دار الهدى عين مليلة . 1993 .

2-عبد الله بوقفة . أساليب ممارسة السلطة في النظام السياسي الجزائري . الجزائر : دار هومة . 2002 .

3-قائد محمد طربوش . السلطة التنفيدية في الدول العربية ذات النظام الجمهوري . بيروت : المؤسسة الجامعية . 1966 .

4-أحمد سلامة بدر . الاختصاص التشريعي لرئيس الدولة في النظام البرلماني . (دراسة مقارنة) . "مصر – فرنسا - أنجلترا" . القاهرة : دار النهضة العربية . 2003 .

5-يحيى السيد الصباحي . النظام الرئاسي الأمريكي والخلافة الإسلامية . دار الفكر العربي . (بدون تاريخ نشر) .

6-عمر حلمي فهمي . الوظيفة التشريعية لرئيس الدولة في النظامين الرئاسي

والبرلماني . (دراسة مقارنة) . الطبعة الأولى . القاهرة : دار الفكر العربي . 1980 .

السيد صبري . مبادئ القانون الدستوري . الطبعة الرابعة . المطبعة العالمية . 1949.

إبراهيم عبد العزيز شيحا . النظم السياسية و القانون الدستوري . 2000 .

محفوظ لعشب . التجربة الدستورية في الجزائر . الجزائر : المطبعة الحديثة للفنون المطبعية . 2001 .

محمد قائد طربوش . السلطة التنفيذية في الدول العربية ذات النظام الجمهوري . بيروت : المؤسسة الجامعية . 1966 .

محمد كامل ليلة . النظم السياسية : الدولة والحكومة . بيروت لبنان : دار النهضة العربية للطباعة والنشر. 1969 .

الملتقى الوطني حول نظام الغرفتين في التجربة البرلمانية الجزائرية و الأنظمة المقارنة . نشريات وزارة العلاقات مع البرلمان . الجزء الثاني . أكتوبر 2002 .

الغرف العليا و ترقية الديمقراطية. نشريات مجلس الأمة. 2004.

دراسات و وثائق : المنطلقات الفكرية و السياسية لمجلس الأمة . الندوة الثانية . نشريات مجلس الأمة . الجزائر. 1999 .

مجلس الأمة بعد سنتين من تنصيبه . نشريات مجلس الأمة . المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر و الإشهار . وحدة الرويبة .

دوريات

مجلة النائب العدد الثاني. 2003.

مجلة الفكر البرلماني . نشريات مجلس الأمة. عدد خاص ديسمبر 2003

مجلة الفكر البرلماني . نشريات مجلس الأمة. العدد 7. 2004 .

الرسائل

الأمين شريط . خصائص التطور الدستوري في الجزائر . (رسالة دكتوراه) . جامعة منتوري . قسنطينة . 1990 . (غير منشورة).

عبد الله بوقفة . العلاقة بين السلطتين التنفيذية و التشريعية من خلال تطور النظام الدستوري الجزائري . الجزء الثاني . العلاقة الوظيفية . (رسالة دكتوراه دولة في القانون العام) . الجزائر . 2001 .

عبد الله بوقفة . علاقة السلطة التشريعية بالسلطة التنفيدية في الدستور الجزائري عام

1963 . (أطروحة ماجستير) . معهد الحقوق و العلوم الإدارية جامعة الجزائر . 1997. (غير منشورة) .

الراجع باللغة الفرنسية

1- Joy . Fouad. Tabet . La Faculté d'empêcher du chef de l'Etat en droit comparé : Droit du chef de l'Etat de s'opposer aux lois. Première édition octobre 2001.

2-Vedel George. manuel élémentaire de Droit Constitutionnel . recueil sirey .1949 .

3-Vedel George, Devolvé .P . Droit Constitutionnel. Sirey Thémis. 1992.

4-Portelli Hugues. Droit Constitutionnel. 4ème édition. Paris : Dalloz. 2001.

5-Khalfa Mamri . Réflexions sur la Constitution algérienne du 22 novembre 1976. Algérie : s .n . e .d / o . p . u .

الإنسانية — **عدد 38 - ديسمبر 2012**، ص.ص.299- 327

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر2012.

دراسة تقويمية مرحلية لتطبيق إصلاح التعليم العالي في الجزائر

د. أحمد بوسكرة
جامعة المسيلة
الجزائر

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى إجراء دراسة تقويمية مرحلية لتطبيق إصلاح التعليم العالي بميدان التكوين المعتمدة بجامعة المسيلة وركزت في الأبعاد التالية :

- بناء التكوين المعتمدة .

الوسائل البيداغوجية والوسائط التكنولوجية التي تواكب نظام الإصلاحات.

- عملية الإشراف التربوي على مستوى مختلف ميادين التكوين.
- تقويم مختلف أشكال التدريس.
- أهم الصعوبات التي تواجه عملية الاتصال بين الجامعة ومحيطها الاقتصادي والاجتماعي

أهم المعايير التي تستجيب لضمان الجودة والحكامة في التعليم العالي بالجزائر .

وذلك بهدف الوصول إلى :

- معرفة النقائص المسجلة في عملية الإصلاح .واقتراح حلول من اجل تجاوزها .
- تسجيل النتائج والمكتسبات المنجزة والعمل على تثمينها وتعزيزها.

Abstract

This study aimed to operate a temporary valued study for reforming higher education in adopted fields formation in the Msila's university. It focused on the following dimensions:

- Building of the adopted domains of formation
- The pedagogical tools and technological means that go along with the reforming system
- The educational supervision on the different forms of teaching
- The main difficulties which face the communication between the university and its social and economical environment.

مقدمة وإشكالية

إن الجامعة الجزائرية أضحت محل اهتمام بالغ النظير من المجتمع بمختلف أشكاله وأطيافه إيمانا منه بالرسالة الإنسانية والثقافية والحضارية والريادية للجامعة، والدور الذي تلعبه في تكوين النخب والكوادر وإبراز الكفاءات، باعتبارها معقلا لرأس المال البشري الذي يمثل عنصرا هاما في التقدم وتحقيق التنمية الشاملة المستدامة للبلاد .

إن الإجراءات الجريئة التي شرعت فيها الدولة للإصلاح قطاع التعليم العالي منذ سنة 2004 يتطلب أكثر من أي وقت مضى منا

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2012 .

كباحثين أن نساهم في إرساء ثقافة الإصلاحات وننظر بنظرة ثاقبة من كل الزوايا.....لهذه الإصلاحات من خلال إجراء تقويم مرحلي بنائي للأشواط التي قطعها التعليم العالي في الجزائر لتجديد الرؤية وإعادة ضبط الأهداف والأولية وتعزيز المكتسبات المحققة ، ومن هذا المنطلق جاءت فكرة القيام بهذه الدراسة للإجابة عن التساؤلات التالية :

The major standards that respond to guarantee the quality and the wisdom of higher education in Algeria This is to realize the following:

Knowing the missing things of the process of reformation in order to overcome them

- The registration of results and the achievable benefits and working to develop and consolidate them.

1- هل إن عروض التكوين المعتمدة على مستوى الجامعات الجزائرية تستجيب لإصلاحات التعليم العالي ؟

2- هل إن الجامعات الجزائرية تتوفر على القدر الكافي من الوسائل البيداغوجية والوسائط التكنولوجية التي تواكب نظام الإصلاحات ؟

3- هل إن عملية الإشراف على مستوى مختلف ميادين التكوين تساهم بشكل فعال في إدماج الطالب في الحياة الجامعية ؟

4- هل إن طرق التقييم الحالية قادرة على تقويم مختلف أشكال التدريس ؟

5- ما هي أهم الصعوبات التي تواجه عملية الاتصال بين الجامعة ومحيطها الاقتصادي والاجتماعي ؟

6- ما هي أهم المعايير التي تستجيب لضمان الجودة والحكامة في التعليم العالي بالجزائر ؟

الهدف العام من الدراسة : نهدف من وراء إجراء هذه الدراسة التقويمية إلى تحقيق هدفين أساسيين :

1- معرفة النقائص المسجلة في عملية الإصلاح واقتراح حلول من أجل تجاوزها.

2- تسجيل النتائج والمكتسبات المنجزة والعمل على تثمينها وتعزيزها .

الإجراءات الميدانية للدراسة :

نظرا لطبيعة الدراسة التي تتطلب معرفة واقع الإصلاحات التي اعتمدتها وزارة التعليم العالي في مختلف أطوار التعليم والتكوين العالي والتكوين المتواصل . وذلك من خلال القيام بوصف دقيق علمي ومنهجي للمراحل التي قطعتها هذه الإصلاحات في مختلف الجامعات الجزائرية . فقد استخدم الباحث المنهج الوصفي الذي يحقق أهداف هذه الدراسة ويتلاءم مع طبيعة إجراءاتها.

مجتمع وعينة الدراسة :

يتمثل مجتمع الدراسة الأساتذة المسؤولين عن السير البيداغوجي بميادين التكوين المعتمدة بجامعة المسيلة ممثلين في (مسؤولي فرق ميدان التكوين، مسؤولي فريق شعب التكوين، مسؤولي فرق تخصص التكوين، رؤساء الأقسام، نواب العمداء، نواب مدير الجامعة) حيث إن هؤلاء الأفراد هم الأكثر تواصلا مع الطلبة وتأقلما مع نظام الجديد **ل م. د** والذين بلغ عددهم 133 أستاذا.

اعتمدنا على الدراسة المسحية وبذلك بتوزيع الاستمارة على أفراد المجتمع الأصلي وقد تم استرجاع 73 استمارة .

أداة الدارسة :

اعتمد الباحث على استمارة والتي قام بصياغتها في شكلها النهائي من خلال الاطلاع على مختلف الإجراءات التي اعتمدتها الوزارة منذ بداية الإصلاحات وتوجيهات الوزارة في مختلف الندوات، وعلى نتائج وتقارير مختلف الجلسات الجهوية والوطنية للتقويم المرحلي لتطبيق إصلاح التعليم العالي وكذا القوانين التوجيهية للتعليم العالي والقرارات التي تنظم التكوين لنيل شهادات الليسانس والماستر والدكتوراه .

تتكون هذه الاستمارة في صورتها النهائية من 40 عبارة موزعة على 6 محاور رئيسية

1- بناء عروض التكوين
2- الوسائل البيداغوجية والوسائط التكنولوجية
3- عملية الإشراف التربوي
4- تقويم مختلف أشكال التدريس
5- عملية الاتصال بين الجامعة ومحيطها الاقتصادي والاجتماعي
6- ضمان الجودة والحكامة في التعليم العالي.

ويتدرج تحت كل محور مجموعة من العبارات يقوم المستجيب بإعطاء إجابة واحدة لكل عبارة من عبارات الاستبيان **" موافق – إلى حد ما – غير موافق "** وتقدر الدرجة باستخدام طريقة ليكرت في تصحيح الاستمارة وذلك بتوزيع الدرجات (3 – 2 – 1) على العبارات الايجابية والعكس على العبارات السالبة .

- تطبيق الدراسة :

بعد صياغة أداة جمع البيانات والتأكد من صدقها وثباتها قام الباحث بتوزيع الاستمارة على جميع أفراد المجتمع الأصلي قيد الدراسة وبعدها مباشرة قام الباحث بتصحيح استمارات الاستبيان ورصد الدرجات وتبويبها تمهيدا لمعالجتها إحصائيا. كما هو موضح في الجدول أدناه .

عرض وتحليل ومناقشة النتائج المتوصل إليها :

الجدول رقم (01) يوضح التقويم المرحلي لبناء عروض التكوين

النتائج / العبارات	موافق		إلى حد ما		غير موافق		χ^2	مستوى الدلالة %0.05
	الدرجة	النسبة	الدرجة	النسبة	الدرجة	النسبة		
عروض التكوين المفتوحة تتماشى والقدرات البشرية والهياكل البيداغوجية للقسم	12	16.4	40	54.8	21	28.8	16.795	.000
تصميم عروض التكوين يؤخذ بعين الاعتبار خصوصية المحيط الاجتماعي والاقتصادي للمنطقة	08	11.0	14	19.2	51	69.9	44.575	.000
عروض التكوين المعتمدة تضمن تناسق المسالك وتسهل عملية الحراك والمعابر	03	4.1	17	23.3	53	72.6	54.685	.000
إعداد عروض التكوين يتم وفقا لخطط منهجية وعلمية مدروسة	17	23.3	34	46.6.	22	30.1	6.274	.043
إعداد عروض التكوين يتميز بالدقة وفقا لبطاقات التأهيل المعدة من طرف للوزارة الوصية	17	23.3	29	39.7	27	37.0	3.397	.183
الوقت المخصص لدراسة عروض التكوين على مستوى الندوات الجهوية والوطنية كافي لتقييمها و تأهيلها	07	9.6	36	49.3	31	41.1	19.260	.000
الخبراء على مستوى مختلف الندوات على اطلاع بالقوانين التنظيمية لتأهيل عروض التكوين	24	32.9	43	58.9	06	8.2	28.137	.000
هناك انسجام بين مختلف اللجان الجهوية واللجنة الوطنية لتقييم وتأهيل عروض التكوين	27	37.0	21	28.8	25	34.2	0.767	.681
المجموع							54.685	.000

تشير نتائج الجدول السابق الخاص بمستوى دلالة الفروق الإحصائية في محور التقويم المرحلي لبناء عروض التكوين للأبعاد قيد الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائيا في المجموع الكلي للأبعاد حيث بلغت قيمة (χ^2) الكلية 54.68 وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01 . ويظهر لنا من خلال النتائج المتوصل إليها ما يلي :

- عروض التكوين المفتوحة تتطلب توفير المزيد من القدرات البشرية والهياكل البيداغوجية وإعادة تحيينها وفقا لبطاقات التأهيل المعدة من طرف للوزارة الوصية وفقا لخطط منهجية وعلمية مدروسة.

- عروض التكوين الحالية لا يؤخذ بعين الاعتبار خصوصية المحيط الاجتماعي والاقتصادي للمنطقة. ولا تضمن تناسق المسالك والحراك والمعابر.

- الوقت المخصص لدراسة عروض التكوين على مستوى الندوات الجهوية والوطنية غير كافي لتقييمها و تأهيلها مع ضرورة تحديث آليات الانسجام بين مختلف اللجان الجهوية واللجنة الوطنية لتقييم وتأهيل عروض التكوين .

الجدول رقم (02) توفر الجامعات الجزائرية على القدر الكافي من الوسائل البيداغوجية والوسائط التكنولوجية

التي تواكب نظام الاصلاحات

النتائج / العبارات	موافق		إلى حد ما		غير موافق		ك 2	مستوى الدلالة 0.05%
	الدرجة	النسبة	الدرجة	النسبة	الدرجة	النسبة		
التجهيزات البيداغوجية المتوفرة تسمح بإجراء الأعمال التطبيقية وفقا لعروض التكوين	15	20.5	37	50.7	21	28.8	10.630	.005
أعضاء هيئة التدريس يعطون أهمية قصوى لإثراء المكتبة بمراجع متخصصة	00	0	27	37.0	46	63.0	4.945	.026
تتوفر مكتبة الكلية على فضاءات مخصصة للمراجعة و انجاز الأعمال البيداغوجية	23	31.5	45	61.6	05	6.8	32.986	.000
مكتبة الكلية /الجامعة تسهل عملية الاشتراكات في المكتبات الرقمية	03	4.1	12	16.4	58	79.5	71.534	.000
يتوفر بالكلية مخابر لتعليم اللغات الأجنبية والإعلام الآلي	05	6.8	27	35.6	41	57.5	28.301	.000
يتوفر بالكلية فضاءات مخصصة للانترنت ذات التدفق العالي	00	0	06	8.2	67	91.8	50.973	.000
المحاضرات والدروس المخصصة للطلبة موجودة على الموقع الالكتروني للكلية وفي متناول الطلبة	01	1.4	01	1.4	71	97.3	134.247	.000
توقيت عمل المكتبات وفضاءات الانترنت تسمح بإنجاز الأعمال البيداغوجية من طرف الطلبة	00	0	29	39.7	44	60.3	3.082	.079
الوسائط التعليمية المتوفرة على مستوى الكلية تسمح بنشر المعارف على نطاق واسع	01	1.4	01	1.4	71	97.3	134.247	.000
هناك فضاءات ومنتديات مخصصة لعملية التواصل بين الطلبة والأساتذة	01	1.4	01	1.4	71	97.3	134.247	.000
المجموع							65.219	.000

تشير نتائج الجدول السابق الخاص بمستوى دلالة الفروق الإحصائية في محور الوسائل البيداغوجية والوسائط التكنولوجية التي تواكب نظام الإصلاحات للأبعاد هي قيد الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائيا في المجموع الكلي للأبعاد حيث بلغت قيمة (χ 2) الكلية 65.21 وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01 .

ويظهر لنا من خلال النتائج المتوصل إليها ما يلي :

- التجهيزات البيداغوجية المتوفرة لا تسمح في معظم الوقت بإجراء الأعمال التطبيقية وفقا لعروض التكوين ونقص في المخابر البيداغوجية ومخابر اللغات الأجنبية .

-نقص في الفضاءات المخصصة للانترنت ذات التدفق العالي

-الوسائط التعليمية المتوفرة على مستوى الكليات لا تسمح بنشر المعارف على نطاق واسع

-انعدام فضاءات ومنتديات مخصصة لعملية التواصل بين الطلبة والأساتذة

- أعضاء هيئة التدريس لا يعطون أهمية القصوى لإثراء المكتبة بمراجع متخصصة تسمح للطلبة بإنجاز الأعمال البيداغوجية الموكلة لهم .

الجدول رقم (03) مدى مساهمة عملية الإشراف في مختلف ميادين التكوين في إدماج الطلبة في الحياة الجامعية

النتائج / العبارات	موافق		الى حد ما		غير موافق		ك 2	مستوى الدلالة 0.05%
	الدرجة	النسبة	الدرجة	النسبة	الدرجة	النسبة		
يتوفر القسم على فضاءات مخصصة لعلمية الإشراف التربوي	45	61.6	17	23.3	11	15.1	27.068	.000
هناك إقبال من طرف الطلبة على عملية الإشراف التربوي	00	0	05	6.8	68	93.2	54.370	.000
الأبواب الإعلامية المفتوحة على الجامعة التي تنظمها الكلية كافية لإعطاء معلومات عن الميادين والشعب والتخصصات المعتمدة على مستوى الكلية	00	0	07	9.6	67	90.4	47.685	.000
ينظم القسم أبواب إعلامية وأيام دراسية على التكوين على مدار الموسم الجامعي	00	0	04	5.5	69	94.5	57.877	.000
طلبة الماستر لهم القدرات الكافية لتسهيل إدماج الطلبة الجدد في الحياة الجامعية	05	6.8	18	24.7	50	68.5	44.082	.000
عملية الإشراف التربوي تسمح بمتابعة الطلبة في مسارهم البيداغوجي والاجتماعي	22	30.1	51	69.9	00	0	11.521	.001
النصوص التنظيمية الحالية تظهر بوضوح مهام الأستاذ المشرف	06	8.2	51	69.9	16	21.9	45.890	.000
المجموع							57.877	.000

تشير نتائج الجدول السابق الخاص بمستوى دلالة الفروق الإحصائية في محور عملية الإشراف والمرافقة البيداغوجية التي تواكب نظام الإصلاحات للأبعاد هي قيد الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائيا في المجموع الكلي للأبعاد حيث بلغت قيمة (χ 2) الكلية 57.87 وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01 .

ويظهر لنا من خلال النتائج المتوصل إليها ما يلي :
- عزوف كلي للطلبة على عملية الإشراف والمرافقة البيداغوجية .
- عملية الإشراف التربوي المعتمدة حاليا لا تسمح بمتابعة الطلبة في مسارهم البيداغوجي والاجتماعي.
- الأبواب الإعلامية المفتوحة على الجامعة التي تنظمها الكلية للطلبة الجدد والأيام الدراسية على مدار الموسم الجامعي غير كافية لإعطاء معلومات عن الميادين والشعب والتخصصات المعتمدة على مستوى الميادين.

الجدول رقم (04) طرق التقييم المعتمدة في تقويم مختلف اشكال التدريس

النتائج / العبارات	موافق		إلى حد ما		غير موافق		ك 2	مستوى الدلالة %0.05
	الدرجة	النسبة	الدرجة	النسبة	الدرجة	النسبة		
أعضاء هيئة التدريس يتحكمون بالقدر الكافي في المفاهيم المرتبطة بنظام ل مد	16	21.9	19	26.0	38	52.1	11.699	.003
أعضاء هيئة التدريس يمتلكون الممارسات البيداغوجية التي تتماشى ومتطلبات بنظام ل م د	22	30.1	42	57.5	09	12.3	22.712	.000
طرق التقويم المعتمدة على مستوى القسم مكيفة مع مختلف أشكال التدريس	07	9.6	19	26.0	47	64.4	34.630	.000
القوانين التنظيمية لمختلف أطوار التعليم (الليسانس – ماستر – دكتواره) تسمح بتتبع مسار تكوين الطالب	09	12.3	53	74.0	10	13.7	54.274	.000
التوزيع الحالي للطلبة على الأفواج يساعد على إجراء المراقبة المستمرة	07	9.6	16	21.9	50	68.5	42.274a	.000
الامتحانات الكتابية تتماشى مع قدرات و مؤهلات الطلبة	35	54.8	18	28.8	10	16.4	16.795	.000
الامتحانات الكتابية تتميز بالصدق و الثبات و الموضوعية	21	28.8	41	56.2	11	15.1	19.178	.000
نظام التقويم في نهاية كل سداسي كافي لتقييم الطلبة	18	24.7	39	53.4	16	21.9	13.342	.001
يشارك الطلبة في عملية التقييم	00	0	12	16.4	61	83.6	32.890	.000
المجموع							61.493	.000

تشير نتائج الجدول السابق الخاص بمستوى دلالة الفروق الإحصائية في محور طرق التقييم المعتمدة في تقويم مختلف أشكال التدريس التي تواكب نظام الإصلاحات للأبعاد هي قيد الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائيا في المجموع الكلي للأبعاد حيث بلغت قيمة (χ 2) الكلية 61.49 وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01 .

ويظهر لنا من خلال النتائج المتوصل إليها ما يلي :

- أعضاء هيئة التدريس لا يتحكمون بالقدر الكافي في المفاهيم المرتبطة بنظام **ل م د** ولا يمتلكون الممارسات البيداغوجية التي تتماشى ومتطلبات هذا النظام .

- طرق التقويم المعتمدة غير مكيفة مع مختلف أشكال التدريس ونظام التقويم في نهاية كل سداسي غير كافي لتقييم الطلبة.

الجدول رقم (05) أهم **الصعوبات التي تواجه عملية الاتصال بين الجامعة ومحيطها الاقتصادي والاجتماعي**

النتائج / العبارات	موافق		إلى حد ما		غير موافق		ك 2	مستوى الدلالة %0.05
	الدرجة	النسبة	الدرجة	النسبة	الدرجة	النسبة		
هناك تشاور مستمر بين الكلية ومحيطها الاقتصادي والاجتماعي على مدار الموسم الجامعي	00	0	30	41.1	43	58.9	2.315	.128
هناك حوافز ضريبية تشجع القطاع الاقتصادي والاجتماعي على التواصل مع الجامعة	00	0	04	5.5	69	94.5	57.877	.000
هناك اقتراحات من القطاع الاقتصادي والاجتماعي لاعتماد تخصصات تتماشى وسوق العمل	00	0	07	9.6	67	90.4	47.685	.000
هناك عملية تبادل بين الجامعة ومحيطها في إجراء أيام إعلامية ودراسية لإدماج الإطارات المتخرجة في سوق العمل	01	1.4	01	1.4	71	97.3	134.247	.000
المحيط الاجتماعي يساهم بالقدر اللازم في تأطير التربصات الميدانية للطلبة	05	6.8	57	78.1	11	15.1	66.521	.000
الميكانيزمات المعتمدة حاليا تسمح بانجاز التربصات الميدانية للطلبة في مختلف المؤسسات الاقتصادية والتربوية والإدارية	00	0	61	83.6	12	16.4	32.890	.000
هناك اتفاقيات مبرمة بين الكلية ومحيطها الاقتصادي والاجتماعي	04	5.5	10	13.7	59	80.8	74.822	.000
المحيط الاقتصادي والاجتماعي يستفيد من البحوث والدراسات الجامعية	01	1.4	01	1.4	71	97.3	134.247	.000
المجموع							65.219	.000

تشير نتائج الجدول السابق الخاص بمستوى دلالة الفروق الإحصائية في محور عملية الاتصال بين الجامعة ومحيطها الاقتصادي والاجتماعي التي تواكب نظام الاصلاحات للابعاد هي قيد الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائيا في المجموع

الكلي للأبعاد حيث بلغت قيمة (χ 2) الكلية 65.21 وهي قيمة دالة احصائيا عند مستوى الدلالة 0.01 .

ويظهر لنا من خلال النتائج المتوصل اليها مايلي :
- نقص التشاور بين الكلية ومحيطها الاقتصادي والاجتماعي على مدار الموسم الجامعي .
- انعدام حوافز ضريبية تشجع القطاع الاقتصادي والاجتماعي على التواصل مع الجامعة لاعتماد تخصصات تتماشى وسوق العمل.
- نقص ملحوظ في الاتفاقيات المبرمة بين الكلية ومحيطها الاقتصادي والاجتماعي تسمح بانجاز التربصات الميدانية للطلبة في مختلف المؤسسات الاقتصادية والتربوية والإدارية.

خلاصة عامة :

إن النتائج الميدانية المتوصل إليها من خلال الاستبيان ومن خلال الاطلاع على القوانين والمراسيم التنفيذية والتوجيهات والجلسات الوطنية وتوصيات مختلف الندوات الجهوية والوطنية نستخلص ما يلي :

- **محور بناء عروض التكوين:**
- عدم الالتزام بالمعايير الوطنية في تأهيل عروض التكوين بداية من الجامعة مرورا بالندوات الجهوية والوطنية.
- انعدام أرضية مشتركة وطنية لميادين التكوين .
- عروض التكوين المعتمدة حاليا على المستوى الوطني لا تسهل عملية الحراك والمعابر للطلبة مما يؤثر على مقرؤية الشهادات .

محور الوسائل التعليمية والوسائط التكنولوجية

- الوسائل البيداغوجية المتوفرة حاليا لا تلبي متطلبات إجراء الأعمال التطبيقية خصوصا ما تعلق بالمقاييس العلوم البيولوجية
- الفضاءات المتوفرة حاليا تفتقر إلى الوسائط التعليمية والتكنولوجية التي تسمح بنشر وتبادل المعارف والتواصل بين الطلبة والأساتذة.
- أعضاء هيئة التدريس لا يعطون الأهمية اللازمة لإثراء المكتبة بمراجع متخصصة تتماشى ومحتوى الإصلاحات.

محور الاشراف والمرافقة البيداغوجية

- عزوف الطلبة عن عملية الإشراف.
- نقص العملية الإعلامية والتحسيسية حول غايات وأهداف عملية الإشراف

- **محور تقييم مختلف أشكال التدريس**
- طرق التقييم الحالية غير مكيفة مع أهداف وغايات عملية الإصلاح.
- صعوبة إجراء المراقبة المستمرة بسبب الاكتضاض في الأفواج.
- **محور عملية الاتصال مع المحيط الاجتماعي**
- هناك بوادر من الجامعة في فتح قنوات الاتصال مع مختلف الشركاء الاجتماعيين والاقتصاديين.

وفي المقابل هناك عدم تجاوب هؤلاء الشركاء مع مخرجات التكوين في التعليم العالي.

اقتراحات

- إعداد أرضية مشتركة وطنية لميادين التكوين .
- تحديث وتحيين البرامج التكوينية وجعلها أكثر مقروئية .
- ضبط الشعب والتخصصات مع مراعاة خصائص كل منطقة.
- وضع إطار قانوني وطني للوحدات التعليمية المطلوب اكتسابها مسبقا لتسهل عملية الحراك بين مختلف الأقسام والمعاهد.
- وضع آليات تشجع الطالب في الإقبال على عملية الإشراف.
- وضع دفاتر شروط للتجهيزات البيداغوجية يتماشى مع عروض التكوين المعتمدة .
- تنظيم جلسات وطنية لتقييم الإصلاحات بمشاركة واسعة لمختلف المسؤولين على فرق التكوين بإشراف اللجنة الوطنية .
- ضمان مطابقة برامج التعليم لمعايير الجودة والحكامة في التعليم العالي.
- إنشاء لجنة وطنية لمراقبة وتقييم ومتابعة عروض التكوين وتحيينها.

المراجع

1- احمد محمد الطبيب :التقويم و القياس النفسي التربوي، (ط1 ، الازرايطة ، الإسكندرية 1999.

2- زكريا محمد الظاهر و آخرون :مبادئ القياس والتقويم في التربية ، ط1 ، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2002 .

3- سامي ملحم : القياس والتقويم في التربية وعلم النفس ،دار المسيرة للنشر والتوزيع ، ط1،عمان ،الأردن ،2000.

4- صالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد:التربية وطرق التدريس، ج1، دار المعارف، مصر، 1968.

5- علي مهدي كاظم:القياس والتقويم في التعلم والتعليم، دار الكندي للنشر، ط1، الأردن 2001 .

6- قاسم علي الصراف:القياس والتقويم في التربية والتعليم، دار الكتاب الحديث، مدينة نصر، مصر، 2002.

7- محمد ارزقي بركان: دور التقويم في تحسين الأداء التربوي، المجلة الجزائرية للتربية العدد 05، الجزائر، 1996.

8- محمود داوود سلمان الربيعي :الإشراف والتقويم في التربية الرياضية ، دار المناهج ، ط1، الأردن ، 2001.

9- محمود عبد الحليم منسي، أحمد صالح: التقويم التربوي ومبادئ الإحصاء، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية.

10- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي: الدليل العملي لتطبيق نظام ل م د ، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر ، 2011 .

11- القانون رقم 99- 05 المؤرخ في 18 ذي الحجة عام 1419 الموافق 04 افريل 1999 المتضمن القانون التوجيهي للتعليم العالي المعدل والمتمم .

12- القرار رقم 711 مؤرّخ في 03 نوفمبر 2011 : المتضمن قواعد تنظيم الدراسات في الليسانس والماستر.

13- القرار رقم 712 مؤرّخ في 03 نوفمبر 2011 : المتضمن كيفيات التدرج والتوجيه في الليسانس والماستر.

14- القرار رقم 713 مؤرّخ في 03 نوفمبر 2011 : المتضمن لجنة الإشراف.

15 - القرار رقم 714 مؤرّخ في 03 نوفمبر 2011 : المتضمن كيفيات الترتيب.

مجلة العلوم الإنسانية —— عدد 38 - ديسمبر2012 ، ص.ص.341- 355

خصائص تصميم الوظيفة والاستجابات الانفعالية والسلوكية

د. نور الدين بوعلي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة سطيف 2
الجزائر

ملخص

إن محيط الوظيفة عادة ما يؤثر و يتأثر بكل من حاجات الفرد وشخصيته و قيمه. وعليه، فان كل من كيفية استجابة الأفراد على الوظيفة وكذا استجابات هؤلاء الانفعالية على هذه الأخيرة، تكون وظيفة التطابق بين صفات الوظيفة (كحجم الاستقلالية و التحديات الذي تمنحه الوظيفة، والمهارات المستعملة في هذه الأخيرة...) وصفات الأفراد (كمركز التحكم و المهارات و مفهوم الذات...). وبناء على ذلك، ولغرض رفع من مستويات الأداء والرضا في مكان العمل، يجب أخد بعين الاعتبار التأثير المتبادل بين ظروف الوظيفة والفرد العامل.

Abstract

The job environment affects and is affected by a person's needs, personality, and values. Therefore, how people react to work and their affective responses to it, are a function of the match or fit between the characteristics of the job (such as the amount of discretion and challenges it offers, skills utilized…), and individual characteristics (such as locus of control abilities, skills, growth need strength…).Thus, in order to increase performance as well as satisfaction in the work-place, we should take into account the interplay between job context and the individual worker..

مقدمة

انطلاقا من سياسة الإدارة العلمية (Scientific Management) لتايلور (Taylor,1911) (1) ، والمتمثلة أساسا في رفع مستويات الإنتاجية من خلال الرقابة الضيقة، تبسيط العمل وتقنينه، وما ترتب عنها من أنماط سلوكية غير مرغوب فيها (ارتفاع نسبتي التغيب وترك الخدمة ، عدم الرضا ، التخريب...)، وكذا الاضطرابات النفسية والعقلية (Kornhauser, 1965 (2)، والاستنفاد الانفعالي (Parker & Wall, 1998) (3) ، أثرت سلبا على الأفراد العاملين، وكذا على المنظمات، بدأت هذه الأخيرة تدرك أن فاعليتها الإنتاجية لا تتجلى إلا من خلال تصميم الوظائف المشبعة لحاجات الأفراد. وفي ضوء ذلك، ولغرض إعادة هيكلة الوظائف المتعامل معها، وبالتالي جعلها تتميز بأكثر أهمية وبأكثر دلالة وبأكثر تحفز، تم الارتكاز على صفات الوظيفة كإستراتيجية سعى من خلالها الأخصائيين في

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر2012.

السلوك التنظيمي إلى تنشيط دوافع الفرد الداخلية وكذا إرضائها.

وهكذا، فانه في حين أن نظرية العاملين لهرزبرج وآخرون Herzberg et al, (1959) (4) ، أدت إلى إجراء العديد من البحوث والدراسات، (Schneider & Locke, 1971) (5) ، (Korman, 1971) (6) ، إلا أن دلائل ونتائج هذه الأخيرة لم تثبت افتراضاتها تجريبيا. ومن هذا المنطلق أشارا الباحثين ميداني (Maidani, 1991) (7) ، و(Porteous , 1997) (8) ، إلى أن نظرية العاملين لم تأخذ بعين الاعتبار مدى أهمية الفروق الفردية في الموقف العملي الفردي، وبالتالي فهي لم تنظر إليها كعوامل مكيفة هامة بالنسبة لتأثيرات الإثراء الوظيفي في السلوك، متوقعة بذلك، أن جميع الموظفين سيستجيبون بطريقة مماثلة على كل من عوامل التحفز(الانجاز، الاعتراف، الوظيفة بذاتها، المسؤولية، الترقية وإمكانية النمو والتطور) وعوامل الصحة (سياسة المنظمة، نظام الإدارة ، الأجور، العلاقات مع الزملاء، ظروف العمل، الإشراف الفني، الأمن، والاستقرار في الوظيفة) . كما تم انتقاد هذه النظرية كذلك، من حيث عدم تمكنها من تحديد كيفية قياس عوامل التحفز وعوامل الصحة المشار إليها سابقا. وبناء على ذلك، ونظرا لأهمية العوامل الداخلية للوظيفة في إرضاء الأفراد وتحفيزهم أدى بالباحثين إلى تكثيف الجهود وهذا لعرض تطوير اكتشافات جديدة يقتضى بها في مجال الاثراء الوظيفي وتصميم الوظائف. وفي هذا الصدد، تعد دراسات تورنر ولورانس (Turner & Lawrence, 1965) (9) ، التي أقيمت على صفات الممارسة وخصوصيتها (Task Attributes) الهادفة إلى تعريف صفات الوظيفة الأكثر تأثيرا في سلوك العامل، المصدر الرئيسي الذي تمكنا من خلاله هاكمان و ولدهام (Hackman & Oldham , 1976) (10)، من تطوير نموذج صفات الوظيفة (The Job Characteristics Model) واللذان سعيا من خلاله إلى استكشاف التغاير بين الاثراء الوظيفي وكل من الدافعية الداخلية للعمل والنمو والتطور الشخصي. ومن هذا المنطلق، فقد بينا هدين الباحثين أن الوظيفة بذاتها هي مفتاح تحفيز الموظفين، بحيث تعد الخصائص المتمثلة في كل من تنوع المهارات، الاستقلالية والسلطة في اتخاذ القرار إحدى الطرق أو الإجراءات لإضافة التحدي والتعقيد للوظيفة. ويتضح من ذلك، أن العوامل البيئية والظرفية هي التي تحدد دافعية الفرد، أي أنه بإمكان الأفراد ذوي الحاجات العليا للنمو والتطور الشخصي مثلا، أن يكونوا متحفزين بصفة أكبر لو يدركون أن العوامل الضرورية لذلك (الصفات المتحدية للوظيفة) موجودة في بيئة العمل.

وتجدر الإشارة، إلى أن مثل هذه النظرة الحديثة في الدافعية عادة ما تنعكس في نظريات المحتوى (Content Theories) التي تهتم بماهية الحاجات والدوافع التي تنشط السلوك وتحريكه وكذا بتحديد الحاجات الخاصة الأكثر أهمية في تحفيز الأفراد.

1- صفات الوظيفة وتأثيراتها في السلوك:

إن أكثر النماذج استعمالا وشيوعا في هذا المجال هو نموذج صفات العمل

لهاكمان وولدهام والذي يتمحور حول خمسة خصائص أو أبعاد مركزية نسعى من خلالها إلى تحديد مدى إمكانية التحفيز بالنسبة للوظائف المتعامل معها انطلاقا من الفروق الفردية وهي كالتالي:

• تنوع المهارات: وهو مقدار ما تتطلبه الوظيفة من ممارسات متنوعة تؤدي بدورها إلى استعمال عدة مهارات وقابليات مختلفة. ومن هذا المنطلق، بين امابيل (Amabile, 1997) (11) ، أن الفروق الفردية في اتخاذ المجازفة (وهي صفة خاصة بالأفراد ذوي الحاجة العالية إلى الإنجاز والمعبر عنها بالرغبة في الاستقلالية، التحدي، والإبداع) مرتبطة وبصفة متميزة بكل من الرضا والتفضيل للمكافآت التشجيعية في العمل. فقد بين هذا الأخير أن الأفراد ذوي الحاجة العالية في اتخاذ المجازفة يكونوا راضين أكثر عندما يتعاملون مع الممارسات المتنوعة وبالتالي فهم كثيرا ما يعبرون عن الرغبة للتعامل مع الوظائف التي تحفزهم داخليا وهذا بالمقارنة مع الأفراد ذوي الحاجة المنخفضة في اتخاذ المجازفة والذين يتجهون بدورهم إلى تفضيل أمن الوظيفة على حساب أهمية العوامل الداخلية لهذه الأخيرة.كما أشار كل من وجنر وجود ينج (Wagner & Gooding, 1987) (12)، إلى أن أثر الاتجاهات في السلوك عادة ما يتعلق بالدرجة التي يتمكن من خلالها الفرد من التحكم في الوظيفة المتعامل معها. وعليه، فإنه عندما تحتوي الوظيفة على الممارسات المتنوعة، فإن هذا من شانه أن يؤدي بالفرد إلى استعمال مهاراته بصفة متواصلة وهذا سعيا منه لتحقيق العوائد ذات القيم الموجبة.

• تعريف المهمة: وهو مقدار ما تتطلبه الوظيفة من إتمام لكل أجزائها من البداية إلى النهاية لتحقيق نتائج ملموسة. وفي هذا الصدد، بين جيبسون وآخرون (Gibson et al, 1982) (13)، أن قيام الأفراد بإتمام ممارسات وظائفهم يؤدي بهم إلى رفع من مستويات دافعيتهم إلى العمل وكذا تقويتها. و بناء على ذلك، يمكن اعتبار مثل هذه الصفة التحفيزية ومدى تأثيرها في سلوكيات الأفراد على أنها شكل من أشكال مكافأة الذات. وتؤكد هذه النتيجة ما توصل إليه كل من ها كمان ولولار (Hackman & Lawler, 1973) (14) ، من حيث أن الأفراد الأكثر رغبة لإشباع الحاجات العليا (حاجات النمو والتطور الشخصي والمعبر عنها من خلال تقدير الذات، تحقيق الذات، الاستقلالية، التغذية الراجعة، المشاركة في اتخاذ القرارات، والانجاز) يتجهون إلى اشتقاق الرضا الوظيفي من الوظائف التي تحتوي على المستويات العالية في هذا البعد.

• معنى الوظيفة: وهو مقدار ما يكون للوظيفة من تأثيرات قوية على معيشة الأفراد سوءا كان ذلك داخل المنظمة أو خارجها. وعلى هذا الأساس، فإن الموظف الذي ينجز وظيفته في ميدان الطيران مثلا، يدركها إدراكا إيجابيا كبيرا وهذا بالمقارنة مع الموظف الذي يؤدي وظيفته في ميدان أقل أهمية، وهذا مهما تكن مستويات القدرات والمهارات المطلوبة متشابهة.

• الاستقلالية: وهي مقدار ما تتضمن الوظيفة من الحرية واستقلال ورزانة في

برمجتها وتحديد المناهج لإنجازها. عندما تمنح الحرية للموظف في مكان عمله، فمن المحتمل جدا، أن يدرك النتائج المحصل عليها عن طريق جهوده ومبادراته وقراراته الخاصة، وفي مثل هذه المواقف، يمكن للموظف الشعور بمسؤولية النجاح أو الفشل، في مكان عمله. وفي هذا الصدد، أشار وال وجكسن (Wall & Jackson. 1995) (15) إلى انه بإمكان الاستقلالية الممنوحة في العمل تسهيل الوقت اللازم للتعلم والتنمية. كما أكد من جهته كوردوري، (Cordory, 1997) (16) ، إلى ضرورة التفريق بين أهمية ثلاثة أبعاد تندرج في إطار التحكم الذاتي في الوظيفة وهي (أ)- أسلوب التحكم: مدى حرية التصرف الذي يتمتع به الموظف من حيث كمية الإنتاج، تنوع الطرق لأداء المهام، التخطيط، آجال انجاز المهام، وكذا اختيار المناهج لأدائها مقارنة بالطريقة المحددة في تنفيذ المهام (ب)- توقيت التحكم: مدى التأثير الذي يتمتع به الموظف من حيث برمجة العمل (ترتيب مهام العمل، اتخاذ القرار حول بداية المهام وإتمامها، وتحديد الوتيرة الخاصة بالعمل مقارنة بالجدولة الزمنية المحددة (ج)- السلطة في تحديد أهداف الأداء: مدى السلطة الذي يتمتع به الموظف من حيث تحديد الأهداف المثيرة للتحديات، تقييم الأداء، ومنح التغذية الراجعة مقارنة بالطريقة المحددة في هذا الإطار). وبناء على ذلك، اكتشف كوردوري أربعة أبعاد مترابطة مع بعضها البعض تكمن مهمتها في التأثير على استقلالية الوظيفة من حيث المدى الذي من خلاله يتمكن الموظف من (أ)- منح أهداف واضحة وممكنة التحقيق (ب)- تطبيق الرقابة على ممارسات الوظيفة (ج)- التحقق من أن الموارد المطلوبة متوفرة (د)- منح بصفة موقوتة التغذية الراجعة الدقيقة والسائرة اتجاه تحقيق الأهداف. وبناء على النتائج المتوصل إليها، أكد الباحث كوردوري أن الأبعاد الثلاثة الأولى هي الأكثر تأثيرا في مدى إدراك الاستقلالية بالنسبة للموظف.

وفي ضوء ذلك تمت الإشارة، إلى أن محاولة تطبيق الاستقلالية من حيث تخطيط مناهج الوظيفة وإجراءاتها أدت إلى تغيرات ايجابية في اتجاهات الموظفين اتجاه الوظيفة، تحسين الإنتاجية، وخفض نسبة التغيب، براج واندروز (Bragg 1973 & Andrews,) (17)، إدماج مهارات أكثر في الوظائف الحالية مورجيسن وكامبين (Morgeson & Campion, 2003) (18)، التأثير الايجابي في كل من الرضا الوظيفي والأداء جوج وآخرون (Judge et al, 2001) (19) ، وكذا تحسين مستويات الأداء والدافعية بما في ذلك عدم الشعور بالضيق الانفعالي سبيكتور (Spector, 1986) (20). ومن هذا المنطلق، يتبين أن محاولة إشباع الاستقلالية من خلال الوظيفة المتعامل معها لا تؤثر فحسب إيجابا على راحة الفرد النفسية وإنما أيضا تقوية العلاقة بين كل من رضا وأداء هذا الأخير.

• التغذية الراجعة: وهي مقدار ما يتحصل عليه الفرد من معلومات واضحة والخاصة بأدائه. عندما يتحصل العامل على نتائج ممارساته فأن التغذية الراجعة تساعده في تصحيح الأخطاء وتقوية رغبته في العمل. وعلى هذا الأساس، فإنه في حالة عدم احتواء العمل أو الوظيفة بذاتها على مثل هذه الصفة، يحتمل أن يكون

الأفراد غير قادرين من معرفة مدى دقة وصلاحية استجاباتهم على مؤثرات العمل. كما أن التغذية الراجعة عادة ما تدرك على أنها عنصر ضروري في بيئة العمل خاصة من طرف أولئك الباحثين الذين درسوا مدى أهمية الحاجات العليا بالنسبة لتقدير الذات وتحقيق الذات كماسلو مثلا (Maslow, 1954) (21) . وانطلاقا من هذه النظرة، أشارت نظرية الدافعية الداخلية لديسي (Deci, 1975) (22)، إلى أن التغذية الراجعة تؤدي وظيفة تحفيزية تكمن مهمتها في منح الفرد العامل المحيط الملائم وهذا من أجل إشباع الحاجات العليا من خلال إنجاز المهام. وبناء على ذلك، فان التغذية الراجعة تتفق ونظرية التوقع لفروم (Vroom, 1964) (23)، والتي تشير إلى أن الأفراد عادة ما يطورون المعارف حول درجة الترابط بين السلوك (مستوى الأداء) وتحقيق العوائد أو المكافآت. وعليه، فإنه كلما زادت العلاقة المدركة بين السلوكيات والمكافآت، كلما زاد اعتقاد الفرد أن تحقيق المكافأة المرغوب فيها متعلق بالسلوك. وبناء على ذلك، تبين من خلال الدراسات التي أقيمت في هذا المجال، أن التغذية الراجعة عادة ما تعمل كعامل معدل أو مكيف للعلاقة بين تقدير الذات والأداء اشرانج وروزنبرج (Schrange & Rosenberg, 1970) (24)، تؤدي بالأفراد ذوي مركز التحكم الداخلي إلى الاستجابة إيجابيا على متطلبات الوظيفة بارون وآخرون (Baron et al, 1975) (25) ، بما في ذلك إشباع حاجات هؤلاء من حيث الإنجاز وتحقيق الذات روتر (Rotter, 1966) (26)، وكذا تساعدهم على تطوير السلوك المواتي، كروجر ودينيسي (Kruger& DeNisi, 1996) (27).

وهكذا، فإن خصائص الأفراد يمكنها أن تدلنا ليس فحسب عن حالات هؤلاء السيكولوجية وإنما أيضا إفادتنا بالمعلومات الخاصة بالتغذية الراجعة المتطلبة في المهام والتي تؤدي بدورها إلى تحقيق الحاجات وإشباعها.

وبناء على ما سلف ذكره، اكتشف الباحثين فرايد وفيريس (Fried & Ferris, 1987) (28)، من خلال تطبيق التحليل ما بعد البحث علاقة قوية ودالة إحصائيا بين كل من (التغذية الراجعة والرضا الوظيفي العام)، (الاستقلالية والرضا عن النمو والتطور)، و(تنوع المهارات والدافعية الداخلية للعمل) حيث بلغت معاملات الارتباط (0.43) ، (0.71) ، و (0.52) على التوالي.

ومن خلال استخدام نفس الإجراء، توصل لوهر وآخرون (Loher et al, 1985) (29)، من تبيين أن قيمة معامل الارتباط الحقيقية المقدرة بين كل من أبعاد العمل أو الوظيفة السالفة الذكر والرضا الوظيفي هي (0.39).

وفي ضوء ذلك، يمكن القول أنه كلما كانت الوظيفة المتعامل معها مثيرة للتحديات كلما زادت قيمتها الداخلية المتعلقة بالرضا الوظيفي العام وكذا بالعوائد الموجبة الأخرى والمنصوص عليها في نظرية صفات العمل (ارتفاع كل من مستويات دافعية العمل الداخلية، أداء العمل، وفعالية العمل).

3- نموذج صفات العمل واستجابات الأفراد الانفعالية.

يشير نموذج صفات العمل إلى أن الأفراد لديهم صفات شخصية وحاجات قاعدية معرفة ومتسقة نسبيا، وبالمثل فان الوظائف لديها مجموعة من الصفات معرفة ومستقرة لها صلة مباشرة بحاجات الأفراد. وفي ضوء ذلك، فإن اتجاهات الأفراد اتجاه الوظيفة تنشأ من خلال التفاعل بين حاجات هؤلاء وصفات الوظيفة، وبالتالي فعندما تكون هذه الأخيرة متطابقة وحاجات الأفراد فإن مثل هذه الحالة تؤدي بهؤلاء إلى الشعور بالرضا ومن تم إلى دافعية أكثر لأداء ممارسات أعمالهم.

وتجدر الإشارة، إلى أن مثل هذا النموذج عادة ما ينعكس من خلال عدة عناصر افتراضية وهي كالتالي:

- يتجلى أول عنصر في افتراض السببية، وبهذا فهو يشير إلى أن مصدر السببية عادة ما يبدأ أو يطور من خلال الوظيفة وصفاتها. وعليه، وانطلاقا من هذا المبدأ، فان صفات الوظيفة هي تلك المؤثرات التي تطور اتجاه الفرد وسلوكه. في هذا الإطار، أشار كل من أيسن وبارون (Isen & Baron, 1991) (30)، بريف وآخرون (Brief et al, 1995) (31)، و ويس وآخرون (Weiss et al, 1999) (32)، إلى أن العلاقة السببية بين الرضا الوظيفي والأداء عادة ما ترجع إلى ميول الأفراد نحو الوظائف المتعامل معها، وبالتالي فإن الحالات المزاجية لهؤلاء تؤدي بهم إلى تسهيل أداء أعمالهم من خلال العديد من الطرق تتمثل في الحل الإبداعي للمشكلات ،الدافعية ،المرونة المعرفية، اتخاذ القرارات، التفكير والتقويم الايجابي للأحداث. وتتفق هذه النتائج مع نموذج فيشبان وأجزن (Fishbein & Ajzen, 1975) (33)، واللذان أشارا من خلاله إلى أن الطريقة المثالية للتعبير عن مفهوم الاتجاه في مكان العمل تتجلى في تقسيم هذا الأخير إلى ثلاثة أجزاء مترابطة تمثل (1)- معتقدات الأفراد اتجاه الوظيفة (2)- الاتجاه نحو الوظيفة بذاتها و(3)-السلوكيات المعتمدة الناجمة عن الاتجاه.

ويتضح من خلال ذلك، أن معتقدات الفرد اتجاه وظيفته (الوظيفة رتيبة وغير محفزة...) تؤدي به إلى تطوير اتجاهات سلبية نحو الوظيفة (الشعور بعدم الرضا، انخفاض مستوى الولاء للمنظمة...) والتي تؤدي بدورها إلى تطوير سلوكيات إرادية قد تتمثل في مغادرة الوظيفة أو خفض مستوى الجهد. أخيرا، تترجم السلوكيات الإرادية داخل سلوك حالي قد يتمثل في التغيب أو ترك الخدمة أو خفض الأداء فارضين أن الفرد لديه القدرة على تجسيد سلوكياته المعتمدة هذه. وحسب فيشبان وأجزن فإن أسباب تطوير السلوك في مكان العمل يمكن فهمها من خلال الاتجاهات اتجاه كل من السلوكيات والمعايير الذاتية والسلوكيات المعتمدة. تماشيا وهذا الاتجاه، بين كل من هاكت وجيون (Hackett & Guion, 1985) (34)، أن السبب الرئيسي المؤدي إلى ظاهرة التغيب عن العمل هو طبيعة الوظيفة بذاتها. كما أكتشف كرمبتن ووجنر (Crampton & Wagner, 1994) (35)، من جهتهما علاقة متسقة ودالة إحصائيا بين عدم الرضا الوظيفي الناجم عن الوظيفة بذاتها وترك الخدمة.

وفي ضوء ذلك، يتبين أن التأثيرات الأولية على عوائد تصميم العمل تتجلى في جوانب العمل أو الوظيفة بذاتها، وبالتالي، يمكن اعتبار ملامح الوظيفة على أنها المحدد الرئيسي التي تتطور من خلاله كل من العوائد الانفعالية (الرضا الوظيفي) والسلوكية (الأداء). ونظرا لذلك، يمكن القول أن اتجاهات الأفراد العاملين اتجاه الوظيفة وردودهم الانفعالية عليها يمكنها أن تلعب دورا هاما في القوة الدافعة لهؤلاء.

- كما يشير العنصر الثاني المتضمن في نموذج إشباع الحاجة السابق، إلى أن الاتجاهات هي عبارة عن استجابات الأفراد وردود أفعالهم على بيئة العمل. وعليه، قد تكون الاتجاهات انفعالية تتضمن الإثارة والنشاط والتحدي أو سلوكية تتضمن الإقبال على الوظيفة أو اجتنابها أو معرفية تتضمن التقويم الإيجابي أو السلبي نحو الذات. وفي ضوء هذه المعطيات، قام أصحاب نظرية القيمة التوقعية كروزنبرج وهوفلاند (Rosenberg & Hovland 1960) (36)، وفروم (Vroom, 1964) (37)، بوصف الاتجاه على أنه مفهوم معتقد ومتعدد الجوانب، و بالتالي فهو عادة ما يعبر عنه نموذجيا من خلال المعادلة الخطية التالية: $A_0=\sum_{i=1}^{n} biei$

حيث أن A_0 هو اتجاه الفرد نحو شيئا ما 0، وbi هو اعتقاد الفرد الذاتي أن 0 يؤدي به إلى إظهار الصفة i، وei هو تقويم الفرد للصفة i، وn هو عدد المعتقدات.

وعليه، فإن اتجاهات الفرد عادة ما تكون وظيفة لكل من اعتقاده الذاتي بأن الوظيفة المتعامل معها تحتوي على صفة ما، وبالتالي اللجوء إلى تقويمها. في هذا الإطار،أشار ها كمان (Hackman, 1969) (38)، إلى أن الفرد العامل قبل قيامه بأداء الممارسة يلجأ إلى إعادة تعريفها وهذا سعيا منه لجعلها متسقة مع حاجاته وأهدافه وقيمه.كما أكد الدلفر (Aldelfer, 1972) (39) من جهته، أن إستراتيجية شاغل الوظيفة الأصلي الذي يرغب في إشباع صفة ما من صفات الوظيفة المحتملة عادة ما تتجلى في إقباله المتردد على استغلال تلك الصفة وبالتالي اختبار الكثير منها. ومن هذا المنطلق، فإن المحاولة الرامية إلى الإثراء الوظيفي (جعل الوظيفة المتعامل معها مثيرة للتحديات) يمكنها أن تدرك بشكل إيجابي من طرف الأفراد ذوي الحاجتين المرتفعتين إلى الإنجاز والاستقلالية وهذا نتيجة إسهامهما في سعادة هؤلاء وهذا بالمقارنة مع الأفراد ذوي الحاجتين المنخفضتين إلى الإنجاز والاستقلالية والذين يتجهون إلى إدراك مثل هذه العملية بصفة سلبية لما تتطلبه من متطلبات جديدة غير مألوفة ومن ثم تتجاوز قدراتهم التكيفية. تماشيا وهذا الاتجاه، بين جوج و آخرون (Judge et al, 2000) (40)، أن الأفراد ذوي المفهوم الذاتي الموجب عادة ما يطورون الرغبة للتعامل مع الممارسات الصعبة والمتحدية وهذا نتيجة إيمانهم بالقدرة على تحمل التحديات التي تفسحها إياهم مثل هذه الممارسات. كما بين شلا يشر وآخرون (Schleicher et al, 2004) (41)، أن الأفراد ذوي المستويات الانفعالية والمعرفية العالية يتجهون إلى معايشة الرضا الوظيفي في مكان العمل من خلال الوظائف المتحدية وهذا بالمقارنة مع الأفراد ذوي المستويات المنخفضة في مثل هاتين

الصفتين.

- كما يفترض من خلال العنصر الثالث، أن حاجات الأفراد هي عبارة عن صفات متسقة ومستقرة نسبيا. وعليه، وانطلاقا من تعريف الحاجة والذي يشير على أنها حالة عجز أو عدم اتزان فيزيولوجي أو سيكولوجي أو اجتماعي تؤدي بالفرد إلى متابعة صيرورة من السلوك أو الأفعال وهذا لغرض الرجوع إلى حالة من الاتزان الداخلي، يتبين أن مهمة هذه الأخيرة تكمن في تنشيط حالة الفرد الداخلية بحيث أن إشباعها يؤدي بالفرد إلى معايشة الراحة النفسية، فحين أن عدم إشباعها يؤدي به إلى معايشة الإحباط والقلق. وهكذا، فإنه عندما يراد التنبؤ برد فعل الفرد واتجاهه نحو وظيفته، فإن الحاجات تصبح بمثابة المصفاة التي تتطور من خلالها استجابات هذا الأخير. وفي ضوء ذلك، أشار كل من ريان وفريد يريك (Ryan & Frederick, 1997) (42)، إلى ضرورة تمكين الفرد العامل من إشباع حاجاته وهذا حتى يشعر بالراحة النفسية والاندماج والنمو والتطور في مكان العمل.

- أما العنصر الرابع، فهو يتعلق بمفاهيم صفات الوظيفة الموضوعية (التقارب بين مدى إدراك المفحوصين لبنود المقاييس المستخدمة في هذا الإطار والحقائق الموضوعية المتواجدة في بنية العمل) ومن ثم اعتبارها بمثابة أسباب أو صفات حقيقية خاصة وثابتة قد تتمثل في الرقابة الضيقة، التغذية الراجعة ، المهارات، والاستعدادات والتي من شأنها أن تترابط واتجاهات الموظفين اتجاه الوظائف المتعامل معها). وفي ضوء ذلك، بين نيومن (Newman, 1975) (43)، أن الصفات الموضوعية للوظيفة عادة ما تؤثر على بنية هذا الأخير المدركة من طرف الفرد العامل والتي تؤثر بدورها على اتجاهاته نحو كل من الوظيفة والمنظمة. كما بين كل من بيرس ودنهام (Pierce & Dunham, 1978a) (44)، أن الأشياء المتعلقة بالتقنين التنظيمي (وهو المدى الذي من خلاله تكون القواعد وإجراءات العمل والتعليمات والاتصالات المتعامل معها مكتوبة)، ومركز اتخاذ القرارات (وهو المدى الذي من خلاله يكون مركز اتخاذ القرارات متواجدا في المستويات التنظيمية العليا) تترابط بصفة سلبية مع كل من الاستقلالية، التغذية الراجعة، تنوع المهارات وتعريف المهمة. وبالمثل اكتشف (Rousseau, 1978a) (45)، وهو من أصحاب النظام الاجتماعي التقني علاقة سالبة بين البنية التنظيمية من حيث الحجم التنظيمي (وهو عدد العمال الذين يتعاملون مع وظائفهم وفقا للوقت القانوني المعمول به والذي من خلاله يتقاضى هؤلاء العمال مرتب شهري دائم)، والتقنين التنظيمي ومركز اتخاذ القرارات وكل من صفات العمل والرضا الوظيفي. تماشيا وهذا الاتجاه، أشار الباحث روسو (Rousseau, 1978b) (46) ، إلى أن الاختلاف في نوعية التكنولوجيا المستخدمة يؤثر بشكل صريح في اتجاهات العمال نحو تصميم العمل. وعليه فإن كل من الرضا الوظيفي والدافعية إلى العمل يكونان إلى حد بعيد متأثران بالتوافق بين تصميم العمل والتكنولوجيا المتعامل معها واللذان من خلالهما يتفاعل الفرد العامل مع عمله.

أخيرا، يتعلق العنصر الخامس، بالعلاقة الوظيفية بين كل من الحاجات وصفات

الوظيفة والاتجاهات. وتجدر الإشارة، إلى أنه لغرض قياس مثل هذه العلاقات المتبادلة قد يلجأ الباحث إلى استخدام نموذجين أساسيين هما:

النموذج الفارق: أو نموذج العملية التصورية للحاجة الناقصة لبورتر (Porter, 1961) (47) ، والذي يشير إلى أن الاتجاهات تنشأ من خلال التفاعل بين حاجات الفرد وصفات العمل الموضوعية. وحسب بورتر، فإن الوظيفة المتعامل معها تكون مرضية إلى درجة إشباعها لحاجات الفرد، بحيث أن هذه الأخيرة هي متطلبات الكائن الحي الموضوعية وهذا من اجل البقاء والشعور بالراحة النفسية. تماشيا وهذا الاتجاه، وانطلاقا من تعريف لوك (Locke, 1976) (48) في الرضا الوظيفي والذي اعتبره" كحالة انفعالية سارة ناجمة عن تقويم الفرد لوظيفته على أنها مشبعة أو محققة لقيم الوظيفة على شرط أن تكون هذه القيم متطابقة مع حاجات الفرد" يمكن القول أن الشعور بمثل هذا السلوك مرتبط ارتباطا وطيدا مع وظيفة الفرد وبكيفية أدائها من طرف هذا الأخير. وعلى هذا الأساس، فإنه إذا كانت وظيفة الفرد تتطابق وقدراته ، معتقداته، حاجاته، وميوله، فإن هذا من شأنه أن يؤدي به إلى خبرات سارة تنعكس بدورها في تطوير اتجاهات موجبة نحو وظيفته تنعكس بدورها في توحد الفرد سيكولوجيا مع هذا الأخيرة وبالتالي النظر إليها على أنها مهمة في إبراز نموه وتطوره السيكولوجي والعكس صحيح.

ومما سبق، تكمن مهمة الباحث في استجواب المفحوصين حول صفات الوظيفة التي يرغبون التعامل معها وكذا الصفة التي يرونها ايجابية أكثر في وظائفهم الحالية. وعليه، يسعى الباحث إلى ربط حاجات الفرد الناقصة أو غير المشبعة مع الرضا الوظيفي أو مع البعض من القياسات السلوكية المماثلة الأخرى، وهذا كونها تعكس وتقيس بصفة صادقة مثل هذه المفاهيم. وهكذا وبصفة متبادلة، تجمع الدرجات المحصل عليها في حاجات الفرد الناقصة ثم القيام بربطها فيما بعد مع المعيار المراد قياسه أو التنبؤ به.

أما **النموذج الثاني**، لقياس العلاقة المتبادلة بين كل من الحاجة وصفات الوظيفة والاتجاه فهو يفترض بدوره أن الاتجاهات هي وظيفة حضور أو غياب صفات الوظيفة ذات القيمة الموجبة. وبالتالي، فإنه كلما كانت حاجة الفرد عالية نحو صفة ما من صفات الوظيفة كلما زاد الارتباط بين تلك الصفة واستجابات هذا الأخير السلوكية. وفي هذا الصدد، أشار هاكمان وولدهام (Hackman & Oldham,1980) (49) ، إلى أنه لو يدرك شاغل الوظيفة أن بعض الصفات التي يرغب في اختبارها موجودة في الوظيفة الذي يتعامل معها، فهذا من شأنه أن يؤدي بهذا الأخير إلى معايشة حالة عاطفية موجبة مولدة ذاتيا، تكون بمثابة عامل محفز قوي في أداء الممارسات المطلوبة بكيفية جيدة، ومثل هذا التعزيز الداخلي يعمل كمكافأة بالنسبة للأداء المثمر والمتواصل.

وهكذا، وانطلاقا من إمكانية الوظيفة التحفيزية الشاملة والمعبر عنها من خلال دليل

رياضي أطلق عليه " بمؤشر تحفيز الإمكانية " (Motivating Potential Score)، والذي نسعى من خلاله إلى تحديد مدى فعالية العمل أو الوظيفة في تحفيز الفرد العامل انطلاقا من الأبعاد المركزية السالفة الذكر، وبالتالي، النظر فيما إذا كانت هذه الأخيرة تقارب الترتيب المحدد من قبل نظرية صفات العمل من حيث تحريضها لأكبر قدر من الدافعية والرضا بالنسبة لصاحب الوظيفة، تم اكتشاف بصفة عامة أن الوظائف التي تتضمن درجات عالية في مؤشر تحفيز الإمكانية (MPS) تترابط والعوائد الموجبة والتي تمت الإشارة إليها سابقا. وفي ضوء ذلك، بين كل من فرايد وفيريس (Fried & Ferris, 1987) (50)، علاقة قوية بين الوظائف المحفزة لإمكانيات الأفراد وكل من الرضا الوظيفي، فرص النمو والتطور الشخصي، والدافعية الداخلية حيث بلغت معاملات الارتباط (0.56) ، (0.68) ، و (0.49) على التوالي.

ومع ذلك، توقعت نظرية صفات العمل أو نظرية خصائص المهمة، أنه ليس بإمكان الجميع الاستجابة بشكل جيد على الوظائف التي تتضمن مستويات عالية في إمكانية التحفيز. وعليه، وعلى وجه الخصوص، حددت هذه النظرية أن الموظفين الذين يرغبون في إشباع الاحتياجات العالية للنمو والتطور والذين يمتلكون المعرفة والمهارات والذين هم راضون عن سياق العمل ومواقفه المختلفة من حيث الأجر، الزملاء، الإشراف، الخ...، يكونون متكيفين بشكل أكبر مع مثل هذه الوظائف. ومن هذا المنطلق، تبين أن قوة نمو الحاجة (Growth Need Strength) والتي تعني الرغبة في إشباع الحاجات العليا تعمل كمكيف أو كمعدل للعلاقة بين صفات العمل والعوائد الموجبة التي تسعى إليها هذه الأخيرة. و في ضوء ذلك، أشار(Hackman & Oldham, 1976) (51) ، إلى أنه حتى تكون الوظائف المتعامل معها مؤثرة ايجابيا في التحفز والإنتاج يجب عليها (أ)- تمكين الأفراد من الشعور بأهمية العمل وقيمته (ب)- منح العوائد ذات القيم الداخلية و(ج)- منح التغذية الراجعة حول كيفية تحقيق الأداء الناجح. ومن هذا المنطلق، فان التغيرات الطارئة على العمل من خلال الإثراء الوظيفي من شأنها أن تؤثر بشكل ايجابي في استجابات الأفراد الانفعالية والسلوكية إذا كان هؤلاء يختبرون بصفة فعلية الحالات النفسية الراهنة من حيث أهمية العمل وقيمته، الشعور بالمسؤولية المهام بما في ذلك معرفة نتائج هذه الأخيرة.

وعليه، وعكس النموذج الفارق السالف الذكر، فإن هذا النموذج يهدف أساسا إلى استجواب المفحوصين حول الوظائف المتعامل معها ورضاهم عنها ومدى تأثيرها في قوة نمو حاجاتهم العليا. ومن هذا المنطلق، فان التشخيص التنظيمي المنطوي على تطبيق المسح التشخيصي للوظيفة لهكمان وولدهام (52) والذي يهدف إلى (أ)- تشخيص الأعمال الموجودة حاليا لتحديد ما إذا كانت تستدعي إعادة التصميم لتحسين الإنتاجية وتحفيز الموظفين(ب)- تقييم آثار التغيرات الطارئة على الوظائف في سلوكيات الموظفين. إضافة إلى هذا، فهو عادة ما يوفر التدابير حول (أ)- أبعاد الوظيفة الموضوعية (ب)- حالات الموظفين النفسية الناتجة عن هذه الأبعاد (ج)- ردود أفعال الموظفين العاطفية الناتجة عن الوظيفة وسياق العمل و(د)- قوة نمو

الحاجة (مدى استعداد الموظفين للاستجابة على الوظيفة المثيرة للتحيات أو المثرية). كما تجدر الإشارة إلى أن الدراسات التي أقيمت في هذا المجال Harvey et al,1985)(53)، (Champoux, 1992) (54) ، أكدت أن المسح التشخيصي للوظيفة عادة ما يؤدي بالموظفين إلى تطوير القدرة لمنح تقييمات دقيقة حول صفات العمل. وعليه، قد تتجلى إحدى التدخلات التنظيمية الرامية للرفع من مستويات معايشة الفرد العامل لصفات العمل، في قيام المنظمة بتشكيل وحدة موسعة من الممارسات المتخصصة من خلال تجميع ممارسات العمل الحالية مما يؤدي بالفرد العامل إلى الابتعاد عن معايشة التوتر، القلق والإجهاد الانفعالي الناجمة عن العمل الروتيني المفرط فيه. وبناء على ذلك، تكمن أهمية مثل هذا الإجراء في التأثير مباشرة في كل من تنوع المعارة وتعريف المهمة. كما تجدر الإشارة، إلى أن التدخلات المماثلة الأخرى والمتمثلة في تحديد وحدات العمل الطبيعية، تطوير علاقات مباشرة مع عملاء المنتج، تطوير التوسع العمودي، والقيام بفتح قنوات التغذية الراجعة والتي تمت الإشارة إليها في نموذج صفات العمل من شأنها أن تؤثر ايجابيا في اتجاهات الأفراد العاملين وردود أفعالهم اتجاه صفات العمل. إضافة إلى هذا، ولغرض جعل الأفراد العاملين يعايشون حالات انفعالية وسلوكية موجبة، يجب القيام بما يلي:

- النظر في البنية التنظيمية من حيث التكنولوجيا والمحيط الفيزيقي، وهذا كونهما عاملين من شانهما التأثير على تصميم العمل وكذا على ردود أفعال الموظفين على هذا الأخير. ومن هذا المنطلق، فان قيام الإدارة بتصميم العمل وفق الهياكل المسطحة والمتميزة (بمدى رقابة واسع، ومستويات سلطوية قليلة ولا مركزية اتخاذ القرارات)، من شأنه أن يمنح للعمال فرص المشاركة في اتخاذ القرارات، معايشة الاستقلالية، التحكم في الأهداف،...، تؤدي بدوها إلى رفع كل من روح المبادرة والابتكار لدى هؤلاء.

- النظر في سياق العمل الاجتماعي من حيث ترابط المهمة، الدعم الاجتماعي، والتغذية الراجعة الآتية من الأفراد الآخرين، وهذا كونها تمثل صفات هامة في العمل أو الوظيفة المتعامل معها.

- النظر في مدى التمكين السيكولوجي الذي أشار إليه سبريتزر (Spreitzer, 1995) (55) ، من حيث الأثر (الدرجة التي من خلالها يشعر الفرد العامل على أنه لديه التأثير الايجابي على نتائج العمل وعوائده)، المعنى (الدرجة التي من خلالها تعكس مهام العمل معتقدات، قيم وسلوكيات الفرد العامل)، العزم الذاتي (الدرجة التي من خلالها يشعر الفرد العامل بامتلاك الخيار في تطوير السلوكيات وتعديلها)، والكفاءة الذاتية (الدرجة التي من خلالها يعتقد الفرد العامل على أنه لديه القدرة على أداء أنشطة العمل بكيفية جيدة)، وهذا كونها تعكس تصورات الأفراد العاملين حول أنفسهم فيما يتعلق ببيئات العمل الذين يتعاملون معها. وعليه، تم اعتبار كل من تقاسم المعرفة، لامركزية الموارد، الدعم الجماعي، الدعم الإشرافي المدرك، وتوفر التدريب بمثابة العوامل الأكثر تعزيزا للتمكين السيكولوجي.

خاتمة

وبناء على ما سلف ذكره، يمكن النظر إلى صفات الوظيفة الأكثر تأثيرا في السلوك، وبالتالي إلى المحتوى الموضوعي لهذه الأخيرة على أنها ذلك المجهود الرامي إلى تصميم أو إعادة تصميم بنية الوظيفة وهذا من أجل رفع رضا الأفراد العاملين وكذا إنتاجياتهم فيها. ومن هذا المنطلق، تبين أن ردود الأفراد الانفعالية والسلوكية على صفات الوظيفة يمكنها أن تكون بمثابة عامل هام يقتضى بها في محاولة تحسين جودة حياة الأفراد المهنية، نسعى من خلالها إلى تمكين الأفراد العاملين من تطوير القدرة على تلبية احتياجاتهم الشخصية الهامة من خلال تجاربهم داخل المنظمة. وفي ضوء ذلك، تعد نوعية البرامج التي تمثل نهج النظم بالنسبة لكل من تصميم الوظيفة والإثراء الوظيفي بمثابة إحدى العوامل أو الميزات التنظيمية التي تهدف إلى منح للوظائف المتعامل معها أكثر إثارة. ومن هذا المنطلق، فان التغيرات التي قد تطرأ على العمل أو الوظيفة بذاتها وجعلها تتماشى والمؤثرات الموضوعية الأكثر تأثيرا في هذه الأخيرة (النظر في التوافق بين خصائص الفرد العامل وخصائص المحيط العملي من حيث الرغبة في إشباع الحاجات العليا، السمات الشخصية، المهارات، القدرات، المعارف...) يمكنها أن تكون لديها تأثيرات تطبيقية ايجابية على فعالية المنظمة. إضافة إلى هذا، ونظرا لأن صفات العمل ذات المستويات العالية من التحدي والإثارة قد تتجاوز مستوى تحمل الأفراد ومن تم معايشة هؤلاء للإجهاد، التوتر والقلق وهذا كونهم لا يمتلكون القدرة أو القابلية أو الحاجة الكافية للتكيف مع متطلبات الوظيفة المثيرة للتحديات، يجب الحرص على تطوير برنامج الإثراء الموقفي وهذا كونه يسعى إلى تلبية الرغبات، التوقعات والحاجات المتباينة بالنسبة للأفراد العاملين. و في ضوء هذه المعطيات، يتبين أن السلوك هو وظيفة توافق الفرد مع محيطه العملي، ومن ثم فإن إدارة السلوك التنظيمي هي وظيفة مواءمة الأفراد مع طبيعة الأعمال والهياكل المتعامل معها. كما يتبين كذلك، أن تصميم العمل هو وظيفة التوافق بين العوامل المختلفة ومنها البيئة ونوعية التكنولوجيا وحجم المنظمة والثقافة التنظيمية التي يتواجد بداخلها النسق، وبالتالي فلا يمكن تصور إجراءات تصميم العمل خارج هذا النطاق.

الهوامش

1- Taylor, F.W. (1911). The Principles of Scientific Management. New York: W.W.Norton.

2 – Kornhauser, A. (1965). Mental Health of the Industrial Worker. New York: John Willey & Sons.

3- Parker, S.K, & Wall, T.D. (1998). Job and Work Design: Organizing Work to Promote Well-being and Effectiveness. Thousand Oaks, CA: Sage.

4-Herzberg, F., et al. The Motivation to Work. New York: Wiley, 1959.

5 – Schneider, J , & Locke, E. (1971). A Critique of Herzberg's Classification System and a Suggested Revision. Organizational Behavior and Human Performance. pp. 441-458.

[6]- Korman, A.K. (1971). Industrial and Organizational Psychology. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, pp. 148-150.

[7]- Maidani, E. A. (1991). Comparative Study of Herzberg's Two-factor Theory of Job Satisfaction Among Public and Private Sectors. Public Personnel Management, 20, 4, pp.441–448.

[8]- Porteous, M. Occupational Psychology. Prentice-Hall, Europe, 1997, p. 42.

[9]–Turner, A.N., & Lawrence, P.R. (1965). Industrial Jobs and the Worker. Boston: Harvard Graduate School of Business Administration.

[10]- Hackman, J.R., & Oldham, G.R. (1976). Motivating Through the Design of Work. Test of a Theory, Organizational Behavior and Human Performance, 16, pp 250-279.

[11]–Amabile, T.M. (1997). Motivating Creativity in Organizations: On Doing What you Love and loving What you Do. California Management Review, Vol 40, 1, p. 41.

[12]– See: Nollen, S.D, & Karen, N.G. (1991). Effects of Skills and Attitudes on Employee Performance and Earnings. Industrial Relations, Vol 30, 3, p. 437.

[13]- Gibson, J.L., Et Al. (1982). : Behavior, Structure and Processes. Fourth Edition, Business Publications, Inc, Plano, Texas, 1982, p. 481.

[14]- See: Griffin, R.W.(1991). Effects of Work Redesign on Employee Perceptions, Attitudes and behavior: a Long Investigation. Academy of Management Journal, 1991, Vol 34, 2, p. 425.

[15]–See: Latham, G.P., & Pinder, C.C. (2005). Work Motivation Theory and Research at the Dawn of the Twenty-First Century. Psychological Annual Review, p.493.

[16]– Ibid.

[17]– See: Yukl, J.A. (1981).Leadership in Organizations. Prentice-Hall Inc, Englewood Cliffs, New Jersey, p. 212.

[18]– Morgesson, F.P., & Campion, M.A. (2003).Work Design. In Borman, D.R., Et Al, (eds.), Hand-Book of Industrial and Organizational Psychology, Hoboken, N.J, Wiley, Vol 12, p.428.

[19]- Judge, T.A., Et Al.(2001). The Job Satisfaction-Job Relationship: a Qualitative and Quantitative Review. Psychological Bulletin, Vol 127, 3, p. 391.

[20] – Spector, P.E.(1986). Perceived Control by Employees. A Meta-Analysis of Studies Concerning Autonomy and Participation at Work. Human Relations, 1986, Vol 39, p. 1014.

[20] – Spector, P.E. Perceived Control by Employees. A meta-Analysis of Studies Concerning Autonomy and Participation at Work. Human Relations, 1986, Vol 39, P 1014..

[21] – See: Ilgen, D.R., Et Al. (1979).Motivational Consequences of Individual Feed-Back on Behavior in Organizations. Journal of Applied Psychology, 1979, Vol 62, p. 363.

[22] – Maehr, M.L., & Pintrich, P.R. (1999). Advances in Motivation and Achievement. Jai Press, Inc, p.53.

[23] –See: Wendelien, V.E., & Henk, T.(1996). Vroom's Expectancy Models and Work-Related Criteria: A meta-Analysis. Journal of Applied Psychology, Vol 81, p. 476.

[24] – See: Ilgen, D.R., Et Al. (1979). Op,cit, p.363.

[25] –Ibid,p. 363.

[26] – See: Renn, R.M., & Vandenberg, R.J.(1991). Differences in Employee Attitudes and Behaviors based on Rotter´s (1966) Internal-External Locus of Control: Are they all Valid? Human Relations, Vol 44, p. 1162.

[27] – See: Porter, L.W., Et AL. (2003). Motivation and work Behavior. Seventh Edition, Mc Graw-Hill, Irwin, p. 35.

[28] – See: Morgesson, F.P., & Campion, M.A. (2003). Op,cit, p..440

[29] –Ibid, p. 440.

[30] – Isen, A.M., & Baron, R.A.(1991). Positive Affect as a Factor in Organizational Behavior: Research in Organizational Behavior, 1991, Vol 13, p. 27.

[31] – Brief, A.P., Et Al.(1995). Cookies, Dispositions and Job Attitudes. The Effects of Positive Mood Inducing Events and Negative Affectivity on Job Satisfaction in a Field experiment. Organizational Behavior and Human Decision Processes. Vol 62, p. 59.

[32]- SEE: Erez, A., & Isen, A.M.(2002). The Influence of Positive Affect on the Components of Expectancy Motivation. Journal of Applied Psychology, Vol 87, 6, p. 1085.

[33] –See: Eagly, A.H. & Chaiken, S. (1993). The Psychology of Attitudes. Orlando, FL: Harcourt Brace Jovanovich, p. 232.

[34] –Hackett, R.D., & Guion, R.M.(1985). A Reevaluation of the Absenteeism-Job Satisfaction Relationship. Organizational Behavior and Human Decision Processes, Vol 35, p. 377.

[35] –Crampton, S.M., & Wagner, J.A. (1994). Percept-Percept Inflation in Micro-organizational Research: An Investigation of Prevalence and Effect. Journal of Applied Psychology, Vol 79, p.72.

[36] –See: Pratkanis, A.R., & Turner, M.E.(1994). of What Value is Job Attitude? A Socio-Cognitive Analysis. Human Relations, Vol 47, 12, p. 1447.

[37] – Ibid, p. 1447.

[38] –See: Cranny, C.J., Et Al. Cranny, C.J., Et Al. (1992).Job Satisfaction. How People Feel about their Jobs and How It Affects their Performance. Lexington, Inc, p. 65.

[39] – See: Glick, W.H., et al. (1986). Method versus Substance. How Strong are Underlying Relationships between Job Characteristics and Attitudinal Outcomes? Academy of Management Journal, Vol 29, P 442.

[40] – Judge, T.A., et al. (2000). Personality and Job satisfaction: The Mediating Role of Job Characteristics. Journal of Applied Psychology, 2000, Vol 85, p. 238.

[41] –Schleicher, D.G., Et Al.(2004). Reexamining the Satisfaction-Performance Relationship: The Complexity of Attitudes. Journal of Applied Psychology, Vol 89, 1, p. 166

[42] – See: Ryan, M.R., & Deci, E.L. (2000).Self-Determination Theory and the Facilitation of Intrinsic Motivation, Social Development, and Well Being. American Psychologist, Vol 55, 1, p. 68.

[43]–See: Salancick, G.R., & Pfeffer, J. (1977). An Examination of Need Models of Job Attitudes. Administrative Science Quarterly, 1977, Vol 22, p.430.

[44] - See: Morgesson, F.P., & Campion, M.A. (2003). Op,cit, p.429.

[45] -Ibid, p. 429.

[46] -Ibidem, p. 429.

[47]-See: Muchinsky, P.M. (1983). Psychology Applied to Work. The Dorsey Press, Homewood, Illinois,p. 363.

[48]– See: Saari, L.M., & Judge, T.A. (2004). Employee Attitudes and Job Satisfaction. Human Resource Management, Vol 43, 4, p.396.

[49]–Hackman JR, Oldham GR. (1980). Work Redesign. Addison-Wesley: Reading, MA, p.60.

[50]-See:Kulik, C.T., et al. (1987). Work Design as an Approach to Person-Environment fit. Journal of Vocational Behavior, vol 31, p.285.

[51] – Hackman, J.R., & Oldham, G.R. (1976). Op,cit, p.

[52] – Hackman, J.R., & Oldham, G.R. (1975). Development of the Job Diagnostic Survey. Journal of Applied Psychology, 60, pp. 159-160.

[53] – Harvey RJ, et al. (1985). Confrmatory Factor Anlaysis of the Job Diagnostic Survey: Good News and Bad News. Journal of Applied Psychology , Vol 70 , pp. 461-468

[54] – Champoux JE. (1991). A Multivariate Analysis of Curvilinear Relationships among Job Scope, Work Context Satisfactions, and Affective Outcomes. Human Relations, Vol 45, pp.87-111.

[55] –See: Morgesson, F.P., & Campion, M.A. (2003). Op,cit, p.440.